BRANDON SANDERSON

ILLUSTRATIONS BY HOWARD LYON

TRESS OF THE EMERALD SEA

براندون ساندرسن

رسوم: هوارد ليون

فتاة بحر الزمرد



رواية

ترجمة: وجدان حسين

إهداء لـ..

من زينت عقد الحياة بوجودها

كحجر كريم زين الجواهر

هذا كتابنا الكريم

ليزين الليالي والأيام



ساندرسون،براندون.
فتاة بحر الزمرد .رواية / براندون ساندرسون.
ترجمة : وجدان حسين عبدريه.
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2023.
578 صفحة، 20 سم.
تدمك : 978-977-820-156-7
ا- القصص الأمريكية
ا- القصص الخيالية
أ- عبدربه، وجدان حسين (مترجم)
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 4048 / 2021
الطبعة الأولي : يناير 2023.

كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم
هاتف أرضي: **0235918808**
هاتف محمول: **01000405450 - 01001872290**
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

فتاة بحر الزمرد

براندون ساندرسن

ترجمة

وجدان حسين عبدربه



كيان للنشر والتوزيع

إهداء

إلى إيميلي

مع خالص محبتي.

شكر وتقدير

يا لها من رحلة.

عندما شرعت في كتابة هذه الرواية كانت مجرد نزوة، لم يكن لدي أي فكرة إلى أين سينتهي المطاف بالمشروع بأكمله. (تأكد من اطلاعك على التذييل في نهاية الكتاب؛ حيث أتحدث عن كيف استوحيت القصة ببعض التفصيلات التي لا يمكن طرحها في المقدمة لعدم حرق الأحداث).

وضعت تصورًا خاصًا للكتب الأربعة من حملة Secret 2022 Projects Kickstarter، لكن فريقي أنجز أكثر من المطلوب منه. وها هي الرواية تخرج في شكل رائع للغاية. أعلم أن الكثير منكم سيستمع إلى الكتاب المسموع، والذي له بالتأكيد فنه الخاص، ولكن إذا سنحت لك الفرصة فتأكد من تصفح النسخة المطبوعة؛ لأنها مبهرة.

لذلك من المناسب أن أبدأ بتوجيه الشكر لهوارد ليون. تخيلت هذه الكتب كنوع من «معرض فنان»؛ حيث اخترنا فنانًا وسمحنا له بتجاوز بعض الحدود للتعبير عما يريد فعله في ابتكار الكتاب. لقد اجتهد هوارد كثيرًا في هذا الكتاب، في عمل الغلاف، والخلفية، والرسوم التوضيحية الداخلية، ولكن في الحقيقة أدين له بالكثير في إنجاز التصميم بأكمله. شكرًا لك يا هوارد على استعدادك للقيام بهذا المشروع الضخم، لقد قمت بعمل رائع.

كما أوجه جزيل الشكر لإيزاك ستيوارت، مديرنا الفني في دار نشر دارجون ستيل، وهو من الأشخاص الأساسيين وراء خروج العمل بشكل متكامل. كانت راشيل لين بوكانان مساعدتنا الفنية. وقد أظهر بيل ويرن من أمريكين برينت أند بيندري كفاءة عالية في طباعة هذا الكتاب، مع الأخذ بعين الاعتبار النقص في الخامات. شكرًا جزيلًا يا بيل. وأود أيضًا أن أشكر جميع الأشخاص في سلاسل التوريد، من مصانع الورق إلى موردي مواد الغلاف، والطباعة، والتجليد، وسائقي التوصيل.

أو أن أذكر فريق العمل في دراجون ستيل الذي أدين لهم بالكثير؛ إميلي ساندرسون مديرة العمليات، ومن قسم التحرير كل من بيتر آلستورم، وكارين آاستورم، وكريستيز أس. جيلبرت، وبيتسي آلستورم، وكريستي كوغلر محررة النصوص. ومن قسم العمليات مات الذي دائمًا ما يقول: «هل ستفعل هذا في كل كتاب، يا براندون؟» وكذلك هاتش، وإيما تان-ستوكر، وجين هورن، وكاثلين دورسي ساندرسون، وماكينا سالون، وهازل كامينغز. ومن قسم الدعاية والتسويق آدم هورن، وجيريمي بالمر، وتايلور هاتش.

لا يعزى لهؤلاء الفضل الكافي مقابل كل الأعمال الرائعة التي يقومون بها لإنجاز مشاريعي، وعلى وجه الخصوص، مع حملة **Kickstarter** هذه، كنت بحاجة إلى حماسهم وأفكارهم الرائعة، على سبيل المثال طرح آدم الفكرة الأصلية لصندوق الاشتراكات منذ عدة سنوات. لقد تطلب الأمر الكثير من العمل لجمع كل هذا معًا وتنفيذه؛ لذلك إذا سنحت لكم فرصة فلتشكروا فريقي شخصيًا.

شكر وتقدير

وبالطبع، نحتاج إلى تقديم شكر خاص لقسم اللوجستيات الذي عمل معي، عمل فريق كارا ستيوارت لساعات طويلة لتوصيل هذه الكتب إليكم جميعًا، إنهم يستحقون جولة من التصفيق، ومن بينهم كريستي جاكوبسن، وليكس ويلهايت، وكيليان نيومان، وميم جرانج، ومايكل بيتمان، وجوي ألين، وكاتي آيفز، وريتشارد روبيرت، وشون فانبوسكيرك، وإيزابيل كريسمان، وتوري ميشام، وألي ريب، وجاكوب كريسمان، وأليكس ليون، وأوين نولتون.

أود أن أشكر مارجوت أتويل وأوريانا لاكيرت وبقية الفريق في Kickstarter، بالإضافة إلى ذلك، أود أن أشكر آنا غالاغر، وبالمر جونسون، وأنطونيو روساليس، وبقية فريق BackerKit.

كان لدينا قارئة متذوقة خاصة تساعدنا في هذا الكتاب- جينا بيكوم - وكانت رائعة، إذا احتجت في أي وقت إلى شخص ليساعدك في كتاب يتعلق بتمثيل الصم وكيفية كتابة شخصية صماء، فلتذهب مباشرة إلى جينا، سوف تساعدك على فهم أبعاد الشخصية بشكل صحيح.

كان قراء المسودة الأولى لهذا المشروع هم آدم هورن، وراشيل لين بوكانان، وكيليان نيومان، وليكس ويلهايت، وكريستي جاكوبسن، وجنيفر نيل، وجوي ألين.

وكان قراء النسخة التجريبية هم: ميشيل ووكر، ومات وينز، وتيد هيرمان، وروبرت ويست، وإيفجيني «أرجنت» كيريلوف، وجيسي ليك، وكالياني بولوري، وباو فام، ولينيا ليندستروم، وجوري فيليبس، ودارسي كول، وكريج هانكس، وشون فان بوسكيرك، وفرانكي جيروم، وجوليا كوستانتيني، وإلياهو بيرلويتز ليفين، وتراي كوبر، ولورين ماكافري.

براندون ساندرسن

من بين القراء المتطوعين في التنقيح اللغوي جوي ألين، وجايدن كينج، وكريس ماكغرات، وجينيفر نيل، وجوشوا هاركي، وإريك ليك، وروس نيوبيري، وبوب كلوتز، وبريان ت. هيل، وشانون نيلسون، وسوزان موسين، وجلين فوجيلار، وإيان ماكنات، وغاري سينجر، وإريكا كوتا مارلر، ودرو ماكافري، وديفيد بيرنز، وروزماري ويليامز، وتيم تشالنر، وجيسيكا أشكرافت، وأنتوني أكير، وأليكسيس هورايزون، وليليانا كلاين، وكريستوفر كوتنغهام، وآرون بيغز، وويليام جوان.

أخيرًا وليس آخرًا، أود أن أتقدم بشكر خاص لكم جميعًا لدعمكم مشروع Kickstarter. لم أكن أسعى للحصول على المركز الأول، ناهيك عن مضاعفة ذلك، أردت فقط أن أفعل شيئًا مختلفًا، شيئًا مثيرًا للاهتمام، وشيئًا رائعًا. لا يزال دعمكم يعني الكثير بالنسبة لي، شكرًا لك.

براندون ساندرسون


1





الفتاة



في قلب المحيط، كانت هناك فتاة تعيش على صخرة.

بيد أن ذلك المحيط لم يكن مثل المحيط الذي في مخيلتك.

ولا تلك الصخرة مثل الصخرة التي في مخيلتك.

لكن قد تكون تلك الفتاة مثل الفتاة التي في مخيلتك، هذا بافتراض أنك تخيلتها فتاة مراعية لمشاعر الآخرين ورقيقة الجانب ومولعة للغاية بجمع الفناجين.

غالبًا ما يصفها الرجال بأنها ذات شعر قمحي اللون، وقد يرى آخرون أن شعرها بلون الكراميل، أو أحيانًا لون العسل. لطالما تساءلت الفتاة عن سبب استخدام الرجال الطعام في كثير من الأحيان لوصف ملامح النساء، كان هناك جوع كامن في هؤلاء الرجال من الأفضل تجنبه.

في تقديرها، كان «البني الفاتح» وصفًا كافيًا، على الرغم من أن لون شعرها ليس أكثر سماته إثارة للاهتمام، بل هو جموحه. كانت تستبسل كل صباح في ترويض شعرها بالفرشاة والمشط ثم تكبح جماحه بجديلة وشريطة

محكمة، ومع ذلك كانت دائمًا ما تجد بعض الخصل طريقها للهرب لتتموج بحرية في مهب الريح، ولتحيي بحماس كل عابر.

منحت الفتاة عند ولادتها اسمًا بائسًا «جلورف» (لا تطلق أحكامًا، لقد كان اسمًا متوارثًا في العائلة)، لكن شَعرها البري أكسبها كنيتها التي يعرفها بها الجميع «تريس» [ذات الخصل الطويلة]. كان هذا الاسم المستعار، في تقدير تريس، أكثر سماتها إثارة للاهتمام.

نشأت تريس على قدر من البرجماتية الثابتة، وهو عيب شائع بين أولئك الذين يعيشون في تلك الجزر الفقيرة الكالحة ولا يتمكنون من مغادرتها أبدًا. عندما تستهل يومك بمناظر طبيعية من الحجر الأسود، فإن ذلك سيؤثر على منظورك للحياة.

كانت الجزيرة على شكل إصبع معوج لرجل عجوز، انشق خارجًا من المحيط ومشيرًا إلى الأفق. كانت مكونة بأكملها من حجر الملح الأسود القاحل، وكانت كبيرة بما يكفي لتنشأ عليها مدينة متوسطة الحجم وقصر الدوق. على الرغم من أن السكان المحليين أطلقوا على الجزيرة اسم «الصخرة»، فإن اسمها على الخرائط كان «ديجنز بوينت» [وجهة ديجن]. لا أحد يتذكر من هو ديجن، ولكن من الواضح أنه كان شخصًا ذكيًّا؛ لأنه ترك الصخرة بعد فترة وجيزة من تسميتها ولم يعد إليها قط.

في المساء، غالبًا ما كانت تريس تجلس في شرفة منزل عائلتها وترشف الشاي المالح من أحد فناجينها المفضلة بينما تتأمل المحيط الأخضر. نعم، لقد قلت إن المحيط كان أخضر اللون، لم يكن رطبًا أيضًا، تلك حقيقة نحن بصدد التطرق إليها.

مع غروب كل شمس، كانت تريس تتساءل عن الأشخاص الذين زاروا الصخرة على متن السفن، لا يعني ذلك أن أي شخص سليم العقل قد يعتبر الصخرة وجهة سياحية، فقد كان حجر الملح الأسود يتفتت ويتخلل كل شيء، فاستحالت معظم الزراعات، حيث تلوثت أي تربة تم جلبها إلى الجزيرة. جاء الغذاء الوحيد الذي نما على الجزيرة من أحواض السماد.

حين أن الصخرة تحتوي على آبار مهمة جلبت المياه من خزان جوفي عميق- وهو أمر تتطلبه السفن الزائرة- فإن معدات مناجم الملح أدت إلى انبعاث مستمر للأدخنة السوداء في الهواء.

مجمل القول، كان جو الجزيرة قاتمًا، وأرضها خربة، ومناظرها موحشة. أوه، هل ذكرت الأبواغ[1] القاتلة؟

تقع ديجنز بوينت بالقرب من فيردنت لوناجرى [قمم الأقمار الخضراء]. يجب أن تعرف أن المصطلح «لوناجرى» يشير إلى الأماكن التي تتدلى منها الأقمار الاثنا عشر في السماء حول كوكب تريس في مدارات ثابتة منخفضة مهيمنة، فهي كبيرة بما يكفي لملء ثلث السماء بأكمله، ودائمًا ما يكون أحد الأقمار الاثني عشر مرئيًا، بغض النظر عن المكان الذي تسافر إليه، فهي تهيمن على رؤيتك، مثل بثرة على مقلة عينك.

عبد السكان المحليون تلك الأقمار الاثني عشر كآلهة، ويمكن أن نتفق جميعًا على أنها أكثر سخافة بكثير من أن تعبد. ومع ذلك، فمن السهل أن نرى من أين بدأت الخرافة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الأبواغ التي أسقطتها الأقمار على الأرض كانت مثل الرمال الملونة.

---

(1) الأبواغ هي خلايا قادرة على النمو والتكاثر دون الحاجة إلى الاندماج مع خلية أخرى. (المترجمة)

كانت تتدفق من قمم الأقمار، وكانت فيردنت لوناجرى مرئية من على بعد خمسين أو ستين ميلًا من الجزيرة، كان ذلك أبعد ما ترغب في الوصول إليه، نافورة متلألئة رائعة من الذرات الملونة، نابضة بالحياة وبالغة الخطورة. ملأت الأبواغ محيطات العالم، وخلقت بحارًا شاسعة قوامها ليس من الماء، ولكن من الغبار الفضائي. تبحر السفن في هذا الغبار مثل السفن التي تبحر في المياه، يجب ألا تجد هذا غير عادي. كم عدد الكواكب الأخرى التي قمت بزيارتها؟ ربما يسافر الجميع في محيطات من غبار حبوب اللقاح، وموطنك هو الذي يعد غريب الأطوار بالمقارنة.

تغدو الأبواغ خطيرة إذا تبللت فقط، وهذا بالأحرى معضلة، نظرًا لعدد المواد الرطبة التي تتسرب من أجسام البشر حتى عندما يكونون بصحة جيدة. قد يتسبب أقل قدر من الماء في تكاثر الأبواغ بشكل متفجر، وتتراوح تبعات ذلك بين حرجة إلى مميتة. تنفس مثلًا في مجموعة من الأبواغ الخضراء وسوف يرسل لعابك ما يشبه الحشائش المعرشة لتنمو في فمك، أو في حالات أكثر تشويقًا، في الجيوب الأنفية وحول عينيك.

ثمة شيئان يجعلان الأبواغ خاملة: الملح أو الفضة، ولهذا كان السكان المحليون في ديجنز بيونت لا يبالون بالطعم المالح لمياههم أو طعامهم، كانوا يعلمون أطفالهم قاعدة بالغة الأهمية: الملح والفضة ينجيانك من القتلة. هي قصيدة قصيرة مقبولة، إذا كنت من النوع الهمجي الذي يستمتع بالقوافي غير الموزونة.

وبغض النظر، وبوجود الأبواغ والأدخنة والملح، ربما يمكن للمرء أن يرى سبب احتياج الملك الذي يمثله الدوق إلى قانون يطالب السكان بالبقاء على الصخرة، بل إنه قدم أسبابًا تتضمن عبارات عسكرية مهمة

مثل: «عناصر بشرية أساسية»، و«إعادة الإمداد الاستراتيجي»، و«الملاذ الآمن»، لكن الجميع عرف الحقيقة.

كان المكان غير مضياف بالمرة، حتى الضباب الدخاني وجده محبطًا. تأتي السفن للزيارة بشكل دوري للإصلاح، وللتخلص من النفايات في أحواض السماد، وللتزود بالمياه العذبة، لكن كل سفينة التزمت بقواعد الملك بصرامة: لم يتم نقل أي سكان محليين خارج ديجنز بوينت على الإطلاق.

وهكذا، كانت تريس تجلس على درجات سلمها في كل مساء، تراقب السفن وهي تبحر بعيدًا بينما يسقط عمود من الأبواغ من الأقمار وتتحرك الشمس من خلفه متسللة نحو الأفق. كانت تشرب الشاي المملح من فنجان رسم عليه خيول، وتحادث نفسها: ثمة جمال في كل هذا، أعتقد أن المكان يعجبني هنا، أعتقد أنني سأكون بخير إذا بقيت هنا طوال حياتي.



البستاني



ربما فاجأتك تلك الكلمات الأخيرة. تريد تريس البقاء على الصخرة؟ هل أحببت العيش في ذلك المكان؟ أين إحساسها بالمغامرة؟ ألا تتوق إلى أراضٍ جديدة؟ ماذا عن شغفها بالسفر؟

حسنًا هذا ليس الجزء من القصة حيث تُطرح الأسئلة؛ لذا يرجى الاحتفاظ بها لنفسك. بعد قولي هذا، يجب أن تفهم أن هذه قصة عن الأشخاص الذين يخالف ظاهرهم باطنهم ويطابقه في آن واحد، فهي قصة عن التناقضات، بمعنى آخر إنها قصة عن البشر.

في هذه الحالة، ليست تريس ببطلتك العادية؛ لأنها كانت حتمًا عادية. في الواقع، وجدت تريس نفسها مملة بشكل مطلق، كانت تحب شايها فاترًا، تذهب إلى الفراش في الوقت المحدد، وتحب والديها، وتتشاجر أحيانًا مع أخيها الصغير، ولا ترمي القمامة. كان مستواها جيدًا في التطريز ولديها موهبة في الخبز، لكن لم تكن لديها مهارات أخرى جديرة بالاعتبار.

براندون ساندرسن

لم تتدرب سرًّا على المبارزة، لم تستطع التحدث مع الحيوانات، لم يكن لديها ملوك أو آلهة خفيون في سلالتها، على الرغم من أن جدتها الكبرى جلورف قد لوحت ذات مرة للملك، حدث ذلك منذ سنوات مضت، من على أعلى الصخرة في أثناء إبحاره، على بعد أميال عديدة؛ لذلك لم تعتقد تريس أن الأمر مهم.

باختصار، كانت تريس فتاة مراهقة عادية، لقد عرفت ذلك لأن الفتيات الأخريات غالبًا ما يذكرن أنهن لسن مثل «الأشخاص الآخرين». وبمرور الوقت، أدركت تريس أن جماعة «الأشخاص الآخرين» تتكون منها فقط. من الواضح أن الفتيات الأخريات كن على حق، حيث عرفن جميعًا كيف يكن فريدات، لقد كن جيدات في ذلك لدرجة أنهن فعلن ذلك جماعة.

كانت تريس عمومًا أكثر مراعاة لمشاعر الآخرين من معظم الناس، ولم تحب أن تثقل عليهم لطلب ما تريده، كانت تلتزم الصمت عندما تضحك الفتيات الأخريات أو يلقين النكات عنها. على أي حال، كانوا يستمتعن كثيرًا. سيكون من غير المهذب إفساد ذلك، ومن الوقاحة أن تطلب منهن التوقف.

في بعض الأحيان تحدث الشباب الأكثر صخبًا عن البحث عن المغامرة في المحيطات الغريبة، وجدت تريس هذه الفكرة مخيفة، كيف لها أن تترك والديها وأخاها؟ وإلى جانب ذلك، كانت لديها مجموعة فناجينها.

اعتزت تريس بفناجينها، كانت لديها فناجين خزفية فاخرة مطلية ومصقولة، وفناجين فخارية ذات ملمس خشن، وفناجين خشبية متينة بَليت من الاستخدام.

ﻪﻠ

فتاة بحر الزمرد

عرف العديد من البحارة الذين رسوا مرارًا في ديجنز بوينت بولعها هذا، وأحضروا لها أحيانًا فناجين من جميع أنحاء المحيطات الاثني عشر: من أراضٍ نائية حيث كانت الأبواغ قرمزية أو زرقاء أو حتى ذهبية. كانت تصنع فطائر للبحارة مقابل هداياهم، من المكونات التي تشتريها بأجرها الزهيد من تنظيف النوافذ.

غالبًا ما كانت الفناجين التي أحضروها لها متهالكة، لكن تريس لم تمانع. كان كل فنجان به شطفة أو انبعاج يمثل قصة. لقد أحبتها جميعًا لأنها أحضرت العالم إليها. كلما ارتشفت من أحدها، تخيلت أنها تستطيع تذوق الأطعمة والمشروبات البعيدة وربما تفهم القليل عن الأشخاص الذين صنعوها.

في كل مرة تحصل تريس على فنجان جديد، كانت تحضره إلى تشارلي لتتباهى به.

ادعى تشارلي أنه بستاني في قصر الدوق على قمة الصخرة، لكن تريس كانت تعلم أنه في الحقيقة ابن الدوق. كانت يدا تشارلي ناعمة مثل طفل وليست خشنة، وكان يتغذى بشكل أفضل من أي شخص آخر في المدينة. كان شعره مقصوصًا دائمًا بعناية، وعلى الرغم من أنه ينزع خاتمه عندما يراها، إلا أنه يترك بقعة جلد أفتح قليلًا تشير إلى أنه يرتديه عادةً على الإصبع الذي يميز فردًا من طبقة النبلاء.

علاوة على ذلك، لم تكن تريس متأكدة من ماهية «البستان» الذي كان يدعي تشارلي الاعتناء به. كان القصر، بعد كل شيء، قائمًا على الصخرة. كانت هناك شجرة في المكان ذات مرة، لكنها فعلت الشيء المنطقي الوحيد وماتت قبل بضع سنوات. ومع ذلك، كان هناك بعض النباتات المحفوظة في أصص، مما ساعده على التظاهر.

دارت ذرات رمادية مع هبوب الرياح عند قدميها وهي تتسلق الطريق المؤدي إلى القصر. ماتت الأبواغ الرمادية، كان الهواء المحيط بالصخرة مالحًا بدرجة كافية لقتلها، لكنها ما زالت تحبس أنفاسها وهي تسرع في الصعود. استدارت يسارًا عند مفترق الطرق، اتجه المسار الأيمن إلى المناجم، ثم تابعت الانعطاف حتى أعلى نقطة.

هناك بدا القصر جالسًا القرفصاء مثل ضفدع سمين فوق زنبقة. لم تكن تريس متأكدة من سبب إعجاب الدوق بالمكان أعلى الصخرة. كان أقرب إلى الضباب الدخاني، ربما كان يحب الصحبة المماثلة لطباعه. كان تسلق هذه المسافة شاقًا، ولكن بالحكم من مدى إحكام ملابس عائلة الدوق على أجسامهم ربما هم في حاجة إلى بعض التريّض.

كان يحرس القصر خمسة جنود، لكن سناجو وليد فقط كانا في الخدمة هذا اليوم، والذين قاموا بعملهم على نحو جيد. على أي حال، لقد مر وقت طويل للغاية منذ أن مات أي شخص في عائلة الدوق من الأخطار التي لا حصر لها والتي يواجهها النبلاء في أثناء حياتهم على الصخرة (مثل: الملل، وارتطام أصابع القدم، والاختناق في أثناء أكل الفطائر).

أحضرت فطائر للجنود بطبيعة الحال، وبينما كانوا يأكلون فكرت في أن تُظهر للرجلين فنجانها الجديد. كان مصنوعًا بالكامل من القصدير، ومختومًا بأحرف بلغة تتدرج من الأعلى إلى الأسفل بدلًا من اليسار إلى اليمين. لكن لا، لم تكن تريد أن تزعجهم.

سمحا لها بالمرور، رغم أنه لم يكن يومها لتنظيف نوافذ القصر. وجدت تشارلي في الخلف، يتدرب بسيف المبارزة، عندما رآها أنزله وخلع خاتمه على عجل.

«تريس!» تساءل: «اعتقدت أنك لن تأتي اليوم!».

كانت بلغت السابعة عشرة من عمرها للتو، وكان تشارلي أكبر منها بشهرين. يمتلك تشارلي العديد من الابتسامات التي باتت تعرف دلالة كل واحدة منها، على سبيل المثال تعبر الابتسامة العرضية التي تكشف عن أسنانه الواسعة -التي استقبلها بها الآن- عن سعادته البالغة لوجود عذر لعدم ممارسة المبارزة، لم يكن مولعًا بها كما اعتقد والده.

«المبارزة بالسيف يا تشارلي؟» سألته، «هل هذه من مهام البستاني؟»

التقط سيف المبارزة الرفيع «هذا؟ أوه، لكنه من أجل البستنة». ضرب إحدى نباتات الأصص في الفناء بسيفه لتقليم الأوراق. لم يكن النبات ميتًا تمامًا بعد، لكن الورقة التي نزعها تشارلي بالتأكيد لم تكن لديها فرصة للنجاة.

قالت تريس: «البستنة، بالسيف».

قال تشارلي: «هذه هي الطريقة التي يتبعونها على جزيرة الملك». ضرب بالسيف مرة أخرى «هناك دائمًا حرب دائرة، كما تعلمين؛ لذلك فمن الطبيعي أن يتعلم البستانيون تقليم النباتات بالسيف، لا تريدين أن تتعرضي لكمين وأنت عزلاء».

لم يُجِد تشارلي الكذب، لكن كان هذا من بين الأشياء التي أحبتها تريس فيه، كان صادقًا حتى في كذبه. ونظرًا لسوء كذبه، كانت لا يمكنها أن تأخذه عليه، كان كذبه بيّن للعيان، ولكنه أفضل من كثير من حقائق التي يرويها الآخرون.

ضرب بسيفه باتجاه النبات مرة أخرى، ثم نظر إليها ورفع حاجبه، هزت رأسها؛ لذلك ابتسم تلك الابتسامة التي مفادها «لقد كشفتني، ولكن لا يمكنني الاعتراف بذلك». رمى السيف في تراب الوعاء، ثم ألقى بنفسه

على جدار الحديقة المنخفض على نحو من المفترض أنه من غير شيم أبناء الدوقات؛ لذلك قد يرى البعض أن تشارلي شاب يتمتع بمواهب استثنائية.

استقرت تريس بجانبه، واضعة سلة في حجرها.

«ماذا أحضرت لي؟»

أخذت فطيرة لحم صغيرة، قالت: «حمام وجزر، مع مرق الزعتر المتبّل».

قال: «إنه خليط يليق بنبيل».

«أعتقد أن ابن الدوق، لو كان هنا، لما وافق».

قال تشارلي: «لا يُسمح لابن الدوق إلا بتناول الأطباق التي تحمل أسماء ذات لهجات أجنبية غريبة، ولم يُسمح له قطّ بالتوقف عن المبارزة للأكل؛ لذا فمن حسن الحظ أنني لست هو».

أخذ تشارلي قضمة. راقبت الابتسامة. وها هي: ابتسامة الفرح. لقد أمضت يومًا كاملًا في التفكير، وهي تفكر فيما يمكنها صنعه بالمكونات التي كانت معروضة للبيع في سوق الموانئ، على أمل الحصول على تلك الابتسامة الخاصة.

«إذًا، ماذا أحضرت أيضًا؟» سألها.

قالت: «تشارلي البستاني، لقد تلقيت للتو فطيرة مجانية، والآن تفترض أنك يمكنك طلب المزيد؟»

«افترض؟» قال قاضمًا قضمة كبيرة من الفطيرة. لكز سلتها بيده الحرة. «أعرف أن هناك المزيد، دعينا به».

ابتسمت، لم تكن لتجرؤ على فرض نفسها على معظم الناس، لكن تشارلي كان مختلفًا، كشفت له عن فنجان القصدير.



قال تشارلي: «آآآه»، ثم وضع الفطيرة جانبًا وأمسك الفنجان بكلتا يديه بوقار. «حسنًا، هذا شيء مميز حقًا».

«هل تعرف أي شيء عن تلك الكتابة؟» سألت بشغف.

قال: «إنها الكتابة الإيريالية القديمة، لقد اندثرت، كما تعلمين. الشعب كله: بووف... اختفى، كان هناك ذات يوم، وفي اليوم التالي اختفى، تُركت جزيرتهم غير مأهولة، كان ذلك قبل ثلاثمائة عام؛ لذلك لم يلتق أحد على قيد الحياة بواحد منهم، لكن من المفترض أن لديهم شعرًا ذهبيًّا مثل شعرك بلون ضوء الشمس».

«شعري ليس بلون ضوء الشمس يا تشارلي».

قال تشارلي: «إن شعرك بلون ضوء الشمس، إذا كان ضوء الشمس بنيًّا فاتحًا». قد يقال إن لديه طريقة خاصة في استخدام الكلمات، وهي أن تفلت منه الكلمات.

قال: «أراهن أن هذا الفنجان له تاريخ حافل، قد يكون صنع لرجل نبيل إيريالي في اليوم الذي سبق أن أخذته الآلهة هو وشعبه. تُرك الفنجان على الطاولة، وأخذه الصياد الفقير الذي وصل إلى الجزيرة لأول مرة، واكتشفت رعب ما حدث لشعب بأكمله. سلم الصياد الفنجان إلى حفيده الذي أصبح قرصانًا. في النهاية دفن كنزه الذي حصل عليه بطريقة غير مشروعة في أعماق الأبواغ، فقط ليكتشف الآن بعد تواريه لدهور في الظلام، ويجد طريقه إلى يديك». رفع الفنجان في مرمى الضوء.

ابتسمت تريس وهو يتحدث. أثناء غسل نوافذ القصر، كانت تسمع أحيانًا والدي تشارلي يوبخانه بسبب حديثه المسترسل، ظنوا أنه سخيف وغير لائق بمكانته، نادرًا ما تركوه ينهي حديثه. وجدته أمرًا مؤسفًا. فبينما

كان يثرثر أحيانًا، أدركت أن السبب وراء ذلك هو حب تشارلي للقصص كحبها للفناجين.

«شكرًا لك يا تشارلي» همست.

«على ماذا؟»

«لإعطائي ما أريد».

كان يعرف ما تعنيه، لم تكن فناجين أو قصصًا.

«دائمًا» قال وهو يضع يده على يدها، «لك دائمًا ما تريدين يا تريس، ويمكنك دائمًا إخباري بما خطبك، أعلم أنك لا تفعلين ذلك عادة مع الآخرين».

«ماذا تريد يا تشارلي؟» سألت.

اعترف قائلًا: «لا أعرف، بخلاف شيء واحد، شيء واحد يجب ألا أريده، لكني أفعل، بدلًا من ذلك من المفترض أن أرغب في المغامرة، كما في القصص، هل تعرفين تلك القصص؟»

قالت تريس: «تلك التي بها عذارى شهيات، يتم أسرهن دائمًا ولا يفعلن الكثير فضلًا عن الجلوس؟ وربما يطلبن المساعدة بين الحين والآخر؟»

قال: «أعتقد أن هذا ما يحدث بالفعل فيها».

«لماذا هن دائمًا شهيات؟» قالت. «هل هناك عذارى غير شهيات؟ ربما تشير كلمة «شهي» إلى طعامهن، يمكن أن أكون هذا النوع من العذارى، أنا جيدة في إعداد الطعام» تجهمت. «أنا سعيدة لأنني لست جزءًا من قصة يا تشارلي، سأنتهي في الأسر على وجه اليقين».

قال: «ومن المحتمل أن أموت بسرعة، أنا جبان يا تريس، إنها الحقيقة».

«كلام فارغ، أنت مجرد شخص عادي».

«هل... رأيت كيف أتصرف في حضرة الدوق؟»

صمتت؛ لأنها رأته.

قال: «إذا لم أكن جبانًا لاستطعت إخبارك بأشياء لا أستطيع قولها، لكن يا تريس، إذا تم أسرك، فسأساعدك على أي حال. سأرتدي درعًا يا تريس، درعًا لامعًا، أو ربما درعًا غير لامع. أعتقد أنه إذا تم أسر شخص أعرفه، فلن أضيع الوقت في تلميع الدرع. هل تعتقدين أن الأبطال الحقيقيين يتوقفون للتأنق عندما يكون الناس في خطر؟ هذا لا يبدو مفيدًا للغاية».

قالت تريس: «تشارلي، هل لديك درع؟»

«سأجد واحدًا» قال واعدًا، «سأجد شيئًا ما بالتأكيد، حتى الجبان يكون شجاعًا بالدرع المناسب، أليس كذلك؟ هناك الكثير من الموتى في تلك الأنواع من القصص، بالتأكيد يمكنني الحصول على بعض..»

تعالى صياح من داخل القصر قاطع المحادثة، كان والد تشارلي يتذمر. بدا لتريس حتى الآن أن الصياح والتذمر هو عمل الدوق الوحيد على الجزيرة، وقد أخذ الأمر على محمل الجد.

نظر تشارلي نحو الأصوات وتوتر، وتلاشت ابتسامته، ولكن عندما لم تقترب الصيحات نظر إلى الفنجان. لقد ولت اللحظة، لكن أخرى حلّت محلها كما تجري الأمور عادة، لم تكن لحظة حميمية، لكنها لا تزال ذات قيمة لأنها معه.

قال بهدوء: «أنا آسف للحديث عن أشياء سخيفة مثل العذارى ذوات الطعام الشهي وسرقة الدروع من الموتى، لكني أحب أن تستمعي إليّ على أي حال، شكرًا لك يا تريس».

قالت وهي تحمل الفنجان وتقلبه: «أنا مغرمة بقصصك، هل تعتقد في أي مما قلته عن هذا الفنجان؟»

قال تشارلي: «يمكن أن يكون كذلك، هذه عظمة القصص، لكن انظري إلى هذه الكتابة: تقول إنه كان ملكًا ذات مرة، اسمه مكتوب هنا».

«وتعلمت تلك اللغة في...»

«... مدرسة البستنة» قال. «في حال اضطررنا إلى قراءة التحذيرات على عبوات بعض النباتات الخطرة».

«مثل الطريقة التي ترتدي بها سترة ضيقة وبنطالًا قصيرًا على غرار ملابس النبلاء...».

«... لأنه يجعلني فخًا ممتازًا، في حالة وصول القتلة في محاولة لقتل ابن الدوق».

«كما قلت، ولكن لماذا إذن تخلع خاتمك؟»

«أوه ... « نظر إلى يده، ثم قابل عينيها. «حسنًا، أعتقد أنني أُفضل ألا تخطئ بيني وبين شخص آخر، شخص لا أريد أن أكونه».

ابتسم بعد ذلك ابتسامته الخجولة. «من فضلك سايريني في هذا يا تريس». لأن ابن الدوق لم يستطع أن يصادق الفتاة التي تنظف النوافذ في العلن، هل يتظاهر النبيل بأنه من عامة الشعب؟ هل يتظاهر بكونه في مكانة أقل ليتعلم من أهل مملكته؟ لماذا كان هذا متوقعًا؟ حدث ذلك في العديد من القصص، لقد كان بمنزلة عرف.

قالت: «هذا منطقي تمامًا».

قال وهو يستعيد فطيرته: «الآن، أخبرني عن يومك، يجب أن أعرف كل شيء».

قالت وهي تضع خصلة شعر جامحة خلف أذنها: «ذهبت لأتجول في السوق بحثًا عن المكونات، لقد اشتريت رطلًا من الأسماك- سمك السلمون، المستورد من جزيرة إيريك، حيث توجد العديد من البحيرات. وضع بولوني سعرًا منخفضًا؛ لأنه اعتقد أنه فسد، وفي الحقيقة كان السمك الفاسد في البرميل المجاور، فكان الحصول عليه سهلًا للغاية، كأنني حصلت على سمكي بسعر زهيد للغاية».

قال: «رائع، إذن لا أحد يدخل في نوبة عصبية عند زيارتك؟ لا ينادون أطفالهم ويجعلونك تصافحينهم؟ أخبريني المزيد. من فضلك، أريد أن أعرف كيف أدركتِ أن السمكة لم تكن فاسدة».

وأمام إصراره، واصلت توضيح التفاصيل الدنيوية لحياتها. كان يدفعها إلى القيام بذلك في كل مرة تزوره. هو -بدوره- كان ينصت بعناية. كان هذا دليلًا على أن ولعه بحديثها لم يكن مصطنعًا، كان يجيد أيضًا الاستماع، على الأقل لها. في الواقع، وجد تشارلي حياتها مثيرة للاهتمام لسبب لا يمكن فهمه.

وبينما كان يتحدث، شعرت تريس بالدفء، غالبًا ما كانت تفعل ذلك عندما تزوره، ربما لأنها صعدت عاليًا وكانت أقرب إلى الشمس؛ لذلك كان الجو أكثر دفئًا بأعلى، على ما يبدو ذلك.

لكن القمر قد أمسى وألقى بظلاله الآن، عندما اختبأت الشمس خلفه وأصبح كل شيء أكثر برودة ببضع درجات. سئمت الآن من بعض الأكاذيب التي كانت ترويها لنفسها، ربما كان هناك سبب آخر لشعورها بالدفء، كان ذلك الدفء في ابتسامة تشارلي الآن، كما عرفت أنه في ابتسامتها أيضًا.

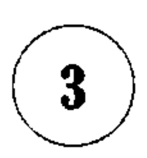
لم يستمع إليها فقط لأنه كان مفتونًا بحياة الفلاحين.

ولم تزره فقط لأنها أرادت سماع قصصه.

في الواقع، على مستوى أعمق، لم يكن الأمر يتعلق بالفناجين أو القصص على الإطلاق، بل كان الأمر يتعلق بالقفازات.



الدوق



أدركت تريس أن زوجًا لطيفًا من القفازات يحسن عملها على نحو كبير. مهلًا، كانت تعني نوعًا جيدًا من القفازات، تلك المصنوعة من الجلد الناعم الذي يأخذ شكل يديك في أثناء استخدامك لها. من النوع الذي إذا قمت بدهنه بالزيت بشكل جيد ولم تتركه في الشمس لا يصبح قاسيًا أبدًا، من النوع المريح للغاية؛ بحيث تذهب لغسل يديك وتندهش عندما تجد أنك ما زلت ترتديها.

إن مجموعة القفازات المثالية لا تقدر بثمن. وكان تشارلي مثل زوجين من القفازات عالية الجودة، كلما قضيت وقتًا أطول معه، شعرت بقيمة وقتكم معًا، وزاد إشراق ظلال الأقمار، وأصبحت أعباؤها أيسر. كانت تحب الفناجين المشوقة، لكن جزءًا من ذلك يرجع إلى أن كلًّا منها أعطتها عذرًا للمجيء لزيارته.

كان الشعور الذي ينمو بينهما شعورًا جيدًا ورائعًا لدرجة أن تريس كانت خائفة من تسميته بالحب. فقد استشفت من الطريقة التي تحدث بها الشباب الآخرون أن «الحب» خطير، بدا أن حبهم يتعلق بالغيرة وعدم الأمان، وبدا أنه يتمحور حول مباريات صراخ عاطفية وأخرى لتآلف القلوب، كان الأمر أقل شبهًا بزوج من القفازات، بل كان أشبه بفحم ساخن يحرق يديك.

لطالما أخاف الحب تريس، ولكن عندما وضع تشارلي يده على يدها مرة أخرى، شعرت بالحرارة، كانت تخشى النار دائمًا، لكن على أي حال كان الفحم هناك، وقد تم احتواؤه، كما هو الحال في موقد جيد.

أرادت أن تقفز إلى حرارته متجاهلة كل منطق.

تجمد تشارلي، لقد تلامسا مرات عديدة من قبل، بالطبع، لكن هذا كان مختلفًا. هذه اللحظة. هذا الحلم. احمر خجلًا، لكنه ترك يده تتباطأ، ثم رفعها أخيرًا ومرر أصابعه خلال شعره، وهو يبتسم بخجل؛ لأنه كان تشارلي، هذا لم يفسد اللحظة، بل جعلها أحلى.

بحثت تريس عن الشيء المثالي لتقوله، كانت هناك عدة عبارات يمكن أن تبنى على هذه اللحظة. كان بإمكانها أن تقول: «تشارلي، هل يمكنك حمل هذا من أجلي بينما أتجول في الجوار؟» ثم تعرض عليه يدها مرة أخرى.

كان بإمكانها أن تقول: «ساعدني، لا أستطيع التنفس، التحديق فيك قطع أنفاسي».

كان بإمكانها حتى أن تقول شيئًا مجنونًا تمامًا مثل: «أنا معجبة بك».

بدلا من ذلك قالت: «هاااه، يدك دافئة». تبعتها بضحكة خنقتها في منتصفها، محاكية بالضبط –بمحض الصدفة– نداء فيل البحر.

فتاة بحر الزمرد

يمكن القول إن تريس لديها مشكلة في التعبير عن أفكارها، وأن كلماتها تميل إلى الوقوف في طريقها.

ابتسم تشارلي ابتسامة ردًّا عليها، ابتسامة رائعة، ازدادت ثقة كلما طال أمدها، لقد كانت واحدة لم ترها من قبل. قال: «أعتقد أنني أحبك، يا تريس، على الرغم من أصوات فيل البحر».

ابتسمت له، ثم لمحت من فوق كتفه الدوق واقفًا في النافذة. كان رجلًا طويل القامة ويرتدي ملابس عسكرية بدت وكأنها مثبتة على صدره بما حملته من نياشين مختلفة.

لم يكن يبتسم.

في الواقع، لقد رأته يبتسم مرة واحدة فقط في أثناء معاقبة لوتاري العجوز الذي حاول التسلل من الجزيرة على متن سفينة تجارية. بدت تلك الابتسامة الوحيدة للدوق. ربما استهلك تشارلي حصة العائلة بأكملها من الابتسام. ومع ذلك، إذا كان الدوق لديه ابتسامة واحدة فقط، فقد عوض عنها بإظهار الكثير من الأسنان.

تلاشى الدوق في ظلال المنزل، لكن حضوره كان يلوح في الأفق فوق تريس وهي تودع تشارلي، توقعت أن تسمع صراخًا وهي في طريقها على الدرج، وبدلًا من ذلك تبعها صمت مشؤوم، هذا الصمت المتوتر الذي يجيء بعد وميض البرق.

طاردها في الطريق إلى منزلها، حيث تمتمت بشيء لوالديها حول الإرهاق، ثم ذهبت إلى غرفتها وانتظرت انتهاء الصمت. انتظرت قرع الجنود على الباب؛ للمطالبة بمعرفة سبب تجرؤ الفتاة التي تغسل النوافذ على لمس ابن الدوق.

عندما لم يحدث شيء من هذا القبيل، تجرأت بالأمل أنها استشفت أكثر مما ينبغي في تعبير الدوق، ثم تذكرت ابتسامة الدوق الفريدة، بعد ذلك تلاشت همومها طوال الليل.

نهضت في الصباح الباكر، وصارعت شعرها حتى جمعته في ذيل فرس، ثم اتجهت إلى السوق، هناك تقوم بفرز السلع البائتة والمكونات شبه الفاسدة بحثًا عن شيء يمكنها تحمل سعره. على الرغم من الوقت المبكر، كان السوق يعج بالنشاط. جرف الرجال الأبواغ الميتة من الطريق بينما تجمع الناس في حلقات للثرثرة.

استعدت تريس لسماع الأخبار، ثم قررت أنه لا يوجد شيء أسوأ من الترقب الفظيع الذي عانت منه طوال الليل.

كانت مخطئة.

أرسل الدوق بيانًا: كان سيغادر هو وعائلته الجزيرة في اليوم نفسه.



الابن



المغادرة.

مغادرة الجزيرة؟

لم يغادر الناس الجزيرة.

عرفت تريس --منطقيًا– أن هذا لم يكن صحيحًا كليًا، يمكن للمسؤولين الملكيين المغادرة. غادر الدوق في بعض الأحيان ليقدم تقاريره للملك، بالإضافة إلى أنه حصل على كل تلك النياشين الفاخرة بقتل ناس من مكان بعيد؛ حيث بدوا مختلفين بعض الشيء. من الواضح أنه كان بطلًا خلال تلك الحروب. يمكنك معرفة ذلك لأن عددًا كبيرًا من جنوده ماتوا بينما لا يزال هو على قيد الحياة.

لكن لم يصطحب الدوق عائلته قطّ في الماضي، صرح البيان «أن وريث الدوق قد بلغ سن الرشد، ولذا فإنه سيتقدم لخطبة أميرات البحار المتحضرة».

حسنًا، كانت تريس شابة براجماتية، ولذلك فكرت فقط في تمزيق سلة التسوق الخاصة بها إلى أشلاء من أثر الإحباط، وفكرت مليًّا إذا كان من المناسب أن تطلق سيلًا من الشتائم بأعلى صوتها، فكرت قليلًا في السير إلى قصر الدوق لتطالبه بتغيير رأيه.

وعوضًا عن ذلك، أخذت تتسوق وقد تشوش عقلها وتخدر، لجأت لتصرف مألوف لمنح حياتها التي انهارت فجأة مظهرًا طبيعيًّا. وجدت بعض الثوم التي كانت متأكدة من قدرتها على إنقاذه، والعديد من حبات البطاطس التي لم تذبل بشدة، وحتى بعض الحبوب التي به سوس كبير بما يكفي لاستخراجه.

بالأمس، كانت ستكون مسرورة بهذه الكمية، أما اليوم لم تستطع التفكير في أي شيء سوى تشارلي.

بدا الأمر غير عادل بشكل لا يصدق، لقد اعترفت للتو بما شعرت به تجاهه، وإذ بكل شيء ينقلب رأسًا على عقب. نعم، قيل لها أن تتوقع هذا الألم. الحب ينطوي على الألم. لكن إذا كان هذا هو الملح في الشاي، ألم يكن من المفترض أن يكون هناك أيضًا القليل من العسل؟ ألم يكن من المفترض أن يكون هناك القليل من الشغف؟

هل من المفترض أن تحصل على كل أضرار علاقة رومانسية بدون أي من مزاياها.

لسوء الحظ، بدأت براجماتيتها تظهر نفسها، طالما أن الاثنين كانا قادرين على التظاهر، فإن العالم الحقيقي لم يكن قادرًا على المطالبة بهما، لكن أيام التظاهر قد ولت. ما الذي اعتقدت أنه سيحدث؟ أن يسمح لها الدوق بالزواج من ابنه؟ ماذا تعتقد أنها يمكن أن تقدم لشخص مثل تشارلي؟ كانت لا شيء مقارنة بأميرة. فكرت في عدد الفناجين التي يمكنها تحمل تكلفتها!

في عالم التظاهر كان الزواج يدور حول الحب، في العالم الحقيقي كان الأمر يتعلق بالسياسة. كلمة محملة بعدد كبير من المعاني، على الرغم من اختزال معظمها في: هذا أمر يختص بمناقشته النبلاء و(على مضض) الأثرياء، وليس الفلاحين.

أنهت تسوقها وشرعت في طريقها نحو منزلها، حيث يمكنها على الأقل أن تجد بعض المواساة لدى والديها، ولكن يبدو أن الدوق لم يضع الوقت؛ لأنها رأت موكبًا يتسلل نحو الأرصفة.

استدارت وسلكت مسارًا مختلفًا، لتتجاوز الموكب الذي بدأ بتحميل أغراض العائلة على سفينة تجارية، لم يُسمح لأحد بمغادرة الجزيرة، ما لم يكونوا من عِلية القوم. شعرت تريس بالقلق من أنها لن تحصل على فرصة للتحدث مع تشارلي، ثم شعرت بالقلق من أنها قد تسنح لها الفرصة، لكنه لن يريد رؤيتها.

ولحسن الحظ، رأته واقفًا بجانب الحشد، يبحث بين الناس. في اللحظة التي رآها فيها هرع نحوها «تريس! آه، كنت قلقًا من أنني لن أجدك قبل الوقت المناسب».

«أنا ... « ماذا قالت؟

قال وهو ينحني: «أيتها العذراء شهية الطعام، أسألك الرحيل».

قالت بهدوء: «تشارلي، لا تحاول أن تكون شخصًا غيرك، أنا أعرفك».

تجهم، كان يرتدي معطف السفر وحتى قبعة، فقد اعتبر الدوق ارتداء القبعات غير لائق إلا أثناء السفر. قال بصوت أكثر لينًا: «تريس، أخشى أنني كذبت عليك ... أنا لست بستانيًا، أنا ... أمم ... ابن الدوق».

«مدهش، من كان يظن أن تشارلي البستاني وتشارلز وريث الدوق هما الشخص نفسه، بالنظر إلى أنهما في العمر نفسه، ويبدوان بالشكل نفسه، ويرتديان الملابس نفسها؟»

«إيه، نعم، هل أنت غاضبة مني؟»

قالت تريس: «إن غضبي في تصاعد الآن، إنه في الدرجة السابعة، محصور بين الارتباك والتعب».

صعد خلفهم والد تشارلي ووالدته إلى السفينة، تبعهما خدمهم بآخر الأمتعة.

حدق تشارلي في قدميه «يبدو أنني سأتزوج أميرة إمارة ما، ما رأيك في ذلك؟»

«أنا ... «، قالت وقد خانتها الكلمات، «أتمنى لك الخير؟»

نظر إليها والتقت عيناهما «دائمًا، تريس، تذكري؟»

كان الأمر صعبًا عليها، ولكن بعد تلمسها للحظة، وجدت الكلمات مختبئة في زوايا عقلها، تحاول أن تتجنبها. قالت وقد أمسكت بها: «أتمنى ألا تفعل ذلك، تتزوج من شخص آخر».

«أوه؟» طرف بعينه. «هل هذا ما تتمنينه حقًا؟»

«أعني، أنا متأكدة من أنهن لطيفات للغاية، الأميرات».

قال تشارلي: «أعتقد أنه جزء من مهامهم الوظيفية، يجب ... هل سمعت عن الأشياء التي يفعلونها في القصص؟ إنعاش البرمائيات؟ ملاحظة الآباء والأمهات لتبليل أطفالهم الفراش؟ يجب أن يكون المرء لطيفًا نسبيًّا للقيام بهذه الخدمات».

قالت تريس: «نعم، أنا ...»، أخذت نفسًا عميقًا. «ما زلت ... أرجو ألا تتزوج إحداهن».

قال تشارلي: «حسنًا، لن أفعل».

«لا أعتقد أن لديك خيارًا يا تشارلي، يريدك والدك أن تتزوج، إنها مسألة سياسة».

«آه، لكن كما ترين، لدي سلاح سري» أخذ يديها وانحنى.

ظهر والده خلفه في مقدمة السفينة وهو ينظر إلى الأسفل بعبوس، لكن تشارلي ابتسم ابتسامة بزاوية فمه، ابتسامة تعني «انظري كم أنا مخادع». كان يستخدمها عندما لم يكن مخادعًا على الإطلاق.

«ما ... نوع من السلاح السري، يا تشارلي؟» سألت.

«يمكن أن أكون مملًّا بشكل لا يصدق».

«هذا ليس سلاحًا».

قال: «قد لا يكون في الحرب يا تريس، لكن في الخطوبة! إنه سلاح جيد مثل سيف ذي حدين، أنت تعرفين كيف أسترسل إلى ما لا نهاية».

«أحب إلى ما لا نهاية خاصتك يا تشارلي، في الحقيقة أنا لا أمانع في ذلك، في بعض الأحيان أستمتع تمامًا بما لا نهاية هذه».

قال تشارلي: «أنت حالة خاصة، أنت ... حسنًا، قد تعدي هذا نوعًا من السخف ... لكنك مثل زوج من القفازات، يا تريس».

«أنا؟» قالت والعبرات تخنقها.

«نعم، لا تنزعجي، أعني عندما أمارس المبارزة أرتدي هذه القفازات».

همست: «أعلم ما تعنيه».

صرخ والد تشارلي من على متن السفينة مطالبًا إياه بالإسراع. أدركت حينها تريس أن كما كان لتشارلي عدد من الابتسامات، فإن الدوق لديه تعبيرات عابسة مختلفة، لكنها لم تحب ما انطوى عليه عبوس الدوق الحالي نحوها.

ضغط تشارلي على يديها «اسمعي يا تريس، أعدك لن أتزوج، سأذهب إلى تلك الممالك، وسوف أكون مملًّا بطريقة لا تحتمل لدرجة أن أيًّا من الفتيات لن ترضى بي، أنا لست جيدًا في كثير من الأمور، لم أحرز قط نقطة واحدة ضد والدي في المبارزة. وأسكب حسائي في العشاء الرسمي، وأتحدث كثيرًا، حتى المساعد- الذي يتقاضى أجرًا للاستماع - يأتي بأسباب خلاقة لمقاطعتي. في ذلك اليوم كنت أروي له قصة السمكة والنوارس، وتظاهر بخبط إصبع قدمه، و...».

صرخ الدوق مرة أخرى.

قال تشارلي بإصرار: «يمكنني القيام بذلك يا تريس، سوف أفعل هذا. في كل ميناء سأختار لك فنجانًا، حسنًا؟ بمجرد أن أشعر الأميرة المنتظرة بالملل حتى الموت- ويقرر والدي أننا بحاجة إلى المضي قدمًا- سأرسل لك الفنجان كدليل، هل فهمتني؟». ضغط على يديها مرة أخرى مكملًا: «سأفعل ذلك ليس فقط لأنك تستمعين، لكن لأنك تعرفينني يا تريس، كنت دائمًا قادرة على رؤيتي عندما لا يفعل الآخرون ذلك».

هَمَّ بالاستدارة ليستجيب أخيرًا لصرخات والده، تشبثت تريس بيديه، غير راغبة في إنهاء اللحظة.

منحها تشارلي ابتسامة أخيرة، وعلى الرغم من أنه كان يحاول التصرف بثقة، فقد عرفت ابتسامته تلك، كانت ابتسامته غير المتأكدة متفائلة ولكن قلقة.

قالت له تريس: «أنت أيضًا قفازي يا تشارلي».

كان عليها أن تتركه بعد ذلك حتى يتمكن من الركض على الدرج الخشبي، فقد استغلت الموقف بشكل كافٍ.

دفع الدوق بابنه إلى الطابق السفلي من السفينة التي أبحرت متجاوزة الأبواغ الرمادية الميتة بالقرب من الجزيرة واتجهت إلى المحيط الأخضر الحقيقي، لحقت الرياح بأشرعة السفينة ودفعتها نحو الأفق، تاركة وراءها غبار الزمرد المضطرب. صعدت تريس إلى منزلها؛ حيث راقبت السفينة من أعلى الجرف حتى أصبحت بحجم الفنجان، ثم حجم البقعة، ثم اختفت.

ثم كان الانتظار.

يقولون إن الانتظار هو أفظع عذاب في الحياة، تشير واو الجماعة في هذه الحالة إلى الكُتّاب، الذين ليس لديهم شيء مفيد يفعلونه؛ لذا ملأوا أوقاتهم بالتفكير في أشياء ليقولوها، يمكن لأي شخص يكسب لقمة عيشه أن يخبرك أن وجود وقت للانتظار هو رفاهية.

كان لدى تريس نوافذ لغسلها، ووجبات لتطهوها، وأخ صغير لترعاه. لم يتعافَ والدها ليم قط من حادثه في المناجم، وعلى الرغم من محاولته المساعدة، فإنه كان بالكاد يستطيع المشي. لقد ساعد والدة تريس أولبا على حياكة الجوارب طوال اليوم، والتي باعوها للبحارة، ولكن مع حساب الغزل لم تدر سوى صافي ربح ضئيل.

لذلك لم تنتظر تريس، خرجت للعمل.

ومع ذلك، شعرت بارتياح كبير عندما وصل الفنجان الأول، تم تسليمه بواسطة هويد خادم السفينة. (نعم، هذا أنا، من أخبرك؟ ربما وشى بي الاسم؟) كان فنجانًا خزفيًا جميلًا، بدون شطفة واحدة.

أشرق العالم في ذلك اليوم، كادت تريس أن تتخيل تشارلي وهو يتحدث أثناء قراءتها للرسالة المصاحبة، والتي توضح بالتفصيل مشاعر الأميرة الأولى. قام بسرد الأصوات التي تصدرها معدته عند رقوده في أوضاع مختلفة في الليل على الأميرة برتابة بطولية، بما أن ذلك لم يكن كافيًا، فقد شرح لها بعد ذلك كيف احتفظ بقصاصات أظافر قدمه وأعطاها أسماء، وكانت القشة...

استمر في القتال يا حبيبي الثرثار، فكرت تريس وهي تنظف نوافذ القصر في اليوم التالي. كن شجاعًا أيها المحارب الفظ إلى حد ما.

كان الفنجان الثاني من زجاج أحمر نقي، طويل ونحيف، كما لو قصد من صناعته أن يوحي بأن سعته أكبر مما يمكن أن يحتوي في الواقع. ربما جاء من حانة مقترة على نحو خاص. لقد قام بتنفير هذه الأميرة من خلال شرح ما تناوله على الإفطار بدقة متناهية، حيث أحصى قطع البيض المخفوق وصنفها بحسب الحجم.

كان الفنجان الثالث عبارة عن كوز من البيوتر الصلب ثقيل الوزن. ربما كان من أحد تلك الأماكن التي تخيلها تشارلي، حيث كان الناس دائمًا بحاجة إلى حمل الأسلحة. كانت تريس متأكدة من قدرتها على ضرب به أي معتدٍ لو أرجحته. لم تكن الأميرة الأخيرة قادرة على تحمل محادثة مطولة حول فوائد علامات الترقيم المختلفة، بما في ذلك بعض علامات الترقيم التي اخترعها تشارلي.

لم يتضمن الطرد الرابع أي رسالة، فقط بطاقة عليها رسم صغير: يدان ترتديان قفازين متشابكتين مع بعضهما. رسم على الفنجان فراشة تحلق على محيط أحمر اللون؛ استغربت عدم خوف الفراشة من الأبواغ. ربما كانت سجينة، أُجبرت على التحليق فوق المحيط حتى هلاكها.

لم يصل الفنجان الخامس قط.

حاولت تريس أن تعزي نفسها بمبررات مثل تعطله أثناء الإبحار، حيث قد تقع بعض الأشياء الخطرة على أي حال لسفينة تبحر في الأبواغ، مثل القراصنة أو... الأبواغ.

لكن الأشهر امتدت وطالت، واستحال كل شهر أكثر إنهاكًا من سابقه، وفي كل مرة تصل فيها سفينة إلى الأرصفة، كانت تريس تقف هناك وتسأل عن البريد.

لا شيء.

فعلت ذلك لأشهر متتالية، حتى مر عام كامل على مغادرة تشارلي.

ثم أخيرًا، جاءت رسالة، ليس من تشارلي ولكن من والده، الذي أرسلها إلى المدينة بأكملها، كان مفادها أن الدوق سيعود أخيرًا إلى ديجنز بوينت بعد طول غياب، مصطحبًا زوجته وريثه... وزوجة ابنته الجديدة.



العروس



جلست تريس متكئة على والدتها تراقب الأفق على شرفة منزلها، حملت آخر فنجان أرسله تشارلي، ذلك الفنجان الذي يحمل الفراشة الانتحارية.

تذوقت الشاي الفاتر الممتزج بالدموع.

همست لوالدتها: «لم يكن الأمر عمليًا بالمرة».

ردت والدتها: « نادرًا ما يكون الحب كذلك». كانت امرأة شجاعة، ذات حجم مبهج، كانت نحيفة مثل البوصة قبل خمس سنوات، حينها علمت تريس أن والدتها كانت تتخلى عن جزء من طعامها لأطفالها، ومنذ ذلك الحين تولت تريس أمر التسوق لتتدبر المصروفات بشكل أفضل.

ظهرت سفينة في الأفق.

«لقد فكرت أخيرًا فيما كان يجب أن أقوله». دفعت تريس بعض الخصلات عن عينيها. «عندما غادر، دعوته بالقفاز، ليس الأمر سيئًا كما يبدو، لقد وصفني بالمثل كما ترين، لكن بعد مرور عام من التفكير أدركت أنه كان بإمكاني أن أقول شيئًا أكثر من ذلك».

ضغطت والدتها على كتفها مع اقتراب السفينة المحتم.

همست تريس: «كان يجب أن أقول إنني أحبه».

انضمت إليها والدتها أثناء سيرها مثل جندي على الخطوط الأمامية يواجه نيران المدفع؛ للنزول إلى الأرصفة لتحية السفينة. وبقي والدها بساقه المصابة، وهو أمر جيد. كانت تخشى أن يحدث جلبة بالطريقة التي كان يتذمر بها بشأن الدوق وابنه في الأشهر القليلة الماضية.

لكن تريس لم تستطع أن تلوم تشارلي على نحو شخصي، لم يكن ذنبه أنه ابن الدوق، كان يمكن أن يحدث هذا لأي شخص حقًّا.

تجمع حشد من الناس، قالت رسالة الدوق إنه يريد الاحتفال، وقد أمر بجلب الطعام والنبيذ، بغض النظر عما يعتقده الناس في الحصول على دوقة مستقبلية جديدة، فلن يفوتوا فرصة الحصول على كحول مجاني. (وكما كان الحال دائمًا، فإن الهدايا هي سر الشعبية، كما لديها القدرة على قطع رأس أي شخص يكرهك).

وصلت تريس ووالدتها إلى مؤخرة الحشد، عندما لوح لهما هولمز الخباز ليقفا على سلمه حتى يتمكنا من الرؤية بشكل أفضل. كان رجلًا طيبًا، وكان دائمًا يحتفظ بأطراف الخبز اليابسة، ثم يبيعها لها مقابل أجر زهيد.

وبهذا أصبح لدى تريس زاوية رؤية جيدة للأميرة عندما ظهرت على سطح السفينة، كانت جميلة ذات خدود وردية، وشعر لامع، وملامح دقيقة، كانت مثالية للغاية، لم يكن بإمكان أفضل رسام عبر البحار إجراء تحسينات على صورتها.

تمكن تشارلي أخيرًا من أن يصبح جزءًا من قصة، شعرت تريس بالسعادة من أجله بشق الأنفس.

ظهر الدوق بعد ذلك، وهو يلوح بيده حتى يبدأ الناس في الهتاف له، صاح: «ها أنا ذا، وهذا وريثي!»

صعد شاب على سطح السفينة بجانب الأميرة، وبالتأكيد لم يكن تشارلي.

كان الشاب في نفس عمر تشارلي، لكن طوله بلغ ستة أقدام ونصف، وكان مستقيم الفك لدرجة تثير إعجاب حتى الرجال. انتفخت عضلاته لدرجة أنه عندما رفع ذراعه للتلويح، أقسمت تريس أنها تستطيع سماع ثنايا قميصه تتوسل للرحمة.

ماذا يحدث بحق الأقمار الاثني عشر؟

«بعد وقوع حادث مؤسف»، أعلن الدوق للجمهور الصامت، «اضطررت إلى تبني ابن أخي ديرك وتنصيبه وريثًا جديدًا لي». صمت تاركًا للحشد لحظة لاستيعاب إعلانه، ثم تابع قائلًا: «إنه مبارز ممتاز، ويجيب عن الأسئلة بإجابات مقتضبة من جملة واحدة، وأحيانًا باستخدام كلمة واحدة فقط! كما أنه بطل حرب، لقد فقد عشرة آلاف رجل في معركة لاكبريفي».

«عشرة آلاف؟» قالت والدة تريس. «يا للهول، هذا كثير».

«سنحتفل الآن بزواج ديرك من أميرة دورمانسي!» صاح الدوق رافعًا يديه لأعلى.

ظل الحشد هادئًا ومرتبكًا.

«أحضروا ثلاثين برميلًا!» صاح الدوق.

هلل الحشد، وهكذا بدأ الاحتفال. قاد سكان البلدة الطريق إلى قاعة الأعياد، لاحظوا جمال الأميرة واندهشوا من أن ديرك تمكن من التوازن أثناء المشي بشكل جيد؛ نظرًا لأن مركز ثقله كان موجودًا في مكان ما حول عظم صدره المنتفخ.

أخبرتها والدتها أنها قد تحصل على إجابات، لو تبعت الحشد. ومع ذلك، عندما فاقت تريس من صدمتها، وجدت فليك- أحد خدام الدوق- يلوح لها بالقرب من سلم السفينة، لقد كان رجلًا لطيفًا، بأذنين واسعتين بدتا وكأنهما تنتظران اللحظة المناسبة للانطلاق والهروب بعيدًا.

«فليك؟» همست. «ماذا حدث؟ أي حادث؟ أين تشارلي؟»

نظر فليك إلى الحشود المتجهة إلى قاعة الأعياد وقد انضم إليهم الدوق وعائلته، وكانوا بعيدين بما فيه الكفاية بحيث يفقد أي عبوس قوته بسبب مقاومة الرياح وانخفاض الجاذبية.

قال فليك وهو يسلمها كيسًا صغيرًا: «لقد أرادني أن أعطيك هذا». عندما تناولته أصدرًا خشخشة، قبعت بداخله قطع خزفية مكسورة.

كان الفنجان الخامس.

همس فليك: «لقد بذل قصارى جهده يا آنسة تريس. أوه، كان يجب أن ترى السيد الشاب، لقد فعل كل ما في وسعه لإبعاد هؤلاء النسوة، حفظ سبعة وثمانين نوعًا مختلفًا من الخشب المرقق واستخداماتها. أخبر كل أميرة التقى بها عن حيواناته الأليفة في طفولته بإسهاب، حتى إنه تحدث في الدين. اعتقدت أنهم تمكنوا منه في المملكة الخامسة؛ حيث كانت الأميرة صماء، لكن السيد الشاب تقيأ عليها ما تناوله في العشاء».

«تقيأ؟»

«في حجرها مباشرة يا آنسة تريس». نظرت فليك في كلا الاتجاهين، ثم لوح لها لتتبعه وهو يحمل بعض الأمتعة من الأرصفة، آخذًا إياها إلى مكان أكثر عزلة. «لكن والده كان من الحكمة يا آنسة تريس أن يكتشف ما كان يفعله السيد الشاب، وعندها غضب الدوق بل استشاط غضبًا».

أشار إلى الفنجان المكسور الذي كانت تحمله في كيسها.

«حسنًا، ولكن ماذا حدث لتشارلي؟» سألت تريس.

أشاح فليك ببصره.

سألته تريس: «من فضلك، أين هو؟»

قال: «لقد أبحر في بحر الظلمات، يا آنسة تريس، تحت قمر ثانسميا، لقد أخذته الساحرة».

بعثت تلك الأسماء بالبرودة في أوصال تريس، بحر ظلمات الليل؟ منطقة الساحرة؟ «لماذا يقدم على فعل مثل هذا الشيء؟»

قال فليك: «حسنًا، أعتقد لأن والده أجبره على ذلك، إن الساحرة ليست متزوجة، ولطالما أراد الملك أن يقلل من خطورتها؛ لذا...»

«أرسل الملك تشارلي ليحاول الزواج من الساحرة؟»

صمت فليك.

قالت تريس وقد أدركت ماهية الأمر: «لا، لقد أرسل تشارلي ليموت».

جاوبها فليك بسرعة: «لم أقل شيئًا، إذا سألك أحدهم، لم أقل شيئًا».

استندت تريس على أحد أعمدة الرصيف وقد استبد بها الخدر، انصتت إلى حركة الأمواج، كان لها صوت كصوت سكب الرمال، حتى في جزيرة بعيدة مثل جزيرتهم، كانوا يعرفون بأمر الساحرة، التي ترسل السفن بشكل دوري للإغارة على حدود البحر الأخضر، وكان من الصعب للغاية محاربتها، كان معقلها مختبئًا في مكان ما في بحر الظلمات البعيد، وهو أخطر البحار على الإطلاق، كان عليك عبور البحر القرمزي للوصول إليه، وهو بحر غير مأهول أقل فتكًا مما وراءه بالنزر القليل.

كان اكتشاف أسر الساحرة لتشارلي بمثابة اكتشاف أنه صعد إلى أحد الأقمار، لم تستطع تريس أن تصدق رواية رجل واحد فقط، ليس في أمر مثل هذا، لم تجرؤ على الإثقال على الآخرين بالأسئلة، لكنها استمعت بينما كان الخدم يتحدثون بنبرات هامسة لعمال الرصيف الفضوليين المتحمسين لتفريغ السفينة حتى يتمكنوا من الانضمام إلى الحفلة. قدم الجميع إجابات متشابهة. نعم، تم إرسال تشارلي إلى بحر الظلمات. قرر الدوق والملك ذلك معًا؛ لذلك لا بد أنها كانت فكرة جيدة. على أي حال، كان على شخص أن يحاول منع الساحرة من الإغارة. وتشارلي من بين كل الناس، كان هو ... أمم ... الخيار الأمثل ... لسبب ... ما.

أثارت دلالات الكلام الرعب في نفس تريس، أدرك الدوق والملك أن تشارلي كان صعب المراس، وكان الحل ببساطة هو التخلص منه. تم تعيين ديرك وريثًا في غضون ساعات من تلقيه رسالة تفيد بأن سفينة تشارلي قد اختفت.

في نظر النبلاء آل الأمر مآلًا محمودًا، فقد حصل الدوق على وريث يمكن أن يفخر به أخيرًا، وحصل الملك على تحالف زواج مفيد في عروس ديرك من مملكة أخرى، وسيتسنى للجميع إلقاء اللوم على الساحرة على وفاة أخرى، وحشد الرأي العام تجاه حرب أخرى.

بعد ثلاثة أيام، تجرأت تريس أخيرًا لتشغل برونزويك -رئيس خدم الدوق- بالسؤال التماسًا لمزيد من المعلومات، كان يحب فطائرها، اعترف لها بأنهم تلقوا رسالة فدية من الساحرة، لكن الدوق بحكمته رأى أنها خدعة لجذب المزيد من السفن إلى بحر الظلمات. أعلن الملك وفاة تشارلي رسميًا.

مرت الأيام، وأمضتها تريس في حالة ذهول، وقد أدركت أن لا أحد يهتم، اعتبروا الأمر ضريبة السياسة واستمروا في حياتهم. على الرغم من ذكاء الوريث الجديد المحدود، فإنه كان يتمتع بشعبية ووسامة كما كان بارعًا في إرسال الآخرين لملاقاة حتفهم، بينما كان تشارلي...

أمضت تريس أسابيع في استجماع شجاعتها، ثم ذهبت لتسأل الدوق إذا كان سيتفضل بدفع الفدية، كانت هذه الخطوة الجريئة صعبة للغاية بالنسبة لها، لم تكن جبانة، لكن التطفل على شؤون الآخرين ... حسنًا، لم يكن من شيمها، ولكن بتشجيع من والديها، قامت بالرحلة الطويلة وقدمت طلبها بهدوء.

فما كان من الدوق إلا أن نعتها بـ (العاهرة ذات الشعر البندقي) ومنعها من تنظيف النوافذ في أي مكان في المدينة، أُجبرت على بدء حياكة الجوارب مع والديها مقابل أجر أقل بكثير.

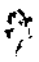
بمرور الأسابيع، سيطرت حالة من البلادة على تريس، شعرت بتضاؤل آدميتها شيئًا فشيئًا.

أما بالنسبة لأي شخص آخر على الصخرة فقد عادت الحياة إلى طبيعتها بهذه السهولة، لا أحد يهتم، لا أحد ينوي أن يفعل أي شيء.

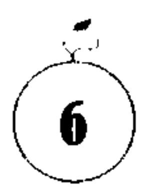
كان قد مر شهران على عودة الدوق، عندما اتخذت تريس قرارها. كان هناك شخص ما يهتم. بطبيعة الحال، سيكون الأمر متروكًا لذلك الشخص لفعل شيء ما حيال الأمر، لا يمكن أن تفرض تريس نفسها على أي شخص آخر.

كان عليها أن تنقذ تشارلي بنفسها.


2



المفتشة



بمجرد أن اتخذت تريس القرار، انفرجت عقدة بداخلها وكأنها نجحت أخيرًا في فك تشابك خصلة شعر عنيدة.

كانت ستنقذ تشارلي، لم يكن لديها أي فكرة كيف، لكنها ستجد طريقة للخروج من الجزيرة، وعبور البحر القرمزي المرعب، ودخول بحر الظلمات، وإنقاذ تشارلي. نعم، بدت كل واحدة من هذه المشاكل مستحيلة بالقدر نفسه، ولكن بطريقة ما أقل استحالة من تخيل بقية حياتها بدونه.

في البداية، ذهبت تريس للتحدث مع والديها (شيء ما يجب أن يفعله المزيد من الناس في مثل هذه القصص.) جلسوا معًا، وشرحت لهما حبها لتشارلي، وإدراكها أن لا أحد سيساعده، وتصميمها على الذهاب للعثور عليه، رغم أنها أعربت عن قلقها من أن غيابها قد يسبب لهم المشقة.

أنصت كلاهما بهدوء وهي تتحدث. رجع ذلك جزئيًا؛ لأن تريس خبزت لهما فطائر بيض السمان، من الصعب الاعتراض على جنون ابنتك المؤقت عندما يكون فمك ممتلئًا.

بمجرد انتهائها، سألها ليم أن تنتظر لثوانٍ، لقد كان في مأزق التنقل بين فطيرتين، أنهت ألبا نصف فطيرتها فقط، وجلست دون أن تمس الباقي، لقد كان أيضًا مأزق الانتقال للنصف الآخر.

أكل والد تريس فطيرته الثانية بعناية متعمدة، بدأ من الحشو من المنتصف إلى الحواف، واحتفظ بالقشرة حتى النهاية. وأخيرًا أقدم عليها، ثم جلس يحدق في الطبق الفارغ لفترة طويلة غير مريحة،

أكان ... ربما ... مأزق ثلاثي الفطائر؟

قال أخيرًا: «أعتقد».

«هذا جنون!» قاطعته والدة تريس. «مغادرة الجزيرة؟ السفر إلى بحر الظلمات؟ سرقة أسير من الساحرة؟»

شعر ليم بشعيرات شاربه في منديله وهو ينظف بقايا الطعام. «ألبا، هل تدعين أن ابنتنا تتسم بالعملية أكثر منا؟»

قالت ألبا: «نعم، عادةً ما أقول ذلك».

«وهل تقولين أيضًا إنها تفكر أكثر منا؟»

وافقت والدة تريس: «إنها تفكر دائمًا».

«كم مرة تتطفل على الناس أو تطلب ما تريد؟»

«على الأغلب لا تفعل ذلك».

قال والد تريس: «مع وضع كل ذلك في الاعتبار، يجب أن يكون القرار الصائب بالنسبة لها هو المغادرة، سوف تدرس جميع الخيارات الأخرى، قد تبدو مغادرة الجزيرة لإنقاذ الرجل الذي تحبه ضربًا من الجنون، ولكن إذا تم تجاهل كل خيار آخر باعتباره مستحيلًا، فقد يكون الجنون- في هذه الحالة- عمليًّا».

شعرت تريس بإثارة صغيرة بداخلها، هل وافق؟

قال والدها، وهو يميل إلى الأمام، وقد أرخى ذراعيه القويتين على سطح الطاولة: «تريس، يمكننا أن نعتني بأخيك وأنفسنا إذا ذهبت، من فضلك لا تقلقي علينا؛ أنت تقلقين كثيرًا بشأن هذا، لكن لا أحد منا يمكنه الذهاب معك، هل تفهمين؟»

قالت: «نعم، يا أبي».

«كنت أتساءل دائمًا ما إذا كانت هذه الجزيرة صغيرة جدًّا بالنسبة لواحدة مثلك».

عبست تريس.

«لماذا تعبسين هكذا؟» سألها.

«أنا لا أريد أن أكون فظة».

«لذا أطلب منك أن تخبريني، حتى لا يعد عدم الإفصاح فظاظة».

زاد عبوسها. «حسنًا، لماذا تقول إن الجزيرة صغيرة جدًّا بالنسبة لي يا أبي؟ لا يوجد شيء غير عادي بي، في واقع الأمر أنا صغيرة جدًّا بالنسبة لها».

قالت والدتها: «كل شيء رائع فيك يا تريس؛ لهذا السبب لا يوجد شيء مميز فيك على وجه الخصوص».

حسنًا، يجب على الآباء قول أشياء من هذا القبيل، إنهم مطالبون برؤية أفضل ما في أطفالهم، وإلا فإن العيش مع الصغار المختلين نفسيًّا سيؤدي بالشخص إلى جنون.

«هل توافقان إذن؟» سألت تريس.

قالت ألبا: «ما زلت أعتقد أنها فكرة سيئة».

أوما ليم «بالفعل، لكن الفكرة السيئة التي يتم تنفيذها ببراعة أفضل من فكرة بارعة يتم تنفيذها بشكل سيئ، أعني انظروا إلى طيور البجع».

قالت والدة: «صحيح، ولكن هل نحن قادرون على الإتيان بأي من البراعتين؟»

قالت تريس: «لا، لكن ربما يمكننا اتخاذ مجموعة كبيرة من الخطوات الصغيرة التي، عند النظر إليها معًا، قد تبدو بارعة لشخص لا يعرفنا».

وهكذا شرعوا في العمل، كانت تريس تدرك تمامًا أن تشارلي يعاني، لكنها قررت أن تأخذ وقتها، إذا كانت ستفعل شيئًا غبيًا مثل مغادرة الجزيرة، فقد اعتقدت أنها يجب أن تكون دقيقة حيال ذلك، ربما سيخفف ذلك الغباء بمرور الوقت، مثلما يمكن للطحين الجيد أن يخفف من تيبس الخبز ويحسن مذاقه.

جعلت تحيك الجوارب على الجرف حتى تتمكن من مراقبة السفن القادمة والمغادرة، بينما بدأت والدتها تصنع الجوارب على طاولة بالقرب من الأرصفة حتى تتمكن من تدوين الملاحظات. كانتا تقارنان النتائج التي توصلتا إليها كل ليلة، ووالد تريس يستمع ويقدم أفكاره.

على الرغم من أن تريس كان لديها فضول دائمًا حول آليات الشحن، فإنه أصبح الآن لديها الدافع لمعرفة التفاصيل. كان هناك نوعان من الأشخاص يغادرون الجزيرة بانتظام؛ الأول كان بالطبع أطقم السفن المختلفة، عند وصولهم كانوا يأتون إلى الشاطئ للتسوق أو زيارة الحانات المحلية، لم يكن على الصخرة الكثير من الحانات التي يوصي به، ولكن بيرة بريك كانت تُعرف بأنها من أفضل المشروبات في المنطقة، بالإضافة إلى ذلك، بعد شرب الكثير منها، تبدو بقية وسائل الراحة أفضل كثيرًا.

النوع الثاني من الأشخاص الذين غادروا الصخرة كانوا مسؤولين حكوميين، ليس فقط الدوق وعائلته، ولكن المسؤولين الملكيين الآخرين، مثل: جباة الضرائب، والرسل الملكيين، ومفتشي الشحن. ويسمح لهم بالمغادرة عندما يتراءى لهم ذلك. ويمكن للأعضاء النبلاء الذين يأتون للزيارة أيضًا المغادرة، وعادة ما يفعلون ذلك بسرعة بعد أن يدركوا خطأهم الفادح.

سيكون التحدي الأكبر الذي يواجه تريس هو مفتشة الشحن الحالية. تقوم المرأة القاسية بمراجعة صحة وثائق التجار الزائرين، ثم بفحص البضائع بحثًا عن مسافرين خلسة، بالنسبة لمكان لا يريد أحد أن يعيش فيه، كان لدى الصخرة بالتأكيد الكثير من الأشياء التي يريدها الناس: ملح من المناجم، وبيرة بريك، حتى زغب وريش طيور النورس.

لم يكن باستطاعة سكان البلدة بيع هذه الأشياء للسفن إلا التي تحمل إذنًا ملكيًّا بذلك. أشرف مفتش الشحن على كل شيء. عندما وصلت السيدة الحالية في وقت سابق من العام، رفضت الكشف عن اسمها، وأصرت على أن ينادوها ببساطة باسم «المفتشة»، ادعت أنها لن تبقى على الصخرة لفترة كافية، ولا أهمية لتبادل الأسماء.

لم تستطع تريس أن تتذكر وجود مفتشة أكثر صرامة، كانت هذه المرأة تراقب دائمًا، تأرجح العصا التي تحملها، وتبحث عن أي عذر لتنفيذ العقوبة، بدت شديدة الصرامة لأن تتصف بالإنساني، كما لو أنها كائن انبثق وتمدد في الوجود بدلًا من أن يولد ويكبر.

أمضت تريس ووالدتها ساعات في الخفاء في دراسة كيف تفتش الشحنات الصادرة، قامت بوزن أكياس الريش، وطعن براميل الملح، للبحث عن مسافرين خلسة محتملين، لكن بعض الأشياء التي يتم شحنها،

مثل براميل المشروب المحلي الكبيرة، لا يمكن فتحها دون إفسادها، ماذا لو اختبأ شخص في برميل؟ هل يمكن ملؤه بشيء مثل الملح حتى يزن ويتوازن بشكل صحيح؟

لسوء الحظ، كان لدى المفتشة إجابة على خطط الهروب المحتملة هذه. عند فحص البراميل، استخدمت جهاز استماع خاصًا، مثل الأجهزة التي يستخدمها الأطباء لسمع نبضات القلوب. كانت المفتشة تقف على كل برميل، مستمعة لشخص يتحرك أو يتنفس في الداخل. وبحسب ما ورد، تمتعت المفتشة بسمع جيد للغاية ويمكنها اكتشاف دقات قلب المسافرين خلسة.

هل هناك طريقة للالتفاف حول هذا الأمر؟ هل ثمة طريقة لاستغلال الوضع؟

في إحدى الليالي، بعد أسبوعين من اتخاذ قرار المغادرة، جلست تريس ومعها دفتر ملاحظات مليء بالأفكار. سطع القمر الزمردي كالعادة، رزينًا وثابتًا في السماء. تدفقت الأبواغ إلى الأسفل في الأفق، مثل ضوء القمر البلوري.

نزل والدها وهو يعرج واستقر بجانبها ثم أشار لها لتريه خططها. قرأها بعناية، ثم أومأ برأسه: «يمكن أن تنجح هذه الخطة».

قالت تريس وهي تتثاءب: «يمكن أن تنجح، لكنني لا أعتقد ذلك، قد أكون قادرة على خداع مجموعة من البحارة، لكنني لن أخدع بريك أو جريمي أو سور أبدًا، سيعرفون أن هناك خطأ ما». فركت عينيها، كانت لا تنام وقد انشغل بالها. (يقال إن القلق هو الجيف المغذي للعواطف، ينجذب إلى مشاعر أخرى أفضل مثلما تنجذب الغربان لساحة المعركة).

قال والدها: «ربما ليس عليك أن تخدعيهم، بما سيكونون على استعداد للمساعدة».

قالت تريس: «لا أستطيع أن أطلب ذلك منهم، ماذا لو قبضت عليّ المفتشة؟ سيواجه الآخرون الكثير من المتاعب».

أومأ والدها مرة أخرى. كان هذا بالطبع هو الشيء الذي ستقوله تريس؛ لذا اقترح عليها أن تذهب إلى الفراش. بدت تريس كما لو كانت على وشك النوم في منتصف المحادثة، وهو أمر دال عند الأخذ بعين الاعتبار عدد قصص تشارلي التي نجت من سماعها بدون التثاؤب.

بعد أن صعدت إلى الطابق العلوي، أحضر ليم عصاه، وارتدى معطفه، وخرج للقيام ببعض أعمال الأبوة السامية.



الأب





لم يكن ليم رجلًا فقيرًا.

الآن، يمكنك أن تقول لي: «هويد، لقد أظهرت لي هذه القصة عكس ذلك، عائلة ليم تقتر دائمًا من أجل البقاء». وأود أن أجيب: «من فضلك توقف عن المقاطعة».

لم يكن ليم فقيرًا، لكن ببساطة لم يكن لديه الكثير من المال.

في تلك الليلة، بينما كانت تريس نائمة، سار ليم على الطريق الطويل المؤدي إلى حانة بريك، كان يعلم على وجه اليقين أن جريمي وسور سيكونان هناك، على أي حال، لا تغلق الحانة حتى الثانية.

عرج ليم إلى الداخل، كان الوقت مبكرًا لدرجة أن المكان كان مبتهجًا وصاخبًا، الأمسيات في الحانة، كما تعلم، مثل النيران في الموقد، تحيا حياتين.

هناك الحياة التي تتسم فيها بالحيوية والصخب والبهجة، ثم يبدأ المساء في الانجراف، وتمسي الحانة أكثر برودة وأكثر قتامة وسكونًا. أولئك الذين يملؤون الحانة خلال حياتها الثانية لا يريدون الرفقة، مجرد صحبة.

كانت الحياة الثانية على بعد بضع ساعات؛ لذا مر ليم بعمال المناجم الذين ارتفع ضحكهم في أثناء تشاركهم دورات الشراب وحديثهم شديد الملل. وجد جريمي وسور معًا، كما كان الحال في كثير من الأحيان. بدا عامل الميناء ورئيس العمال وكأنهما طرفا نقيض لمسمار. كان جريمي -بجسده المربع ورأسه المسطح - لديه قصة شعر تقول: «ما الأرخص؟» كان سور ظاهريًّا هو رئيس جيرمي، ولكن نادرًا ما ذكر الأمر، في حال بدا أنه عرض دفع حساب الحانة بالصدفة. جلس وقد بدا طويلًا ومستقيمًا، يحتسي الجعة لأنه لم يكن يريد أن يُرى وهو يشرب الخمر الذي يستطيع تحمل ثمنه.

كان بريك، بالطبع، خلف البار، واقفًا على كرسيه ليكون في مستوى عين زبائنه. احتاجت تريس إلى مساعدة الرجال الثلاثة، لكن ليم لم يقترب من أي منهم، بدلًا من ذلك اتخذ موقعه بالقرب من لوحة السهام. كان جول يلعب، وعرض على ليم الانضمام إلى المباراة التالية، وهو ما قبله بسعادة.

ألقى ليم السهم الأول على بعد عدة أقدام أسفل اللوح، واصطدم بالخشب هناك بإحدى عقدتين تحملان عددًا كبيرًا من الثقوب من رمي السهام.

نظر إليه جول باستحسان وألقى برميته، وضرب بالقرب من ليم.

قال ليم وهو يلقي رمية ثانية: «لقد سمعت، أنك ساعدت جيرمي في دفع حساب الحانة مرة أخرى، كان هذا لطيفًا منك حقًّا».

أومأ جول بتقدير.

المباراة التالية كانت ضد رود العجوز صاحب الحانة. أخطأ ليم أول رميتين له للأسف، كانت إحداهما بعيدة جدًّا، لقد اصطدم بلوحة السهام، جاءت الضربة الثالثة تحتها على مسافة بعيدة.

قال رود: «جيل، هل تساعد هذه العصا على توازنك يا ليم؟ أقسم أنك أصبحت أفضل في لعبة السهام منذ الحادث».

قال ليم: «لا تساعد العصا في لعبة السهام يا رود، لا تساعد على أي شيء...».

ضحك رود.

«هل ما زلت تساعد بريك في التخمير في عطلات نهاية الأسبوع؟» سأله ليم.

قال رود: «في أغلب الأحيان»، وأخذ سهامه. بعد ذلك تحرك رود، مما أفسح المجال لمباراة ثالثة ورابعة. عندما جاء الرجال للعب مع ليم قرأوا النص غير المعلن لأسئلته.

لقد تذكروا ذلك الوقت عندما كان رود مخمورًا، وساعده ليم في العودة إلى المنزل. عندما فقد جول سقفه أثناء العاصفة ساعده ليم في بناء سقف جديد. كانت هناك عشرات القصص المشابهة. كان ليم المعادل البشري لبئر عميق ونقي، مليء دائمًا بالماء عند الحاجة إليه، كان يعرض ما تحتاج إليه ولا يطلب شيئًا في المقابل. في الواقع، لن يطرح الموضوع مرة أخرى أبدًا.

ما لم يكن الأمر عاجلًا.

ما لم يكن مهمًا.

في هذه الحالات، حسنًا، ربما كان ليم فقيرًا في العملة التي تدفع الضرائب. لكنه كان ثريًا تمامًا عندما يتعلق الأمر بالعملة الأهم.

انتشر الخبر في تلك الليلة. احتاج ليم إلى شيء ما على وجه التحديد من جيرمي وسور وبريك. ليم - الرجل الذي ليس عليه دين- كان في حاجة ماسة إلى هذه الخدمة، وكاد يطلبها، وبلغة رجال مثله هذا يعادل التسول.

واصل ليم لعب رمي السهام وسجل النقاط بشكل جيد. إذا كنت تتساءل عن الأهداف الفردية التي استخدموها، فيجب الإشارة إلى أنه – في إحدى الأمسيات قبل عامين– لاحظ أحدهم أن مجموعة العقد المرتفعة على الحائط تبدو شبيهة إلى حد كبير بوجه. كان وجه الدوق، في الواقع، إذا تخيلت حبة ذلك الخشب كشعره، ولوح السهام كشارة العائلة على صدره.

حسنًا، في مكان ما أدناه كانت هناك عقدة بارزة في الجدار، تماثل المكان فوق انفراجة الأرجل.

رمى ليم، وجفل الرجال القريبون منه، علق أحدهم: «جميل».

تقدم الليل بهدوء، ودونت الدفاتر الحسابات غير المرئية، وتم التوصل إلى قرارات، لكن لم يتم الإفصاح عنها، لم يكونوا بحاجة إلى ذلك، ففي صباح اليوم التالي –في وقت مبكر جدًا لأي منهم– وجدت تريس صاحب الحانة، ورئيس عمال الميناء وعامل الميناء على عتبة بابها. طالبوا بمساعدتها فيما تفعله.

وهكذا بعد أكثر من أسبوع بقليل، تم إيداع برميل كبير على الأرصفة للتفتيش، دفعه جيرمي إلى جانب خمسة آخرين.

وصلت السفينة المثالية لتنفيذ خطة تريس، وهي سفينة تُعرف باسم أووتز دريم. تطلبت الخطة سفينة بها طاقم لا يزور ديجينز بوينت كثيرًا، وإذن ملكي مكتوب بشراء بيرة بريك.

أوشك بحارة أووتز دريم أن يحملوا البراميل على متن السفينة دون تفتيش، عندما قرأ القبطان شروط الإذن. «من المفترض أن يكون هناك تفتيش، أليس كذلك؟» قال متسائلًا. «لا يمكننا مغادرة الميناء حتى يتم ذلك».

لذلك تم استدعاء المفتشة، اعتلى وجهها عبوس قادر على قتل الأبواغ، وحملت عصاها على أهبة الاستعداد لتحقيق العدالة. فحصت البرميل الأول، ثم استخدمت جهاز الاستماع الخاص بها لتفقده.

في مكان قريب، نظر سور إلى ساعة جيبه، عدّ الثواني وقلبه يخفق. قام جيرمي بمسح رأسه بينما كانت المفتشة تتحرك أسفل خط البراميل، دفعه بريك حتى لا يثير الشكوك.

أخيرًا، استمعت المفتشة إلى آخر برميل كبير، كان كبيرًا بما يكفي لتختبئ فتاة بداخله، وهذا ما كان. استمعت المفتشة عن كثب، لتجد ... لا شيء.

لوحت لتحميل البضائع. تبادل المتآمرون الثلاثة النظرات، حتى توقفت المفتشة واستدارت، وفجأة ركلت البرميل الأخير.

ارتطم بعنف.

ثم سُمِع صوت تأوه.

«هذا ما ظننته!» قالت المفتشة، أمسكت بعتلة من على رصيف الميناء لتخلع غطاء البرميل وتكشف عن الحقيقة: امرأة شابة سوداء الشعر مختبئة في الداخل، تحاول التسلل من الجزيرة. «الريش للعزل!» صرخت المفتشة. «هل كنت تعتقدين أن هذا من شأنه أن يكتم الأصوات بما يكفي لخداع أذني؟»

حسنًا، بعد ذلك تطورت الأمور بسرعة كبيرة.

«لا يمكن تنفيذ هذا الأمر بدون مساعدة!» صرخت المفتشة في رئيس عمال الميناء. «لا يمكن تنفيذ هذا الأمر بدون مؤامرة!».

لم يستطع المسكين جيرمي التحمل، وبدأ يصرخ، حاول بريك تهدئته، بينما تساءل سور بصوت عالٍ عما إذا كان بإمكانه أن يطلب من جريمي تحمل عقوبته عنه.

قالت المفتشة باستهزاء: «الملك قلق بشأن عدم ولائكم، لقد حذرني من أهل هذه البلدة، سيتم إعلامه بهذا، أنكم عملتم جميعًا معًا للالتفاف على قوانينه، ادفع مقابل خمسة براميل فقط أيها الكابتن».

تم تحميل البراميل الخمسة الأخرى على السفينة، وأقلعت السفينة باتجاه الأرخبيل الأساسي لبحر الزمرد لتسليم البيرة. ذهبت المفتشة معهم تاركةً مساعدها لمراقبة الأرصفة، ومعلنة أنها ستخبر الملك شخصيًّا بالخيانة في ديجينز بوينت.

الآن، ربما لاحظت أن الشابة في البرميل لم تكن تريس، وربما تعتقد أنها كانت في أحد البراميل الأخرى، لكنها لم تكن.

لم تكن تريس مختبئة في شحنة أخرى من البضائع.

لم تكن تريس مختبئة على الإطلاق.

كانت تريس المفتشة ذاتها.



المتخفية



اعتقدت تريس أنها تستطيع رؤية المفتشة الحقيقية وهي تصل إلى الأرصفة من بعيد، بدت كشخص صغير حانق يلوح بغضب إلى السفينة الهاربة. قيل لها إن القبطان أصر على المغادرة دون تفتيش. في هذه الأثناء كانت جريت -ابنة المسؤول عن حوض السفن- قد خرجت من البرميل الأجوف وغادرت. لن يكون هناك شهود آخرون على الصخرة باستثناء بريك وجريمي وسور الذين قاموا بتسديد ديونهم الآن.

وهكذا باتت تريس حرة طليقة. وفي هذه المرة، بدت ديجينز بوينت أصغر وأصغر أثناء ابتعاد السفينة. عاش كل شيء وكل شخص عرفته تريس على تلك الجزيرة، وسرعان ما لن تتمكن حتى من رؤيتهم.

لم تشعرها المغادرة بالإثارة، شعرت بالثقل. يتطلع كل طفل إلى اليوم الذي يتمكن فيه من اختيار مسار مختلف عن المسار الذي كان يسلكه والداه. كانت تريس تأمل بصدق ألا تكون قد اتخذت قرارًا يقودها مباشرة إلى حافة الهاوية.

لكنها كانت حرة، لقد هربت دون معوقات، تساءلت هل يمكنها إنجاز المهام الأخرى بنفس السهولة. كان بإمكانها أن تسأل مثل هذه الأسئلة؛ لأن تريس -التي تفتقر إلى التدريب الرسمي في الفنون- لم تفهم معنى السخرية الدرامية.

وجهت نظرها إلى السماء، كانت شديدة الزرقة حيث أبحرت بعيدًا عن ضباب التعدين. بدا ذلك غير أخلاقي إلى حد ما، كما لو كانت ترى السماء عارية. كانت رائحة الهواء... نقية ونظيفة وبلا ملح، أي خطيرة، إن عدم وجود ملح يعني أبواغ طليقة.

لحسن الحظ، كانت سور السفينة مبطنًا بالفضة، وبالتأكيد لن يسافر الناس في بحر الزمرد إذا لم يكن آمنًا إلى حد ما، انتعشت أشرعة السفينة واهتزت عندما استدارت السفينة، وكان البحارة ينادون بعضهم في أثناء عملهم. لقد أجبروا على أخذها. ألزمت أذون الشراء الملكية القباطنة بنقل المسؤولين الحكوميين الذين طلبوا المرور بعيدًا عن الصخرة.

لذلك ترك الطاقم تريس وحدها واقفة على السطح في مؤخرة السفينة، بالقرب من عجلة القيادة حيث تجاذب القبطان مع قائد الدفة أطراف الحديث. ارتدت تريس زي المفتشة، مع معطف أحمر وذهبي لامع يصل إلى فوق ركبتيها. لقد سرقوا الملابس في الليلة السابقة، كان الزي الاحتياطي من خزانة المفتشة. وقامت والدة تريس بضبطه بشكل مثالي، فبدا كما لو أنه صنع من أجلها. وبالطبع أشارت «غلطة» في سجل الأرصفة في غرفة المفتشة إلى الوقت الخطأ لمغادرة السفينة الصخرة؛ لذلك جاءت المفتشة متأخرة.

فتاة بحر الزمرد

كانت مجموعة صغيرة من الملابس وحقيبة من الفناجين هي المتعلقات الوحيدة التي أحضرتها تريس معها، كان الفنجان المفضل لديها من بين الفناجين الأربعة التي أرسلها تشارلي، ذلك الفنجان الذي يحمل رسمة فراشة، أسر لبها شيء في التصميم البسيط.

كانت سعيدة بتجاهل البحارة لها، كان من الصعب عليها إخفاء تحديقها في محيط الأبواغ الأخضر، لم تكن تريس على دراية بالطريقة العلمية التي جعلت السفينة تطفو، لكنها في الواقع مثيرة للاهتمام. بعثت الفتحات الموجودة في أعماق قاع المحيط دفقات متفجرة من الهواء، جعلت الأبواغ في حالة سائلة. هذه الظاهرة ممكنة في أي عالم، بما في ذلك عالمك، هذا ما يعرف بالتسييل. قم بضخ الهواء تحت صندوق من الرمال، وسترى شيئًا مشابهًا لما كانت تريس تشاهده.

تفجرت فقاعات الأبواغ في كل مكان؛ مما جعل المحيط يتدفق ويتموج، ضرب بدن السفينة وتدفق بعيدًا، متناثرًا، محدثًا أمواجًا. لم يكن مثل الماء تمامًا، كان سميكًا جدًّا، وانقسمت أطراف الأمواج إلى نفثات من الأبواغ الخضراء. في الواقع، بدا ثمة خطب بالبحر على النحو الذي يبدو شيئًا شبه صحيح، مألوفًا لكنه غريب، كما لو كان أحد أبناء عمومتك المائع يلقي نكاتًا غير لائقة في جنازة الجدة.

أبحرت السفينة مثل أي سفينة على الماء، بيد أنها يمكنها التحرك فقط طالما يتصاعد الهواء من الأسفل، أطلق الناس في عالم تريس على هذه الظاهرة اسم «الفوران». كان يبدأ ويتوقف بشكل عشوائي؛ مما أدى إلى تسييل محيطات بأكملها لأيام في كل فورة. كانت الدفقات تتوقف لفترات قصيرة، فتجنح جميع السفن المبحرة. كانت الانقطاعات عادةً قصيرة، لكنها استمرت أحيانًا لساعات أو حتى أيام.

ضربت موجة عالية جانب السفينة، وألقيت مجموعة من الأبواغ. صرخت تريس على الرغم عنها وتراجعت، لكن الأبواغ تحولت إلى اللون الرمادي وماتت.

«لم تبحري كثيرًا، إيه؟» سألها القبطان من مكان قريب، كان نفسه كريه الرائحة، وبشرته سمراء مجعدة، وشعره أشعث خشنًا. تخيله أنه الرد على السؤال التالي: «كيف ستبدو المادة اللزجة من مصرف الدش لديك إذا بعثت للحياة؟»

ومع ذلك، كان الخيار الأفضل الذي وجدته تريس بعد أسابيع من المراقبة؛ لذلك لن تشتكي، حتى لو ضحك عليها مرة أخرى في المرة التالية التي ترتفع فيها الأبواغ.

قال القبطان: «لدينا ما يكفي من الفضة»، وهو يلوح باتجاه الزخرفة على سور السفينة والمبنية في خشب السطح، ركض خط منها فوق الصواري. «إنها قادرة على قتل أي أبواغ تقترب أكثر من اللازم، أيتها المفتشة، أنت بأمان».

أومأت تريس برأسها في محاولة لادعاء اللامبالاة، لكنها أبقت معطفها محكمًا عليها ووجدت نفسها تتنفس بسطحية وتتمنى قناعًا من الملح.

بدلًا من ذلك، أحضرت دفتر ملاحظاتها وعملت على خطتها، لقد نجحت في الخروج من الجزيرة، بعد ذلك كان عليها الانتظار فقط، ستسلمها السفينة إلى جزيرة الملك في الأرخبيل الرئيسي. من هناك، كان على تريس أن تجد طريقها إلى القصر حتى تتمكن من الحصول على نسخة من رسالة فدية تشارلي.

ستكون هذه أسهل طريقة لتحريره. نعم، سيكون سداد الفدية بنفسها أقرب إلى المستحيل، لكن بدا الأمر أسهل من التسلل عبر بحر الظلمات لمواجهة الساحرة. كان تأمل في إيجاد طريقة للدفع، أو أقنع الملك بالدفع، حينها سيتم تسليم تشارلي لها، بأمان.

سمعت صريرًا على سطح السفينة عندما دنا القبطان منها، قال: «لديك شعر جميل، أيتها المفتشة، إنه بلون نبيذ العسل الجيد!».

أغلقت تريس دفترها بسرعة «ربما سأرجع إلى قمرتي الآن».

ابتسم. كان الرجل بالضبط من نوع الأشخاص الذين اعتقدوا أن كل امرأة في الغرفة تفكر فيه، كان هذا واقع الأمر؛ حيث كانت كل منهن تأمل بشدة أن يتجه في الاتجاه الآخر. أشار لتريس للانضمام إليه في السير نزولًا من الربع نحو المقصورة الموجودة بالأسفل.

لحسن الحظ، تركها القبطان دون أن تطلب منه، كانت الغرفة صغيرة لكنها خاصة، والباب مغلقًا. شعرت تريس بتحسن كبير عندما كانت آمنة في الداخل، سكبت بعض الماء في فنجان الفراشة واستقرت على السرير لتفكر.

شعرت أن كل شيء بات أكثر واقعية الآن، هل كانت تفعل هذا حقًّا؟ هل حقًّا تركت منزلها؟ ماذا هذا الحمام الملون الغريب ولماذا يتحدث معها؟

كان الجزء الأخير هذا من الآثار الجانبية للسم الذي أمر القبطان بوضعه في مشروب تريس. لا يوجد، للأسف، حمام ناطق في هذه القصة، فقط فئران ناطقة.



الفأر



استيقظت تريس، كان هذا لطيفًا.

استحسنت تريس كثيرًا عدم موتها في اليوم الأول من بدء مغامرتها، ومع ذلك كانت تعاني من صداع شديد، وكل ما أمكنها رؤيته هو السواد، هل يستطيع المرء رؤية السواد أم أنه علامة على فقد البصر؟ هل يمكن سماع الصمت؟ هل يمكن تذوق العدم؟

حسنًا، بالحكم من صرير الخشب، كانت في حجز السفينة. تأوهت وجلست، ثم تحسست ما حولها، التقت أصابعها بقضبان، كانت في زنزانة.

قال صوت هادئ: «لن تجدي مخرجًا». بدا الصوت ذكوريًّا، لكنه بدا مسلوبًا، وكأن شخصًا قد سحب الحياة من الكلمات.

«من أنت؟» سألت تريس بهدوء.

«زميل سجين، سمعتهم يتحدثون عنك، هل أنت مفتشة؟»

كذبت تريس: «نعم، تابعة للملك، لا أصدق أنهم يجرؤون على الاعتداء عليّ».

كانت تريس مذعورة في أعماقها، لابد أن القبطان قد اكتشف حيلتها، سوف تعود السفينة أدراجها إلى ديجينز بوينت للعثور على المفتشة الحقيقية، وسوف ينهار كل شيء.

لا، لقد انهار كل شيء بالفعل.

جلست وأسندت ظهرها إلى بعض القضبان.

قال الصوت: «يا له من اختيار جنوني أيتها المفتشة، هل صعدت إلى السفينة وحدك؟ إلى أين ظننتِ أن تؤول الأمور؟ هل كنت ستجهزين عليهم جميعًا بمفردك؟»

«أجهز عليهم؟» سألت تريس. «عما تتحدث؟»

«أنت... لا تعرفين؟»

عزيزي القارئ إذا كنت جديدًا على هذا، فاعلم أن لا شيء جيد يتبع هذا السؤال.

أوضح الصوت: «هذه سفينة مهربين، لقد زوروا الأذون التجارية الملكية، وهذا يساعدهم على شراء وبيع البضائع دون دفع الرسوم الجمركية».

تأوهت تريس، وضربت رأسها على القضبان. «وظنوا أنني كنت أشك بهم، ظنوا أن هذا هو سبب ركوبي سفينتهم».

«لم أيكن كذلك؟» قال الصوت ثم انفجر في الضحك. أو بالأحرى اعتقدت تريس أنه كان ضحكًا حيث خرج كأصوات صرير عالي النبرة مثل صوت نهيج حمار. «هل كانت محض صدفة؟ أوه، أيتها المسكينة».

عقدت تريس ذراعيها بقوة في الظلام، متحملة وطأة السخرية. على الأقل لن يتم إعادتها إلى ديجينز بوينت وتسليمها إلى الدوق، وبدلًا من ذلك، سيقتلها المهربون ويتخلصون من جثتها بلا شك.

قررت ألا تبكي، البكاء سيكون غير عملي على الإطلاق؛ لذلك عقدت العزم، لا بكاء قطعًا.

عارضت عيناها القرار.

قال الصوت: «مهلًا، مهلًا، كل شيء سيكون على ما يرام، على الأقل غادرت الصخرة، أليس كذلك؟»

«هل تعرف الصخرة؟» سألته تريس وهي تمسح عينيها، يا لها من أشياء غبية، ربما أراد تسلية وقته فقط مع عدم الرؤية والوضع العام.

قال الصوت: «كنت في طريقي لزيارة الجزيرة قبل أن يكتشفني البحارة ويحبسوني هنا».

«لماذا كنت تزور ديجينز بوينت؟» سألته تريس.

قال الصوت: «لدي أسبابي، إن جنسي غامض على هذا النحو».

«جنسك؟» تساءلت تريس.

«حسنًا، دعني أريك، قد ترغبين في تظليل عينيك».

بعد لحظة، غمر الضوء الحجرة، وانسكب من ثقب صغير في الهيكل. تراجعت تريس، دفعت شعرها الباهت من على عينيها وهي تتفقد محيطها. كانت في زنزانة مبنية في جزء من عنبر السفينة، ربما أربعة أقدام على كل جانب وليس أطول من ذلك بكثير.

على الجانب الآخر، وضع قفصًا أصغر بكثير، مثبتًا فوق بعض الصناديق، جلس فيه فأر أسود عادي، لقد سحب سدادة من الحفرة بمخالبه الصغيرة.

قال: «أبقي هذا الشيء مسدودًا، حتى لا يعرفوا به، لا أريدهم أن يحركوا القفص، هل تعلمين؟ أنا...».

تباطأ الفأر عندما استدار ورآها لأول مرة، ثم أمال رأسه.

«ماذا؟» سألت تريس.

كان الفأر صامتًا، جاءت الأصوات الوحيدة من السفينة وهي تتأرجح في الأمواج وقرع الأقدام على السطح أعلاه، انسحبت تريس، لم تعجبها الطريقة التي كان يحدق بها الفأر بتلك العيون الصغيرة التي تشبه الخرز.

«ماذا؟» تساءلت.

«لم ألق نظرة فاحصة عليك عندما تركوك، لم أدرك ... لم أتوقع أن تكوني صغيرة جدًّا، أنت لست مفتشة ملكية».

«لديّ ملامح طفولية».

قال الفأر: «أنا متأكد». انتقل إلى حافة قفصه وجلس على ركبتيه، متكئًا إلى الأمام، وكفوفه الصغيرة معًا، لقد كانت وضعية شبيهة بالفئران، والتي من المفترض أن تكون منطقية لتريس.

قال: «أنت تتسللين خارج الجزيرة، لماذا بحق الأقمار تفعلين ذلك؟»

«قلت لك» قالت تريس باندفاع. «لا أحد يريد أن يكون على ديجينز بوينت، على أي حال، لقد انطلى تمثيلي على البحارة، لذلك لا داعي للتحديق في وجهي بهذا الشكل، نجحت خطة هروبي».

«باستثناء الجزء الخاص بإفزاع مجموعة المهربين بطريق الخطأ، على ما أعتقد».

مسحت تريس عينيها مرة أخرى. «هل يمكننا الرجوع إلى بداية المحادثة؟ يبدو أننا فوتنا نقطة جوهرية، أنا لا أقصد أن أكون وقحة، لكنك فأر».

«أمر بديهي».

«لكنك تتحدث».

«مرة أخرى، أمر بديهي».

«نعم، لكن ... ولكن كيف؟»

قال: «من خلال فمي، كما يُرجى الرجوع إلى إجابتي السابقة».

عضت شفتها. كان الحوار شهادة على حالتها الذهنية التي دفعتها إلى هذا الحد بالفعل. هل من الوقاحة أن تسأل فأرًا ناطقًا لماذا يتحدث؟ ربما كانت ستشعر بالإهانة إذا سألها أحدهم لماذا يمكنها التحدث.

تحرك الفأر لالتقاط السدادة. «هناك قصة وراء قدرتي على التحدث، على ما أعتقد، لست مهتمًا بروايتها».

قالت تريس: «هاه».

«ماذا؟»

«حسنًا ... أنا لست معتادة أن يقول الناس أشياء من هذا القبيل».

قضم الفأر قليلًا على فلين السدادة، ثم حركها نحو الثقب.

«هل يمكنك ترك الثقب مفتوحًا؟» سألت تريس. «لبعض الوقت؟»

تنهد الفأر، وقد أوشك أن يثبت الفلين في مكانه، لكنه أنزله إلى أرضية القفص مرة أخرى. زادت وتيرة وقع الأقدام في الأعلى، ربما كانوا يغيّرون المسار؟

«إذن ... هم مهربون» قالت تريس.

تشمم الفأر الهواء «نعم، مهربون. أمسكوا بي وأنا ألتهم حصصهم الغذائية، واضطررت إما إلى التخلي عن سرّي والتحدث، أو يتم الإلقاء بي في البحر كآفةٍ. اتضح أنهم يعتقدون أن الفأر الناطق قد يساوي قدرًا من المال. فكرت في تحذيرهم أنه ليس لدي أي شيء مثير للاهتمام لأقوله، لكنني فكرت أنه من غير الحكمة إعطاؤهم سببًا للشك في قيمتي». قضم الفأر المزيد من الفلين. «بسبب الحرب الوشيكة، أصبح كل قبطان ثانٍ مهربًا هذه الأيام؛ لذلك لا ينبغي أن تشعري بالسوء لأنك تورطت مع البعض».

«الحرب؟» سألت تريس.

قال الفأر: «مع الساحرة، باتت ترسل المزيد من السفن للإغارة، والملك يحشد قواته، يقود السفن التجارية مثل طفل يبحث عن المكافآت. بالنظر إلى مدى سهولة أن تجد نفسك مجندًا في هذه الأيام، فلا عجب أن العديد من البحارة يعانون من نوبة أخلاق متدهورة، إذا جاز التعبير».

«هل تعتقد أنه بإمكاني التفاهم معهم؟» قالت تريس. «أن أشرح لهم أنني لست مفتشة في الحقيقة؟»

«أوه، فجأة لم تصبحي مفتشة؟»

«سأكون من يتطلب خروجي من هذا القفص، إن صديقًا لي في ورطة، وأنا بحاجة إلى إنقاذه».

«صديق؟» قال الفأر. «هل تركت منزلك من أجل رجل؟»

ظلت تريس صامتة.

قال الفأر: «عزيزتي، لا يوجد رجل يستحق أن تقتلي من أجله، إذا تمكنت من الهروب، فعليك التوجه إلى المنزل وإلى صخرتك».

قالت تريس: «إنه ليس مجرد رجل، إنه...».

قطعت حديثها عندما سمعت صوت فرقعة صاخبة في مكان ما بالخارج، رفعت تريس رأسها، يا لها من ضوضاء غريبة في المحيط، تساءلت عن ماهيتها.

أجابها القدر عن طريق إرسال قذيفة مدفع بأولوية التسليم مباشرة عبر بدن السفينة.



الرِّفاء



أندفعت قذيفة المدفع محطمة الجدار البعيد وحلقت عبر غرفة الحجز، اصطدمت بالجدار المقابل، ثم انفجرت في شظايا من السيراميك الرطب وما بدا وكأنه خرزات معدنية تناثرت على الأرض واختلطت بشظايا من الخشب المكسور، صخب السطح العلوي بأصوات الأقدام المتدافعة وصراخ الرجال.

«ماذا يحدث؟» صرخت تريس.

تراجع الفأر في الزاوية البعيدة من قفصه، وهو يرتجف وقد انكمش خوفًا. «نحن نتعرض للهجوم!».

قالت تريس: «أعني، ماذا يمكنك أن تراه هناك؟ اذهب وانظر من خلال الثقب!».

على الرغم من أن قذيفة المدفع تركت فتحة ثانية كبيرة إلى حد ما، فإنها لم تكن قريبة من تريس بحيث تسمح لها برؤية ما يحدث في الخارج. في كل مرة تعبر موجة بالسفينة، ينخفض مستوى الفتحة الجديدة، بشكل مثير للقلق، بما يكفي للسماح للأمواج بالتسرب، وكانت تلك الأشياء كل ما يمكنها

رؤيتها بوضوح.

قال الفأر: «هناك سفينة أخرى، لا أستطيع رؤية العلم».

«قراصنة؟» سألت تريس.

قال الفأر: «لن يقدم للقراصنة على الهجوم بالمدفعية، على الأقل ليس قبل المطالبة بالاستسلام أولًا، فما فائدة إغراق كل غنائمك المحتملة تحت محيط من الأبواغ؟ لا بد أن سفينة ملكية اكتشفت أنهم جماعة من المهربين، وقررت التعامل معهم بطريقة متحضرة».

«متحضرة؟» صرخت تريس بينما تردد صدى قذيفة أخرى بالخارج، يبدو أن هذه القذيفة قد أخطأت الهدف لحسن الحظ.

«يتطلب بناء مدفع وجود حضارة، ماذا؟ هل تعتقدين أن المدافع تنمو في الغابات من تلقاء نفسها؟»

كانت تجفل مع ارتطام كل قذيفة مدفع، لكن الخطر المباشر كان من تلك الأبواغ. مع اهتزاز السفينة، غمر المزيد والمزيد منها عنبر السفينة، وغطت الأرض، وامتدت نحوها في بركة خضراء. ماتت بعض الأبواغ، وتحولت إلى اللون الرمادي الباهت، لكن الفضة في السطح أعلاه كانت بعيدة بما يكفي لنجاة الكثير منها. اقتربت من زنزانتها في كل مرة ترتفع السفينة بمرور موجة لتميل الأرضية في اتجاهها.

على الرغم من وصفها أحيانًا على أنها غبار، فإن أبواغ الأثير أكثر سماكة مثل الرمل الناعم؛ لذا فهي لا تطفو في الهواء كما يفعل الغبار بدون نسيم قوي. رفعت تريس طوق قميصها فوق فمها على أي حال، وهي تراقبها برعب.

كانت الأبواغ تتدحرج نحو شظايا قذيفة المدفع المتحطمة، والمياه المتناثرة

على الحائط. في تلك اللحظة، استوعبت تريس الكثير عن الحرب البحرية في بحار الأبواغ. بالفعل، كان من الممكن أن يستخدم العدو قذائف مدفعية معدنية رتيبة، بدلًا من ذلك، استخدموا تلك المصممة لتفتح أثناء انفجارها وتفرغ شحنة من الماء؛ مما يجعل كل قذيفة أكثر إثارة للاهتمام. (بافتراض أنك، مثلي، تجد الموت الخلاق مثيرًا للاهتمام).

لمست بعض الأبواغ الحية الماء في النهاية.

نمت في ومضة، تخيل البرق، لكنه مصنوع من الكروم، لقد تشعبت مجتاحة بعضها بعضًا، وامتدت على الفور في نمط متعرج تقريبًا يبلغ ارتفاعه حوالي عشرة أقدام. وفي غضون لحظات، نمت فوضى من الكروم -بشكل غامض مثل شجرة- في عنبر الحجز، ضغطت «جذور» الكرمة على الخشب تحتها وضغطت «أغصان» الكرمة السقف لأعلى لتحني سطح السفينة العلوي.

لم تتمالك تريس نفسها من تصور بعض هذه الأبواغ تنمو في فمها أو أنفها، قد تكون أخطأت في إدراك بعض الأمور، لكنها فهمت الأساسيات.

دعني أشرح ما يحدث لك في حال افتقارك للخيال، يبدأ الأمر بشعور وكأن يدين تباعد بين فكيك، ثم تعرش الكروم في حلقك، وتنمو أينما وجدت مساحة، وتتسلل إلى رئتيك. إنها تخلخل أسنانك وتثقب خلال حنكك الرخو وتتسلل عبر الجيوب الأنفية. ومع ذلك، فإنها لا تصل عادة إلى عقلك؛ لذلك ستستمتع بالاختناق حتى الموت بينما تشعر بالكروم تمزق عينيك من مقلتيها.

ها قد أطلعتك على الأمر، على الرحب والسعة.

لحسن حظ تريس، سرعان ما نزل أحد البحارة متعثرًا على الدرج وهو

يحمل فانوسًا، كان يرتدي قناعًا من القماش ويحمل بعض المعدات الغريبة، كان من بينها جهاز غريب يسمى صندوق الجبيرة. (عرفت بمحض الصدفة أن الجهاز حجمه مناسب تمامًا لحمل رأس بشري).

أمسك البحار بصندوق الجبيرة بجانب الفتحة الموجودة في هيكل السفينة، ثم صب بحرص بضع قطرات من الماء من أعلى. نمت رقاقة من الحجر الوردي المحمر في الجزء الأمامي من الصندوق. انصهر الحجر شبه الشفاف مثل الكريستال الملبد بالغيوم مع الخشب على الجانبين وسد الفتحة.

قطع البحار الرقاقة من مقدمة الصندوق بسكين فضي. كان على كل سفينة في عالم تريس بحار واحد على الأقل تم تدريبه للتعامل مع الأبواغ واستخدامها، والمعروف باسم الرَّفَّاء.

تابعت تريس البحار في دهشة، لقد سمعت عن تلك المادة: الماورد. مادة تنمو من الأبواغ الوردية الحمراء لبحر الورد، الذي يحد بحر الزمرد، على عكس البحر القرمزي أو بحر الظلمات، كان بحر الورود مأهولًا بالسكان، مما يعني أن أبواغه لم تكن مميتة تمامًا مثل الأبواغ الأخرى. ومع ذلك، بدا الأمر خطيرًا لها، إذا كان نمو الكروم في فمك سيئًا بدرجة كافية، فالبلورات تبدو أسوأ.

ومع ذلك، استخدمها البحار بشكل عرضي لإصلاح السفينة، تاركًا الماورد على الفتحة مثل ضمادة.

هل يمكن استخدام الأبواغ؟ لأغراض عملية؟

وهكذا، دفعت تريس بدرس الحرب البحرية جانبًا لتبدأ درس الاقتصاد النفعي.

ما أن تم ترقيع الفتحة، أنزل الرَّفَّاء الجهاز الذي كان يحمله من على كتفه،

بدا وكأنه عمود مع لوحة مثبتة في نهايته. عندما لوح به على الأرض، تحولت الأبواغ الخضراء المتبقية إلى اللون الرمادي، أدركت تريس أن اللوحة لابد أن تكون مصنوعة من الفضة.

ألقى نظرة سريعة على نمو الكرمة، لكنه قرر على ما يبدو أنها لن تتسبب في المزيد من الضرر في الوقت الحالي؛ لذلك تركها وسار باتجاه الدرجات إلى الطابق العلوي.

«انتظر!» نادته تريس، وهي تمسك بالقضبان أمام زنزانتها. «لابد أن تكون هذه سفينة ملكية، أليس كذلك؟ إذا كانوا يطلقون النار علينا بدلًا من طلب الفدية أو الاستسلام؟ إنهم هنا لإبادة المهربين».

«أتمنى ألا يفعلوا ذلك!» قال لها البحار. «ستغرقين حينها معنا، بغض النظر كونك مفتشة من عدمه»، ثم قام بإيماءة فظة تجاهها، والتي تضمنت على كوكبهم قلب أصابعه في اتجاهها، كما لو كان يقذف الماء.

«هذه وجهة نظري بالضبط!» قالت تريس. «إذا كانوا يعلمون أن هناك مفتشة ملكية على متن السفينة، فهل تعتقد أنهم سيكونون متحمسين جدًّا لإطلاق النار علينا؟»

حدق الرَّفَّاء في وجهها للحظة طويلة، ثم سارع ليمسك بمفاتيح زنزانتها.



اللص



كان المشهد الذي واجهته تريس عند خروجها من حجز السفينة كفيل بإثارة أعصاب تنين، كانت السفينة التي كانت تطلق عليهم النار أقرب بكثير مما توقعت، قريبة بما يكفي لتمييز البحارة على متنها.

كان لسفينة العدو مدفعان، أحدهما في المقدمة والآخر في الخلف. حسنًا، ربما تكون قد سمعت قصصًا عن سفن شراعية كبيرة بها عشرات الأسلحة أو أكثر على كل جانب. لم يصلوا إلى هذا التقدم في عالم تريس؛ كان لدى العديد من السفن مدفع واحد فقط، وكانوا يحتفظون به على منصات دوارة. وغالبًا ما كان لطاقم السفينة قائد مدفعية مسؤول عن التصويب.

وكان لدى سفينة أووتز دريم مدفع صغير واحد في مقدمتها. وفي الوقت الحالي، كانت سفينة المهربين تنحرف بشدة كجزء من مناورة مراوغة، بدلًا من إطلاق النار.

لم تكن تريس ملمة بميكانيكا الإبحار، لكنها ببساطة رأت سفينة العدو تلوح في الأفق وشاهدت بفاه فغر بينما أطلق مدفعها الأمامي قذيفة باتجاه أووتز دريم. اصطدمت ببحر الأبواغ في الميمنة نحو وسط السفينة، وخلافًا لقذيفة المدفع التي اخترقت الهيكل في وقت سابق، تحطمت هذه القذيفة بمجرد الاصطدام الأول، مطلقة حمولتها من الماء في الأبواغ.

انفجرت مجموعة من الكروم على بعد بوصات من تريس، كانت أكثر انحرافًا من الحياة العاطفية لأمين المكتبة (صدقني، إنهم جماعة من غريبي الأطوار)، تلوت محاليق الكرمة متداخلة مع بعضها. ذكرتها بشعرها في الصباح غالبًا، قبل أن تخرج فرشاة شعرها.

أطبقت الكرمات العقدية على السفينة، وأمسكت بسورها، ماتت الكروم التي ضلت طريقها بالقرب من الفضة، كما فعلت الأبواغ، لكنها ظلت ممسكة بالسفينة بإحكام رغم ذلك، يبدو أن طريقة القصف هذه يمكن أن تمزق السفينة، سواء وجدت الفضة أو لم توجد، إما ذلك أو تحكم الكرمات قبضتها على السفينة وتتسبب في جنوحها في مكانها، تاركة إياها غنيمة سهلة.

دُفعت تريس جانبًا بينما اندفع البحارة بفؤوس لمهاجمة الكروم في محاولة لتحرير السفينة. «كان ذلك وشيكًا!» قال القبطان صارخًا لقائد الدفة. «استمر في المراوغة، يا جوستال!» كان يقف في مكان قريب، وكان بإمكان تريس - للأسف - أن تشم أنفاسه وهو يستدير نحو البحار الذي سحبها إلى أعلى. «بحق الأقمار، ما الذي تفعله مع تلك المرأة، يا دورب!».

قال دورب مشيرًا إلى تريس: «إنها مفتشة ملكية، يا كابتن. اعتقدت أنه ربما إذا رأوها، فلن يكونوا حريصين جدًا على إغراقنا، يا سيدي!».

تحول تعبير القبطان من الغضب إلى الإثارة. «دورب، هذه أول فكرة جيدة تخطر ببالك على الإطلاق، اسحبها إلى مؤخرة السفينة. ارفعها عاليًا، إذا كان عليك ذلك، ودعنا نصلي للأقمار، أن يوقف هذا هؤلاء الملاعين!».

تحملت تريس أسلوب التعامل بقدر ما يسمح لها كبرياؤها. سرعان ما جعلوها تقف على الحافة، لتلوح بكل ما لديها من طاقة، على أمل أن يقنعهم المعطف الأحمر بإيقاف نيرانهم.

لسوء الحظ، فإن السفينة المهاجمة إما لم ترها أو لم تهتم؛ لأن قذيفة المدفع التالية اصطدمت بحاجز المؤخرة، وتحطمت وتسببت في فوضى كبيرة في مقصورة القبطان.

سب الرفاء: «يا لها من فكرة غبية»، قال وهو يسحب تريس من يدها لأسفل مرة أخرى للتحقق من وجود المزيد من التسريبات وإعادتها إلى زنزانتها. ترنحت السفينة فور وصولهم إلى الحجز، بشكل غير متوقع.

كان الأمر مزعجًا للغاية لدرجة أن تريس تعثرت وسقطت على وجهها أولًا في الأبواغ الميتة التي غطت أرضية الحجز. اندفعت جالسة على ركبتيها ومسحت الأبواغ بأيدي محمومة، وقد استبد بها الذعر، ماذا لو تبقى عدد قليل من الأحياء؟

تخلى الرفاء عن قبضته. قال: «لا»، مستديرًا ليحدق في الدرج. «لا، لا، لا».

أصدرت السفينة أنينًا من حولهم، وانزلقت وتوقفت، ثم ساد الهدوء، حتى الخطى ظلت ثابتة واستغرق الأمر منها بعض الوقت لإدراك ما حدث، توقف الفوران – الفقاعات التي تسيل الأبواغ.

كانت السفينة قد جنحت في الأساس في المحيط نفسه، إلى أن تبدأ نوبة فوران أخرى، سيظلون محاصرين، عالقين في مكان واحد.

«لا، لا، لا، لا!» صاح الرفاء متناسيًا تريس وصعد الدرج.

أدركت تريس سبب ذعره على الفور تقريبًا، كان مدفع العدو موجهًا نحوهم مباشرة، ولم يعودوا يتحركون.

بعد ثانية، انفجرت قذيفة مدفعية عبر الهيكل الخلفي، ومزقته تاركة ثقبًا كبيرًا. صرخت تريس وغطت رأسها بينما كانت قذيفة المدفع تحلق فوقها لتصدم مباشرة بمقدمة السفينة، ولكنها لم تنفجر كما كان من المفترض.

انكمشت تريس على الأرض، في انتظار الطلقة التالية المحتومة، لكنها -في خضم الرعب- قررت أن تتعامل مع الموقف بعملية. استدارت مبعدة حطام الخشب من على ظهرها، ونظرت من خلال الفتحة الجديدة الكبيرة في الهيكل. أبصرت سفينة العدو عبر المحيط، والتي كانت أيضًا عالقة في مكانها على بعد مئات من الأمتار.

أصبح البحر، في الأساس، صلبًا، على الأقل في صلابة الكثبان الرملية المصنوعة من أبواغ قاتلة، لكن كان من الممكن السير عليها. وبينما قد يرغب الأشخاص على متن سفينة العدو في إلحاق الأذى بها، فإن أولئك الموجودين على متن سفينة أووتز دريم قد فعلوا ذلك بالفعل.

لم تستغرق وقتًا طويلًا لتحسم أمرها. حبت على الأرض واندفعت متجاوزة الكرمة النامية في الحجز، متوجهة إلى الحفرة.

«خذي حذرك!» نبهها الفأر من الخلف بينما سقط شيء عليها، عندما رآها الرفاء تتحرك، قفز من على السلالم المكسورة أعلاه لمهاجمتها.

قال: «مهلًا، هذه فكرة جيدة، ستعطيني هذا المعطف، وسأذهب لأتشفّع لحياتي عند هؤلاء الأشخاص». بدأ في تمزيق ملابسها، بحثت تريس بجنون حولها عن سلاح. تمسكت أصابعها بشيء معدني وأرجحته لأعلى، وهوت به على رأس البحار، سقط مثل جذع شجرة.

لهثت تريس بأنفاس متقطعة، ثم نظرت إلى ما كانت تمسك به، قدح من البيوتر.

مهلًا، كان قدحها من البيوتر.

حادثت نفسها. هاه، لم أكن أتوقع أن أكون محقة في هذا الشأن.

بحثت حولها ورأت أغراضها في مكان قريب، بالإضافة إلى بعض الأشياء الأخرى التي تقاذفها الانفجار. صرخت عندما اصطدمت قذيفة مدفع أخرى بالسفينة في مكان ما فوقها، مما جعل الرجال يصرخون بدورهم.

أمسكت بحقيبتها، ثم تعثرت في قفص الفأر. قالت: «لقد نسيت أمرك تقريبًا، آسفة».

قال: «إنه فشل بشري شائع، لا تجعليني أبدأ في الحديث عن الطريقة التي يتحدث بها جنسكم عن نوعي».

قالت تريس: «خذ حذرك، ليس لدي أي شيء لفتح هذا القفص، لذا ...» رفعت قدحها المعدني الثقيل، ثم أرجحته لأسفل وكسرت القفل الصغير.

تحسس الفأر طريقه بأنفه، ثم قفز على ذراعها وصعد على كتفها، حادثت نفسها بأنه مع وجود الأبواغ على امتداد الأرضية فلن تلومه لجلوسه عاليًا.

«اسمي هو ... « سعل الفأر. «اسمي ... هوك، سيفي هذا الاسم بالغرض؛ لأنني لا أعتقد أن اسمي الحقيقي سيكون قابلًا للاستخدام في عالمكم».

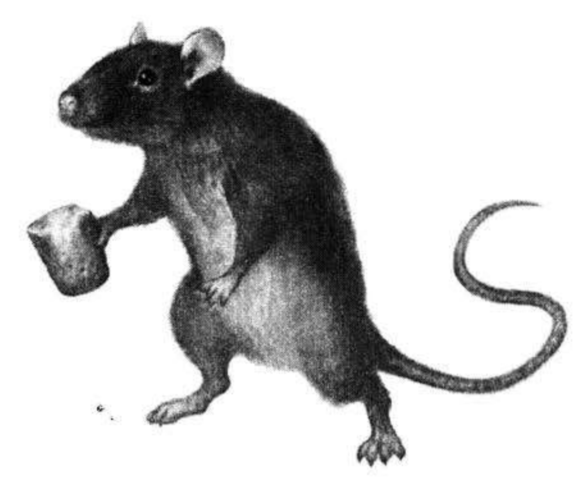
«هل هو شيء بلغة الفئران لا يستطيع الإنسان قوله؟»

«شيء من هذا القبيل»، قال وهي تستدير وتتجه نحو الفتحة في جدار السفينة، «وأنت؟»

قالت: «تريس».

قال هوك: «حسنًا، يا تريس، هل أنت مستعدة للقيام بشيء مجنون تمامًا؟»

قالت تريس، ثم تخطو خارجة إلى الأبواغ: «لسوء الحظ، أصبح هذا تيمة حياتي».





الغراب



انقبضت الأبواغ تحت قدميها.

حاولت تريس التنفس ببطء وبأنفاس قصيرة، حتى مع رفع قميصها مرة أخرى على فمها، شعرت أنها مكشوفة، كل ما يتطلبه الأمر هو بوغ واحد.

حلقت قذيفة مدفع أخرى فوق السفينة، وسحقت جدارها. ومع ذلك، سارت بحذر وببطء؛ لتفادي ركل الأبواغ في الهواء. كان الخطو بثبات وتأنٍ هو السبيل، على الرغم من أن جسدها كله كان مشدودًا من القلق، علمًا بأنه في أي لحظة يمكن أن تبدأ الأبواغ في الفوران مرة أخرى، وحينها ستغرق حتى الموت.

«يا له من مشهد»، قال هوك بهدوء من على كتفها.

خاطرت تريس بإلقاء نظرة خاطفة. لسبب ما بدأ سرب من طيور النورس في التجمع حول أووتز دريم. أصيب عدد من البحارة جراء القذيفة الأخيرة وسقط رجل من جانب السفينة.

كان ينزف.

كان الرجل المسكين يلوح ويصرخ، وهو يرش الدم على الأبواغ التي نمت في رشقات نارية، لتتموج وتطبق على السفينة مثل مخالب هائلة لحيوان بحري ضخم غير مرئي. اختفى البحار وسط الانفجار المتشعب للكروم، لكنها كانت تسمعه يصرخ هناك في مكان ما وهو يسحق، ليتدفق منه المزيد من الدم لإطعام المحيط الجائع. غاصت النوارس في الكروم وهاجمتها بحماسة واضحة، ما كان ذلك؟

استدارت تريس وتقدمت إلى الأمام مواصلة السير خطوة بعد خطوة نحو سفينة العدو. على الرغم من أن السفينة قد بدت لها قريبة وهي في الحجز، فإنها الآن بدت على بعد أميال.

قالت هوك من على كتفها: «لم يسبق لي فعل هذا من قبل، أقصد المشي على الأبواغ».

قالت تريس: «وأنا أيضًا»، وهي تحاول كبح وتيرة تنفسها.

استمري في التقدم إلى الأمام.

قالت هوك: «لا أريد إزعاجك، لكن الفوران من المحتمل أن يبدأ مرة أخرى في أي لحظة الآن ...».

أومأت تريس برأسها، كانت تعرف الأساسيات. يحل سكون طويل بين الحين والآخر، ربما كل يوم أو يومين، عندما يتوقف الفوران لعدة ساعات، أحيانًا كان يتوقف لمدة يوم أو أكثر، رغم أن هذا كان نادرًا.

استغرقت أغلب فترات السكون بضع دقائق فقط، كما لو كان الفوران مغنيًا في أعماق المحيط، يتوقف لفترة وجيزة لالتقاط أنفاسه.



حاولت أن تسرع من وتيرتها، لكن السير على الأبواغ كان صعبًا بشكل مخادع. انزلقت قدميها، والأقمار فوقها، لم تكن قد ربطت حذاءها بإحكام، يمكنها الشعور بالأبواغ تدخل في حذائها، وتنزلق بين ألياف جواربها وتحتك بجلدها.

كم مقدار العرق الذي يتطلبه تنشيط إحداها؟

استمري في التحرك فقط.

خطوة بعد خطوة.

سمعت وقع أقدام تقترب ونظرت خلفها، رأى أحد المهربين ما تفعله وهروبها نحو سفينة العدو، كان يركل الكثير من الأبواغ لأعلى. توترت واستعدت، وقد استبد بها القلق من أن...

تعالى صوت فرقعة. انفجرت فوضى من الكروم من عينيه، وسقط وهو يتلوى، وقد تنامت الكروم وعرشت من حوله. استمرت تريس في السير، لكن بحار آخر مر بها بخطى واثقة وثابتة، أسرع مما تجرأت عليه.

كانوا في منتصف الطريق إلى السفينة الأخرى.

تضرعت لقمر الزبرجد راجية منحها القليل من الوقت.

رأت البحارة يتجمعون على مقدمة السفينة الأخرى، لقد توقفوا عن إطلاق النار، لم يعودوا بحاجة إلى أسلحة، تشققت سفينة المهربين وظهرت في البعد حيث نما عدد هائل من الكروم على الجانب الذي سقط فيه البحار النازف.

شعرت تريس بعيون البحارة الأعداء عليها، شخص واحد على وجه الخصوص، يقف مباشرة عند مقدمة السفينة، مرتديًا قبعة ذات ريش أسود طويل، بدا نذير شؤم. رفع الشخص بندقية طويلة مستهدفًا تريس مباشرة.

استدار الشخص قليلًا، اهتزت البندقية، حين استغرق صوت الطلقة جزءًا من الثانية. سقط البحار الذي كان يمشي نحو السفينة أمام تريس، انبثق من دمائه عريش غريب آخر من الكروم الملتوية.

توقفت تريس، وقد استعدت لطلقة ثانية. عندما لم تأت، بدأت في التقدم مرة أخرى. لقد فات أوان العودة إلى الوراء، حيث كان الموت المؤكد ينتظرها في هذا الاتجاه على أي حال.

لذلك استمرت في التقدم إلى الأمام، شاعرة بتوتر رهيب، كأنها تشد وتر قوس للوراء بدون توقف. ظلت في انتظار فرقعة طلقة، أو أن تبدأ الأرض في الفوران تحت قدميها، أو أن تنزلق الأبواغ في أنفها أو تلمس إحدى عينيها.

عندما وصلت أخيرًا إلى ظل سفينة العدو الراسية، شعرت أنها كانت تمشي لأبد الدهر بسكين موضوع على عنقها.

حدق البحارة في وجهها، لم تر أي زي موحد، ربما باستثناء ذلك الشخص في المقدمة. غطى الظل على وجوههم مع القبعات ذات الريش الأسود، بينما كانت الشمس تشرق بالقرب في الأفق، وقد أخذت في رسم ظلال هياكلهم البشرية.

لم ينبس أحد ببنت شفة، لم يعرض البحارة مكانًا لتريس على سفينتهم، لكنهم لم يطلقوا النار عليها أيضًا؛ لذلك في غياب أي خيارات أخرى، ربطت تريس كيس الأقداح بحزامها وحاولت إيجاد طريقة للتسلق. لسوء الحظ، كان عارضة السفينة وهيكلها من الخشب البني الناعم، وبعد عدة محاولات عرفت تريس أن التسلق سيكون مستحيلًا.

قال هوك: «أنا آسف، أعتقد أنني أخطأت، هؤلاء في الأعلى لا يشبهون رجال الملك، يا تريس، أتمنى ... أتمنى أن أكون...».

تأملت تريس حالهم للحظة، ثم قامت بمسح إصبعها لإزالة أي أبواغ قبل وضعها في فمها. بصقت ببعض اللعاب على ظفر إصبعها، وأخذت نفسًا عميقًا، ووجهته نحو الأبواغ على بعد أمتار قليلة.

نمت «كرمة» متوسطة الحجم من الأبواغ، ملتفة حول نفسها لتصل إلى السماء. أمسكتها تريس، وشعرت باللفائف الخشنة تحت أصابعها مثل الحبل.

ثم تسلقتها.

«هذا هو الحل!» قال هوك، وهو يندفع من كتفها إلى أعلى على طول الكرمة. «هيا يا تريس، عجلي!».

بذلت قصارى جهدها، وسحبت نفسها نحو عشرة أقدام حتى استطاعت بالكاد الوصول إلى الكوة الموجودة على جانب السفينة. قفز هوك على كتفها مرة أخرى عندما أمسكت ببدن السفينة وتشبثت به، كانت ترى اسم السفينة هناك مرسومًا بأحرف ذهبية. كروز سونج [أغنية الغراب].

على سطح السفينة، كان بعض البحارة يضحكون ويتفكهون ببعض اللامبالاة المرحة حول نضالها. كانت الأبواغ تتدفق من حذائها وهي معلقة هناك، تبحث عن موطئ قدم على حافة صغيرة تمتد على طول الجزء الخارجي من السفينة أسفل الكوة.

قال هوك: «ها قد بدأت، استمعي».

بدأ كطنين منخفض يهز السفينة، بعد لحظات، بدأت الأبواغ تتخبط وارتفع الهواء من خلالها. ترنحت السفينة وكادت أن تلقي بتريس بعيد عن بدنها، سرعان ما سمعت الأوامر أعلاه بنشر الأشرعة.

انزلق سلم كرمة تريس بعيدًا، وغرق في المحيط السائل فجأة. ألقت نظرة خاطفة على أووتز دريم المنقلبة على جانب واحد، جرتها عرشات الكروم التي التفت حولها إلى أسفل. ارتفع بدن السفينة، ثم هبط، ثم انقلب، قبل أن يغرق في النهاية.

تكاثرت الكروم مثل الفطر حول الحطام المتلاشي بينما تعالى عويل الرجال، وقد استحالوا مدادًا للمحيط، وحلق سرب النوارس حولهم. أبحرت سفينة تريس الحالية بالقرب من الحطام، لكن سفينة أووتز دريم قد تلاشت عن الوجود قبل وصولهم إليها. بقي ثلاثة فقط من أفراد الطاقم وحيدين، اثنان على قطعة من الحطام، وواحد في قارب نجاة صغير، كان الثلاثة يرتدون الأوشحة على أفواههم، وعينهم مغمضة.

انطلقت طلقتان من على سطح السفينة، مما أسفر عن مقتل الاثنين على الحطام. لسبب ما، تركت كروز سونج الرجل في قارب النجاة على قيد الحياة، الناجي الوحيد من طاقم المهربين، كانت ... نهاية سيئة لرحلة تريس الأولى.

تشبثت ببدن كروز سونج، شعرت بأصابعها وذراعيها تحترق ألمًا، ولكن لم يكن هناك أي مقابض يدوية في الأعلى؛ حيث امتد جانب السطح وحافة السور، كانت تشك في أن لديها القوة أو المهارة للوصول إلى هناك، حتى لو تمكنت من التسلق.

لذلك صمدت وتشبثت قدر استطاعتها، في حين استمرت السفينة في التأرجح. أطلت الوجوه بشكل دوري من أعلاه، وهي تنظر إلى أسفل لترى ما إذا كانت لا تزال هناك، ثم يتواصلون مع زملائهم ليبلغوا عن وضعها.

ما زالت هناك.

ما زالت هناك.

همست: «اذهب، أنت فأر، يمكنك التسلق».

قال: «أشك في ذلك».

«بإمكانك المحاولة».

«صحيح، بإمكاني ذلك».

تشبثا معًا، لما بدا وكأنه دهر. أخيرًا بدأت في الانزلاق. صرخت عضلاتها المتألمة، و...

ارتطم حبل على الخشب بجانبها، حدقت فيه، خدرًا، متسائلة عما إذا كانت لديها القوة لتسلقه، وبدلًا من ذلك اختطفته وتعلقت به حامية رأسها بذراعيها.

لحسن الحظ، بدأ الحبل يتحرك، سحبه العديد من البحارة أعلاه. وعندما كانت عالية بما فيه الكفاية، مدّ رجل ضخم ذو جدائل سوداء يده إلى أسفل وأمسكها من تحت ذراعيها، ثم ألقى بها على سطح السفينة. ماتت الأبواغ الأخيرة على ملابسها حيث قتلهم الفضة الموجودة على سطح السفينة.

قال بحار آخر، كانت امرأة قصيرة: «قالت الكابتن كرو أنه يمكننا سحبك إذا صمدت خمس عشرة دقيقة، لا أصدق أنك فعلت ذلك، أنت شخص قوي».

سعلت تريس وهي ملقاة على سطح السفينة، وقد أطبقت ذراعيها المرهقتين حول جسدها. خمس عشرة دقيقة؟ كان ذلك خمس عشرة دقيقة فقط؟ لقد شعرت وكأنها ساعات طويلة.

قالت تريس بصوت أجش: «لست قوية، فقط عنيدة».

قالت البحارة: «هذا أفضل».

فتاة بحر الزمرد

التزم هوك الصمت بحكمة، رغم أنه كشر عن أسنانه نحو بحار حاول الإمساك به.

«ما أنتم؟» سألت تريس البحارة. «رجال الملك؟ قراصنة؟»

قال بحار آخر: «لا هذا ولا ذاك، سنضع ألوان الملك قريبًا، لكنها كذبة، إنه وجهنا الجميل، يخيط دوج لنا علمًا مناسبًا لذا سيكون جاهزًا في المرة القادمة، أسود مع أحمر».

أسود مع أحمر؟ كانوا قراصنة في نهاية المطاف، هل كان هذا تقدمًا أم تراجعًا في كونها بين المهربين؟ ولماذا أغرقوا تلك السفينة الأخرى، ولم يطلبوا فدية مطلقًا؟

شقت شخصية قوية طريقها بين البحارة، كانت الكابتن كرو [الغراب] – بالحكم من الريش في قبعتها– وقد ارتسم على وجهها خطوط قاسية، بجلد أسمر وعبوس عميق مثل المحيط. كانت كرو... حسنًا، لقد عرفت القليل من الأشخاص مثلها، قاسية للغاية ومليئة بالغضب. كانت مثل المسودة الأولى لبني آدم، قبل أن تضاف إليها مؤثرات ملطفة مثل الفكاهة والرحمة.

قالت القبطان: «ألقوها في البحر».

«لكنك قلت إنه يمكننا سحبها!» قالت المرأة القصيرة.

«هذا ما قلته أنا، وهذا ما فعلته أنت، الآن أرميها».

لم يتحرك أحد مطيعًا أوامرها.

صرخت القبطان: «انظروا إلى مدى هزالها، هل هي حقًّا مفتشة؟ لقد عرفت القليل من المفتشين، اختاروا الوظيفة لسهولتها، لم تعمل يومًا في حياتها، ولا يوجد مكان لأي شخص لا فائدة من ورائه على متن سونج».

بدا القراصنة مترددين، لماذا يهتمون بها؟ لكن ترددهم كان فرصة؛ لذا سحبت تريس- التي أصابها شعور بالدوار من الإرهاق- نفسها عبر سطح السفينة، وجاهدت للوقوف على ركبتيها، لقد رصدت دلوًا وفرشاة هناك، وبأسرع ما يمكن لذراعيها المؤلمتين أن تعمل أخرجت الفرشاة وبدأت تنظف سطح السفينة.

راقبتها الكابتن كرو. كانت الأصوات الوحيدة المسموعة هي الأبواغ الغليظة وحركة فرشاة الكشط ذهابًا وإيابًا.

أخيرًا، سحبت القبطان قنينة شراب من حزامها وتناولت رشفة طويلة، لقد بدت قنينة لطيفة، يحيط بها جلد على الجوانب الخارجية مطبوع عليه أنماط من الريش، حتى وهي مستنفذة، كانت تريس تقدر وعاء الشرب الجيد.

ابتعدت كرو ولم تصدر أوامر أخرى للتعامل مع تريس. تراجع القراصنة إلى مواقعهم ولم يقذفها أحد من على سطح السفينة.

واصلت العمل على أي حال، استمرت في الفرك بينما همس هوك بكلمات التشجيع في أذنها. عملت حتى جاء الليل، حتى خدرت من التعب، استقرت أخيرًا متكومة في زاوية في سطح السفينة ونامت.


3



خادم السفينة



13

أستيقظت تريس في اليوم التالي وقد غطى الشعر وجهها. شعرت بتيبس مثل فوط الغسيل التي تأخر دورها في الغسل كثيرًا. ابتعدت عن سطح السفينة، وحاولت ربط شعرها، وتذكرت بشكل غامض أنها تعرضت للركل أثناء الليل حيث طلب منها التحرك حتى لا تكون في مسار الأقدام. لقد فعلت ذلك، لكنها رُكلت لتستيقظ مرة أخرى لنفس السبب في مناسبتين منفصلتين. لا يبدو أن هناك أي مكان على سطح السفينة لن تكون فيه بعيدة عن الأقدام.

ما تبادر إلى ذهنها بعد ذلك من أفكار لم يكن عن الطعام، وليس عن شرب شيء، أو أي من الاحتياجات البيولوجية أخرى،

كانت عن تشارلي.

لم تشعر تريس قط بمدى سذاجتها مثلما شعرت الآن، هل كانت تعتقد حقًا أنها تستطيع ببساطة مغادرة منزلها وإنقاذ شخص ما؟ على الرغم من أنها لم تطأ سفينة من قبل؟ شعرت بالغباء. والأسوأ من ذلك أنها شعرت بالألم

تجاه تشارلي، الذي لابد أنه في مكان ما خائفًا ومحاصرًا ووحيدًا، كان عذابه هو عذابها.

قد يبدو أن الشخص الذي يشعر بالآخرين محكوم عليه بالفشل في الحياة، ألا يكفي الشعور بألم شخص واحد؟ لماذا يجب أن يشعر شخص مثل تريس بألم اثنين أو أكثر؟ ومع ذلك فقد وصلت إلى قناعة مفادها أن الأشخاص الأكثر سعادة هم الذين يتعلمون كيف يشعرون بشكل أفضل. يتطلب الأمر ممارسة، كما تعلم، وبذل جهد، وأن أولئك الذين (في مرحلة متأخرة من الحياة) كانوا يختبرون مشاعر شخصين أو ثلاثة أو ألف شخص مختلف ... حسنًا، اتضح أن لديهم أفضلية تميزهم عن غيرهم طوال الوقت.

إن التعاطف هو قائد الخسارة العاطفية، لكنه يأتي بثماره في نهاية المطاف.

لم يكن ذلك حينئذ مصدرًا للراحة لتريس البائسة على ظهر السفينة، التي أدركت أنها- قبل أن تفكر في مساعدة تشارلي - كان عليها أن تجد طريقة لإنقاذ نفسها. ربضت مقابل سور السفينة، وسمعت شخصًا ما من الطابق السفي ينادي: «على المناوبة الأولى أن تتجه للمائدة».

همس هوك لها بشيء وهرع للتحقق، ذكّرتها بطنها المتذمرة بأن آخر شيء كان أكلته أو شربته هو الماء الذي جعلها ترى الحمام؛ لذلك وقفت على قدميها وهي تتألم «المائدة» تعني الطعام على متن سفينة، أليس كذلك؟ ربما لن يلاحظوا إذا هي...

تقدمت نحوها هيئة بشرية نحيلة ترتدي معطفًا عسكريًا مفكك الأزرار، كان رجلًا أصلع، اتصل قفاه بذقنه، كان الرجل يرتدي سيفًا على أحد الجانبين ودس مسدسين في حزامه، هو لاغارت، قائد المدفعية، الضابط الأول على السفينة. كانت عضلاته نحيلة، وقد دل ذلك العنق الطويل والرأس الأصلع أنه قد يكون لديه صقر في مكان ما في شجرة عائلته.

تفحص تريس من رأسها حتى أخمص أصبعها. قال لاغارت: «يمكن للمناوبة الأولى أن تأكل، هؤلاء هم الرجال والنساء الذين يستعدون لتولي مهمة الإبحار لهذا اليوم، هل ستعملين على الأشرعة أم الصواري اليوم، أيتها الفتاة ذات الشعر العسلي؟»

«... لا» همست تريس.

قال لاغارت: «المناوبة الثانية ستأكل بعد ذلك، لقد عملوا طوال الليل، ويمكنهم تناول الطعام بمجرد وصول من يحل محلهم».

«و ... في أي مناوبة أكون؟» سألته تريس بهدوء.

قال لاغارت: «تقول الكابتن أنك المناوبة الثالثة»، ثم ابتسم وهو يغادر.

في النهاية تم استدعاء المناوبة الثانية، وتبادل البحارة الأماكن. انتظرت تريس، وهي مترنحة ومتيبسة، انتظرت، وانتظرت، قد يقول المرء إنها كانت بمنزلة النادلة في ذلك الصباح.

لم يتم استدعاء المناوبة الثالثة، شكت تريس أنها كانت الوحيدة «المعينة» بذلك؛ لذلك بذلت قصارى جهدها لتجاهل معدتها، وبدلًا من ذلك راقبت القراصنة أثناء العمل، ربما إذا تعلمت مهامهم، فستكون قادرة على توقع كيفية الابتعاد عن طريقهم.

أمضت الصباح وهي منشغلة للغاية، ولحسن الحظ لم يبدُ أن معظمهم منزعج من وجودها، لم يكونوا طاقمًا مرحًا، لكنهم كانوا على ما يبدو طاقمًا متفانيًا، لمحت تريس عدة مرات كابتن كرو وهي تراقبها من الجانب وهي ترتشف مشروبها من القنينة، أشعرتها نظراتها المحدقة وكأنها بقعة عنيدة على النافذة لابد من إزالتها.

من الأفضل أن تشغل نفسها في العمل. فتشت في حقيبتها، وتفحصت فناجينها، ثم أخرجت فرشاة شعرها. بعد أن ضربت شعرها للخضوع وحبسه في جديلة، التقطت دلوها وفرشاة الأرض، وعندها أدركت أنه لم يعد لديها المزيد من الماء أو الصابون.

وقفت هناك مثل حمقاء قبل أن يقترب منها شخص ما بحوزته دلو جديد، شكرته، ثم أدركت - في البداية - أنها تعرفت عليه. كان هويد، خادم السفينة من الويسلبو، لم يكن هناك أي خطأ في شخصيته الشريرة ورأس شعره الأبيض النقي. على الرغم من أن الجميع أطلق عليه لقب «الفتى الخادم»، فإنه بدا في الثلاثينيات من عمره ويتمتع بعقل سليم، حتى فتح فمه.

«لتتي بالتأكيد تحب اللعق!» قال لها، ثم ابتعد بمشية مقوسة جعلته يتمايل مثل بطريق مخمور.

نعم، إنه أنا.

لا، لا أريد أن التحدث عن ذلك.

حين ابتعدت للذهاب لدس أربطة الحذاء في أنفي، انتقلت تريس إلى سطح مؤخرة السفينة، حيث كانت حركة البحارة أقل. هناك شرعت تعمل مرة أخرى، تبين أن تريس كانت ماهرة جدًّا في تنظيف الأرضيات. كان الأمر أشبه بغسل النوافذ، إن لم تكن ثمة حاجة للرؤية من خلالها في النهاية. في الواقع، كان الأمر سهلًا للغاية، وربما كان مهينًا لمواهبها في التنظيف، مثل استئجار جراح عالمي لقطع القشرة الخارجية من شطيرة.

كانت تراقب الطاقم أثناء استراحاتها، استطاعت تمييز وجوه أخرى- مثل هويد- كانت تعرفها، ولو بشكل غامض. غالبًا ما ينزل من السفن التي تمر على الصخرة عدد قليل من أفراد الطاقم، سيحصل هؤلاء على تصريح من المفتشة وسيتم استئجارهم من قبل سفينة زائرة أخرى.

لم يكن هذا أمرًا صعبًا بشكل ملحوظ، لقد كان طاقمًا مختلطًا، مجموعة متنوعة من الأعراق وتقريبًا عدد النساء مساوٍ للرجال. لم يكن ذلك غير شائع في البحار البوغية، يمكنك اصطحاب من يشاء الإبحار، فإن التحيز الجنسي يتدخل في الأرباح.

كيف انتهى الأمر بطاقم عادي لامتهان القرصنة؟ وليس مجرد قراصنة عاديين، بل قراصنة متعطشون للدماء يغرقون سفينة دون أن يطالبوا بالغنائم؟

حادثت تريس نفسها أنهم لم يتكبدوا حتى عناء إخفاء اسم سفينتهم، وتركوا بحارًا واحدًا حيًا، كان هناك شيء غريب في هذه السفينة.

«كنت أرغب في غرغرة قمصاني!» قلت لها في أثناء مروري بجانبها، أشرت إليها بكلتا يدي وغمزت. «لكني أكلتها الأسبوع الماضي».

أمالت تريس رأسها، وهي تراقبني أتجول بعيدًا. هرع هوك في أثناء ذلك عبر سطح السفينة وارتقى كتفها.

«ما خطب هذا الرجل؟» سأل الفأر بهدوء.

همست تريس: «لست متأكدة تمامًا، لكني التقيت به من قبل، إنه لطيف، وإن كان ... غريب الأطوار».

«إن الناس الذين يجمعون الطوابع غريبو الأطوار يا تريس، لا يحدث ضجة غير ذوي العقول الفارغة، وهذا الرجل لا يدرك حتى كم الضجيج التي يحدثه».

تنهد.

حسنًا، دعوني أطلعكم على حقيقة ما حدث، لقد تقابلت- حسنًا، كان الأمر تصادمًا أكثر إن صح التعبير- مع الساحرة قبل بضع سنوات. دعونا نقول فقط أنها حصلت على شيء أحتاج إليه، لكن تحريره منها كان أكثر

صعوبة مما كنت أتصور. وما كانت النتيجة ذلك؟ ألقت الساحرة إحدى لعناتها الشهيرة عليّ. مهلًا، حتى أكثر الراقصين رشاقة يتعثر بين الحين والآخر.

لقد ذهبت لعنتي بحاسة التذوق، وكذلك بحواسي الأربع الأخرى.

«ماذا وجدت؟» سألت تريس الفأر.

قال هوك: «لقد خطفت بعض الطعام، لكنني لم أتمكن من الحصول إلا على حصص تناسب حجم الفئران، آسف، كما أنهم حقًّا يخيطون علم القراصنة، أعتقد أنهم مستجدون في هذا المجال، ربما لهذا السبب أغرقوا السفينة الأخرى عن طريق الخطأ».

«لا» همست تريس، وقد عادت إلى دعك الأرضية. «لقد تركوا بحارًا واحدًا على قيد الحياة عن قصد، ولم يخفوا اسم سفينتهم، لم يغرقوا تلك السفينة بسبب قلة الخبرة...».

« ... لقد فعلوا ذلك ليعلنوا أنفسهم»، وافقها هوك. «هي طريقة القراصنة إذن لإرسال منادٍ للإعلان عن بيع في متجر الإسكافي، بحق الأقمار المعتمة، لقد قتلوا ما يقرب من ثلاثين شخصًا».

تفحصت تريس الطاقم المستغرق في العمل في مواقعهم. في وقت سابق، استشفت الانهماك والتركيز في حركتهم، الآن رأت شيئًا آخر، نوعًا من الرغبة الشديدة في فقدان أنفسهم في العمل، ربما لتجنب التفكير فيما حدث في اليوم السابق.

حادثت نفسها مرة أخرى أن هناك خطأ جسيمًا ما في هذه السفينة.

لسوء الحظ، قبل أن تمعن التفكير في هذا الأمر، كانت هناك أمور أخرى - ذات طبيعة متعلقة بالفضلات- تتطلب اهتمامها.



عشيرة الدوج



كانت كروز سونج أكبر بكثير من سفينة تريس السابقة، كانت أووتز دريم عبارة عن سفينة شراعية ذات صاريتين، على غرار ما يمكن أن نطلق عليه اسم بريجاتين. أما كروز سونج فكانت عبارة عن سفينة شراعية كاملة بأربعة صواري، صممت للإبحار بسرعة وبها مساحة مخازن واسعة للشحن وطوابق متعددة، وتعرف باسم الجاليون الصغير ذات طاقم كبير إلى حد ما بالنسبة لعالم تريس، يتألف من ستين شخصًا.

لن أطلب منكم أن تتذكروا جميع أفراد الطاقم، في الغالب لأنني لا أتذكرهم جميعًا.

لذلك، لتسهيل كل من السرد وسلامتنا العقلية الجماعية، سأقوم فقط بتسمية الأفراد الأكثر أهمية، أما البقية، بغض النظر عن الجنس، فسأعرفهم باسم «دوج».

ستندهش من مدى شيوع هذا الاسم بين العوالم. أوه، قد يختلف في تهجئته من عالم إلى آخر لكنه موجود دائمًا. بغض النظر عن اللغويات المحلية، ينتهي الآباء دائمًا بتسمية أطفالهم دوج. لقد أمضيت ذات مرة عشر سنوات على كوكب كانت الحياة العاقلة الوحيدة عليه عبارة عن مجموعة من الكائنات الشبيهة بالفطائر والتي تعبر عن نفسها من خلال إطلاق غازات البطن. وأصدقك القول كان أحدهم اسمه دوج، رغم أنني لابد أن أعترف أن له رائحة مميزة جدًا عند «نطق الاسم».

«دوج» هي التسمية المكافئة للتطور الالتقائي. وبمجرد وصوله لمجتمع ما فإنه يبقى، إنه مرشح لغوي عظيم، ودعوة للانتباه. بمجرد أن يصل المجتمع إلى ذروة الدوج، فقد حان الوقت ليجلس في الزاوية ويفكر فيما ارتكبه.

على أي حال، كانت هناك امرأة واحدة على الأقل تُدعى دوج على متن كروز سونج، لكنني لا أتذكر أي امرأة كانت؛ لذلك لأغراض هذه القصة، فإن اسمهم جميعًا دوج.

اقتربت تريس من أحدهم وسألت بتردد عن مكان المرحاض. وجهها دوج نحو الدرج لأسفل، موضحًا أن «السطح الأوسط مخصص للطاقم ذي الرتب الدنيا».

بوجود هوك على كتفها، بدأت في الاستكشاف، كان للسفينة أربعة مستويات، أطلق الدوج على أعلاها الذي كان مكشوفًا للسماء «السطح العلوي». احتوى «السطح الأوسط» على أماكن مثل قاعة الطعام ومستودع الأسلحة، وغرف صغيرة للضباط. كان «السطح السفلي» مكانًا ضيقًا حيث يضع معظم البحارة أسرتهم.

تحته كان عنبر الحجز، مساحة تشبه المغارة لتخزين الغنائم الكثيرة التي سينهبها القراصنة بالتأكيد بمجرد اكتشافهم كيفية إيقاف غرق كل شيء في قاع المحيط.

كان هناك العديد من مقصورات المراحيض ذات سباكة سليمة، حمدًا للأقمار. اختلست نظرة خاطفة إلى واحدة غير مأهولة ورأت مرحاضًا، لكن لا يوجد حمام. كيف يستحم الطاقم؟ كانت تتمنى بشدة أن تستحم، حيث لا تزال تعثر على أبواغ ميتة في ثنايا ملابسها. كانت القشعريرة تسري في جسدها لمجرد التفكير في مقدار الأبواغ التي حطت عليها.

تغوطت في الغرفة الضيقة التي بها فتحة صغيرة في الحائط لإدخال الضوء. انتظر هوك بأدب في الخارج دون أن يُطلب منه ذلك، مما يثبت أنه مهذب للغاية بالنسبة لفأر. بعد أن شعرت بتحسن قليل، خرجت تريس وتركته يقفز مرة أخرى على كتفها. ماذا يفعلون بالنفايات البشرية هنا على المحيط؟ حفظ كل شيء من أجل التسميد في الجزر؟ ماذا عن الرحلات الطويلة؟ يبدو إلقاؤها في البحر أمرًا خطيرًا، ناهيك عن أنه مقزز، ما إجمالي الخطر المقزز؟

في طريق عودتها إلى الطابق العلوي سمعت صوتًا قادمًا من غرفة بالقرب من المقدمة، تباطأت وتلصصت لترى رجلًا يقف خلف منضدة، كان الرجل الضخم ذا الجدائل التي سحبها على سطح السفينة. مهلًا، عندما أقول «ضخم»، ربما تخيلته أنه ذو جسد ثقيل، أو ربما سمين، لقد كان كلاهما معًا، نعم، لكن لم تفِ الكلمتان فورت -مسؤول الإمداد والمؤن بالسفينة- حقه.

لم يكن فورت ضخمًا ممن يقال لهم: «مرحبًا، عليك بالإكثار من تناول السلطة»، أو «مرحبًا، هل تمارس الرياضة؟» كان ضخمًا ليسأل: «مرحبًا، كيف تمكنت من الدخول من الباب؟» لم يكن الأمر أنه سمين، على الرغم من أنه كان يحمل بضعة أرطال إضافية، بدا وكأنه شخص بني باستخدام مقياس مختلف عن بقية البشر. يمكن للمرء أن يتخيل قوى الخلق بعد أن انتهت من صنعه وهي تقول: «ربما بالغنا قليلًا في بعض الأجزاء»؛ ولذا قرروا استقطاع عشرة بالمائة من كل البشر للحفاظ على الموارد.

كان فورت يحمل قذيفة مدفع خزفية صغيرة في يديه، كانت أصابعه في كلتا يديه متشابكة، إما من إصابة قديمة أو مرض خلقي، كانت حالته تؤثر على مهارته.

كان برفقة امرأة بالغة الطول ترتدي سترة وسروالًا، وشعرها قصير جدًّا. كان لدى آن (نجّارة السفينة) أنف مثل النبلة وحملت ثلاثة مسدسات، ليس واحدًا أو اثنين، في أماكن متفرقة من جسمها.

سلم فورت إلى آن قذيفة المدفع، وعلى الرغم من أنها بدت خفيفة في قبضته، فإن الطريقة التي حملتها بها أشارت إلى خلاف ذلك، ثم التقط ما بدا أنه لوح خشبي بواجهة سوداء، بلغ قدمين عرضًا وأقل ارتفاعًا إلى حد ما.

«هل فحصت كل القذائف في مستودع الأسلحة؟» سألت آن.

نظر فورت إلى الجزء الخلفي من لوحه الخشبي وأومأ.

«ألم تجد أي عيوب أخرى؟» سألت آن.

نقر فورت على الجزء الخلفي من اللوح الخشبي، وظهرت كلمات على المقدمة، «ولا عيب واحد، كل واحدة قمت بفحصها يوجد بها فتيل مناسب، موقوت بحيث تنفجر قبل أن تغرق سفينة، ومن ثم يمكن أسرها ونهبها».

خبطت آن على العداد بصوت مكتوم. «حسنًا، إذا لم يكن أي من القذائف الأخرى معيبة، فلا داعي للقلق بشأن إغراق سفينة أخرى عن طريق الخطأ».

نقر فورت مرة أخرى على شيء ما في الجزء الخلفي من اللوح باستخدام مفصل إصبعه، وما أن فعل تغيرت الكلمات.

«لا يعجبني ما حدث يا آن، كان من المفترض أن نطلق قذائف مدفعية لتعيق السفينة، لا أن تغرقها. أكره أننا انتهينا بقتل هؤلاء الناس، وأنا لا أحب حقًّا كيف تصرفت القبطان بعد ذلك، لا منطق من وراء ذلك».

«ماذا تقول؟» سألت آن.

«أقول إنه لا يعجبني ما حدث على الإطلاق، إنه ليس نوع القرصنة الذي اتفقنا على الانخراط فيها».

قالت آن: «لا يعجبني ذلك أيضًا، لكن فات الأوان لتغيير رأينا، هذا أفضل من التجنيد على الأقل».

«هل تعتقدين ذلك؟ أحقًّا؟ لا أريد أن يكون موت هؤلاء الناس على عاتقي، يا آن».

لم ترد آن. أخيرًا وقفت بشكل مستقيم وتوجهت نحو الباب. شعرت تريس بلحظة من الذعر، ولم ترغب في اكتشافها وهي تتنصت، واندفعت عائدة إلى المقدمة.

استمعت تريس إلى آن وهي تصعد على الدرجات بالخارج. «ما رأيك فيها قيل، يا هوك؟» همست.

قال: «لا أعرف، يبدو أنهم لم يقصدوا إغراق أووتز دريم، وهذا أمر منطقي، ولكن بعد أن اخترقت قذيفة المدفع بدن السفينة وبدأت في الهبوط، لابد أن القراصنة قرروا إنهاء المهمة».

أومأت تريس برأسها، رغم أنها لم تكن تعرف ما الذي يجب أن تفكر فيه بشأن كل هذا.

وأضاف هوك: «لا يزالون مذنبين، ما الذي كانوا يعتقدون أنه سيحدث عند تحولهم للقرصنة والهجوم؟ لا يمكنهم ببساطة أن يقرروا أن يحزنوا لقتل شخص ما بعد محاولتهم سرقته، هؤلاء القراصنة خارجون عن القانون الآن يا تريس».

قالت: «لا يبدو ذلك عادلًا، هل للملك أن يشنق مسؤول الإمداد والمؤن حتى لو لم يطلق المدفع؟»

«القانون واضح في حكم جناية القتل على وجه الدقة، من يرتكب جريمة ويموت شخص ما جراءها، تعد جريمة قتل، حتى لو لم يكن ينوي ذلك، سوف تطاردهم البحرية الملكية كثيرًا، ومن الأفضل ألا نكون على متنها عندما يتم القبض عليهم، فقط في حال لم يصدق المسؤولون أنك أسيرة».

لقد كان اقتراحًا حكيمًا، كانت هذه السفينة فخًا مميتًا، إما أن القبطان ستتعب منها في النهاية، أو سينتهي بها المطاف ميتة في القتال المحتوم. كان لديها مهمة تقوم بها لإنقاذ تشارلي، ولا يمكنها أن تضيع الوقت.

لكن كيف تهرب؟ لا مجال للقفز من السفينة، بالإضافة إلى ذلك حذرها حلقها الجاف من أن لديها مخاوف أخرى أكثر إلحاحًا. إذا لم تسمح لها القبطان بتناول الطعام، فلن تعيش طويلًا بما يكفي لتهرب.

تسللت إلى غرفة مسؤول المؤن مرة أخرى ونظرت إلى الداخل لتجد الرجل الضخم وقد أدار ظهره نحو الباب، كان يرتب الأشياء في صناديقه الكثيرة خلف المنضدة. هل تستطيع سرقة شيء لتأكله؟ أو ربما يستطيع هوك فعل ذلك من أجلها؟ نظرت إليه.

«ماذا؟» سأل بصوت عالٍ.

نظرت إليه تريس، مشيرة له بالصمت.

قال هوك: «أعتقد أنه أصم، عندما كنت أتجول في وقت سابق، سمعت أحدهم يذكر أن مسؤول المؤن لا يسمع».

في الواقع واصل فورت عمله، ولا يزال بعيدًا عنهم، لم يلاحظهما وهما يتحدثان.

قال هوكن: «التقيت بشخص أصم ذات مرة، لقد كانت راقصة في وواحدة من أفضل الفرق تحت الأقمار، أفضل من رأيته على أي حال. كنت أستمتع بالوقت معها، لكن انتهى الأمر بالمقاطعة بطريقة مفاجئة إلى حد ما. يا له من أمر مؤسف، لكن مثل هذه الأمور تحدث، كما أنني لم أستطع التحدث معها، يرجع ذلك - كما تعلمين- لأشياء تتعلق بمن وما أنا عليه. لم أرغب في الكشف عن نفسي».

اقترحت تريس: «ربما سيكون هذا وقتًا جيدًا لعدم التحدث، إلا إذا كنت تريد أن يدرك أحد القراصنة أن لديهم فأرًا ثرثارًا على متن السفينة يمكن بيعه».

قال: «نعم، رأي سديد، لقد أمضيت كل تلك الأسابيع مختبئًا على متن سفينة المهربين قبل أن يمسكوني، شعرت بالوحدة هناك، من الجيد أن يكون لديك شخص ما للدردشة معه...».

نظرت إليه.

« ... سأتوقف عن الحديث».

همت تريس بالمغادرة، ولكن أثناء قيامها بذلك أصدر أحد الألواح صريرًا تحت قدميها. استدار فورت على الفور في اتجاهها، ضاقت عيناه عندما رآها. ربما لم يكن قادرًا على السماع، لكن كل ضابط تموين عرفته على الإطلاق لديه نوع من الحاسة السادسة عندما يتسلل الناس بالقرب من بضائعهم.

شعرت تريس وكأنها ستنفجر تحت وهج الرجل الهائل الحجم. لكنه كان الشخص الذي سحبها إلى سطح السفينة، وقفت في مكانها حتى رفع لوحه الغريب عن المنضدة.

كتب عليه <تعالي هنا يا فتاة>.

علمت تريس أن الهرب لن يفيد؛ لذا شعرت وكأنها كانت تدخل عرين التنين وهي تدلف إلى الغرفة.



مسؤول الإمداد والمؤن



تفحصها فورت من رأسها وحتى أخص أصبعها، وفرك ذقنه بأصابع غليظة، أخيرًا نقر على ظهر لوحه وظهرت الكلمات التالية لها.

<ما اسمك؟>

«تريس، يا سيدي».

<وهل أنت حقًّا مفتشة ملكية؟>

«أنا...» ابتلعت تريس ريقها. «لا، المعطف ليس ملكي، لقد سرقته».

كتب فورت: <أنت الآن قرصانة، ما تسرقيه هو ما ملكك>.

قالت: «أنا لست قرصانة».

كتب فورت: <أنت قرصانة ما دمت تريد الاستمرار في التنفس، لا تخبري أي شخص أنك لا تنوين الانضمام إلينا، هذا النوع من الحديث قد ينهي حياة المرء برميه في البحر>.

أومأت تريس: «شكرا لك يا سيدي».

<لا تناديني بسيدي، لقد تركت هذا خلفي منذ زمن طويل، اسمي فورت، هل أطعمك أي شخص حتى الآن؟>

قرقرت معدتها ردًّا على كلامه، هزت رأسها نفيًا.

انحنى فورت أسفل منضده، ثم أخرج صحنًا، كانت الحافة الخزفية الرفيعة مثبتة بين أول إصبعين من يده. في وقت سابق، اعتقدت أنه سيفتقر إلى البراعة بسبب أصابعه التي بدت وكأنها مكسورة في عدة أماكن، وتركت للشفاء دون جبائر، ومع ذلك فقد نجح بشكل جيد. استغرقت بعض الإجراءات مزيدًا من الجهد، وارتجفت يداه، لكن من الواضح أنه كان قادرًا، حتى لو كان عليه فعل الأشياء بشكل مختلف عن الآخرين.

وضع الطبق أمامها، ثم أخرج قدرًا، وكشطه ما بأسفله، ووضع بعض البطاطس المهروسة البنية على الطبق، تبع ذلك ببعض البيض قليل النضج.

حادثت تريس أنها بقايا طعام الإفطار، الفضلات التي لم يأكلها الآخرون.

تريثت قليلًا قبل أن تأكل أي شيء بصعوبة، راقبها، ثم ألقى بشوكة على الطبق. عدت ذلك إذنًا للأكل وأقبلت على الطعام.

كان مروعًا.

شابه ملمس قشور البطاطس المهروسة المطبوخة أكثر من اللازم صدف الخنفساء، تناغم مع البيض، الذي ذكرها بالسائل داخل أصداف الخنفساء. لم يكن عليك أن تكون طباخًا ماهرًا لتعلم أن هذا الطعام كان سيئًا، لكن بالنسبة لشخص مثل تريس كان الأمر أسوأ. كان إطعامها بقايا الطعام الباردة والمقرمشة- القطع الصغيرة التي لم تلتصق بها أي توابل- أشبه بحبس عازف البيانو في غرفة بمفرده، ليبث فيها أداء سيئًا لمزمار الكازو يعزف روائع الموسيقى العالمية بإيقاع غير متناغم.

لم تشك تريس، كانت بحاجة إلى تناول الطعام، ولن ترفض الشيء الوحيد الذي عُرض عليها، على الرغم من أن مذاقه أقل شبهًا بالطعام وأقرب لما استحال الطعام إليه.

لإبعاد تفكيرها عن «الوجبة»، أومأت تريس برأسها ناحية اللوح الذي استخدمه فورت للتواصل. «هذا جهاز غريب».

ناولها كوب ماء (كوبًا نحاسيًّا جميلًا يفتقر إلى الزخرفة، لكنه لمع عند وقوع الضوء عليه). كان مذاق الماء على الأقل نقيًّا ونظيفًا، شربته بلهفة.

كتب فورت. <هو جهاز غريب فعلا، أليس كذلك؟ تظهر لي كلماتك على الظهر أثناء حديثك، حتى إنه يمكن أن يفرق بين الأصوات ويضع علامة أمامها للإشارة إلى أن شخصًا جديدًا يتحدث>.

قالت تريس: «يا للعجب».

الآن، قد تتساءل لماذا لم يقرأ فورت الشفاه. أنا -مثل العديد من الأشخاص القادرين على السمع- افترضت ذات مرة أن هذا هو الحل السحري للأشخاص الذين يتنقلون في عالم السمع، ولكن في حال لم تسمع- التورية مقصودة- لا تعمل قراءة الشفاه كما هو الحال في القصص، إنه عمل فوضوي ومليء بالتخمين ومرهق للغاية، حتى للخبراء.

اعتاد فورت على الاعتماد عليه على أي حال، مع تحمل دقته المنخفضة، حتى استطاع أن يجد سبيله إلى هذا الجهاز، كان لديه العديد من الوظائف، بما في ذلك بعض الوظائف التي لم يعرفها بعد. على سبيل المثال، ستظهر الكلمات أكبر إذا كتب عددًا أقل منها، وستشغل كل المساحة على اللوح، ولكن عندما كتب رسائل أطول، تتقلص الكلمات لتتناسب مع مساحة اللوح.

قال فورت: <إنه لأمر رائع، حصلت عليه من مشعوذ قبل بضع سنوات>.

«مشعوذ؟» قالت تريس.

قال فورت: <كان من وراء النجوم، زميل بالغ الغرابة، استخدمها لترجمة الكلمات إلى لغتنا، لقد قمت بمقايضة جادة للحصول عليها، بدا أنه تفاجأ عندما أدرك مدى فائدة ذلك، من الصعب بالنسبة لي أن أكتب بالطريقة المعتادة للقادرين على السمع، حيث لا يمكنني تمييز بعض الحروف>.

بالمناسبة، هذا «المشعوذ» من وراء النجوم ليس أنا، لطالما تساءلت عمن تبادل الجهاز مع فورت، إنها تقنية نالثينية مزودة بدوائر اتصال تنبئية إدراكية.

قلب فورت اللوح على ظهره، موضحًا لها كيف يمكنه النقر على الحروف وإنزال قوائم الكلمات الشائعة. توقع اللوح احتياجاته، وقدم خيارات محتملة. كان يعمل بسرعة خارقة، ويبدو أنه قادر على تخمين أفكاره.

كتب فورت: <لا بد لي من تركه في الشمس مرة واحدة في الأسبوع، وإلا يتوقف عن العمل، لا يستجيب سحره لأي شخص آخر سواي؛ لذلك لا تفكري في سرقته>.

قالت تريس: «لن أجرؤ على ذلك، أعني ... لقد كنت لطيفًا معي».

كتب فورت: <هذا ليس لطفًا، إنها مقايضة>.

«لماذا؟»

قال فورت: <لم أقرر بعد، عودي لتناول طعامك يا فتاة>.

للأسف، فعلت.

وبينما كانت تحاول الاستمرار في تناول الطعام بشجاعة، دخلت بحارة أخرى، كانت هذه هي المرأة القصيرة التي وقفت أمام القبطان في اليوم السابق، كان شعرها أسود ملبدًا، سارعت إلى الداخل ألقت شيئًا ما بعنف على المنضدة، وبالكاد كانت تنظر إلى تريس.

كيف أصف سالاي، قائدة الدفة؟ كان من مسقط رأس فورت، من جزر لوبو في بحر الياقوت، حيث تطلق أبواغ الزفير دفقة من الهواء عند سقيها، كانت لديها قسمات مرهفة، لكنها لم تكن هشة على الإطلاق.

قالت: «حسنًا يا فورت، سأعطيك ثلاثة».

وضعت ثلاثة أقراط صغيرة على الطاولة.

كتب فورت: <قلت لك يا سالاي، لا أستخدم الأقراط، إنهم يصيبونني بالحكة في أذني>.

قالت سالاي: «أربعة إذن»، ووضعت آخر على المنضدة. «لقد فزت بهم في لعبة أوراق مع أحد الدوج، ولكن هذا كل ما أملك. إنها من الذهب الخالص، لن تحصل على صفقة أفضل في أي مكان».

عند كلمة «صفقة»، انتعش فورت بشكل واضح. فحص الأقراط.

قالت سالاي: «هيا يا فورت، أنا بحاجة للعودة إلى العمل».

فرك فورت ذقنه، ثم حك رأسه المجدل، ثم أخرج شيئًا من أسفل المنضدة وأعطاه إياها ساعة جيب.

قالت سالاي: «أخيرًا»، وهي تنتزعها من المنضدة وتسرع خارجة.

فحص فورت الأقراط واحدًا تلو الآخر وهو يبتسم. صحيح أنه لم يكن ليستخدم الأقراط، لكن ... لقد كانت صفقة جيدة. والصفقات الجيدة، بالنسبة لفورت، كانت مكافأة في حد ذاتها.

تمكنت تريس من ابتلاع آخر الطعام، شعرت أنها تستحق ميدالية لذلك، أعطاها فورت كوبًا آخر من الماء، ثم صرفها، ولكن ليس قبل أن يكتب: <عودي بعد تناول الجميع لوجبة العشاء، ربما سيكون لدي شيء لك لتأكليه>.

أومأت تريس شاكرة، في طريقها للخروج، مرت بي وأنا أحجل قليلًا قبل أن أدلف وأستقر على كرسي أمام طاولة فورت. أحضر مسؤول المؤن المزيد من «الطعام» وأعطاني إياه.

«طعامي المفضل!» قلت.

كتب فورت: <لا تحاول أكل الطبق هذه المرة، من فضلك>.

أقبلت على تناول الطعام، وأنا أدندن لنفسي مستمتعًا بالنكهة.

ماذا؟ نعم، يمكنني تذوقه، لماذا لا أستطيع. . .

أوه، الحواس الخمس؟ نعم، قلت إنني فقدت حاسة التذوق بسبب لعنة الساحرة، هل ظننت... أنني أعني بذلك حاسة التذوق هذه؟ أوه، يا لك من أحمق غر.

لقد أخذت حاسة التذوق الأخرى لدي، الحاسة الأهم.

تلاشى معها شعوري بروح الدعابة، وشعوري باللياقة، وإحساسي بالغاية في الحياة، وشعوري بالذات، هذا الأخير كان أكثرهم إيلامًا؛ لأنه يبدو أن إحساسي بالذات مرتبط مباشرة بسلامة العقل. أعني، إن ذلك بديهيًا.

وهكذا، أقدم لكم هويد، خادم السفينة.

على أي حال، يقلص هذا عدد الأشخاص الذين تحتاج إلى تذكرهم في الوقت الحالي. كابتن كرو، الضابط الأول (ضابط المدفعية) لاغارت. فورت مسؤول الإمداد والمؤن، آن النجارة، وسالاي قائدة الدفة، كل شخص آخر هو دوج، على ما أعتقد...

صحيح، كدت أنسى أولام، لكن بما أنه ميت، بالكاد يمكن عده.



الجثة



بفضل معدتها الممتلئة «بالطعام»، تمكنت تريس من العودة إلى السطح العلوي واستئناف تنظيفها بقوة متجددة، لم تكن تعرف المدة التي مرت منذ أن قام شخص ما بغسل هذا السطح بشكل صحيح، لكنه كان مغطى بطبقة من الأبواغ الميتة التي تحولت إلى اللون الأسود بسبب الأوساخ. استغرق الأمر عملًا شاقًّا للوصول إلى الخشب الفعلي؛ ولذا كان تقدمها بطيئًا.

قال هوك من كتفها: «يا للعجب»، مقارنًا بين الخشب الداكن القاتم في الألواح الأمامية والألواح البنية النابضة بالحياة التي نظفتها، وكانت الخطوط الفضية تتلألأ بين العديد منها، هذا يحدث فرقًا حقًّا».

«تلتصق حثالة الأبواغ بأي شيء بشكل أساسي» قالت تريس وهي تنظف بعناية. «لم أجد قطّ علاجًا أفضل من الصابون والجهد، هذا الخشب سوف يحتاج إلى بعض القار عندما أنتهي منه».

عرفت تريس الكثير عن البحارة بالنسبة لشخص لا يعرف شيئًا عن الإبحار، لقد استمعت إلى العديد من الرجال أو النساء وهم يشكون هموم الحياة، والتي - مما سمعته - كانت حياة مليئة بالكدح. تم تكليف العديد من البحارة خارج الخدمة في الحانة بواجب التنظيف من قبل؛ لذلك عرفت تريس أن القار سوف يغلف الألواح ويملأ الفجوات، بالإضافة إلى أنه يجعلها أقل انزلاقًا. عليك دائمًا بمسح الألواح الخشبية بالعرض، ليس على طولها أبدًا، حتى لا تحدث الشقوق في المنتصف.

كان رأسها مليئًا بمعارف حكيمة من هذا النوع: معارف الشكاوى. كما علمها التسلسل الهرمي لطاقم السفينة، يكون معظم البحارة متساوين باستثناء الضباط. لقد قابلت كل الضباط باستثناء اثنين: جراح السفينة، والرفاء. لم تفهم قطّ هذا المصطلح الأخير، حتى رأت الرجل يستخدم الأبواغ على السفينة السابقة.

مر منتصف النهار، وتجاهلت معدتها حيث بدأت في القرقرة مرة أخرى، يتوجب عليها أن تكون أكثر حكمة من ذلك، بعد ما فعلته بها في الإفطار. لحسن الحظ، اكتشفت من أين تحصل على مياه عذبة من البراميل الموجودة في المخزن، وسُمح لها بشرب كوب في كل مرة تذهب فيها لإعادة ملء دلوها.

خلاف ذلك، استمرت في الفرك. للأسف كان هذا العمل - مثل تنظيف النوافذ - عملًا رائعًا للتفكير. وكان عقلها -كما أعتقد أننا أوضحنا سابقًا- مليئًا غالبًا بالأفكار.

هذا من أكبر الأخطاء التي يرتكبها الناس: افتراض أن الشخص الذي يقوم بعمل وضيع لا يحب التفكير، العمل الجسدي عظيم للعقل؛ لأنه يترك كل الوقت المتاح للتفكر في الكون، تتطلب الأعمال الأخرى مثل المحاسبة أو الكتابة القليل من الجسد، لكنها تستنزف الطاقة من العقل.

فتاة بحر الزمرد

إذا كنت ترغب في أن تصبح راويًا، فإليك تلميحًا: قم ببيع عملك، وليس عقلك. أعطني عشر ساعات في اليوم لتنظيف سطح السفينة، ويا للقصص التي يمكنني تخيلها. أعطني عشر ساعات من الجمع والطرح، وكل ما سأتخيله في النهاية هو سرير دافئ وأمسية خالية من التفكير.

جال عقل تريس فيما قاله مسؤول المؤن عن قذائف المدفع. ما الخطأ الذي حدث؟ أسر الأمر لبها للغاية لدرجة أنها عندما اختارت القسم التالي لتنظيفه، وضعت نفسها بالقرب من المدفع الأمامي.

بعد لحظات ناداها دوج: «أنت! أيتها الفتاة الجديدة! نعم أنت، تعالي، أنا بحاجة لمساعدتك!».

كانت قلقة، لكنها مهذبة للغاية لتعترض، وضعت تريس دلوها وفرشتها جانبًا. نفضت الغبار عن ركبتيها، ثم تبعت هذا الدوج وهو يقودها إلى أسفل. هنا جمع بعض قذائف المدفع في سلة.

قال: «احملي هذا»، مشيرًا إلى برميل صغير بالقرب من الحائط.

التقطته تريس بتردد، ووجدته أخف مما كانت تتوقعه. «ما هذا؟» سألت.

قال الرجل: «أبواغ زفير من بحر الياقوت».

كادت أن تسقط البرميل من الصدمة. أبواغ؟ برميل كامل منها؟ فهمت لماذا طلب مساعدتها. في الواقع، اختار بحماس حمل قذائف المدفع الأثقل بكثير، تاركًا لها مهمة سحب الأبواغ.

قالت: «لماذا لدينا برميل صغير من الأبواغ؟»

أوضح دوج: «لإطلاق المدافع، لا يمكن مجرد ضرب قذيفة مدفع! أنت بحاجة إلى شيء لإطلاقها، لإرسال القذيفة لتطير في الهواء».

الأبواغ؟ يستخدمون الأبواغ لإطلاق المدافع؟ حملت البرميل بحذر أكثر عندما بدأوا صعود الدرج.

قال دوج: «في العادة، ستكون هذه وظيفة وييف القديمة، بالنظر كيف تتضمن استخدام الأبواغ وكل هذه الأمور».

«وييف؟ هل هو رفاء السفينة؟»

«كان». تبدل تعبير دوج. «كان زميلًا لطيفًا، أحببت وجوده في الجوار، لقد كان فظيعًا في الخداع؛ لذلك كنت أهزمه دائمًا في اللعب».

«ماذا حدث؟»

«لم يرد أن يصبح قرصانًا».

«هل نزل في الميناء؟»

قال دوج: «أوه، لقد نزل، لكن لم يكن هناك ميناء ... نظر إلى الكابتن كرو، التي كانت تقف على السطح وهي تحتسي من قنينة شرابها، والريح تأرجح الريشة السوداء في قبعتها.

«قتلته القبطان؟» همست تريس.

قال دوج: «كان الوحيد الذي وقف في وجهها عندما اقترحت هذا الاتجاه المهني الجديد. حسنًا، يقبع وييف في قاع المحيط الآن. ينتاب الرفاؤون الكثير من الجنون، فهم يقضون دائمًا وقتًا أطول مما ينبغي حول الأبواغ، لكنه لم يكن يستحق ذلك لمجرد طرح تساؤلات كنا جميعًا نفكر فيها».

صمت، على الأقل عرفت الآن لماذا لم تقابل رفاء السفينة حتى الآن، والآن أنت تعرف لماذا لم أخبرك أن تتذكر اسمه، أيضًا لا، إنه ليس الجثة. حسنًا، إنه جثة لكنه ليس الجثة على متن السفينة، هناك جثة أخرى، حاول المتابعة.

قاد دوج تريس إلى مكان قائد المدفعية، لم يكن لاغارت موجودًا في الوقت الحالي، وكان المدفع مثبتًا في مكانه بكل تجهيزاته، بدأ دوج بتفريغ قذائف المدفعية في السلة.

قال لتريس: «حسنًا، سأذهب للحصول على المزيد من قذائف المدفع لإعادة ملء المخزون، هل ترين ذلك البرميل الكبير هناك؟ إنه مبطن، مثل البرميل الذي تحمليه، بمواد تحمي الأبواغ من الفضة، نحن بحاجة إلى أبواغ حية لإطلاق قذائف مدفعية على أشخاص آخرين.

«رغم ذلك، يحتاج قائد المدفعية إلى تلك الأبواغ في أكياس صغيرة يمكنه وضعها في المدفع بسهولة أثناء القتال، ستجدين أكياسًا فارغة في البرميل، ما عليك القيام به هو صب تلك الأبواغ في الأكياس - دون انسكاب أي منها- وربطها. كما عليك أن تقومي بالسكب داخل البرميل الأكبر؛ بسبب البطانة التي تحمي الأبواغ».

تحرك دوج بعدم ارتياح واضح على سطح السفينة، ويداه في جيوبه، وهو ينظر إليها.

قالت تريس: «حسنًا».

«هل لديك أي اعتراض؟» سأل.

هزت رأسها، كانت تفضل عدم القيام بالعمل؛ لأنها كانت خائفة من الأبواغ، لكنها أيضًا لن تدع هذا الخوف يزعج الآخرين. بعد كل شيء، كانت الأحدث على متن السفينة، كان من المنطقي أن تقوم بالعمل الخطير الذي لا يريده أحد.

تحركت تريس نحو البرميل وأزاحت الغطاء، كانت هناك بعض الأكياس المملوءة في الجزء السفلي، وبعض الأكياس الفارغة في شبكة صغيرة متصلة بالخارج.

«أنت... حقًّا لن تعترضي؟» سألها دوج. «اعترضت عندما جعلوني أفعل ذلك».

قالت تريس: «ربما تكون أذكى مني، هل لديك أي نصائح؟»

«هناك قمع وبعض النظارات الواقية وقناع، بخلاف ذلك... حاولي ألا تقلقي، هذه ليست أخطر أنواع الأبواغ، يجب أن تكوني بخير».

يمكن أن تحدث الكثير من المخاطر أثناء نطق: «يجب أن تكوني»، لكن تريس كانت على قيد الحياة لأن الطاقم قاوم رميها في البحر عندما طلبت القبطان ذلك. من الأفضل أن تظل عند حسن ظنهم بها؛ لذا أومأت تريس رأسها ببساطة وذهبت إلى العمل.



النجارة



فتنت الأبواغ الزرقاء تريس، كانت أول أبواغ قمر آخر، وبحر آخر، تراها عن قرب. كانت جميلة وبلورية تقريبًا. حقيقة أنهم من المحتمل أن يقتلوها بسهولة جعلتهم أكثر جاذبية، مثل سيف صنعه حداد بارع بالحب والتفاني والعرق، بحيث يمكنك يومًا ما القيام بأبشع الأفعال على الإطلاق بأجمل الطرق.

أرسلت هوك بعيدًا بكلمات هادئة، حتى لا تعرضه للخطر، ثم تلت صلاة إلى القمر وفكرت في تشارلي. إن كسب ثقة الطاقم فيها هو أفضل طريقة لتحقيق هدفها المتمثل في الوصول إليه. لا بد أن يقودها أداء العمل الذي لا يريدون القيام به نحو الفرص، حتى تنظيف النوافذ قادها إلى الفرص، كان أهمها مقابلة تشارلي في المقام الأول.

كل ذلك في الاعتبار، ومع وجود القناع على فمها والنظارات الواقية على عينيها، شعرت فقط بقليل من الرعب عندما أنزلت البرميل الصغير في البرميل الأكبر. كانت هناك خطافات على الجانب بحيث يمكن تثبته،

وجعلت الحنفية الموجودة في أسفل البرميل الأبواغ تقطر بمعدل دقيق، مثل سكب الجعة. كانت يدها لا تزال ترتجف وهي تمسك بالقمع وتملأ الكيس الأول بالأبواغ الزرقاء المتوهجة.

ربطته ووضعته بعناية على قاع البرميل بالقرب من الأكياس الأخرى، انتظمت في إيقاع العمل، تملأ الأكياس، مع الحرص على عدم انسكاب أي بوغ. لقد كان عملًا متوترًا، أسوأ بكثير للتفكير من تنظيف سطح السفينة، لكن تريس- كونها تريس- لم تستطع تجنب الأفكار تمامًا.

تساءلت بالضبط عما تفعله الأبواغ لإطلاق المدفع، تساءلت عما إذا كانت هناك أنواع أخرى من الأبواغ يتم تخزينها في مستودع أسلحة السفينة ومن يتحكم فيها، إذا كان الرفاء قد مات.

وتساءلت أيضًا عن سبب وجود قاع زائف للبرميل الكبير.

لقد ميزت القاع الزائف بسهولة. بعد كل شيء، لقد أمضت عدة أسابيع حتى أصبحت خبيرة في بدع البراميل وكيفية إخفاء الأشياء فيها. في أحد البراميل التي أعدتها لمغادرة الصخرة، قاموا بتثبيت مزلاج سري مخفي ... هناك.

وجدته بالقرب من طوق البرميل، قطعة صغيرة من المعدن يمكن هزها. عندما حركتها، فتحت فتحة أكبر بقليل من قبضة اليد في قاع البرميل. سقطت بضعة أكياس من الأبواغ في الداخل، والتقط أنفاسها، عندما مدت يدها لسحبها للخارج، لامست أصابعها شيئًا آخر.

قذيفة مدفع، مخبأة في التجويف أسفل القاع الزائف للبرميل، كان هناك متسع لثلاثة أو أربعة منهم بالداخل.

سحبت الحقائب بسرعة وأعادت ضبط الجهاز، عندما عادت إلى عملها، كانت يدها ترتجف أكثر. تسابقت الأفكار في رأسها بسرعة كبيرة.

كان بإمكانها تخيل ما حدث، أدركت الحقيقة.

كان قائد المدفعية مسؤولًا عن تحميل السلاح وتوجيهه وإطلاقه. تم إعطاؤه عددًا من قذائف المدفع، لكن من كان يراقبه ليرى ما إذا كان قد استبدلها بواحدة من المخزنة في المقصورة السرية بدلًا من ذلك؟ ربما لا أحد.

لقد راهنت على أن قذائف المدفعية المخفية تلك لن تجتاز تفتيش فورت، وأنها لا تطلق لإعاقة حركة الهدف بالكروم.

لقد أغرق لاغارت -قائد المدفعية- تلك السفينة عمدًا.

لكن لماذا؟ لم يكن الوضع برمته منطقيًا لعدة أسباب، لم يقتصر الأمر فقط على عدم النهب، لماذا الاهتمام بإخفاء حقيقة أنهم كانوا سيغرقون السفينة؟ لماذا اللجوء للحيلة؟

كان منطقيًا فقط إذا. . .

قال صوت خلف تريس: «إذن، مهمة أبواغ الزفير، تساءلت عمن سيجبره دوج على فعل ذلك، الآن بعد أن مات ويف».

التفت تريس لترى المرأة النحيلة ذات الأنف الحاد والشعر القصير التي كانت تتحدث إلى فورت في وقت سابق. كانت آن نجارة السفينة.

كل سفينة تحتاج إلى نجار جيد. أوه، يمكن أن يقوم الرفاء بترميم الهيكل بمجموعة سريعة من الأبواغ، لكن الفضة تآكلت حتى الماورد الصلب بأكمله بمرور الوقت. لا يستغرق الرجل وقتًا طويلًا في عرض البحر ليبدأ في التفكير في مدى رقة الحاجز بينه وبين الموت المحقق، مجرد لوح خشبي. إذا كنت تريد يومًا ما أن تواجه حقيقة فنائك وجهًا لوجه، فستجد الفرصة على

ظهر سفينة في الليل، حيث ستحدق في الظلام اللامتناهي خلفك، عندها ستدرك أن الظلام تحتها بطريقة ما أثقل وأوسع وأكثر رعبًا.

وهنا ستدرك أن وجود نجار جيد على ظهر السفينة يستحق أن تدفع له أجرًا مضاعفًا، في الواقع إنها سرقة بحتة.

قالت تريس وهي تصنع كيس آخر: «لا أمانع في أداء الواجب، سأفعل ذلك مرة أخرى إذا طلبوا ذلك». كانت لا تشعر بالارتياح لطريقة سير آن بجوار المدفع، وهي تتحسس بأصابعها على طول سطحه المعدن، لقد كانت تتحدث إلى فورت عن قذائف المدفع، في أي فريق كانت؟ كم عدد الفرق هنا؟ ما الذي ورطت نفسها فيه؟

للأسف، لم تعرف نصف هذه الورطة بعد.

قالت آن: «لا تقولي أشياء من هذا القبيل يا تريس، البحارة لا يتطوعون للواجب، إن هذا غير تقليدي بكل معنى الكلمة».

«أنت تعرفين اسمي؟» تساءلت تريس.

ردت آن: «تنتقل الأخبار على متن السفينة، أنا آن، نجارة السفينة، ومساعدة قائد المدفعية».

مساعدة لاغارت؟ لعقت تريس شفتيها، وهي متوترة، ثم توقفت، لم يكن لعق أي شيء فكرة جيدة عند التعامل مع الأبواغ، صنعت كيسًا آخر.

هل رأتها آن عندما وجدت الحجيرة المخفية؟

«ما رأيك؟» قالت آن، وهي تستقر على صندوق قريب، تضع يدًا على أحد مسدساتها كما لو كانت تجد راحة في ذلك. «أنت قرصانة الآن يا تريس، إنه تحول جانبي غير متوقع في الحياة».

قالت تريس: «أفضل من الانقلاب غير المتوقع لأسفل».

قالت آن: «نعم، هذا أفضل».

أرادت تريس طرح المزيد من الأسئلة، لكنها شعرت بأنها تطفلت عليها كثيرًا، لقد أنقذها هؤلاء الناس، من كانت لتطالبهم بتفسيرات؟ لذا بدلًا من ذلك قالت: «يبدو أنكم جميعًا تتأقلمون بشكل جيد مع كونكم قراصنة».

«نتكيف بشكل جيد؟ ما هذا الكلام؟» انحنت آن إلى الأمام. «تريدين أن تعرفي لماذا، أليس كذلك؟ كيف آل بنا الحال لهذا؟»

«أنا ... نعم يا آنسة آن، أفعل».

«لماذا لم تسألي؟»

«لم أكن أريد أن أكون غير مهذبة».

«غير مهذبة؟ لقرصانة؟

احمرت تريس خجلًا.

قالت آن وهي تحدق في البحر: «لا أمانع في الحديث عن هذا الأمر». شقت مقدمة السفينة طريقها عبر الأمواج. «حبكت القبطان الأمر جيدًا، يمكن أن ينتهي بنا الأمر إلى القتال في حرب الملك القادمة، أو يمكننا أن نشن هجومًا بمفردنا، ونتخلص من جميع القوانين المتعلقة بالأوامر والرسوم الجمركية، بالإضافة إلى ذلك، قالت القبطان إننا سنقوم بواجب نبيل ومهم».

« ... مهم؟» سأل تريس.

«جزء حيوي من الاقتصاد».

« ... امم، فهمت».

«هل فهمت حقًا؟»

«في الحقيقة، لا» اعترفت تريس.

«فلماذا لا تقولين ذلك يا فتاة؟» قالت آن وهي تهز رأسها. «على أي حال، مهمتنا جليلة، أنت تعرفين كيف حال الأثرياء، فهم يكسبون كل هذه الأموال من الأشخاص الذين يبحرون حولهم ويبيعون ويشترون لهم، ثم ماذا يفعلون بالمال؟ يقفل عليها في خزن بعيدًا. ما فائدة الأموال المخزنة؟ لا أحد سيستمتع بها إذا كانت محاصرة في قبو مع خاتم زواج الجدة.

«لذلك علينا أخذ البعض وإعادته إلى الاقتصاد كحافز؛ لمساعدة التجار المحليين، صغار القوم الذين يحاولون العيش، نحن نقدم خدمة مهمة».

«بواسطة ... السرقة».

«صحيح». جلست آن إلى الوراء، ونقلت يدها على مسدسها. «على الأقل، هذا ما كان من المفترض أن يكون عليه الحال، لم يكن من المفترض أن نكون من المطاريد القتلة، أعتقد أننا جميعًا نعرف المخاطر، لم أتوقع أن أفشل بشدة في أول عمل قرصنة لنا».

صدمت تريس رأسها، بالكاد تقاوم الرغبة في الحك في المكان الذي التقت فيه النظارة بوجهها، على الرغم من الفضة على سطح السفينة، يمكن أن تعيش الأبواغ على أصابعها لفترة كافية لإحداث الضرر.

«أنا ... متحيرة» قالت تريس. «مطاريد قتلة؟»

«لا تعرفين؟» قالت آن. «أي نوع من البحارة أنت؟»

«النوع الذي لا يعرف من هم المطاريد القتلة؟» لقد شعرت بالانزعاج الشديد من تعرضها للتوبيخ لحجب الأسئلة، ثم السخرية منها عندما لم تفعل ذلك.

«هناك نوعان من القراصنة، يا تريس» أوضحت آن. «هناك النوع العادي، وهناك المطاريد القتلة، القراصنة العاديون يسرقون، لكنهم لا يقتلون ما لم يتم إطلاق النار عليهم، يبحرون جيدًا بما يكفي للقبض على السفينة التي يطاردونها، التي تستسلم وتدفع الفدية لمطارديها لتبحر بعيدًا وقد نجوا بحياتهم، بينما يبحر القراصنة وهم أكثر ثراءً.

«هذه هي الطريقة التي من المفترض أن تكون عليها الأمور. سباق، هل ترين؟ سباق مع القليل من الابتزاز لإبقائه شيقًا. يحتفظ حراس الملك بالسجلات، طالما تركت الناس يرحلون، طالما أنك لا تقتلين أطقم السفن... حسنًا، إذا تم القبض عليك، فإنهم يحبسونك، لكنهم لن يشنقوك».

قالت تريس: «يبدو هذا متحضرًا بشكل ملحوظ».

هزت آن كتفيها «الحضارة موجودة لأن كل شخص يريد إبقاء أحشائه في داخل جسمه، لا تضرب زميلًا عندما تقابله لأول مرة؛ لأنك لا تريد أن تتعرض للكم في كل مرة تقابل فيها شخصًا ما. يعرف الملك هذا، طالما أنه يعطي القراصنة سببًا لعدم الذهاب إلى أقصى حد، فإنهم سيتحوطون. علاوة على ذلك، من الذي لا يفضل المطاردة على المعركة؟ لا يريد الحمقى الفقراء الذين يعملون على متن السفن التجارية أن يخسروا حياتهم مقابل أموال أسيادهم. السادة لا يريدون أن يتم خرق أو سرقة سفنهم، ولن تستمري طويلًا كقرصان إذا كان عليك مسح سطح السفينة بدمك في كل مرة. باستثناء -كما تعلمين- إذا قتلت شخصًا عن طريق الخطأ».

قالت تريس: «أو سفينة كاملة من الناس».

أومأت آن برأسها: «عندها تصبحين من المطاريد القتلة، لا تنالك رحمة إذا قبض عليك، حتى القراصنة الآخرون سيكرهونك».

لن يأخذ أحد طاقمًا من سفينة مطاريد قتلة، لقد تركت لتشقي طريقك، وحيدًا مثل حبة الفول في حساء رجل فقير».

بحق الأقمار، كان الأمر منطقيًّا، راجعت تريس رأيها في آن. هذا التعبير البائس، هذا الندم... كان هذا يعني مهما كانت المؤامرة لإغراق سفينة المهربين، لم تكن آن جزءًا منها.

لكن لاغارت كان جزءًا، وعلى الأرجح القبطان، لقد أرادا أن يصبحا من المطاريد القتلة، ومن هنا جاءت قذائف المدفع الخفية، وغرق أووتز دريم، وإلا لماذا تركت القبطان أحد البحارة على قيد الحياة لنشر الأخبار؟

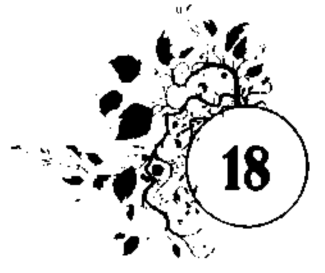
استغرقت تريس في أفكارها لدرجة أنها نسيت نفسها وخدشت الحكة بالقرب من نظاراتها الواقية، تجمدت أثناء قيامها بذلك، بحق الأقمار المعتمة.

حسنًا على الأقل...

كانت الأقمار المعتمة ما رأته تريس عندما انفجر وجهها.



الجثة الأخرى



وجدت تريس نفسها مستلقية على سطح السفينة، وقد انفجرت النظارات الواقية وطارت من على وجهها، ما هذا الصوت؟ هل هو صرخات ألم؟

لا، بل ضحك.

كانت آن تضحك بصخب، رفعت تريس يدها على الفور إلى خدها، كان -لحسن الحظ- متقرحًا لكن لا يزال مرتبطًا بوجهها. تسللت ذرة أو اثنتان من أبواغ الزفير تحت حافة نظارتها الواقية، حيث لامست حبة من العرق. من حسن الحظ أن هذه الكمية الضئيلة من الأبواغ لم توجه لكمة بقوة كافية لقتلها.

قالت تريس وهي تحاول الجلوس: «هذا ليس مضحكًا».

(كانت محقة، كان الأمر مضحكًا للغاية).

«هيا، يا فتاة الأبواغ» قالت آن وهي تساعد تريس للوقوف. «دعينا نذهب للجراح ليلقي نظرة عليك». نادت آن على الدوج الذي جعل تريس تؤدي بهذا العمل، وطلبت منه التنظيف، ثم ساعدت تريس المشوشة للنزول إلى الطابق الأوسط.

«هل تتعاملين حقًّا مع تلك الأشياء؟» سألت تريس آن. «كمساعدة قائد المدفعية؟»

قالت آن: «حسنًا، عندما يسمحون لي بذلك».

«لماذا لا تنفجر المدافع؟»

«إنها تنفجر، هذا ما يجعل قذائف المدفع تنطلق».

قررت تريس التفكير في هذا الأمر لاحقًا؛ لأنها لا ترى المنطق من ورائه حتى الآن، تجدر الإشارة إلى أن تنظيف النوافذ ليس مهنة تقدم تعليمًا شاملًا في المقذوفات.

بالقرب من قاعة الطعام، عند مقدمة السفينة، كان هناك باب مغلق عندما استطلعت تريس الجوار في وقت سابق. دفعته آن الآن ليفتح وقادت تريس إلى الداخل، وجدت رجلًا يرتدي بدلة ذات قطع حاد لم تره من قبل، لقد كان بطريقة ما أقل تفاخرًا ولكنه أكثر أناقة من الزي الرسمي الذي كان يرتديه الدوق وتشارلي، كانت سوداء اللون الخالص، مع خطوط مضغوطة وبدون أزرار في الأمام.

كان لديه شعر حالك السواد، وملامح حادة للغاية لأن تكون حقيقية، كما لو كان لوحة أو رسمًا، كانت بشرته شاحبة، وعيناه حمراوين بلون الدماء، إذا كان للعالم السفلي مستشار قانوني، لكان هذا الرجل.

كان يجب أن تخاف منه تريس، لكنها بدلًا من ذلك شعرت بالرهبة، ما الذي كان يفعله مخلوق مثل هذا على متن سفينة قراصنة؟ بالتأكيد كان هذا كائنًا إلهيًّا من وراء المكان والزمان والواقع.

بطريقة ما كانت تريس محقة.

ولا، لم يعد إليّ بدلتي حتى الآن.

«يا إلهي!» قال الدكتور أولام بصوت رقيق ولكنه سريع الانفعال. «ماذا أحضرت لي يا آن؟ لحم طازج؟»

أوضحت آن: «كانت تحمل أكياس الزفير»، وهي تقود تريس إلى مقعد في جانب الغرفة الصغيرة، «واستقر البعض تحت نظاراتها الواقية».

قال أولام: «يا للطفلة المسكينة، أنت جديدة على السفينة، همم؟ لديك عيون لطيفة جدًّا».

همست آن: «إذا طلب شراءها، ساومي، يمكنك عادة الحصول على ضعف عرضه الأول».

«عيني؟» قالت تريس، ثم ارتفع صوتها. «يريد أن يأخذ عيني؟»

قال أولام: «بعد أن تموتي بطبيعة الحال». كانت هذه الغرفة مليئة بالخزائن والأدراج، فتح واحدة وأخرج جرة مرهم صغيرة، ثم التفت نحوها: «إلا إذا كنت تفضلين القيام بذلك الآن؟ لدي العديد من البدائل الرائعة التي يمكنني تقديمها، لا؟ ماذا لو اكتفينا بعين واحدة فقط؟»

«ماذا ... من أنت؟» سألت تريس.

قالت آن: «إنه زومبي السفينة».

أجاب أولام: «هذا مصطلح فظ، وليس دقيقًا بشكل رهيب، كما أخبرتك من قبل».

قالت آن: «ليس لديك قلب ينبض، وجلدك بارد مثل سمكة مبللة».

قال أولام: «إن عمليتَي التكيف تقللان من السعرات الحرارية المطلوبة، طريقتي فعالة، أعتقد أن الجميع سيتجولون بلا قلب، بمجرد أن أحل مشكلة أن عدم وجوده لن يتسبب في قتل البشر». قدم المرهم لتريس: «ضعي هذا على جلدك، يا صغيرتي، وسيساعد في تخفيف الألم».

قبلت تريس المرهم منه، ووضعت بتخوف نقطة صغيرة على إصبعها.

قال أولام: «لقد تقبلت الأمر بسلاسة، هل هي شجاعة أم غبية؟»

قالت آن: «لم نكتشف ذلك بعد».

«بالحكم من الطريقة التي تبتسم بها آن... أعتقد أن هذا ضرب من السخرية؛ لذلك قد أتخطى هذا الأمر أيضًا، إذا أراد أي منكما موتي، فلن يختلف الأمر كثيرًا عن قذفي من على السفينة».

قال أولام: «آه، أنا معجب بها، سأضطر إلى مراقبتك يا فتاة، إليك، أمسكي هذا».

أسقط شيئًا في يدها الأخرى.

كانت عينًا بشرية.

صرخت وأسقطتها، إلا أن أولام أمسك بها سريعًا: «كوني حذرة! إنها واحدة من المفضلين لديّ، تأملي اللون الأزرق الغامق، ستبدو رائعة عند استبدالها بعينك اليسرى، ستكون عينيك متغايرة اللون، واحدة زرقاء والأخرى خضراء، مذهل جدًّا».

«أنا... لا، شكرًا؟»

قال أولام: «آه، حسنًا»، ثم وضع العين بعيدًا.

«ربما في وقت آخر، استخدمي المرهم وهو لا يحتوي على أي خدعة، ربما أكون أقل الأشياء خطورة على هذه السفينة».

قالت آن: «أنت تأكل البشر حرفيًّا، يا أولام».

«القتلى، يا للهول! كم هذا خطير! مثل دودة الأرض الجبارة أو بكتيريا التحلل، إنهم زملائي في العمل».

وضعت تريس المرهم بتردد على خدها، اختفى الألم على الفور، أذهلتها الفاعلية، فركته حول خدها، عندما رفعت أولام مرآة يد، لم يكن جلدها أحمر، ولم يكن هناك أي أثر لجرح.

قالت آن: «هذا سبب الإبقاء عليه في الجوار، حتى لو كان غريبًا مثل ثعبان مزدوج الرأس».

قال أولام: «بصفتي المصدر الحقيقي الوحيد للطب الحديث في هذه الأرض المنعزلة، أجد تشبيهك الحي غير دقيق، إن التشعب المحوري غير المكتمل هو أكثر احتمالًا في الزواحف من الحيوانات الأخرى؛ لذلك إذا كنت ترغبين في وصفي بالغرابة فاختاري طائرًا برأسين أو حيوان ثدي للحصول على التأثير الكامل».

حدقت كلتا المرأتين فيه، في محاولة لتحليل تلك الجملة.

قال أولام: «لقد أكلت عدة ثعابين مزدوجة الرأس، واتخذت هيئتهم؛ لذا فبدلًا من أن أوصف بكوني غريبًا مثل واحد منهم، فقد كنت حرفيًّا واحدًا. للأسف، لم أستطع تقسيم وعيي والتفكير بسرعة مضاعفة، ألن يكون ذلك ممتعًا؟» أخذ المرهم من تريس. «على أي حال، حاولي تجنب تفجير نفسك في المستقبل، همم؟ إنه يشوه الجثة ويضفي عليها طعمًا معدنيًّا».

إذا كنت تتساءل، فأنا أعلم علم اليقين أن أولام كان يستمتع خلال فترة وعكتي المؤسفة، لم يتخذ أي خطوة لكسر لعنتي، وبدلًا من ذلك دون بعض الروايات المحرجة للغاية عن أفعالي وأرسلها إلى العديد من الأصدقاء المقربين لنا.

صحيح أن قواعد اللعنة منعتني من إعطاء أي تفسيرات مباشرة لكيفية كسرها، لكنني كنت أتوقع المزيد منه حقًّا. كما هو الحال، بعد البحث عني واكتشاف... علتي، أكتفي بالإقامة على متن السفينة، لطالما كان يتمنى أن يصبح مستكشفًا «من أجل الشعور بالمغامرة، هممم؟» بحسب قوله.

في البداية، لم يعرف الطاقم ماذا يفعلون به، أطلقت عليه الكابتن كرو النار عدة مرات، وهي تجربة قال إنها «تنشيطية». يكاد يكون من المستحيل قتل أفراد من جنسه، بخلاف أكل الجثث، يمكن أن يكون وجودهم نافعًا في الجوار، وهو الأمر الذي سرعان ما اكتشفه الطاقم.

منذ ذلك الحين، تعاملوا معه ببساطة، مثل الطفح الجلدي الذي ينقذ أحيانًا الشخص من جروح تهدد الحياة، لم يطلب راتبًا باستثناء الجثث العرضية التي لا فائدة منها، إنه أمر مروع، نعم، لكنك ستجد أنك قادر على تحمل قدر كبير من الغرابة في شخص يمكنه فعل المعجزات نيابة عنك.

عادت تريس -وهي تشعر لأسباب مفهومة بالخدر بعد مقابلتها الأولى مع جراح السفينة- إلى سطح السفينة بالقرب من دلوها وفرشتها. ذهبت آن للقيام ببعض الأعمال الأخرى؛ لذلك قررت تريس -وهي تجس خدها الذي شفي تمامًا- العودة إلى التنظيف.

لم تكن قد أحرزت تقدمًا كبيرًا قبل أن يهرع هوك إليها. «شيء ما يحدث».

«ماذا؟» سألت تريس. «هجوم؟»

«لا، لا، انظري، لقد أرسلتني بعيدًا؛ لذلك اعتقدت أنني سأذهب لسرقة بعض الطعام، لقد أكلت بالفعل، لكن لا يمكن للمرء حقًا الاكتفاء، أليس كذلك؟ كنت في الحجز حيث لا يوجد شيء يمكن الوصول إليه حقًا دون قضم الأكياس، وهو ما يكره الناس، إذا كانوا يكرهون ذلك كثيرًا، فلماذا لا يتركون الأكياس دون ربطها؟ حينها لا تتضرر الأكياس، كما ترين، و...».

«ماذا أردت أن تخبرني يا هوك؟» سألت تريس. «ماذا يحدث؟»

«حسنًا، كنت أهم بالحديث عن ذلك، كان لاغارت هناك يبحث في المخزن. وتريس أحضر زوج من قذائف المدفع، رأيته يهربهم في حقيبته».

أمر شيق، حان الوقت لاختبار نظريتها.

تمركزت للتنظيف بالقرب من محطة المدفع الأمامية بدرجة كافية للمراقبة، أصبحت نادلة مرة أخرى لفترة قصيرة، تراقب لاغارت.

ولم يمض وقت طويل.



ضابط المدفعية



انقض لاغارت على المدفع ورفع رقبته الطويلة فوق البرميل، متطلعًا إلى حزم الأبواغ، أعلن في النهاية أن العمل تم بشكل جيد، مادحًا رجال الدوج.

في تلك اللحظة اكتشفوا عجائب الاستعانة بمصادر خارجية: رفاهية أخذ كل الفضل، وعدم القيام بأي عمل، مع الاحتفاظ باللوم على شخص ما في حالة إذا ساءت الأمور، لم تمانع تريس، إنها تفضل ألا تلفت انتباه لاغارت.

أسرع الدوج إلى أداء واجبات أخرى، وقام لاغارت باستعراض عمله في تنظيف المدفع بنفسه، وهو شيء لم يتركه لعناية الآخرين.

فركت تريس سطح السفينة في مكان قريب، كانت غير مرئية على مرأى من الجميع، كلما استدار لاغارت ناحيتها، كان رأسها منخفضًا بشكل غير واضح في أثناء تأدية عملها. ومع ذلك، راقبت عن كثب، ورصدته وهو يأخذ خلسة قذيفة بحجم قبضة اليد من حقيبته وأخفاها في قاع البرميل الزائف.

لقد كانت على حق، احتفظ بقذائف مدفعية معيوبة في المقصورة المخفية، قذائف مدفعية مصممة لإغراق السفن، لكن لماذا؟ أن يكون المرء من المطاريد القتلة هو أكثر خطورة، وقد يحرمهم ذلك من الغنائم، ألم يكن هذا هو الشيء الأساسي الوحيد الذي يميز القراصنة؟ بخلاف -كما تعلمون- القوارب والقذائف؟

لقد أراد أن يصبح الطاقم من المطاريد القتلة، ضد رغباتهم أو علمهم.

أنهى لاغارت عمله، وصرخ في عدد من الدوج القريبين لكونهم كسالى، ثم علق حقيبته إلى كتفه. انطلق نحو مقصورة القبطان، حيث سمحت له كرو بالدخول، وأوقفت بحارًا عند الباب قبل إغلاقه. لم يكن الدوج ذو الوزن الثقيل يشبه الحارس إلى حد كبير، ولكن الطريقة التي وقف بها تذكر تريس بكيفية وقوف ابن عم بريك وهو يراقب باب الحانة في الليالي عندما كان من المتوقع أن يصبح الناس مشاكسين.

قالت تريس: «أريد أن أعرف عما يتحدثون هناك».

«نعم، سيكون ذلك رائعًا، أليس كذلك؟» قال هوك من على كتفها. «أراهن أنه حوار سري للغاية».

قالت تريس: «أنا بحاجة إلى شخص ما لكي يتسلل هناك».

«ربما يمكننا أن نسأل أحد الدوج؟» قال هوك.

قالت تريس: «شخص ما، صغير الحجم وسريع ولن يُلاحَظ وجوده».

قال هوك: «اللعنة، لا أعرف ما إذا كان الدوج سيكون متسترًا بدرجة كافية، هل سمعت بالطريقة التي يتجولون بها على سطح السفينة؟ كنت أحاول النوم الليلة الماضية، وأقسم أنهم يضعون الرصاص في أحذيتهم. هم...»، تباطأ، ولاحظ أنها تحدق به. «أوووووه، فأر، حسنًا، حسنًا،

فهمتك».

قفز من على كتفها وانطلق مسرعًا على المدفع، ثم سار في الظلال إلى مقصورة القبطان، لم يلاحظ الدوج الذي يراقب أن هوك انزلق من على حافة السور الخارجي للسفينة ودخل من نافذة القبطان.

ربما تتساءل لماذا ارتبط هوك بهذه السرعة بتريس، حسنًا، هناك الكثير من الأشياء التي يمكنني إخبارك بها هنا، لكن يكفي أن أقول إنه في الحياة القصيرة لهوك الفأر، حاول كل شخص قابله قتله أو أسره أو بيعه، كل شخص ما عدا تريس، لم يكن يعرف الكثير عن الناس، حيث قضى معظم حياته منعزلًا، لكنه أحب تريس، وكان يفضل ألا تموت؛ لذا اختار التجسس لصالحها.

بدأت تريس تفرك بقوة للتخلص من قلقها، مرت الدقائق بثقل الساعات؛ حيث كانت قلقة من إرسال هوك إلى الخطر لإرضاء فضولها، لم يكن هذا شيئًا تفعله عادةً، بدأت الحياة كقرصانة تؤثر عليها بالفعل.

ومع ذلك، كان تشارلي هناك ما في مكان ما، خائفًا ومتألمًا. كان عليها أن تجد طريقة للهروب، لتواصل سعيها؛ لذلك ربما كان تعلم أن الثقل قليلًا على الناس أمر جيد.

قال هوك وهو يهرول عبر السور المجاور لها: «مرحبًا، هل لديك أي شيء لأكله؟ إن التجسس عمل يسبب الجوع».

نظرت إليه تريس بينما كانت بطنها تتذمر.

قال هوك: «كنت أتساءل فقط، بحق الأقمار، يا فتاة، لا داعي لأن تنظري إليّ كما لو أنني أكلت وسط الرغيف وتركت الحواف اليابسة لك».

«هل سمعت أي شيء؟» سألته.

هز هوك أنفه بطريقة بدا أنه يعتقد أنها ستفهمها، ثم قفز لأسفل وانطلق إلى قسم أكثر حماية من سطح السفينة. تبعته وظهرها إلى مجموعة من الدوج، لأي شخص يشاهد، كانت تفعل ما تفعله، وتفرك الأرضية بعيدًا. لن يكونوا قادرين على رؤية هوك.

قال الفأر من على سطح السفينة أمامها: «حسنًا، سأخبرك بما قالوه، اسمحي لي أن أتقمص الشخصية».

«... الشخصية؟» تساءلت تريس.

وقف هوك على رجليه الخلفيتين، رافعًا قدميه الصغيرتين أمامه وأنفه في الهواء. قال في تقليد جيد بشكل مدهش للهجة القبطان الأرستقراطية: «أنا الكابتن كرو؛ صفا، انتباه، افعل ما أقول، ماء القنينة هذا لذيذ للغاية، لاغارت، ما أخبار المدفع؟ هل كل شيء جاهز؟»

انتظرت تريس، وقد انتصب رأسها.

«أنت لاغارت» همس هوك.

«لم أكن هناك! لا أعرف ماذا قال».

«ستبلي حسنًا»، لوح هوك بمخلبه. «هيا، كوني لاغارت».

«أوه ... المدفع ... جاهز؟»

همس هوك: «الصوت يحتاج إلى مزيد من الخشونة، ومدي رقبتك مثل رقبته، سوف يساعدك ذلك على تقمص الشخصية»،

«ولكن...».

«ممتاز، لاغارت» قال هوك بصوت الكابتن. «لكن لدي أخبار مؤسفة عبر غراب أرسله أحد معارفي في كينجزبورت، تم العثور على بقايا السفينة التي أغرقناها، لكن لم يكن هناك ناجون، فقط جثة واحدة. يبدو أن هذا الرجل الذي تركناه على قيد الحياة قد رفض كرمي الوافر وألحقني بإهانة بالموت متأثرًا بجروح لم نكن نعلم عنها شيئًا».

«هي قالت ذلك؟» همست تريس. «تلك الكلمات بالضبط؟»

«إنه تجديد درامي، هل تعتقدين أنني دونت المحادثة؟ مع هؤلاء؟» لوح لها بكفيه: «هذا أقرب ما يمكن أن أتذكره، الآن قومي بجزء لاغارت».

«أم ... هذا محزن؟» قالت تريس.

«تريس، هذا ليس ما قاله. قال: «كل هذا العمل بلا طائل؟ سنضطر إلى إغراق أخرى إذن!».

تنهدت تريس: «كل هذا العمل بلا طائل، سنضطر لإغراق أخرى إذن».

«بحق الأقمار المعتمة، هل يمكنك إظهار القليل من العاطفة؟» قال هوك: «أشعر أنك لا تأخذين دورك على محمل الجد».

«بالفعل».

«هذه مشكلة، يا لاغارت» قال هوك بصوت الكابتن، وهو يسقط على أطرافه الأربعة ليطارد أنفه الهواء ذهابًا وإيابًا. «الطاقم منزعج، أنا قلقة بشأن هروب بعضهم».

«لكن لماذا؟» قالت تريس.

قال هوك: «سوف نصل إلى هذه النقطة، انظري لماذا لا أقوم بدور لاغارت أيضًا؟ خذي استراحة، واحفظي سطورك في المرة القادمة، حسنًا؟»

«ولكن...».

مد هوك رقبته وتحدث بصوت غليظ مخيف. قال: «يحق لك أن تنزعجي يا كابتن، إن فورت مشكلة تختمر، وربما سالاي أيضًا، نحتاج إلى دم يربطهم بغرق تلك السفينة إذا كنا سنفعل ما نريد».

تحرك هوك ليتقمص القبطان مرة أخرى، واقفًا على رجليه الخلفيتين مع كفوفه الأمامية على المدفع، كما لو كان يقلد القبطان وهي تحدق من النافذة. «لن يتبعنا الطاقم أبدًا إلى بحار خطرة ما لم يكن لديهم خيار آخر، إلا إذا كانوا يائسين، سنغرق سفينة أخرى، يا لاغارت، ونترك اثنين من البحارة على قيد الحياة هذه المرة».

التفت هوك إليها واستقر في وضع يشبه الفأر: «وهذا كل شيء».

«بحار خطرة» همست تريس. كان البحر الأخضر واحدًا من أكثر البحار أمانًا، ولكن يبدو أن الكابتن كرو أرادت ترك هذه الأبواغ والتوجه إلى مكان لن يذهب إليه الطاقم إلا إذا لم يكن لديهم خيار آخر.

«ما رأيك؟» سألها هوك. «لقد حصلت على نوع خاص من اللعنات، أليس كذلك؟ دم يربطهم بالسفينة؟»

«لا، ليست لعنة» همست تريس، واستمرت في الفرك حتى لا تثير الشكوك.

«لكن لاغارت قال...».

قالت تريس: «لقد كانت استعارة يا هوك، ألا ترى؟ القبطان غير متأكدة من ولاء طاقمها، إنها تريد الإبحار في البحار الخطرة، لكنها تخشى أن يهجرونها إذا حاولت أن تجعلهم يفعلون ذلك؛ لذا...».

قال هوك: «لذا تحولهم إلى قراصنة، ثم تغرق (بطريق الخطأ) بضع سفن، بجعلهم مطاريد قتلة، خارجين على القانون، ومنبوذين من القراصنة الآخرين، لن يكون لديهم خيار سوى اتباع أوامرها». هز هوك أنفه، والتي بدت وكأنها طريقته في الإيماء بالموافقة. «أستطيع أن أرى المنطق في كلامك. نعم، ربما تكونين على حق، أنت ... تبدين متجهمة رغم ذلك».

قالت تريس: «لست متجهمة، مشتتة الانتباه فقط».

«لماذا؟»

قالت: «لأنني اكتشفت للتو طريقة للهروب من هذه السفينة».



قائدة الدفة



سرعان ما خرجت الكابتن كرو من مقصورتها، تاركة لاغارت ومشت مختالة عبر مقدمة السفينة ثم صعدت إلى مؤخرة سطح السفينة. نزلت تريس لإعادة ملء دلوها وتركت هوك للبحث عن المزيد من الطعام. أعطتها العودة إلى السطح العلوي عذرًا لإعادة تمركزها؛ لذا انتقلت إلى المؤخرة، بالقرب من المكان الذي وقفت فيه القبطان بجوار سالاي، قائدة الدفة التي قد قايضت تلك الأقراط مع فورت في وقت سابق.

لم ترغب تريس في التصرف بشكل مريب؛ لذلك لم تنفذ خطتها في البداية. استمرت في الفرك، وشعرت باهتزاز السفينة على الأبواغ. استمعت إلى الألواح وهي تئن تحت وطأة الصرير، ونادى بعض الدوج على بعضهم. هناك قدر معين من الحرية في سماع أصوات السفن في البحر. الشعور بالحركة والذهاب إلى مكان ما. على المحيط -حتى في محيط من الأبواغ، طالما أن الفوران صامد- من الصعب أن تجلس ساكنًا، إما أنك تحني الأمواج والرياح وفقًا لإرادتك، أو تنحني أمامها، عادة ما يكون الأمر صراعًا حذرًا بين الخيارين.

عندما وقفت تريس لتتمدد، حدقت عبر البحر الأخضر النابض بالحياة، بدا المشهد غريبًا لأن القمر كان في غير مكانه، دائمًا ما كان يتوسط السماء، لكنهم أبحروا بعيدًا بما يكفي لدرجة أنه بدا منخفضًا بعدة درجات.

لم تستطع ألا تعلق على جمال البحر، لمعت الأبواغ النابضة بالحياة في ضوء الشمس وهي تفور. مساحة لا نهاية لها من الموت الخصب، تنتظر أن تنفجر بالحياة، كما هو الحال مع أبواغ الزفير سابقًا، أذهلها هذا الجمال، تريد عقولنا أن تكون الأشياء الخطيرة قبيحة، لكن تريس وجدت تلك الموجات المتدحرجة جذابة. في هذه اللحظة، تخيلت تلك الأبواغ المتموجة على جلدها، ولكن بدلًا من أن تخاف، شعرت بالفضول.

الخطر لا يجعل الشيء أقل جمالًا، في الواقع يضفي تأثيرًا معظمًا، مثل الشمعة التي تبدو أكثر سطوعًا في ليلة شديدة الحلكة. الجمال المميت هو أصعب أنواع الجمال، ولن تجد أبدًا قاتلًا أكثر سحرًا وإثارة للنشوى من البحر.

قالت القبطان: «إلى الشمال» ممسكة ببوصلة. «إلى الشمال، يا سالاي، نحو المضائق السبعة».

«في ممرات الشحن؟» سألت سالاي.

«أفضل مكان للعثور على هدفنا التالي»، قالت القبطان وهي تدس بوصلتها.

شعرت تريس بفرصتها، استقرت في مكانها وهي تفرك الأرضية بشدة، ثم تمتمت: «سوف تقتلين أكثر، أليس كذلك؟»

سمعت القبطان تستدير خلفها، أبقت تريس رأسها منخفضًا. بعد لحظة تمتمت: «كان من قتلتهم أناسًا طيبين؛ مسكين كابلان، وماربل، ومالوري، أطعمتهم للأبواغ».

صرر سطح السفينة عندما وطأته الكابتن كرو. كانت هذه حيلة خطيرة، لكن ... حسنًا، كانت تريس محاطة بالقراصنة الذين يبحرون في البحر الأبواغ، لم تعرف الخطر أثناء نشأتها، لكنهم سرعان ما تعارفا.

«هل تتمتمين بشيء يا فتاة؟» سألتها كرو. «هل أنت جاحدة، ربما على اللطف الذي أظهره لك هذا الطاقم؟»

تجمدت تريس كما لو كانت خائفة، وأسقطت الفرشاة وهي تنظر إلى الأعلى «كابتن! لم أكن أعرف أنك...أعني...».

«هل أنت ناكرة للجميل؟» سألتها كرو.

«أنا أقدر إنقاذكم لي» همست تريس وعيناها إلى أسفل.

«ولكن؟»

«لكن تلك السفينة كانت تحمل عائلتي أيها القبطان، أحببتهم».

«أنت مفتشة ملكية، لماذا كنت مسافرة مع عائلتك؟»

«هذا المعطف؟» قالت تريس ساخرة. «ترك أحد المفتشين هذا المعطف في حانة توقفنا عندها، وبدأت في ارتدائه لأنه أضحك عائلتي، والآن... الآن ماتوا جميعًا...».

توقفت عن الكلام وتركتها تنتظر، ثم ألقت نظرة خاطفة ورأت التفكير العميق في تعبير القبطان، كان تعبيرها ينم عن إدراك جديد.

حادث تريس نفسها: لا، لم تقتلي الجميع على متن أووتز دريم، لقد تركت واحدة على قيد الحياة، وإذا استطاعت الهرب فسوف تخبر الجميع كيف قتلت كروز سونج عائلتها...

استدارت القبطان نحو سالاي وأخرجت قنينة الشراب. وفقًا لما سمعته تريس من الطاقم، كان ماء عاديًا، وهو ما يفسر سبب عدم سكر المرأة طوال الوقت.

قالت كرو: «لقد غيرت رأيي يا قائدة الدفة»، ثم تناول مشروبها. «خذينا شرقًا نحو شيمرباي، يجب أن نتزود بالماء».

قالت سالاي: «كما تأمرين، يا كابتن، لكني كنت أعتقد أنا لدينا ما يكفي».

قالت القبطان: «لا يمكن أن يكون لديك ما يكفي من الماء، لا يمكنني ترك قنينتي فارغة، أليس كذلك؟ علاوة على ذلك لدينا فئران على متن السفينة، نحن بحاجة لجلب قطة للسفينة».

بسرعة فائقة، نقلت سالاي الأوامر إلى طاقم الأشرعة والسواري وأدارت دفة السفينة؛ ليتجهوا نحو الحرية. شعرت تريس بموجة من الإثارة.

حسنًا، يتفق معظم الناس أن البشر ليسوا قادرين على توارد خواطر، لا يمكننا إرسال أفكارنا أو عواطفنا مباشرة إلى عقول الآخرين، ومع ذلك يمكنك سماع قصتي وتخيل الأشياء التي أصفها مثلما أتخيلها في ذهني، ما هذه القدرة إن لم تكن شكلًا من أشكال التخاطر؟

علاوة على ذلك، هناك بيننا ممن لديهم قدرة خارقة على قراءة مشاعر الآخرين، ليس من خلال السحر، أو الاتصال الروحاني، أو أي نوع آخر من هذه الترهات. لا، هم مجرد دارسين للطبيعة البشرية. يمكنهم التعرف على الحالة المزاجية للناس من خلال الإشارات الدقيقة للغة الجسد؛ من الطريقة التي تتحرك بها عيونهم، والطريقة التي ترتعش بها عضلاتهم.

بعضهم أطباء مهتمون بشفاء العقل، يجد آخرون طريقهم إلى رجال الدين؛ بحثًا عن طرق لمساعدة النفس البشرية، ثم هناك أشخاص مثل الكابتن كرو، الذين توفر لهم قدرتهم على قراءة الآخرين... نوعًا مختلفًا من المزايا.

في تلك اللحظة على سطح السفينة، التقط جزء من عقل كرو أن تريس كانت متحمسة، أن تريس كانت سعيدة لأن السفينة استدارت نحو شيمرباي، لم تعلم كرو ما الذي تعرفه تريس، أو كيف عرفته، ولكن - كما قد يشعر المرء بنوبة قادمة من عسر الهضم- كانت تعلم أنها لم تكن سعيدة وأن تريس كانت السبب في ذلك. إذا كنت تريد إفساد يوم الكابتن كرو، فأشر إلى أنها أسعدت شخصًا ما. إذا كنت تريد إفساد أسبوعها بالكامل، فأشر إلى أنها فعلت ذلك عن طريق الصدفة.

لم تعد كرو النظر في قرارها بالإبحار إلى الميناء، لم تكن من النوع الذي يراجع نفسه في قرارته، وبدلًا من ذلك سحبت كرو قدمها للخلف وسددت ركلة قوية بحذائها المدبب في معدة تريس.

خلفت الضربة غير المتوقعة تريس وهي تئن، والدموع تتسرب من عينيها وهي تتلوى في بركة من الماء والصابون. انصرفت كرو وهي تصفر بأريحية، وتغلق غطاء قنينتها. كانت -كما يمكنك الملاحظة- مثالًا رائعًا على ضرورة وجود الكثير من المرادفات الصريحة لكلمة وغد. يمكن للمرء أن يستنفد جميع الخيارات المتاحة، ويبتكر بعض الخيارات الجديدة المناسبة، مع ذلك لن يكون قادرًا أن يوفيها حقها في الوصف، إنها حقًّا مصدر إلهام للشاعر المبتذل.

أما سالاي فقد كانت قصة أخرى، اعتبر الناس قائدة الدفة القصيرة حازمة، لكنها بدورها قد نالت حظها من بعض الركلات غير المستحقة. بعد مجرد لحظة من التفكير، ثبتت دفة السفينة في مكانها، وهو أمر لم يكن من المفترض أن تفعله إلا في حالات الطوارئ، وذهبت لتتفقد تريس.

قالت سالاي بهدوء: «مرحبًا»، وهي تدير تريس إلى جانبها. «دعيني أتحسس مكان الركلة، إذا كنت قد كسرت ضلعًا، فسترغب في اصطحابك لزيارة جراح السفينة».

«لا!» قالت تريس. «يريد أن ينتزع بعض أجزاء جسدي!».

«كلام فارغ، أولام لن يؤذي يمامة».

«... لن يفعل؟»

«لا، ليست لديه أيد فلا يمكنه التحنيط». غمزت إلى تريس، التي –بعد لحظة– تمكنت من الابتسام على الرغم من الألم.

ضغطت سالاي على الضلوع السفلية لتريس واستمعت إليها وهي تشرح ما يؤلمها، وصلت كلتاهما لقناعة بأن الركلة لم تكسر أي شيء بخلاف مزاج تريس؛ لذلك عادت سالاي إلى موقعها ووجهت عجلة القيادة.

ظلت تراقب تريس التي جلست ككتلة كئيبة على سطح السفينة. في النهاية قالت سالاي: «هل سبق لك أن عملت على دفة سفينة من قبل؟»

وقفت تريس بتردد ونظرت إليها متسائلة، تراجعت سالاي وأشارت إلى عجلة القيادة.

حسنًا، أعلم أن قيادة السفينة على كوكبكم ليست بالأمر الجلل. في أماكن كثيرة سيسلمون عجلة القيادة لأيِ طفل لديه عدد قياسي من الأصابع، وعادة يتجاهل سيرها لفترات طويلة من الزمن، لكن الأمر في البحار البوغية مختلف

كل الاختلاف، إن قيادة السفينة امتياز، وقائد الدفة هو ضابط مكلف بواجب بالغ الأهمية.

لذلك، حتى لو كانت تريس معتادة على الوجود على متن السفن- كما كانت تتظاهر- فمن المحتمل أنها لم تكن لتتولى القيادة على الإطلاق. خطت نحوها بهيبة، راجعت الخطوات مرتين مع سالاي قبل أن تثبت يديها على عجلة القيادة في المواضع التي أشارت إليها قائدة الدفة.

قالت سالاي: «جيد، الآن، أمسكي الدفة بإحكام، هل تشعرين بتلك الاهتزازات؟ إنه فوران الأبواغ الذي يهز الدفة، عليك أن تكوني حريصة حتى لا يهز السفينة بأكملها، أمسكي العجلة بثبات، وتعاملي مع أي حركة ببطء وسلاسة».

«وإذا توقف الفوران؟» سأل تريس.

«أديري العجلة لتستقيم دفة التوجيه، حتى لا تمزقها الأبواغ، لكن مرة أخرى، عليك أن تكون حذرة، يمكن أن تؤدي حركة الدفة المفاجئة إلى تعثر البحارة من فوق الأشرعة والصواري».

أومأت تريس برأسها وحادثت نفسها أن ربما تكليفها بمثل هذا الواجب الجلل قد لا يكون بالضرورة فكرة جيدة، ومع ذلك كانت سالاي على نقيض الكابتن كرو في كل شيء.

كان لدى سالاي أيضًا غريزة الشعور بما يشعر به الآخرين، وقد لاحظت تفاني تريس في تنظيفها. أن تقوم امرأة بأداء هذا الواجب البسيط بمثل هذه بدقة ... حسنًا، وفقًا لخبرات سالاي، كان هذا النوع من التفاني يأتي في المراتب العليا. على نفس المنوال، من المرجح أن تقرض آلة الفلوت المفضلة لديك لشخص يعامل آلته البالية باحترام.

تمسكت تريس بالعجلة بقوة، وشعرت بالانتقال الفوضوي للأبواغ الموجودة تحتها تمتد إلى أعلى حبال ذراع الدفة عبر الخشب، وإلى ذراعيها. شعرت بعلاقة أعمق بالبحر أثناء وقوفها على الدفة، فإن لم تكن لديها سلطة عليه، فقد شعرت بالقدرة على ركوبه، كانت هناك قوة في أن تكون من يقود، كانت حرية لم تعرفها من قبل ولم تدرك من قبل أنها بحاجة إليها. واحدة من أعظم مآسي الحياة هي معرفة أن عدد الأشخاص في العالم قد خلقوا للتحليق أو الرسم أو الغناء أو القيادة، إلا أنهم لم يحظوا قطّ بفرصة اكتشاف ذلك.

في اللحظة الذي يكتشف المرء ذلك يدخل الفرح والجمال إلى العالم. لا يستطيع البشر خلق الطاقة، يمكننا فقط تسخيرها، لا يمكننا أن نخلق المادة، يمكننا فقط تشكيلها، لا يمكننا حتى أن نخلق الحياة، يمكننا فقط احتواؤها.

لكن يمكننا خلق الضوء، هذه إحدى الطرق، ومنها تم اكتشاف فوران الغرض.

رأت تريس القبطان تجوب سطح السفينة، وعادوها الألم في بطنها، بالإضافة إلى بعض الألم غير الناجم مباشرة عن الركلة، «ألن تغضب القبطان إذا رأتني هنا؟»

قالت سالاي: «ربما، لكن لن تستطع فعل أي شيء حيال ذلك، تقول التقاليد القديمة قدم البحار أن قائد الدفة هو الذي يقرر من يوجه السفينة، حتى كرو لن تجرؤ على التلميح بخلاف ذلك، إذا أردت، يمكنني أن أبعد العجلة عنها».

عرضت سالاي على تريس بوصلة السفينة ومخطط الكواكب، وكلاهما محفوظ في خزانة بجوار دفة القيادة، كما لو أنها تثبت وجهة نظرها، طلبت من تريس تصحيح مسار السفينة ببضع درجات، ليتوجهوا إلى شرق مجموعة الصخور الكبيرة التي تبرز في المحيط أمامهم.



قالت سالاي بتعبير شارد: «إن من وظيفة قائدة الدفة حماية السفينة، حافظي على ثبات يدك، وابتعدي عن الخطر، ابتعدي عن العواصف وابتعدي عن انفجارات الأبواغ، حافظي على سلامتهم بطريقة ما...».

تبعت تريس نظرات سالاي، كانت تحدق في الكابتن كرو.

قالت تريس، وقد اختارت كلماتها بحذر: «إنها تدفع الطاقم إلى أبعد مما يريدون».

قالت سالاي: «قررنا جميعًا هذا معًا، نحن مسؤولون عن أفعالنا».

قالت تريس: «إنها أكثر تهورًا منكم، هي...» كادت تريس أن تشرح ما اكتشفته عن القبطان ولاغارت، لكنها راجعت نفسها. توجيه مثل هذا الاتهام لا يبدو حكيمًا، بالكاد كانت تعرف سالاي أو أي شخص آخر في هذا الطاقم.

قالت سالاي: «إن كرو قاسية، هذا صحيح، لكن قد يكون هذا ما يحتاج إليه الطاقم الآن بعد أن أصبحنا مطاريد قتلة».

كانت تلك كلمات سالاي، على الأقل الطريقة التي نظرت بها إلى القبطان لم تنم عن احترام كبير.

قالت تريس بهدوء: «أنا لا أفهم لماذا فعلتم هذا، بعدما أمسيتم على ما أنت عليه».

أجابت سالاي: «إنه سؤال عادل، أعتقد أننا جميعًا لدينا أسبابنا الخاصة، بالنسبة لي إما هذا أو التخلي عن الإبحار، ربما كان عليّ فعل ذلك. فقط... هناك شيء ما يتعلق بالوقوف على سطح السفينة والإمساك بعجلة القيادة، شيء له خصوصيته. بحق الأقمار، أبدو كمجنونة وأنا أتحدث من هذا القبيل، أنا...».

قالت تريس: «لا، أنا متفهمة».

نظرت إليها سالاي، ثم أومأت برأسها: «على أي حال، على أن أجد شخصًا ما في هذه البحار، عاجلًا أم آجلًا سأبحر إلى أحد الموانئ وأكتشف أن والدي موجود هناك، يمكنني سداد ديونه وإعادته إلى المنزل، سيكون بالتأكيد في الميناء التالي...» رفعت بوصلتها، ثم حدقت في الأفق.

شعرت تريس بطعنة خزي مفاجئة، رغم أنها لم تستطع تحديد السبب. نعم، لقد فهمت شيئًا ما في صوت سالاي؛ ذلك الشوق إلى شخص في ورطة، هذا التصميم على فعل شيء حيال ذلك لأن لا أحد سيفعل، لكن لم يكن هناك سبب للشعور بالخجل من...

مالت العجلة في يديها، وبدأت السفينة بأكملها تهتز. تمسكت تريس بالدفة بإحكام، ثم خففت من دوران عجلة القيادة إلى اليمين؛ خوفًا من إسقاط البحارة من على الصواري، وعدلت الدفة. توقفت السفينة عن الارتجاج، وبينما كانت تريس تقاوم عجلة القيادة، توقفت ببطء، لقد سكن الفوران.

كانت تتصبب عرقًا، وتلهث، وهي تنظر إلى سالاي. أومأت قائدة الدفة -التي كانت ثابتة على الدوام- برأسها. قالت: «كان يمكن أن يكون الأمر أسوأ»، ثم لاحظت كيف أصاب التوقف المفاجئ تريس بالذعر، وأضافت: «ربما عليك الذهاب لنيل قسط من الراحة».



القرصان



نادى لاغارت على مناوبة الظهر لتناول العشاء أثناء انتظارهم لانتهاء السكون، وتفاديًا لإثارة المزيد من غضب القبطان، عادت تريس إلى عملها؛ تنظف أرضية السفينة بينما استرخى الجميع.

كالعادة قضت الوقت في التفكير. أود أن أسمي موهبة التفكير هذه بأنها سيف ذو حدين، لكنني وجدت دائمًا هذه الاستعارة قاصرة، الغالبية العظمى من السيوف لها حدان، ولم أجد أنها قد تمثل خطرًا أكبر على مالكها أكثر من الصنف أحادي الحد. إن حدة حامل السلاح وليس حدة السيف هي التي تنذر بالضرر.

كان عقل تريس حادًّا كالسيف، وهو أمر مؤسف في هذه اللحظة؛ لأنه بينما حددت سبيلًا إلى الحرية، لم تستطع منع نفسها من سماع آن التي انحنت على الصاري القريب وهي تتحدث إلى لاغارت.



«هل تعلم من حل الأبواغ لمدفعك؟» قالت آن وهي تشير من على كتفها نحو تريس. «لم يكن أحد الدوج، بل كانت هي، أعتقد أنك يجب أن تعرف ذلك».

حادثت تريس نفسها وهي تشعر بطعنة أخرى من الذنب: من فضلك لا تدافعي عني، من فضلك لا تذكريني بكم أنت لطيفة،

حل الليل وبدأ الفوران مرة أخرى، معيدًا السفينة إلى مسارها نحو مينائها. حاولت تريس التخلص من إحباطها، لكن الشعور بالذنب لا يمحى بسهولة مثل حثالة الأبواغ، وسرعان ما أتيت إليها.

همست لها: «معطفك جميل، لكن سيبدو أفضل إذا صبغت نصفه باللون البرتقالي».

«البرتقالي؟» قالت تريس. «إن اللونين... يبدو أنهما سيتعارضان».

«إن التعارض موضة جيدة، صدقيني، أوه، يقول فورت أن عليك الذهاب لرؤيته من أجل الطعام». غمزت لها. «أحتاج إلى قرم أصابع قدمي قليلًا، طعمهم مثل طعم القدر».

حاولت تريس تجاهل العرض، ولكن سرعان ما جاء هوك وهو يقفز ناحيتها. «هل أنت جائعة؟ أنا جائع، هل نذهب لمحاولة الحصول على بعض الطعام أم ماذا؟»

تنهدت تريس ثم سمحت له بالصعود على كتفها، وأسرعت إلى مكتب مسؤول المؤن، هناك، وعلى ضوء مصباح صغير، سلمها فورت طبقًا آخر من الطعام، لم يكن مذاقه بسوء المرة السابقة، ولكن قد يعزو ذلك أن حواس التذوق لديها قد أقدمت على انتحار جماعي بعد وجبة الإفطار المروعة.

جلست تريس على كرسي أمام فورت، الذي أصر -عبر لوح كتابته المذهل- على أنه لا يقدم لها معروفًا، ولكنها مجرد عملية مقايضة. وهذا جعلها تدرك معدنه، لقد أدركت ذلك من الطريقة التي أعاد بها ملء فنجانها (نفس القدح البرونزي الذي استخدمته سابقًا) عندما قل محتواه، وكيف أنه احتفظ لها بالقليل من الكعكة من أجل التحلية. كانت سيئة المذاق وقديمة ويابسة مثل بقية الطعام، لكن البادرة كانت تعني الكثير.

بحق أقمار، إنها تؤلم، ليس الطعام بل خيانتها، لم تعرف هؤلاء الأشخاص إلا يومًا واحدًا، لكنها ابتسمت عندما دخل أولام أثناء تسكعه وساوم على عظام النورس المتبقية من العشاء، التي احتفظ بها فورت له. لم تكن المساومة بحد ذاتها هي التي جعلتها تبتسم، ولكن الطريقة اللطيفة التي مازح الاثنان بها بعضهما بعضًا أثناء ذلك. كانت هذه السفينة عائلة، عائلة محكوم عليها بالهلاك تقودها أم لا تهتم بهم.

كان على تريس أن تفعل شيئًا.

قالت: «فورت»، وهي تنظر إلى طبقها وتدفع الجزء الأخير مما كانت تأمل أنه لحم نورس حول الطبق. «لا أعتقد أن الكابتن كرو تضع مصلحة الطاقم في الأولوية».

تجمد فورت، وهو يحمل فنجانًا كان يصقله، فنجان بيوتر جميل، مع شقوق مبهجة على طول الحافة من الاستخدام المتكرر، لم تكن تريس تعرف ما إذا كان من تقليد هورجسوالو في القرن السابع عشر أم أنه مجرد نسخة أحدث، لكنها كانت عينة ممتازة.

«أنا ...» قالت تريس، «لقد سمعتها هي ولاغارت...».

كتب فورت: <هذا يكفي، أي شيء آخر سوف يلقي بك في البحر يا تريس، لا تحدثي تمردًا>.

قالت وهي تخفض صوتها: «لكن يا فورت، كنت قلقة بشأن قذائف المدفعية، واكتشفت ...».

خبط على المنضدة ليقطع حديثها، ثم كتب بحروف كبيرة عن عمد: <كفى>.

بحق الأقمار المعتمة ... بدا مرعوبًا، وأصابعه المكسورة ترتجف وهو ينقر على لوحه.

<زارتني الكابتن، وسألتني عن سبب فضولي، لا ينبغي أن أقول أي شيء، لا تقولي أي شيء، أن ذلك خطر للغاية، إنها خطيرة للغاية>.

مسح هذه الكلمات بسرعة، ونظر نحو الباب، وهو يتصبب عرقًا ويهز اللوح ليتأكد من عدم بقاء أي شيء عليه يدينه.

كتب فورت: <انتهي من طعامك>.

«لماذا أنتم خائفون جدًّا منها؟» قالت تريس. «إنها شخص واحد فقط».

جحظت عينا فورت، وكتب: <أنت لا تعرفين شيئًا، بالطبع أنت لا تعرفين شيئًا، ولن أفصح عن أي شيء لأنه ليس مكاني لأن أفعل ذلك، لكنها يمكن أن تقتل كل واحد منا، يا تريس، بهذه البساطة؛ لذا أمسكي لسانك ودعي الأمر لحاله>. أنهى كلامه ونحّى اللوح بعيدًا معلنًا انتهاء الحديث وابتعد عنها.

وهكذا استحال مسعاها لتحذير الطاقم حول خطط القبطان هباءً منثورًا. أجبرت نفسها على تناول آخر قضمة من طعامها، ثم غادرت مكتب مسؤول المؤن وعادت إلى السطح العلوي، بمعدة ممتلئة وقدمين ثقيلتين كأنهما مقيدتان بالسلاسل.

همس هوك من على كتفها: «بحق الأقمار، نحن بحاجة إلى الابتعاد عن هنا قبل أن تسوء الأمور، كيف سنهرب؟ لم تقولي لي».

رفعت تريس إصبعها وأشارت مجيبة على سؤاله، انهمرت الأبواغ تحت القمر الأخضر في الأفق البعيد، لكنه كان قريبًا بما يكفي لإضاءة سطح السفينة بتوهج أخضر. أمام السفينة، حيث ألقت الأضواء بظلال ممتدة، ظهرت اليابسة، وميناء مدينة شيمرباي، الحرية.

قال هوك: «يمكنني التسلل بعيدًا بدون أن تواجهني مشكلة، لكنهم سوف يراقبونك، ستعين القبطان الحراس لمنعك يا تريس، لن يسمحوا لك بالرحيل».

قالت بغثيان: «آوه، لكنهم سيفعلون».

أمرت القبطان الطاقم بالخلود للنوم، قائلة إنهم كانوا سيتوقفون لفترة قصيرة في الميناء، وإن أي شخص سيحاول التسلل سيُجلد، ثم عهدت للاغارت بالمراقبة، لكن تريس نامت على سطح السفينة كما فعلت في الليلة السابقة، وبدون إبحار لن يعثر عليها أحد.

قرابة منتصف الليل، ترك لاغارت مكانه لاستخدام المرحاض. تعمد أن تحدث أقدامه صوتًا عاليًا على الدرجات؛ لإيقاظ تريس التي لم تكن نائمة، لكنها قدّرت محاولته، وقفت وجمعت كيس الفناجين بهدوء، ثم عبرت السطح الفارغ.

قال هوك: «هاه، إذا كانوا لا يريدون أن ينزل أحد من على متن السفينة ... لماذا نصبوا السلم على الرصيف؟»

همست تريس وهي تقف هناك: «لأن كرو تريدني أن أنشر قصة غرق أووتز دريم، تذكر أن القبطان تريد أن يصبح هذا الطاقم من المطاريد القتلة، إذا سمحت لي بالابتعاد، فإنها تفترض أنني سأخبر الجميع».

«حينها سيقع الطاقم في مصيدة رغبات القبطان، إنهم يخافونها للغاية ليتمردوا عليها، وطالما سيدفعهم خوفهم من الوقوع تحت طائلة القانون للهروب، فسيرضخون لأوامرها، وسيبحرون في الأبواغ الخطرة، بوصفهم عبيدًا لها بشكل أساسي».

قال هوك: «يا لهم من مجانين مساكين، حسنًا، دعينا نبتعد قبل أن ينتهي بنا الأمر مثلهم».

ترددت تريس على قمة السلم، كانت شيمرباي على بعد من كينجزبورت، لكنها ستتمكن من شق طريقها إلى هناك؛ لتكمل خطتها لمعرفة ما تريده الساحرة من تشارلي، ثم البحث عن طريقة لتحريره.

قال هوك: «تريس، لا يسعني عدم ملاحظة أنك لا تتحركين».

همست: «يجب أن أبقى، وأساعد الطاقم».

«ماذا؟» صرخ هوك. «لا، لا يجب عليك ذلك».

«لقد كانوا لطفاء معي».

«بالكاد تعرفينهم! أنت لست مدينة لهم بأي شيء».

جاوبته: «لقد أنقذتك وأنا بالكاد أعرفك، لم أكن مدينة لك بأي شيء».

«حسنًا، أعني...» فرك الفأر كفوفه وقد فاجأه ردها، «نعم، ولكن... حسنًا... هاه».

لم تكن تعرف إذا كان بإمكانها إنقاذ تشارلي، لقد أرادت ذلك بشدة، لكن ألمه- رغم أنه كان موجعًا لها - لم يكن شيئًا يمكنها إيقافه على الفور.

كان أفراد هذا الطاقم مختلفين.

قالت تريس: «ربما إذا كان بإمكاني مساعدة الطاقم، فسيأخذونني إلى بحر الظلمات لإنقاذ تشارلي».

«إنهم قراصنة».

قالت تريس: «إنهم عائلة». بدأت الخطة تتشكل، لديها طريقة لإيقاف كرو سرًّا. «وأنا... يا هوك، عليّ أن أفعل ما بوسعي لهم».

حسمت قرارها، وسقط عنها حمل ثقيل، لم تكن تتخلى عن تشارلي، لكن هذا كان شيئًا يجب أن تفعله.

«يا للهول» قال هوك بينما استدارت تريس وعادت إلى مكان نومها.

قالت له تريس: «عليك الهرب، ابتعد، لن ألومك يا هوك، إنه الشيء الذكي الذي يجب القيام به».

صك أسنانه معًا، خمنت تريس أن ذلك قد يكون الطريقة المقابلة لهز الأكتاف كدلالة عدم الاكتراث عند الفئران. قال: «لدي شعور جيد تجاهك، لكن هل أنت متأكدة من قرارك؟»

حادثت تريس نفسها أنها بالطبع ليست متأكدة، لم تكن متأكدة من أي شيء منذ أن تركت الصخرة.

اندلع شيء ما في الليل، عود ثقاب، وجلت تريس وقد أنذرها الضوء بهيئة شخص جالس على الدرجات المؤدية إلى مؤخرة السفينة. كانت الكابتن كرو، أضاء وجهها باللون البرتقالي وهي تشعل غليونها.

هل رأتها؟ هل سمعت تريس تتحدث إلى هوك؟ نفخت القبطان في غليونها وأطفأت عود الثقاب، فغرق وجهها في الظلام، وتسلل الضوء من خلفها من السماء التي افترشها القمر.

«كابتن؟»

قالت كرو: «يجب أن تهربي يا فتاة، لقد أثبتت جدارتك في اليومين الماضيين، وأعتقد أنك تستحقين الحياة، فهيا، انسلي بعيدًا في الليل».

«أنا ... « أخذت تريس نفسًا عميقًا. «أريد الانضمام إلى طاقمك».

«الانضمام إلينا؟» ضحكت كرو. «ألم تتركينا في وقت سابق اليوم لأننا قتلنا عائلتك».

«لقد كذبت يا كابتن. أردت أن تشعري بالأسف من أجلي، فتشفقين عليّ وتطعمينني، أعلم أنك استشفيت عدم الصدق في كلامي، أثبتت ركلتك ذلك، ما كان يجب أن أكذب».

«إذن لم تكن هذه عائلتك على متن السفينة؟»

قالت تريس: «لقد كنت مسافرة خلسة، لم أكن أنتمي إلى هناك أكثر من انتمائي لشيمرباي، أعتقد أنني قد أنتمي إلى هنا».

لم ترد كرو في البداية، فتحت قنينتها محدثة صوت قعقعة في الليل. اعتقدت تريس أنها تستطيع تتبع أفكار القبطان، لو لم تفقد تريس أي شخص، ولو لم تكن غاضبة من الطاقم. . .

فتاة بحر الزمرد

وقفت الكابتن كرو كشبح في الليل «اهربي على أي حال، لا مكان لك هنا، لسنا بحاجة إلى تنظيف سطح السفينة بين الأقدام طوال اليوم، أحتفظ بهذه الوظيفة لتأديب الطاقم، وبقيامك بها، فقد أخذت إحدى أدواتي لفرض الانضباط في السفينة. كل شخص على هذه السفينة يجب أن يكون له مكان، وليس لديك مكان، إلا إذا كنت ترغبين في القيام بدور المرساة».

استدارت كرو نحو مقصورتها، والدخان يتصاعد من غليونها. كادت تريس أن تهرب كما قيل لها، لكن...

كان جزء منها يكره التعرض للتنمر، كرهته بما يكفي للتغلب على إحجامها عن الإثقال على الآخرين، لقد كرهت كيف تنمر الدوق على تشارلي، لقد كرهت كيف تنمر المفتشون على عمال الرصيف، وهي تكره الأمر أكثر هنا، حيث تواجه امرأة اعتقدت أنها تستطيع أن تفعل ما تشاء، فيمن تريد.

قالت تريس: «ليس لديك رفاء للسفينة».

تجمدت الكابتن كرو عند باب مقصورتها.

تابعت تريس: «لقد مات، أنت بحاجة إلى شخص ما لهذا المنصب، لكن باقي البحارة لن يفعلوا ذلك، وإلا لكنت ضغطت على أحدهم للقيام بهذا العمل، لقد جعلوني أقوم بملء أكياس الزفير، إنهم خائفون من الأبواغ».

«وأنت ألا تخافين منها؟» سألت كرو من الظلام.

قالت تريس: «بالطبع أخاف، لكنني أعتقد أن الاحترام الصحي لها يساعد الرفاء على البقاء على قيد الحياة».

ساد الصمت، كانت كرو شبحًا في ظلام الليل، يراقبها ويحكم عليها، والدخان يتصاعد في السماء الزمردية.

قالت كرو: «حسنًا، أنت محقة في ذلك، لنفترض أنه ربما يوجد مكان لك هنا، لقد عبرت الأبواغ سيرًا على الأقدام، تحملت انفجار زفير على الوجه، ما زلت على استعداد للعمل مع الأبواغ، إيه؟ نعم فعلًا.. يمكنني الاستفادة منك، في الواقع قد يكون لدي المكان المثالي لك».

عبست تريس لنفسها، هل كانوا يتشاركون في المحادثة نفسها؟

قالت القبطان وهي تندفع إلى مقصورتها: «مرحبًا بك على متن كروز سونج، يا رفاءة السفينة، ستتنازلين عن حصتك من الغنائم في الثلاث مرات الأولى، ولكن يمكنك أن تأخذ نصيب ضابط بعد ذلك، كما لا يمكنك تناول الطعام مع الآخرين، اذهبي إلى فورت لتناول بقايا الطعام، إن الرفاءين غريبا الأطوار للغاية، ولا أريدك أن تدخل الأبواغ في الطعام».

«أنا ... نعم يا كابتن».

«ولا تكذبي عليّ مرة أخرى، أو سنكتشف ما يحدث للإنسان عندما يبتلع كيسًا من أبواغ الزفير، لطالما تساءل الدكتور أولام عن ذلك». رفعت كرو قنينتها إلى شفتيها وهي تغلق باب المقصورة.

شعرت تريس بالوهن في ركبتيها، سقطت على سطح السفينة، ثم شدّت معطف المفتش الأحمر حولها بإحكام. كانت مرعوبة مما فعلته، لكنها عقدت عزمها، كانت تعلم أنها فعلت الصواب، شعرت بذلك.

صارت تريس قرصانًا الآن، في السراء والضراء.


4



الأحمق



في اليوم التالي، أيقظت الكابتن كرو تريس بصرخة واحدة، كان ينبغي أن يكون ذلك أول دليل لتريس على أن شيئًا مريبًا يحدث؛ لأنه لم يتضمن أي ركل. لقد فوتت كرو الفرص للتسبب في ألم جسدي بقدر ما ترمي الحدأة بفرخ الطيور، بدلًا من ذلك قادت كرو تريس عبر السطح الأوسط إلى غرفة بها قفل كبير جدًا على الباب، ذلك النوع الذي تستخدمه لإيصال رسالة محددة.

«ألا تخافين حقًا من الأبواغ يا فتاة؟» قالت كرو وهي تراجع المفاتيح في حلقة مفاتيحها.

«قلت سابقًا إني أخاف منها يا كابتن، فقط في الآونة الأخيرة، يبدو أن كل شيء وكل شخص يميل لقتلي؛ لذلك أعتقد أن الأبواغ هي مجرد واحدة أخرى، ليست أقل أو أكثر من غيرها».

«لا أقل ولا أكثر؟» قالت كرو وهي تختار المفتاح الصحيح. «حسنًا، هذا موقف مشجع، مشجع حقًا، أيتها الرفاء ذات الرداء الأحمر».

كان لتكة المفتاح في القفل نغمة مشؤومة، كانت بمثابة صوت فخ ينصب، أزالت كرو المفتاح من الحلقة وسلمته إلى تريس «سيكون هذا ملكك من الآن فصاعدًا يا فتاة».

أخذته تريس، لكن لم يفُتها أن بالحلقة مفتاحًا ثانيًا مطابقًا لهذا المفتاح. دفعت كرو الباب، ونظرت تريس في الردهة إلى حيث كان العديد من الدوج يراقبون ويتهامسون، عندما فتح الباب تراجعوا إلى الوراء.

استجمعت تريس شجاعتها، وتبعت كرو إلى داخل الغرفة. لا يبدو الأمر مخيفًا لدرجة تستدعي رد فعل كهذا من الدوج. كانت غرفة صغيرة، أطول من عرضها، بها فتحة واحدة في نهايتها تطل على البحر. كانت الأبواغ تتصاعد مع مرور السفينة، وترتفع أحيانًا لتغطي النافذة، وتغرق الغرفة لفترة وجيزة في الظلام.

كانت تحتوي على سرير بطابقين في طرفها مع بطانية ومرتبة ووسادة، وهي رفاهية خالصة بالنسبة لتريس. بالتأكيد بدت المرتبة متكتلة، والوسادة صغيرة، والبطانية على الأرجح لم يتم غسلها منذ اختراع حروف العلة، ولكن عندما تنام على سطح السفينة، تتعلم أن تعيد تقييم تطلعاتك.

على طول الجدار المقابل للسرير كانت هناك منضدة عمل صغيرة، وفوقها تم بناء مجموعة من الأدراج مثبتة في الحائط. العنصر الآخر الوحيد الملحوظ في الغرفة هو المرآة الكبيرة المعلقة فوق الطاولة، التي تمنح الغرفة المزيد من الاتساع، ويكشف لتريس بالضبط عن مقدار الفوضى التي حلت بشَعرها. يشبه شَعرها كائنًا بحريًّا ضخمًا يثير الرعب بهروبه من سباته الطويل لتمتد مجساته في كل الاتجاهات، مقوضًا الواقع، باحثًا عن حياة العذارى، ومطالبًا بالتضحية بمئة زجاجة من مرطبات الشعر باهظة الثمن.

اتجهت كرو إلى باب يقع في الزاوية، بالقرب من حافة السرير. فتحته وأشارت إليها لتتبعها إلى الداخل، كاشفة عن مقصورة طويلة بالكاد بما يكفي للوقوف فيها، وقد خفضت أرضيتها قدمين لتستقر على حوض مع مصفاة؟ حنفية عالية على الحائط؟

حمام؟ إذا كان السرير رفاهية، فإن فكرة الحمام كانت الجنة.

قالت كرو: «نبقي هذه الحنفية على برميل مملوء بالماء، أعلمينا عندما تريد إعادة ملئها، احتاج وييف دائمًا إلى الاستحمام كثيرًا لإجراء تجاربه».

«تجارب؟ «

قالت كرو وهي تتنهد: «مع الأبواغ، عليك المواكبة يا فتاة، إذا كنت ستتدربين على أن تكون رفاءة. عندما تعملين مع الأبواغ، فعليك أن تكوني في هذه الغرفة ما لم تحصلي على إذن محدد مني، حتى إنني أفضل أن تملئ مقذوفات أبواغ الزفير الخاصة بالمدافع هنا».

قالت تريس: «فهمت».

قالت كرو: «تأكدي من ذلك، تم تعزيز غرفتك بالكامل بالألمنيوم، ولكن هناك جانب مغطى بالفضة في حالة اختراق بعض الأبواغ للطبقات، على الرغم من كل هذه الحماية، يمكنك تمزيق سفينتي إذا كنت مهملة».

أومأت تريس.

قالت كرو: «ليس لديك أدنى فكرة، أليس كذلك؟ ماذا ستفعلين؟ ماذا سيكون متوقعًا منك؟ ليس لديك أدنى فكرة عن مدى خطورة عملك، هل تريدين حقًا المضي قدمًا في هذا؟»

«هل سيتسنى لي النوم في ذلك السرير؟»

«نعم».

«إذن أنا لها».

ابتسمت كرو، كان الأمر سيبدو أقل غرابة لو رأيت تلك الأسنان اللامعة والشفتين الملتوتين على غراب حقيقي. «سأرسل أولام ليطلعك على الأمر، ولكن قبل أن تغرمي بشدة بمكان إقامتك الجديد، تأكدي من إلقاء نظرة على الأرضية».

سارت القبطان مبتعدة، أخذت رشفة كبيرة من قنينتها، جلست تريس على المرتبة، في محاولة لفهم تعليق القبطان الأخير. بدت الأرضية طبيعية، والألواح الخشبية تبدو مغبرة قليلًا؛ حيث لا يبدو أن أي شخص قد قام بتنظيف الغرفة منذ وفاة وييف.

كلما فكرت في الأمر زاد شعورها بالانزعاج، لماذا لم يطالب أحد بهذه الغرفة؟ سرير ومرآة ومياه جارية؟ في اللحظة التي مات فيها وييف، كان يجب أن يقاتل البحارة من أجل الحصول على فرصة لـ...

ثم باغتتها الحقيقة كالصاعقة، لم يكن هناك فضة في أرضية الغرفة.

كانت ستدرك الأمر قبل ذلك، لو كانت أكثر خبرة في حياة السفن، باستثناء قسم واحد صغير بالقرب من المدفع، كانت جميع طوابق السفينة- باستثناء منطقة الحجز- مبطنة بالفضة. كانت هذه سفينة تجارية جيدة وباهظة الثمن (يمكنهم حتى شراء بعض الألمنيوم، الذي لم يكن مكلفًا في هذه المرحلة كما كان من قبل، لكنه لا يزال باهظ الثمن)، وقد تم بناؤها لإبقاء ركابها مرتاحين -والأهم من ذلك- آمنين.

ماعدا هنا؛ حيث يحتاج الرفاء للعمل مع الأبواغ، ألقت تريس نظرة خاطفة على الكوة، والأبواغ الخضراء تتدحرج عبرها. في كل مرة كانت السفينة تطفو في البحر تغرق الغرفة في الظلام، تزداد ضربات قلبها قليلًا.

بحق الأقمار، لا عجب أن لا أحد غيرها كان يريد الغرفة، يجب أن تكون مجنونًا لتنام هنا.

وجدها هوك تشخر بهدوء بعد وقت قصير، لن يلومها أحد، لم يكن النوم على سطح السفينة ينطوي على الكثير من النوم حقًا.

«تريس؟» همس هوك. «ما هذا؟ غرفتك الخاصة؟»

جلست مترنحة. «نعم، إنه فخ موت، لكنه مريح، أين كنت؟»

«لقد أحضروا قطة، يا تريس»، تذمر هوك وهو ينظر إلى الباب. «قطة حقيقية، هذه إهانة من أخطر الأنواع، كما هي من النوع الذي قد يؤدي بي إلى قبري...».

قالت تريس: «ابقَ بالقرب مني، سأحاول إبعادها عنك».

ارتجف هوك بشكل واضح وهمس: «أنا أكره القطط، ما مدى غبائهم للحصول على قطة بسبب فأر واحد؟ من الذي سوف يلتهم أكثر من طعامهم؟ أنا أو هذا الشيء الذي يزن أضعاف وزني عشر مرات؟ إن البشر الأغبياء، آه، البشر الآخرون الذي ليس اسمهم تريس».

قالت: «أنا نوع مميز من الحمقى، يا هوك، بالنظر إلى أنني ما زلت على متن هذه السفينة».

نزلت من السرير بحسرة وصعدت إلى الأعلى لإحضار كيس الفناجين، عادت إلى الغرفة؛ حيث بدأت في ترتيب الفناجين على منضدة عملها، وتتذكر القصص التي رواها تشارلي عندما عرضت عليه كل واحد.

شعرت أنها تخونه، البقاء ومساعدة ناس بالكاد تعرفهم؟ بدلًا من البحث عن وسيلة لإنقاذه؟ صلت للأقمار وهي ترتب الأقداح، ووعدت نفسها بأنها سوف تجد طريقًا، إذا تمكنت من مساعدة هذا الطاقم، ولم يكونوا على استعداد لنقلها إلى بحر الظلمات في المقابل، فربما سيكونون قادرين على مساعدتها بطريقة أخرى؟ مثل جمع المال من أجل الفدية؟

جعلتها هذه الخاطرة تشعر بالغثيان، لم تكن تريد سرقة الناس لإنقاذ تشارلي، في تلك اللحظة، وهي تحمل فنجان الفراشة، اعترفت بشيء ما، لا يمكنها أبدًا دفع فدية، ولن تلجأ إلى القرصنة للقيام بذلك، سيكون عليها إيجاد طريقة أخرى لإنقاذ تشارلي.

ولكن كيف؟ ماذا يمكنها أن تفعل؟

بينما كانت تفكر في ذلك، وتكافح من أجل كبح دموعها، تحدث صوت مفعم بالحيوية من المدخل.

«هل تحتاجين إلى يد العون؟ همم؟»

«لن تقدم لي يدًا حرفيًّا للمساعدة، أليس كذلك يا أولام؟» سألت تريس.

أخفى أولام إحدى ذراعيه خلسة خلف ظهره. «هل سأكون بالغ القسوة لهذه الدرجة، يا آنسة تريس؟»

«...نعم؟ لهذا سألت».

ابتسم الرجل (شخص؟ شيء؟) ذو البشرة الرمادية ودخل الغرفة. ألقيت نظرة خاطفة من خلفه، ولكن بما أن تريس لم يكن لديها قرد صغير، لم أكن مهتمًّا في الوقت الحالي.

«هل تعرف حقيقة هذا كله يا دكتور؟» قالت تريس وهي تشير للغرفة الصغيرة مع الحوض والحنفية. «قالت القبطان إنها مخصصة للتجارب».

«نعم، أحب وييف تجربة «كيف يمكنني خداع الجميع بالسماح لي بأخذ حمام دافئ؟» كانوا يحتفظون ببرميل من المياه في الشمس، وبينما أشك أن اغتسالك سيكون دافئًا بشكل ممتع، فلن تقومي أيضًا بتجميد أي أعضائك». نظر إليها. «إذا فعلت ذلك، تأكد من حفظها لي، همم؟»

قالت تريس: «إذن هو حمام».

«حسنًا، لقد احتاج وييف إلى غرفة يستطيع فيها التعامل مع الأبواغ -وتنشيطها في بعض الأحيان- دون أن يشكل خطرًا كبيرًا على الطاقم، يتطلب ذلك حوضًا خزفيًا يحتوي على الماء، كان يستنبط بعض الأمور فقط، كان رجلًا ماكرًا، باستثناء النهاية». هز أولام رأسه. «يا لها من مضيعة لجثة».

«تقول الكابتن أنني سأحتاج إلى القيام ببعض واجبات وييف إذا كنت سأبقى على متن السفينة، هل كان يقوم بأكثر من العمل على أبواغ الزفير؟»

قال أولام: «سترغبين في التدرب على الماورد، لإغلاق الفجوات في حالات الطوارئ. وفي زراعة خضرة الأبواغ دون كسر أي شيء؛ لأن الكروم يمكن أن يكون طعامًا للطوارئ. نعم، إنها صالحة للأكل. أعتقد أن أي شيء قابل للأكل، إذا كنت متفائلًا بما فيه الكفاية!»

«أنا متفائل!» قلت وأنا أنظر في مرة أخرى. «ذات مرة أكلت صخرة كاملة، كان عليّ أن أقاتل عائلتها أولًا» دمدمت وسارت بعيدًا.

يبدو أن تريس لم تفهم غالبًا ما قلته، حيث كانت تركز على علتي. «هل تعرف ما... خطبه يا دكتور؟»

قال أولام وهو ينظر في الأدراج فوق طاولتها: «لدى هويد الكثير من المشاكل التي لا تحصى، لن أزعجك بحالته، إنه ماهر في فك العقد بقدر ما هو بارع في صنعها».

أومأت برأسها ونظرت إلى سريرها، عندما يغادر أولام هل يمكنها أن تأخذ قيلولة أخرى؟ أو هل سيتم توبيخها على التلكؤ عن العمل؟

«نعم...» قال أولام وهو شارد «كان يجب على هويد أن يكون أحكم من أن يشتبك مع الساحرة. في الواقع ربما كان، إنه أمر مخيف، إنه نادرًا ما يترك ذلك يؤثر على قرارته».

شعرت تريس بتحفز أبعد النوم عن رأسها، «الساحرة؟»

«همم؟ نعم، ماذا حدث له في رأيك؟ إنه يرتدي قناع الشجاعة، متظاهرًا بأنه مجرد أحمق عادي، لكني أؤكد لكم أنه من النوع الاستثنائي، إنه رائع حقًا. أقول دائمًا عندما تزعجك المشاكل حافظ على شفتك العليا مترفعة! أو عدد من الشفاه».

قالت تريس منتقية كلماتها بعناية: «هناك شخص ما على متن هذه السفينة يعرف الطريق إلى الساحرة؟ شخص كان هناك من قبل وتمكن من الهروب حيًا؟»

قال أولام: «من الناحية الفنية، نعم، لكن ليس لدي أدنى فكرة عن كيفية قيام هويد بذلك، لقد وجدته على هذا النحو بعد وصولي إلى الكوكب ردًا على رسالته».

«إلى الكوكب؟» سألته. «كأنك آت من النجوم؟» لقد سمعت قصصًا عن زوار من النجوم، لكنها اعتقدت أنها خيالية، حتى لو بدا أن هناك المزيد والمزيد منها هذه الأيام يتناقلها البحارة.

«همم؟» قال أولام. «نعم بالتأكيد، ليس من نجم حقًا، بل كوكب يدور حول أحدها. بغض النظر، أشك في أنك ستتمكنين من الحصول على أي شيء مفيد من هويد وقد أصابته تلك اللعنة».

نحّت التفكير في هذه الأماكن القصية والفناجين التي لديهم بعيدًا عن عقلها في الوقت الحالي. هناك... كان هناك شخص على متن السفينة يمكنه مساعدتها في العثور على تشارلي! يمكن أن يكون هويد هو الحل! شعرت بارتياح شديد، تلتها نوبة فزع مفاجئة، إذا أقدمت على مغادرة السفينة قبل ذلك، فلم يكن لها أن تعرف ذلك قط.

جلست مذهولة، وقد أدركت أنني في الحقيقة المفتاح الذي تحتاج إليه، لقد وضعت خطة حقيقية في النهاية، يمكن أن تنجزها، أن تكتشف من خلالي كيفية الوصول إلى الساحرة، وربما تعلم كيفية التعامل معها.

كان لا يزال احتمالًا مخيفًا، لكنه كان أفضل مما كان لديها من قبل، وبينما جلست هناك، وصلت لقناعة أن هذا الطاقم والأشخاص الطيبين الموجودين فيه المحاصرين في نوعهم الخاص من السجون -هم بالضبط ما تحتاج إليه لإنقاذ تشارلي.



مساعد ضابط المدفعية



«هناك اثنا عشر بحرًا»، أوضحت آن وهي تجلس على درابزين السفينة، وتطرق كعبيها على الخشب بشكل متناغم، «ومن ثَمَّ اثنا عشر نوعًا من الأبواغ، كيف لا تعرفين ذلك؟»

أوضحت تريس: «عشت طوال حياتي في مدينة تعدين صغيرة. نعم، تحدثنا دائمًا عن وجود اثني عشر بحرًا واثني عشر قمرًا، لكنني تعلمت الكثير في الأيام القليلة الماضية، واعتقدت أنه يجب أن أتأكد من أشياء من هذا القبيل».

قال فورت: <هي محقة في أن تسأل يا آن>، رافعًا لوحه. <هناك ثلاثة عشر نوعًا من الأبواغ>.

قالت آن: «لا، لا يوجد، لا تنشر تلك الكذبة».

كتب: <إنها ليست كذبة، إنها أسطورة، وهو شيء مختلف كليًا>.

قالت آن: «بل الهراء هو المصطلح المناسب، لا يستطيع الناس حتى اتخاذ قرار بشأن اللون المفترض أن تكون عليه أبواغ العظام، هي بيضاء أو سوداء؟ أو كلاهما؟ اسمعي يا تريس، هناك اثنا عشر نوعًا من الأبواغ».

أومأت تريس، كانوا في مقدمة السفينة على السطح العلوي، بالقرب من المدفع الأمامي. لم تتفاجأ تريس بالعثور على آن هناك، غالبًا ما كانت النجارة النحيفة تحوم حول المدفع، مطلقة عليه نظرات مراهق معجب، إلا أن تريس قد فوجئت برؤية فورت جالسًا على سطح السفينة هذا الصباح، يرتق جواربه. كان جزء منها يعتقد أنه كائن ثابت في مكتبه.

كانت تريس تعد بعناية أكياس أبواغ الزفير في برميل المدفعية، عندما سألت لاغارت، قال إنه ينبغي عليهم الاحتفاظ بأربعين كيسًا في متناول اليد، لقد اعتقدت أن عدهم أعطاها عذرًا جيدًا لنقلهم من البرميل إلى صندوق من الألومنيوم؛ حيث سيكونون في مأمن من فضة السفينة.

قالت تريس: «اثنا عشر بحرًا، كم رأيت منهم يا آن؟»

أجابت بفخر: «ثلاثة: بحر الزمرد، وبحر الياقوت، وبحر الورود».

كتب فورت: <مثير للإعجاب>.

«أعلم، أليس كذلك؟»

<لقد ذهبت إلى عشرة>.

«ماذا؟» اعتدلت آن في جلستها. «كذاب».

<لماذا أكذب؟>

قالت آن: «أنت حرفيًّا قرصان، يعلم الجميع أنه لا يمكنك الوثوق بهؤلاء البشر».

قلب فورت عينيه بتعبير واضح، ثم عاد إلى عمله في ترتيق جواربه. ترددت تريس، ناظرة إلى صندوق أكياس الأبواغ. هل كانت تلك هي الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين التي عدتها للتو؟ أصدرت تأوه خافت ثم كوّمتها جميعًا في البرميل وبدأت من جديد.

«أي اثنين؟» سألت آن فورت وهي تربت على كتفه لينظر لها. «أي بحرين لم تذهب إليهما؟»

كتب فورت: <ليس من الصعب التكهن>.

«بحر الظلمات، والبحر القرمزي؟»

أومأ برأسه.

قالت تريس وهي تحصي الأكياس: «بحر الظلمات، هذا هو المكان الذي تعيش فيه الساحرة».

قالت آن: «نعم، والبحر القرمزي هو منطقة نفوذ التنين، لكن هذا ليس سبب عدم إبحار الناس إليهما، إنها الأبواغ يا تريس، عليك معرفة هذه الأشياء، إذا كنت ستعملين كرفاء. معظم أنواع الأبواغ مميتة، لكن نوعين منها كارثيان تمامًا، ابتعدي عن أبواغ البحر القرمزي وبحر الظلمات، حسنًا؟»

قالت تريس: «حسنًا، عليك أن تمر عبر البحر القرمزي حتى تصلي لبحر الظلمات، أليس كذلك؟ لذلك من غير المرجح أن أفعل ذلك على الإطلاق». عبست قائلة: «لماذا عليك أن تمر بواحد للوصول إلى الآخر؟ ألا يمكنك الإبحار حول القرمزي للوصول إلى بحر الظلمات؟»

قالت آن: «ربما إذا كنت تستطيعين الإبحار عبر عدة سلاسل جبلية، أفترض أنك يمكنك الإبحار حول العالم لتصلي لبحر الظلمات من الخلف».

أوضح فورت: <إنه أحد أسباب استقرار الساحرة هناك، تتحكم في التجارة عبر المنطقة- الممر الذي يربط الكوكب، يمكن لسفنها فقط الإبحار في بحر الظلمات>.

أردفت آن: «لقد مرت سنوات منذ عبرت أي تجارة، الملك لا يريد دفع الرسوم؛ ولذا فهي الحرب بدلًا من ذلك».

قال فورت وهو يهز رأسه: <كأنه يعتقد أنه يستطيع التغلب عليها، لا يمكنه حتى الحصول على أسطول مناسب لعبور البحر القرمزي، إنه أمر بالغ الخطورة>.

أومأت تريس برأسها. بدت هذه الأمور وكأنها أشياء كان ينبغي عليها أن تعرفها بالفعل، كانت تلعب لعبة اللحاق بالركب، لكنها شعرت بالسعادة للمرة الثانية لأنها لم تترك هؤلاء الأشخاص. لقد أدركت أن على الرغم من أن فردًا واحدًا فقط من الطاقم ربما له تجربة سابقة مع الساحرة بشكل شخصي، لكن كلًّا منهم لديه معلومات يمكن أن تساعدها.

قالت وقد انتهت من العد: «يوجد هنا خمسة وعشرون كيسًا؛ لذا أحتاج إلى عمل خمسة عشر أخرى».

قالت آن: «بدون تفجير وجهك هذه المرة».

«لم أفجره».

قالت آن: «من الناحية الفنية، أنا متأكدة من أن بعض الأجزاء منه قد تطايرت، من المؤسف أنك حصلت على هذا المرهم. ستبدين كشخص مشاكس بوجود ندبة أو اثنين».

ارتجفت تريس بتعبير ملتبس، ثم عندما عادت آن لمضايقة فورت، فكت تريس بهدوء المزلاج وفتحت القاع الزائف للبرميل وعدت محتوياته؛ خمس قذائف مدفعية مخفية، كل منها أكبر قليلًا من قبضتها.

بمساعدة هوك في المراقبة، أخذت بعض القذائف العادية من عنبر السفينة. لا أحد يحرسها، من سيسرقها؟ ولكن الآن في محاولة لمنع نفسها من التعرق أثناء تنفيذ حيلتها، بدأت في إخراجهم من حقيبتها واستبدالها بتلك الموجودة في قاع البرميل الزائف.

كانت متأكدة من أن أحدًا ما سيلاحظها في أي لحظة، لكن نادرًا ما يشاهدك الناس بقدر ما تعتقد؛ إنهم مشغولون جدًّا في القلق بشأن ما إذا كنت تشاهدهم أم لا؛ لذلك كانت تريس قادرة على استبدال قذائف لاغارت السرية، واحدة تلو الأخرى، بأخرى عادية. ثم أغلقت الجزء السفلي المخفي وأعادت أكياس أبواغ الزفير الخمسة والعشرين.

تم التبديل، جففت يداها بتركيز ولم تنكز في قناعها، يمكن لأي شخص أن يفجر وجهه بالصدفة، أعني من لم يفعل ذلك، ولكن إذا قمت بذلك مرتين على التوالي، فستبدو سخيفًا حقًّا.

أغلقت تريس حقيبتها، ما زالت لا تعرف ماذا ستفعل بقذائف المدفعية المعيبة، هل تخبئهم في قمرتها؟ هل تنزلهم من القارب في الخفاء؟

قالت آن: «يا تريس، عندما تقوم بعمل قذائف الأبواغ، هل تعتقدين أنه ربما يمكنك أن تعدي لي بعض الأكياس الإضافية حتى يمكنني التدرب؟»

قالت تريس: «لا أرى سببًا يمنع ذلك، طالما لن تمانع القبطان».

قالت آن: «نعم، بالطبع». إلا أن شيئًا غريبًا بدا في نبرتها، يذكرك بحديثك عن ذلك المشروع الذي كنت تخطط لإنهائه في أقرب وقت. ابتعدت، ولكن فقط بعد أن مررت أصابعها على سطح المدفع.

كان فورت مركزًا على عمله، وبالتالي لم يستمع إلى المحادثة، على الرغم من أن حالته سببت له الكثير من الصعوبات، لطالما حسدته على قدرته على استئصال معظم الأشياء الغبية التي يقولها الناس من حياته بمجرد إشاحة بصره.

استقرت تريس على سطح السفينة أمامه لافتة نظره. «ما خطب آن والمدافع؟» سألت تريس. «اعتقدت أنها كانت مساعدة ضابط المدفعية بالسفينة».

كتب فورت: <أفترض أنها لا تزال كذلك، لم يتم إقصاؤها رسميًّا من المنصب، على الرغم من أنها لن تطلق القذائف في أي وقت قريب>.

حبست تريس أنفاسها. «ماذا فعلت؟» همست وهي تميل نحوه.

<هل تهمسين؟> رد فورت.

«أم ... نعم».

<هذا لطيف>.

«آن، هل ستخبرني عنها أم لا؟»

<بماذا ستقايضني من أجل المعلومات؟>

«هل علينا أن نقايض شيئًا في كل مرة يا فورت؟» سألته تريس. «ألا يمكننا الدردشة فقط مثل الأصدقاء؟»

كتب: <لكن التفاوض هو الجزء الممتع! إنه يخبرني الكثير عنك، ما أنت على استعداد للتخلي عنه، وما تعتزي به، هيا ألا تثيرك محاولة الحصول على أفضل صفقة؟>

«أنا ... لا أعرف حقًا».

<ماذا ستقولين لي حتى أتحدث عن آن؟ معلومات مقابل معلومات، أنت تشتتين انتباهي عن إصلاح هذه الجوارب كما تعلمين، لا يمكنني الخياطة ومشاهدة اللوح في الوقت نفسه، إذن أنت مدينة لي>.

«لكنني لا أعرف أي شيء مثير للاهتمام لمقايضته».

<حقًا؟ ولماذا أنت هنا؟ ما الذي دفع فتاة لطيفة من بلدة صغيرة لسرقة معطف مفتش وتتظاهر بأنها قرصان؟>

مالت نحوه، وتحدثت بهدوء رغم ما قاله من قبل: «هل جهلي واضح بهذا القدر؟»

<يا فتاة، إذا كنت قد أبحرت في بحر الأبواغ لمدة تزيد عن أسبوع قبل أن نعثر عليك، فسوف أتناول ما أطهيه، إذن لماذا أنت هنا؟>

قالت: «أنا أبحث عن شخص ما، شخص عزيز علي».

<آه، إذن أنت تبحثين في البحار مثل سالاي على أمل أنه موجود في كل ميناء جديد، ستجدين أخيرًا ذلك الجورب ..>. حذف هذا الجزء: <آسف، اللوح ليس دائمًا جيدًا في التنبؤ، تأمل في العثور على الشخص الذي فقدته>.

نظرت تريس عبر السفينة نحو قائدة الدفة؛ حيث وقفت قوية مثل الصواري، ثابتة في مكانها على السطح، وكلتا يديها ممسكتان بعجلة القيادة. كالعادة، كانت عيناها الداكنتان مثبتتين على الأفق بنوع من التركيز الذي

يخصصه المرء فقط للمهام ذات الأولوية، مثل العثور على آخر قطعة حلوى مغلفة في كيس مليء بالأغلفة الفارغة.

كانت تبحث بلا هوادة عن والدها، أمام تصميم سالاي الواثق، بدا مسعى تريس مثيرًا للضحك.

«إنه... ليس الشيء نفسه حقًا، «قالت تريس لفورت: «ليس لدى سالاي أي فكرة عن مكان والدها، أعرف بالضبط مكان تشارلي».

حثها فورت بعد لحظة على الاستمرار في الحديث: <حقًا؟ فقط بحاجة إلى ادخار بعض المال للوصول إليه إذن؟>

قالت: «أخشى إن الأمر أسوأ من ذلك، لقد أخذته الساحرة، هاجم سفينته وأسرته».

تراجعت أكتاف فورت: <أوه، أنا آسف>.

«نعم، بالكاد لدي أي فكرة عما أفعله يا فورت، لكن لا بد لي من الوصول إليه». تجهمت. «قلت إنني على الأرجح لن أصل أبدًا إلى بحر الظلمات، كان هذا نوعًا من الكذب، أنا مصممة على الوصول إلى هناك بطريقة ما».

<إذا هاجمت الساحرة سفينته، فهو ميت، أنا آسف، ربما يجب عليك المضي قدمًا>.

قالت تريس: «إنه على قيد الحياة، طلبت فدية من الملك لتحرير تشارلي، اعتقدت... ربما يمكنني جني ما يكفي من المال لأعين الملك بدفعها».

<تريس، الساحرة لا تطلب المال كفدية، بل تطلب الأرواح، عادة من السلالة الملكية، مجرد المال لن يرضيها أبدا>.

احتقن وجهها، وشعرت وكأن مسها الجنون، لقد أدركت الآن أنها لن تكون قادرة على الدفع مقابل تحريره، ولكن مع ذلك كان عمق جهلها مزعجًا، مثل سمكة تحاول جاهدة القفز من حوضها من أجل الهروب، كانت تحاول حل مشكلة قبل أن تتوقف لتتساءل عما إذا كانت قد استوعبت موقفها.

<مهلًا، إذا تم الاحتفاظ تشارلي هذا للحصول على فدية، فمن المحتمل أنه رجل نبيل، صحيح؟>

«نعم» همست تريس.

كتب فورت: <هذا لا يهم كثيرًا لأشخاص مثلنا، أنا آسف، لكن هذه هي الحقيقة، من الأفضل أن تمضي قدمًا>.

قالت تريس: «ربما».

<حسنًا، لقد أعطيتني معلومات، من العدل فقط أن أعطيك ما تريدين، أستطيع أن أخبرك عن آن>.

قالت تريس: «لم أخبرك بأي شيء مهم يا فورت، ليس عليك أن تأخذ ذلك كمقايضة».

<آه، لكن المعلومات التي تخص آن بالكاد تساوي أي شيء، يعرفها الجميع، كنت قد ستكتشفين ذلك قريبًا على أي حال>.

«لقد تصرفت كما لو كان سرًّا كبيرًا!» قالت تريس.

<لا، لقد سألت فقط عما تريدين المقايضة به>. ابتسم ابتسامة عريضة، ووكزها في ذراعها، ثم واصل الكتابة: <لا تسخطي، إن الكشف عن مشاعرك يسهل على الناس الحصول على صفقة جيدة منك، هذه معلومة مجانية، أعطيت آن وظيفة مساعد قائد المدفعية لأنها طلبت ذلك بعد وفاة آخر مساعد، لكن لم يفكر أحد في اختبارها في إطلاق أحد المتفجرات أولًا>.

«و...؟» سألت تريس.

كتب فورت: <إن تصويب هذه المرأة أسوأ من تصويب رجل مخمور يركب حيوان لاما بثلاث أرجل. أطلقت ذات مرة مسدسًا على هدف، لكنها تمكنت تقريبًا من إصابتي، وكنت أقف بجانبها. في المرة الأولى التي ضربت فيها المدفع كان تصويبها بعيدًا جدًّا، والشيء الوحيد الذي كان بأمان هو هدفها>.

قالت تريس: «بحق الأقمار، ربما ... تحتاج فقط إلى مزيد من التدريب».

<سأدعك تعلميها إذن، سأصعد بأمان إلى غرفتي، ربما بعد ارتداء درع>. تفحصها فورت ثم قال: <لا يُقدر لبعض الأشياء أن تكون يا فتاة، في بعض الأحيان عليك أن تقبلي ذلك ببساطة>.

«أنت تتحدث عني وتشارلي».

<ربما، اسمعي يا تريس، حتى إذا كان لا يزال على قيد الحياة، فإن الساحرة ستلعنه مثل المسكين هويد، تستخدم العديد من اللعنات المختلفة، لكنها دائمًا ما تضع واحدة على أسراها، لإبقائهم طيّعين>.

«كيف تعرف الكثير عنها؟» سأل تريس.

شرح فورت: <هذا ما قالته لي الكابتن عندما جعلتني أقايض للحصول على هويد على سفينتنا>.

«القبطان على وجه التحديد أرادت هويد على السفينة؟» سألت تريس. «لماذا؟»

<لا أعرف، سمعت عن لعنته ورحلته إلى الساحرة، كان الحصول عليه صفقة سيئة؛ لأن زملاءه السابقين كانوا سعداء للتخلص منه، أصرت الكابتن رغم ذلك>.

هز فورت رأسه، وهو يفكر في كم الضرر الذي لحق بسمعته بمجرد أن اكتشف الناس أنه تفاوض للحصول على مجنون ليكون خادم سفينتهم.

ومع ذلك، بلغ اهتمام تريس مبلغه، لقد تلاعبت الكابتن كرو بالطاقم ليصبحوا قراصنة، ثم أجبرتهم على أن يصبحوا مطاريد قتلة؛ لأنها أرادتهم أن يبحروا في البحار الخطرة. وهل كانت تبحث على وجه التحديد عن شخص ما لعنته الساحرة؟

هل يمكن أن تتطلع القبطان لزيارة الساحرة بنفسها؟

نظرت تريس في اتجاه كرو، وبعد ذلك خطت تريس الخطوة الفريدة التي فصلتها عن الناس في معظم القصص، يمكن القول إنه الفعل الذي عرفها بوصفها بطلة، لقد فعلت شيئًا لا يصدق، بالكاد أستطيع التعبير عن جلالته.

حادثت تريس نفسها أن عليها التفكير في هذا الأمر مليًّا، وألا تقفز إلى الاستنتاجات.



الرجل الملعون



ربما تكون في حَيرة من أمرك لماذا أنا، راوي القصص المتواضع، سأثير مثل هذه الضجة حول هذا الأمر. توقفت تريس وتساءلت عما إذا كانت قد قفزت إلى نتيجة وقررت إعادة النظر؟ لا شيء مميز، أليس كذلك؟

أنت مخطئ للغاية، مخطئ بقدر يدمر الروح.

يقضي (مستحضرو العوالم) من أمثالي عقودًا في البحث في الحكايات الشعبية والأساطير والروايات والتاريخ وأغاني حانات السكارى بحثًا عن القصص الأكثر تميزًا، نحن نبحث عن الشجاعة والذكاء والبطولة، ولا نجد نقصًا في هذه الفضائل، إن الأساطير مليئة بشكل سخيف بهم.

لكن الشخص الذي هو على استعداد لإعادة النظر في افتراضاته؟ البطل الذي يستطيع الجلوس وإعادة تقييم حياته؟ حسنًا، إنه حجر كريم حقًّا يا صديقي.

ربما تفضل قصة عن شخص يواجه تنينًا. حسنًا، هذه القصة ليست من تلك النوعية. (مما يجعل الأمر أكثر إثارة للإعجاب أن تريس ستقدم على مقابلة التنين في نهاية المطاف، ولكن يرجى التوقف عن استباقي في الأحداث). يمكنني أن أفهم سبب رغبتك في الحصول على حكايات عن أشخاص مثل لينجي، الذين حاولوا الإبحار حول العالم بدون طيور الأفيار ذات القدرات السحرية.

ومع ذلك، سأقوم بمقايضة عشرات الأشخاص مثل لينجي مقابل شخص واحد على استعداد للجلوس لمدة دقيقة واحدة والتفكير فيما يفعله. هل تعرف عدد الحروب التي كان يمكن منعها إذا توقف شخص واحد فقط للتفكير قائلًا: «أندري، ربما يجب علينا التحقق مرة أخرى، ربما الغمز مرتين ليس إهانة في ثقافتهم؟»

هل تعرف كم عدد القصص الرومانسية العظيمة التي كانت ستتجنب المأساة إذا أعاد البطل التفكير، «هل تعلم، ربما يجب أن أسألها إذا كانت تحبني أولًا؟»

هل تعرف عدد المغامرات التي طال أمدها والتي كان يمكن اختصارها إذا توقفت البطلة للتساؤل، «هل تعلم، ربما يجب أن أبحث بعناية أكثر لعل الشيء الذي أبحث عنه كان معي طوال الوقت؟»

أنا غارق في الشجاعة والذكاء والبطولة، عوضًا من ذلك تفضل بإعطائي القليل من الفطرة السليمة؛ لذلك في تلك اللحظة كانت تريس مهيبة للغاية.

حادثت تريس نفسها أنها بحاجة إلى مزيد من المعلومات قبل أن تقرر إعلامها بطبيعة خطة الكابتن، تحتاج إلى إيجاد طريقة للتجسس عليها، ربما يمكنها استخدام هوك مرة أخرى.

أومأت برأسها، وفي تلك اللحظة وفرت تريس على نفسها قدرًا كبيرًا من المتاعب. خطة القبطان لا علاقة لها إطلاقًا بالساحرة على أي حال، ولكنها تتعلق كليًا بخوف الطاقم منها.

التقطت تريس حقيبتها متظاهرة أنها لم تكن ممتلئة بقذائف المدفعية، وهو أمر ليس بالسهل بطبيعة الحال، وحملتها إلى المدفع الخلفي الذي وضع على مؤخرة السفينة، أجرت مبادلة مماثلة هناك (وضعت قذائف المدفع التي أخذتها في كيس منفصل داخل حقيبتها الكبرى) بينما تعد قذائف أبواغ الزفير.

نقلت حقيبتها إلى الطابق السفلي، حيث وضعتها في غرفتها. من هناك ذهبت للبحث عني. الآن عادةً ما يكون هذا أيضًا مثالًا ساطعًا على الفطرة السليمة من جانبها، يمكن للجميع استخدام المزيد من رجاحة العقل في حياتهم إلا أنا، يمكنني تحمل خسارة قدر أو اثنين.

لسوء الحظ، لم أكن بالضبط في أفضل حالة ذهنية خلال هذه الرحلة، وجدتني تريس ألعب الورق مع مجموعة من الدوج، كنت أرتدي حذاءً معقودًا حول رقبتي، حيث قررت أنها ستكون بالتأكيد آخر صرعة للموضة في الموسم التالي، لكن نسيت أن أرتدي البنطال كما هو متبع، وكانت ملابسي الداخلية تحتاج إلى غسيل جيد. في الواقع لم أكن كلي في أحسن حالاتي.

كنت أحاول أن ألعب لعبة اخترعتها تسمى «الملوك» حيث يحمل الجميع أوراقهم بالمقلوب، ومن ثم لم تكن تعرف ما لديك من الأوراق على عكس الباقين، يمكنني أن أتخيل العديد من التطبيقات المثيرة للاهتمام لهذه اللعبة الآن، ولكن في ذلك الوقت كان الجزء المثير للاهتمام هو مدى سهولة حصول الدوج على نقودي، تلاها فردة حذائي.

ليس لدي أي فكرة عما فعلته بالفردة الأخرى.

بمجرد أن انتهى الدوج من الاستخفاف مني بقدر ما أستحق، سارعوا للعثور على ضحية أخرى. بينما جلست هناك أتساءل عما إذا كان ينبغي أن أبدأ في ارتداء جورب حول رقبتي، حتى استقرت تريس بجانبي.

«هل ترغبين في لعب دور من لعبة الملوك؟» سألتها بابتسامة. «لا يزال لدي بعض السراويل الداخلية التي يمكنني المراهنة عليها!»

قالت تريس: «أمم، لا شكرًا. هويد، أعلم أنك زرت الساحرة، هل... هل تتذكر أي شيء عنها؟»

«نعم!» قلت.

«رائع! ماذا يمكنك أن تخبرني عنها؟»

«ل ... ل ... ل ... لا أستطيع! « قلت وأنا أخبط على رأسي. « لا تعمل الكلمات في رأسي بهذه الطريقة يا صغيرتي، تأخذهم الساحرة في معرض حديث آخر!»

قالت تريس: «أنا لا أفهم».

جاوبتها: «ولا أنا أيضًا! تلك هي المشكلة! لا أستطيع أن أقول أي شيء على الإطلاق عما تتحدثين عنه! إنه ج...ج...ج...» هزت كتفي، غير قادر على نطق الكلمة.

«إنها... جزء من اللعنة تمنعك من الحديث عن اللعنة ذاتها؟» خمنت تريس.

غمزت، في الغالب لأن كان لدي شيء في عيني، لكن في هذه الحالة، افترضت تريس صحة تخمينها، حاكت الساحرة لعنتها بعناية شديدة: إذا حاولت التحدث عن اللعنة، فستتلعثم أو تموت الكلمات في منتصف الطريق إلى شفتيك، لا يمكنك حتى إخبار الناس بأنك ملعون إلا إذا كانوا يعرفون بالفعل.

قالت تريس: «لذا إذا أردت أن تقودني إلى الساحرة، يجب أن أجد طريقة لكسر لعنتك دون معرفة أي شيء عنها، بالإضافة إلى ذلك لا بد لي من القيام بذلك دون أي مساعدة منك على الإطلاق».

أخذت يديها في يدي، نظرت إليها في عينيها، أخذت نفسًا عميقًا وأنا أرتجف.

قلت لها: «لقد أكلت مرة بطيخة كاملة مرة واحدة، وأصابني الإسهال».

تنهدت تريس، وسحب يديها. «حسنًا، حسنًا، أعتقد أن العثور على طريقة لكسر لعنتك أقل استحالة قليلًا من إيجاد طريقي إلى الساحرة بمفردي، هذا شيء يمكن البناء عليه على الأقل».

كان لا يزال هناك جزء مني – في أعماقي– يعرف ما يحدث حولي. كانت الساحرة قاسية بهذا القدر، من المؤكد أن تحويل الرجل إلى مغفل أمر ممتع، لكن العذاب الحقيقي يكمن في تركه واعيًا بما يكفي ليشعر بالرعب.

ما زال الجزء الواعي بداخلي يتخبط لإيجاد طريقة للمساعدة. كان أولام عديم الفائدة بالطبع، هذه هي مشكلة الخالدين، لقد اعتادوا الجلوس في انتظار أن تحل المشاكل من تلقاء نفسها.

ولكن كان هنا شخص ما على استعداد للمساعدة، ماذا يمكن أن أقول له؟ ماذا يمكنني أن أفعل؟ جزء مني فقط كان لا يزال مستيقظًا، ولم يكن لديه أي سيطرة تقريبًا. علاوة على ذلك، في كل مرة أحاول فيها قول أي شيء عن طبيعة محنتي، تنشط اللعنة، وتدفعني إلى الوراء وتجبرني على القيام بشيء همجي، مثل ارتداء الجوارب مع الصنادل.

بدأ بصيص الوعي هذا يتلاشى، واغتنمت ذلك، الاعتماد على غبائي الخالص. اعتمدت اللعنة -مثل أغلب الأعمال السحرية- على كيفية تفكير الشخص/ على نواياه، كنت أعلم أنه يمكنني استخدام ذلك.

اشتعلت الشرارة مثل وهج الفحم في ظلام الليل، اقتربت من تريس وشحذت عقلي لإخراج سلسلة من الكلمات.

قلت لها: «أنصتي إليّ، هذا أمر بالغ الأهمية، كرري ورائي، أعدك أن تحضريني إلى كوكبك يا تريس».

«أحضرك... إلى كوكبي؟ «

«نعم، نعم! يمكنني أن أنقذك إذا فعلت ذلك».

«لكنك هنا بالفعل!»

«ماذا هنا؟» قلت بعد أن نسيت عمدًا ما قلته. «الكواكب لا تهم، في الوقت الحالي ابحثي عن مجموعة النجوم الستة، يا تريس!»

ترددت تريس، ستة نجوم؟ لسوء الحظ خارت قوتي أثناء تعجبها. جلست راسمًا ابتسامة حمقاء، وقررت إجراء بعض الأبحاث التجريبية فيما يتعلق بنكهات الأصابع المختلفة.

عادت تريس إلى مسكنها بحسرة، لقد تركت الباب مفتوحًا لهوك، ولذا لم تتفاجأ عندما وصلت ووجدت...

النشيج؟

اقتحمت الغرفة لتجد قطة السفينة نوك جاثمة وتحدق تحت السرير، وذيلها يهتز. ألقت تريس بالشيء خارج الباب وأغلقته بعنف، وفي الصمت الذي أعقب ذلك، تمكنت من تمييز صوت فأر يتنفس بسرعة فائقة من الرعب.

«هوك؟» سألت وهي تنحني على يديها وركبتيها، وهي تنظر تحت السرير، وجدته في الزاوية محشورًا في الفراغ بين خشب رجل السرير والحائط، عندما رآها اقترب منها بخجل وأمسكت به، وشعرت به وهو يرتجف في يديها.

قالت: «لقد رحلت، أنا آسفة يا هوك».

لم يتكلم، وهي مناسبة نادرة حيث بدا متقطع الأنفاس فاقدًا للكلمات تمامًا، انكمش فقط في يديها، وبدا... حسنًا مثل فأر عادي أكثر من أي وقت مضى.

أخيرًا تكلم بصوت مرتجف: «ربما يمكنك ترك الباب مغلقًا من الآن فصاعدًا، هناك صدع في الأرض، ويمكنني الانسلال عبره، بعد تسلق العمود في الردهة أدناه».

قالت تريس: «حسنًا. هل... ستكون بخير؟»

نظر هوك إلى الباب، همس: «نعم، بالتأكيد، أعطني بعض الوقت، أنا... ما زلت لا أصدق أنهم جلبوا قطة».

قالت تريس: «أنت ذكي يا هوك، يمكنك التعامل مع قطة عادية».

«بالتأكيد نعم، لا مشكلة، لكن تريس ... لا أعرف، إنها تراقبني دائمًا، تتجول، من المفترض أن تنام القطط ستًّا وعشرين ساعة في اليوم، كيف يمكنني استخدام ذكائي، كيف يمكنني التخطيط، وأنا أعلم أنها تراقبني؟»

مرت بضع دقائق حتى بدا مرتاحًا، أومأ إليها، فوضعته عند رجل السرير، ثم استلقت محدقة في السقف؛ حيث السطح العلوي للسفينة. كان بإمكانها سماع وقع قدم البحارة، وأنين الخشب تحت وطأة خطاهم بينما تهتز السفينة. أصدرت الأبواغ صوتًا منخفضًا ثابتًا في أثناء مرورها واحتكاكها

بجسم السفينة، مثل الهمس. قام شخص ما بنحت أجزاء من السقف بسكين على شكل خطوط متداخلة ومتشابكة.

قال هوك وهو جالس على رجل السرير: «أتمنى أن يومك كان أفضل من يومي». كان السرير محاطًا بدرابزين لطيف لمنعها من التدحرج في أثناء تأرجح السفينة.

قالت تريس: «لقد كان الأمر محبطًا إلى حد ما، لكن لم أواجه مثلك ما يهدد الحياة». أدركت أن ما أرادته لم يكن مهمًّا بقدر ما يحتاج إليه هوك، وشعرت بالذنب لتركيزها على نفسها. «إن مشكلتك مع القطة أكثر إلحاحًا، ربما يمكننا إطعامها جيدًا، لربما توقفت عن مطاردتك».

«القطط لا تتوقف عن الصيد عند الشبع يا تريس، إنهم مثل البشر في هذا الصدد».

قال: «آسفة، ليس لدينا قطط على الصخرة».

«يبدو وكأنه مكان رائع».

قالت: «كانت الجزيرة حلوة وهادئة، وعلى الرغم من أن الضباب الدخاني فوق المدينة بشع للغاية، فإن الناس يميلون إلى معاملة بعضهم بشكل جيد، إنه مكان جيد، مكان صادق».

«أود الذهاب إلى هناك يومًا ما، أعلم أنك متعطشة للمغامرة، لكنني قد اكتفيت».

قالت تريس: «يمكنك الذهاب، لست بحاجة إلى البقاء معي يا هوك».

«هل مللت مني بالفعل؟»

«ماذا!» قالت وهي تجلس. «ليس هذا ما قصدته!»

قال وهو يهز أنفه: «أنتِ مهذبة جدًّا يا فتاة، سأفترض أنك تعرفين القليل عن الفئران أكثر مما تعرفين عن القطط، حاولي أن تتخيلي كيف يبدو الأمر عندما تكون بحجم شطيرة تقريبًا، وأن معظم العالم يعتبرك وجبة لذيذة، صدقيني ستفعلين ما يتوجب عليك فعله».

«وما هو؟»

أجابها هوك: « أجد إنسانًا متعاطفًا وأبقى بالقرب منه، كما أنني لدي شعور جيد تجاهك، هل تذكرين؟»

«ولكن لابد أن لديك عائلة في مكان ما».

قال: «نعم، لكنهم لا يهتمون بي كثيرًا».

«هل هم... مثلك؟»

«تقصدين، هل يمكنهم التحدث؟» قال هوك. «نعم» مال برأسه، وكأنه يبحث عن الطريقة الصحيحة للشرح. «لقد جئت من مكان يشبه كثيرًا المكان الذي أتيت منه، لقد عاش جنسي هناك لأجيال، لكن أقاربي اعتقدوا أن الوقت قد حان للارتحال لمشاهدة العالم، لقد دفعوني لذلك من أجل مصلحتي، لكن الأمور لم تسر على ما يرام، لن يحبوا كثيرًا كوني أتسكع معك، ليس من المفترض أن أتحدث مع جنسك، لكن كما قلت لا يزال لدي شعور جيد تجاهك؛ ولهذا سأبقى بمقربة منك، لكنني بالتأكيد لن أمانع إذا قررت- بمحض إرادتك- التوجه إلى مكان أقل إثارة...

حاولت تريس تخيل ذلك؛ أرض مليئة بالفئران الناطقة؟ بدت بلادًا غريبة ومثيرة للاهتمام. كانت البحار الاثني عشر مكانًا غريبًا ورائعًا، مليئًا بالعجائب. استمر هوك في الحديث عن الحياة كفأر، وكان لصوته نبرة مهدئة، وجدت نفسها مسترخية، وعيناها تتبعان النقوش على السقف، لقد استغرق

شخص ما- ربما الساكن السابق- كثيرًا من الوقت لنحتها. في الواقع... بدت تلك التشكيلات من الخطوط المتقاطعة مثل... هل هي نجوم؟

اعتدلت تريس في جلستها وقاطعت هوك، الذي ركض على طول الحافة الحديدية للسرير ليستقر بجانبها، «ماذا؟»

كانت نجومًا منحوتة في تشكيلات صغيرة، نجم واحد هناك، ثم نجمان قريبان من بعضهما، ثم ثلاثة... في كل مكان في السقف، كما لو أن شخصًا ما قد وقف على السرير واستخدم سن السكين في نقشها.

حادثت نفسها بألا توجد مجموعات من ستة نجوم.

«ماذا؟» سألها هوك. «ما الذي تحدقين فيه؟»

«لا شيء» قالت تريس وهي تتراجع. «اعتقدت، للحظة، أن هويد قال شيئًا مهمًّا».

«كنت تنصتين إليه؟ تريس، اعتقدت أنك ذكية؛ لكونك إنسانًا، إن هويد ... أنت تعرفين حالته».

قالت تريس: «لقد قال شيئًا عن ستة نجوم، لكن لا توجد مجموعات من ستة هنا».

قال هوك: «أرى ذلك، قلت لك إنه مجنون يا تريس، لا فائدة من محاولة معرفة ما يعنيه».

قالت: «أعتقد ذلك».

وأشار هوك: «تلك التشكيلات تبدو أشبه بالخطوط المتداخلة والمتشابكة، أما التشكيلات التي تشبه النجوم فهي تحت السرير».

تجمدت تريس للحظة، ثم قفزت من على السرير وزحفت تحته. كان الجزء السفلي من إطار السرير منحوتًا أيضًا، وبأنماط كانت بالفعل أكثر شبهًا بالنجوم، كانت هناك مجموعة واحدة من ستة نجوم، شعرت تريس بأنها على وشك الإصابة بالجنون، ضغطت على التشكيلات.

صدر صوت طقطقة، وفتح مزلاج صغير على جانب الإطار. في الداخل عثرت تريس على حاوية صغيرة من الألومنيوم بحجم علبة ثقاب، صعد هوك على كتفها وهي تحاول فتحها.

بداخلها وجدت أبواغ بحر الظلمات السوداء.



الفريسة



إذن كيف تسنى لي معرفة ذلك؟

حسنًا، أعتقد أنك قد أدركت الآن أنني خبير في الوجود في أماكن لا يفترض أن أكون فيها، لدي حاسة سادسة فطرية للغموض، في حالتي الذهنية الحالية ربما أعتقد أن ارتداء سترات دون قميص تحتها هي قمة الموضة، لكنني لا أزال قادرًا تمامًا على قليل من التطفل البنّاء.

اشتعلت أنفاس تريس، همس هوك بهدوء.

أبواغ الظلمات، بطريقة ما، تمكن وييف من الحصول عليها. تذكرت ما قاله القبطان أن جميع الرفائين كانوا -بشكل أو بآخر- مجانين.

حادثت تريس نفسها أن ربما وييف قد تخطى خط الجنون قليلًا. (كانت تريس كريمة النفس، كنت سأدعوه أكثر جنونًا من عصير النتروجليسرين).

قال هوك: «نحيهم جانبًا، لا، من الأفضل أن تنثريهم على الفضة، اقتليهم يا تريس، إن أبواغ الظلمات خطيرة».

«على أي نحو؟» سألت. «ماذا يفعلون؟»

«أمور فظيعة».

قالت تريس: «كل الأبواغ تفعل أشياء فظيعة، ماذا تفعل هذه على وجه التحديد؟»

«أنا... لا أعرف، «اعترف هوك. «لكنني أشعر أنك مرتاحة للغاية حيال حملهم».

ربما كانت كذلك، لكن الخطر مثل المياه المثلجة، يمكنك التعود عليها إذا ارتشفتها ببطء، دسّت صندوق الأبواغ الصغير في مخبئه مرة أخرى، كان عليها أن تعرف ما إذا كان أولام يعلم بهذا الأمر...

قفزت عندما دق الجرس في الأعلى، ثلاث ضربات سريعة، تحذير لكل من على متن السفينة، شوهدت سفينة من بعيد، وقررت القبطان أن تلاحقها.

خرجت تريس من غرفتها، لكنها توقفت في الردهة، لم ترغب في التدافع مع الدوج وهم يسارعون إلى السطح العلوي، كان انتظارها مؤلمًا لأنها لم تكن تريد أن يفوتها أي شيء.

لا داعي للقلق.

عندما صعدت أخيرًا إلى سطح السفينة، وجدت الدوج متجمعين بقلق بالقرب من سور السفينة، ينظرون إلى سفينة بعيدة. كالعادة، رفعت كروز سونج علم سفينة تجارية ملكية، لن يعلنوا عن طبيعتهم القرصنة حتى اللحظة الدرامية المناسبة، مثل الالتفاف الدرامي لأحداث الفصل الثالث من مسرحية، لكن مع وجود مكافأة إضافية من غنائم السرقة الكبرى.

ما تبع ذلك كان مطاردة مطولة استغرقت خمس ساعات.

كانت كروز سونج أسرع من أغلب السفن، خاصة بعد أن أسقطت المرساة لتبحر منخفضة في الأبواغ، محاكية سفينة تجارية محملة بالكامل بالبضائع الموجودة في عنبر السفن، لكن «السرعة» مصطلح نسبي في البحر، خاصة بحر الأبوغ التي يمكن أن تتوقف أو تبدأ في الفوران في أي لحظة.

لم تدرك تريس من قبل أن مباغتة السفينة الأولى التي كانت على متنها لم يكن أمرًا معتادًا، فقد تطلب مطاردة السفينة الثانية عملًا دؤوبًا من الطاقم وقائدة الدفة التي أبحرت ببطء ولكن بثبات نحو فريستها.

زادت الساعات من توتر تريس، كان هذا الاختبار النهائي لخطتها في تبديل قذائف المدفع، أصبحت متأكدة بشكل متزايد من أنها فشلت. بالتأكيد اكتشف شخص ما الذي فعلته، من المؤكد أنها لم تكن ذكية بما يكفي لخداع القتلة المخضرمين مثل لاغارت والقبطان.

كاد قلبها يقفز من صدرها عندما صرخت كرو آمرة: «ادفعوا المدفع إلى الأمام لتحميله! كل البحارة.. احملوا السلاح!»

ركض الدوج بحثًا عن بنادقهم، على الرغم من أن السفينة التي كانوا يطاردونها كانت لا تزال بعيدة. لم تحاول تريس تسليح نفسها؛ نظرًا لأن عدد المرات التي أطلقت فيها بندقية في حياتها كان صفرًا، فقد توصلت إلى قناعة أن أفضل طريقة للاستمرار في البقاء حية هو الحفاظ على هذا السجل المثالي.

ومع ذلك، فقد استقرت بالقرب من مقدمة السفينة، حيث يمكنها مشاهدة آن وهي تتوسل للاغارت للسماح لها بإطلاق القذيفة الأولى. احتد عليها ودفعها للوقوف مع الآخرين؛ حيث أخذ أحد الدوج المسدس من يدها ووضع سكينًا بداخله. أخرجت آن مسدسًا آخر بعد لحظة من جراب في حزامها.

«أطلق طلقة تحذير يا قائد المدفعية!» صرخت كرو.

حبست تريس أنفاسها، أدار لاغارت المدفع بعمود كرنك، ثم نظر من خلال منظاره المكبر قبل استخدام رافعة أخرى لتعديل ارتفاع ماسورة المدفع بضع بوصات، واصل هذه العملية بدقة متناهية مع إجراء التعديلات، أخيرًا سحب عصا إشعال مبللة من دلو الماء بجانبه.

لمس بها وعاء إطلاق النار، مما أدى إلى انفجار أبواغ الزفير بدوي صاخب. حلقت القذيفة مباشرة نحو السفينة الهاربة، لم تكن هذه طلقة تحذير، ستكون ضربة مباشرة «عرضية» أخرى، تهدف إلى إغراقها وليس إرهابها. سمعت تريس آن تمتم بالقرب منها وهي تراقب مسار قذيفة المدفع.

تصلبت تريس وتفاقم ذعرها وهي تفكر في البحارة المساكين على متن تلك السفينة.

مرت لحظات قصيرة كالهدوء الذي يسبق العاصفة، ثم انفجرت قذيفة المدفع. ولما كان تصميمها مثل قذائف الهاون، نثرت القذيفة الماء عبر جانب السفينة الفريسة، لكنها لم تلحق الأذى بالهيكل. كانت استجابة البحر بالطبع فورية. عرشت مخالب هائلة من الكروم من أبواغ البحر، والتفت حول الجانب الرطب من السفينة، وأحكمت قبضتها على السفينة في عناق مميت. حتى من هذا البعد، كانت تريس متأكدة من أنها تستطيع سماع أنين العوارض الخشبية.

لكن هيكل السفينة لم يتصدع، أدت القذيفة الدقيقة إلى شل حركة السفينة بدلًا من تدميرها.

على الرغم من هتاف الطاقم، فقد عني ذلك نهبًا يسيرًا، لعن لاغارت بهدوء، واحتقن وجهه بلون قالب حديدي عند إخراجه من كير الحداد قبل طرقه بكل ما استطعت من قوة.

سارت الكابتن كرو عبر سطح السفينة إلى موقع المدفع، كان تعبير وجهها كفيلًا بتجميد الدم في العروق، لكنها قالت بصوت عالٍ: «ليست بالضبط ما أسميه بالطلقة التحذيرية، يا ضابط المدفعية، لكنها كانت ... لقطة نظيفة للغاية».

قال لاغارت: «شكرًا لك يا كابتن، أعتذر عن تقصيري في أداء طلبك». كان يضغط على كل حرف كما لو كان يعذب الأصوات القادمة من شفتيه.

استبد بتريس التوتر وتقطعت أنفاسها بشكل سريع، هل كانت لاغارت ينظر إليها بتعبير أكثر فظاظة من المعتاد؟ هل كان يعلم؟ إذا كان يشتبه في وجود خيانة، فمن المنطقي أن تشير أصابع الاتهام لشخص واحد فقط.

بدت القبطان وكأنها تريد إعطاء الأمر بإطلاق قذيفة أخرى، لكنها نظرت إلى الدوج المبتهجين، في أعماق قلبها الأشبه بكتلة مشوهة من الفحم المشتعل، أدركت كرو أنها بحاجة إلى الاحتفاظ بالمعنويات في حالة جيدة على سفينتها، وأن الغنيمة السهلة والسريعة هنا من شأنها أن تحقق ذلك.

قالت: «ارفع علم القراصنة يا دوج».

أطلقت فريستهم شعلة ضوئية في الهواء ردًّا على ذلك، كان الاستسلام، هلل الدوج مرة أخرى، تسلل الهدوء إلى تريس، كانت الخطة في الطريق إلى النجاح.

لسوء الحظ، مع اقتراب كروز سونج من السفينة الأسيرة، سكن الفوران. توقفت كروز سونج؛ مما تسبب في فتور حماس الجميع على الفور. نظرت تريس إلى الدوج بقلق، ما المشكلة؟ كان هناك سكون مثل هذا كل يوم.

«آن؟» قالت تريس، وهي تتجه نحوها. «ما الخطب؟»

قالت آن بصوت متوتر: «لقد استسلمت السفينة؛ لأنهم علموا أنهم وقعوا في المصيدة، فبحصار الكروم لهم يمكننا المناورة، ولن يتمكنوا من ذلك، لكن الآن كلانا عالق، تسبب البحر للتو في تعادل هذه المباراة، ولابد أنهم يسألون عما إذا كان لا ينبغي عليهم...»

تراجعت بينما ارتفعت قذيفة زرقاء من أبواغ الزفير من مؤخرة السفينة الأخرى، تبعها صوت فرقعة.

ثم تلا ذلك صوت صفير وقرقعة عندما اصطدمت قذيفة مدفع بكروز سونج مباشرة عند المقدمة، حيث التقت الأبواغ بالخشب.



القناصة

26

صرخ الدوج وتدافعوا في كل اتجاه، لعنت آن متفوهة بألفاظ بالغة الحقارة تضم إشارات لفضلات النوارس.

تمتم لاغارت: «قذيفة رائعة، ضربتنا من أول مرة؟ لديهم قائد مدفع بارع».

دفعت كرو بعض الدوج جانبًا، ثم رفعت سلاحها بهدوء، بدا المشهد... أكثر أناقة من البنادق القديمة التي حملها الدوغ.

على الرغم من أن كروز سونج قد اقتربت من السفينة الأخرى، فإن تريس لم تملك ألا تندهش عندما قامت القبطان بتوجيه بندقيتها نحو العدو، وأغلقت إحدى عينيها ثم أطلقت النار، سقط رجل على متن السفينة البعيدة، الشخص الذي كان يحمل عصا إطلاق الماء، بينما أعاد مساعداه تحميل المدفع، سقط في بركة من الدماء.

قال لاغارت: «حسنًا، أعتقد أنه كان لديهم قائد مدفعية بارع للغاية».

قالت القبطان بصوت عالٍ: «أحتاج إلى النجارة والرفاءة»، وأنزلت بندقيتها وبدأت تعيد تعبئتها، وأسقطت كيسًا صغيرًا من أبواغ الزفير في الفوهة. «لقد تعرضنا للقصف، عندما يبدأ الفوران مرة أخرى سنغترف نصف البحر، وسيتذوق كل شخص على هذه السفينة طعم الأبواغ، ربما ترغبان في أداء وظيفتكم ومنع ذلك من الحدوث».

«حسنًا يا كابتن!» قالت آن وهي ترفع مسدسها. «دعني أطلق طلقة واحدة قبل أن...».

أمسك ما لا يقل عن نصف دزينة من الدوج بذراعه، وتصارعوا للحصول على المسدس. تجاهلتهم القبطان، ومرة أخرى صوبت لتسقط البحار الذي كان يحمل قذيفة مدفعية ليحملها في مدفع العدو.

كان أفضل تصويب رأته تريس على الإطلاق، كان إطلاق النار الوحيد المسموح به، ومع ذلك سأعترف أن كرو كانت واحدة من أفضل الرماة الذين رأيتهم على الإطلاق. وبالنظر إلى أن البنادق البدائية عند الاستعمال تبدو مثل ثعبان يتعرض للصعق بالكهرباء، فهذا يعني الكثير.

«إلى العمل يا آن» قالت القبطان بنبرة هادئة وباردة كالثلج، لكن منذرة في الوقت ذاته. «أو لن تضطر طلقتي التالية للعبور إلى السفينة الأخرى».

قالت آن: «بحق الأقمار المعتمة» وهي تتعثر في تريس. «هؤلاء الدوج أرادوا حقًّا فرصة لاستخدام مسدسي، أليس كذلك؟ حسنًا، دعينا ننفذ أوامر الكابتن، توقفي عن التباطؤ يا تريس!» اندفعت للطابق السفلي، وتبعتها تريس.

«هل لديك أدواتك؟» سألتها آن عندما وصلتا إلى الطابق الأوسط.

«ما الأدوات؟» سألت تريس. «آن، صرت رفاء السفينة هذا الصباح فقط! ليس لدي أدنى فكرة عما أفعله».

قالت آن وهي تمسح جبينها: «صحيح، صحيح». سمع في أعلى صوت انطلاق قذيفة مدفع من سفينتهم. «نحن بحاجة إلى أبواغ الورد، لابد أن هناك مجموعة كاملة منها في غرفة وييف».

أومأت تريس ثم قادت آن إلى الغرفة، رغم تردد النجارة من الدخول عند العتبة، دلفت تريس إلى الداخل، ثم انتزعت برميلًا صغيرًا مليئًا بأبواغ الورد من أعلى.

قالت آن: «احصلي على بعض هذه الأبواغ، وضعيها في أحد الصناديق المعدنية، ما النوع الذي يمكنك نقل الأبواغ فيه؟ نعم هذا، أمم ... رأيت (وييف) يستخدم بعض المعدات الأخرى أيضًا، أنا لا أعرف الكثير عن هذا يا فتاة».

أنهت تريس ملء الصندوق المعدني بالأبواغ، ثم فتحت الخزانة، وكشفت عن مجموعة من الأدوات المعدنية المعلقة على أوتاد في داخل الباب، لم ترَ أي شيء مثل الصندوق الذي استخدمه الرفاء في السفينة الأخرى. وتجدر هنا الإشارة إلى أن وييف كان أصوليًّا، لقد فضل الأدوات الكلاسيكية الصنعة، وليس الأدوات الحديثة.

«هل تبدو أي من هذه الأدوات صحيحة؟» سألتها تريس.

«أوه!» قالت آن. «هذه ذات الجانب المسطح، مثل الطبق، وتلك المجرفة، أحضريهم معك».

كانت الأداة الثانية تبدو بالفعل وكأنها مجرفة صغيرة، لكن الأولى بدت أقل شبهًا بطبق وأكثر شبهًا بالدرع، درع دائري صغير، مسطح من الأمام بمقبض في الخلف لتثبيته.

كانت الأدوات بها مشابك لتثبيتها في الحزام، لكن لم يكن هناك وقت لذلك. جمعتهم تريس جنبًا إلى جنب مع الأبواغ وزجاجة ماء في قطارة للعين، ثم أسرعت متعثرة لموافاة آن التي تراجعت بعيدًا، رافعة يديها.

قالت آن: «حسنًا، في العادة، كنت سأترك الرفاء يتعامل مع الرقعة الأولية أثناء جمعي لألواح الخشب، لكنني أعتقد أنك بحاجة لقليل من المساعدة، أليس كذلك؟»

«شكرًا» قالت تريس، وتركت آن تقود الطريق إلى حجز السفينة. غمرت أشعة الشمس الساطعة المكان المعتم عادة، حيث تسللت من خلال فتحة بالقرب من السقف. كان الحجز أطول من الطوابق الأخرى؛ مما جعل ارتفاع الفتحة تسعة أقدام في الهواء.

قالت آن: «سأحصل على سلم؛ لذا ما عليك فعله الآن هو إنماء بعض الأبواغ في تلك الفتحة، ليس من الضروري أن تكون جميلة، سأجمل الفتحة بالخشب خلال الأيام القليلة المقبلة. نحن فقط بحاجة لملئها، إن ماورد الأبواغ جيد في مقاومة الفضة ويمكن أن تستمر لفترة طويلة في مكانها؛ لذلك فهي تصنع رقعة رائعة، وذلك بافتراض أنك... تعرفين... لن تقتلي نفسك أولًا».

«أي نصيحة بشأن تجنب ذلك الجزء الأخير؟» سألتها تريس بصوت أكثر حدة.

«أتمنى لو لدي يا فتاة، هاتان هما الأداتان الصحيحتان، لكنني كنت أظل بعيدة جدًّا في أثناء تفجير ويف للأبواغ. كان ذلك الرجل أكثر جنونًا من ناقة مسعورة، لا أقصد التقليل من شأنك».

أحضرت آن السلم، ثم تراجعت. لم تعرض أي مساعدة إضافية، لكن تريس كانت ممتنة بالرغم من ذلك، صعدت إلى قمة السلم ونظرت إلى محيط الأبواغ.

في هذه اللحظة كان الوضع هادئًا، ومسطحًا، ومستقرًا، ولكن في اللحظة التي سيبدأ فيها الفوران، كانت السفينة ستتحرك للأمام، وستتدفق الأبواغ الخضراء عبر الفجوة، حتى لو كان للحجز بطانة فضية، فإن السفينة ستحمل الكثير من الوزن بسرعة وتتوقف عن الطفو.

لم يتناه إلى سمع تريس أي قذائف أخرى من أعلى، تظاهرت بأن هذه علامة جيدة ووضعت معداتها على رف قريب للأكياس، أخيرًا فتحت صندوق الألمنيوم الذي يحتوي على الأبواغ، بدوا مثل حبات الملح الوردي، قلبت الصندوق قليلًا وهي ترتجف حتى قطر عددًا قليلًا منها على حافة الخشب المكسور.

لسوء الحظ، بحلول الوقت الذي كانت فيه القطارة مفتوحة والماء جاهزًا للرش، تحولت الأبواغ إلى اللون الرمادي الداكن؛ ماتت من الفضة في السطح العلوي. شعرت بالغباء وأغلقت الصندوق، ولكن ليس قبل أن يموت أيضًا عدد من الأبواغ بداخلها.

أخذت عدة أنفاس عميقة، ثم أجبرت نفسها على الاستمرار في المحاولة، وضعت بعض الماء على الخشب أولًا، ثم فتحت الصندوق، اتكأت إلى الوراء وحمت وجهها، رشّت بعض الأبواغ على الماء.

لقد كان تنفيذًا جديرًا بالثناء لخطة رهيبة.

انفجرت أبواغ الورد إلى بلورات وردية سميكة، مثل قطع كبيرة من الكوارتز، على الرغم من أنها لم تكن حادة، فإن بعضها تمدد في السقف وانطلق البعض الآخر كالقذيفة بشكل مائل متجاوزة رأس تريس، كادت أن تحطم وجهها.

لم تسد الفتحة، تركت البلورات مساحات كبيرة جدًّا بينها، وأدى وزنها إلى تمزيق الخشب وسقوطه، سقط نصفه في البحر، والنصف الآخر في قاع الحجز. شهقت تريس.

«تريس!» قالت آن. «كوني حذرة!»

بحق الأقمار المعتمة... ماذا الذي تفعله؟ كانت السفينة بأكملها تعتمد عليها، لكنها عرفت عن الرفء بالأبواغ بقدر ما عرفت عن علم الفيكسيليولوجيا المُستخدم كسلاح. (احترس من الأعلام ذات الألوان الصلدة، سوف تنال منك).

لقد رأيت ذلك الرفاء على أووتز دريم، ذكّرت نفسها. قام بإغلاق الفتحة، كانت الأدوات مختلفة، لكنك تعرفين كيف يفترض أن تبدو الرقعة.

وبينما كانت تتخبط في الأدوات لاحظت شيئًا ما، كان الكريستال الوردي مستمر في النمو، عندما تحررت البلورات الكبيرة، تركت أجزاء صغيرة متصلة بالبدن، التي عند ملامستها الماء بدأت في التمدد ببطء مثل العفن الزاحف.

حسنًا، إن لكل أداة تأثيرًا على نمو الأبواغ، هذا منطقي، ربما...

جاء صوت هدير منخفض من خارج الهيكل، دوي الرعب، صوت خضخضة الأبواغ، بدأ الفوران مرة أخرى.

«تريس!» صرخت آن.

لا وقت للتأمل، إذا غمرت هذه الأبواغ ستكون تريس أول الضحايا. أخذت أداة الدرع في يدها اليسرى وضغطتها في الحفرة، وبيدها الأخرى أمسكت باثنين أو ثلاثة أبواغ، لا داعي للقلق إذا كانت يداها جافة بدرجة كافية، وأسقطتها في الماء على حافة الخشب المكسور.

انفجرتا، لكنها سحبتهما إلى الدرع، ومنعتهما من السير في اتجاهات غير متوقعة، كادت قوة ذلك أن تدفعها بعيدًا عن السلم. صرخت آن وأمسكت بقاعدة السلم لتثبيتها، وكان ذلك عونًا لها.

هل يحدث الشيء نفسه مع الأبواغ الخضراء؟ هل تستمر الكروم في النمو إذا أضفت المزيد من الماء؟ لم تكن تعرف، لكنها أضافت بعض الماء إلى أبواغ الورد المتنامية. ونعم، على الرغم من أن النمو كان بطيئًا، فإنهم استمروا في التمدد.

اعتقدت أنها بطيئة جدًا لملء الحفرة، ومع ذلك مثل السياسي الذي يضرب به المثل لوقوفه في وجه الحشود الثائرة، كانت بداية جيدة.

أخذت الأداة التي تشبه الدرع وضغطتها على الكريستال الوردي، استجابت البلورات على الفور، واندفعت باتجاه المعدن الذي بدا (من اللون الرمادي الإردوازي) أنه حديد بسيط. جعلت الأداة الأخرى/ المجرفة البلورات تنمو بعيدًا عنها، كانت من معدن فضي مصقول. (فولاذ لأولئك الذين يتتبعون هذه الأشياء بشكل قهري)

عندما بدأت البلورات الوردية في النمو حول حواف الدرع، أمسكت تريس بالمجرفة ودفعتها بعيدًا، كانت قادرة على توجيهها بزاوية لتنمو باتجاه جوانب الفتحة، مثل استخدام الملط الذي نما مع توجيهها.

دفعت الرياح أشرعة السفينة فتأرجحت إلى الوراء، وارتفعت مقدمتها. تمكنت تريس بالكاد من غلق حافة الفتحة النهائية بالبلورات عندما هبطت فجأة السفينة للأمام. اهتزت رقعتها وتصدعت. كان هناك ماء على الحافة الأخرى، لكن الكروم التي نمت بسببها لم تتغلغل إلى الداخل، ولم يكن هناك ما يكفي من المياه لتنمو بشكل كبير بما يكفي لتوقع السفينة في مصيدتها.

بدت اللحظة أبدية، ممطوطة من القلق، تثير الرجفة وتحبس الأنفاس.

صمدت رقعة الرفاءة.

قالت آن: «أوه، بحق الأقمار، لقد فعلتها حقًّا، هل تستطيعين... ربما وضع طبقة أخرى عليها، أو...»

قالت تريس وهي تحاول تحرير أداة الدرع: «دعينا لا نغري القدر». كان الأداة مغطاة بهاورد الأبواغ التي ثبتها في مكانها. «لعلي سأحتاج إلى سكين فضي لقطع هذا، ربما يجب أن نحاول ذلك عندما نرسو في مكان آمن».

«نعم، حسنًا» قالت آن وهي تمسك السلم بينها نزلت تريس. «أنا سعيدة لأنك كنت هنا، لولا توليك للوظيفة، كان سيكون من واجبي ترقيع تلك الفتحة، كنت سأستخدم الخشب، وتوقف الفوران المؤقت هذا كان قصيرًا بمكان بحيث لم يكن لدي ما يكفي من الوقت تقريبًا».

سمع صوت فرقعة آخر أعلاه، تلاه إطلاق نار آخر.

قالت آن: «لم ينته الأمر بعد، بحق الأقمار الرحيمة، أتمنى أن تصمد هذه الرقعة، هيا».



آكلة الأبواغ

27

توقفت تريس لفترة وجيزة في غرفتها لإخفاء صندوق الأبواغ وباقي الأدوات، كما طمأنت هوك الذي كان مختبئًا تحت السرير مرة أخرى، ثم صعدت الدرج بسرعة. كانت كروز سونج عند وصولها تدنو بشكل منذر من هدفها.

سجيت ثلاث جثث ملطخة بالدماء على ظهر السفينة التجارية، حمل بقية أفراد الطاقم أسلحتهم، لكن لم يتم إطلاق أي منها. بدا الأمر كما لو أن لاغارت قد جرب قذيفة مدفع أخرى؛ لأن تعريشة أخرى من الكروم غطت الجزء الخلفي للسفينة، امتد أغلبها حول مدفع العدو.

تسببت قذيفة أخرى من القذائف التي أبدلتها تريس في انفجار الأبواغ بدلًا من إغراق السفينة، لكنها قد لا تكون كافية، كانت السفينة التجارية قد أعطت كرو الكثير من الأعذار لتستشيط غضبًا. شعرت تريس بالقلق من أنها قد تأمر الطاقم بذبح كل شخص على متن تلك السفينة المسكينة، سيحصل القراصنة على الغنائم، وستستمتع كرو بسمعة المطاريد القتلة.

أبطأت كروز سونج من سرعتها، ألقى العديد من الدوج الحبال بالخطافات على السفينة التجارية، وأنزل أحدهم المرساة. راقبت تريس القبطان بتوتر، التي وقفت مع بندقيتها على أهبة الاستعداد.

قالت كرو: «ليشهر كل الطاقم السيوف، استعدوا للصعود على متن سفينة العدو».

ذعرت تريس فجأة، لا! بعد كل ما فعلته لحماية هؤلاء...

«كابتن!» صاح صوت بنبرة حادة وآمرة.

استدار الجميع نحو مؤخرة السفينة؛ حيث وقفت سالاي ممسكة بيد واحدة على عجلة السفينة، أقفلتها في مكانها بعد أن رست السفينة، ثم سارت نحو الدرج.

قالت سالاي: «بحسب التقاليد، يقع على عاتقي واجب إعطاء أوامر الاشتباك مع السفينة المأسورة، أليس كذلك؟»

أبقى الدوج أسلحتهم مصوبة نحو السفينة التجارية، لكن لم ينبس أي منهم ببنت شفة، كانوا يدركون أن احتمالية أن يتم إطلاق النار على شخص منهم في الدقائق القليلة المقبلة احتمالية كبيرة؛ ولذا لم يريدوا التطوع في دور الضحايا.

استدار كرو لمواجهة سالاي مباشرة، وقد أمسكت البندقية بقبضة متراخية، لم تتراجع فائدة الدفة، وبدأت تريس تتضرع للأقمار.

قالت سالاي بصوت عالٍ: «لقد أخضعناهم، وقد استسلموا، أصبحنا قراصنة سعيًا الحرية لا لشيء آخر». وقفت بثبات، ووشت هيئتها بمقصد نيتها، لن تقف مكتوفة الأيدي وتترك طاقم السفينة التجارية يذبح.

إذا أرادت كرو مذبحة اليوم، فعليها قتل سالاي أولًا، بإمكان كرو

الإقدام على قتلها كما فعلت مع وييف، ولكن كم عدد أفراد الطاقم الذين يمكن أن تخسرهم كرو ليظل لديها سفينة قادرة على الإبحار؟

«كما ترين»، أعلنت كرو أخيرًا. «دعهم يعرفون أنني لا ... أقبل خرق قاع سفينتي بعد إطلاقهم شعلة الاستسلام، هذا النوع من ... الطيش يكلف الأرواح».

قالت سالاي: «سوف يدفعون أكثر من الفدية المعتادة، سأتأكد من حدوث ذلك يا كابتن».

أطلقت تريس أنفاسها المحبوسة، بدأ البحارة في التحرك مرة أخرى، وألقوا المزيد من خطافات الصعود لمنع السفينتين من الانجراف بعيدًا. كانت سالاي أول من قفز على متن السفينة التجارية.

جلست تريس على الدرجات المؤدية إلى مؤخرة السفينة، منهكة القوى، كانت تشعر وكأنها الممسحة التي تجدها في قاع سلة الغسيل، ملفوفة ومسحوقة لأسابيع تحت كومة الملابس المتسخة.

سقط عليها ظل، قالت كرو: «لم نغرق، هذا يعني أنك قمت بعملك».

أومأت تريس برأسها.

جاء صوت آن من الخلف: «كانت رائعة يا كابتن، كانت في رأي تتصرف بالفطرة، أغلقت تلك الفتحة في محاولتها الثانية، بالكاد بدت مرعوبة من الأبواغ».

قالت كرو: «حقًا»، واصلت النظر إلى تريس بتعبيرها غير القابل للقراءة. «آن، ألا تعتقدين أنه يجب عليك تركيب الألواح الخشبية؟ في حالة هذا... العمل المتمكن الذي قامت به رفاءتنا الجديدة لم يكن متينًا كما قد يبدو؟»

«أعتقد ذلك». غادرت.

«آن» نادتها القبطان وهي تمد يدها.

تنهدت آن وسلمتها مسدسًا وجدته في مكان ما، ثم اختفت في الطوابق السفلية.

تحركت كرو لمشاهدة السفينة التجارية، بينما بدأ الدوج يظهرون من عنبرها حاملين أبسطة ملفوفة/ حمولة السفينة. تجمعت مجموعة البحارة على ظهر السفينة التجارية؛ حيث تحدث قبطانهم بهدوء مع سالاي، كان وجهه منبعجًا، ولديه الكثير من الجلد على الجبين والذقن، كما لو كنت ترى وجهه منعكسًا في الملعقة.

هدأ الجميع باستثناء رجل واحد: بحار جثا على ظهر السفينة بعيدًا عن الآخرين، كان ثمة شيء في وضعيته أزعجت تريس؛ لذلك صعدت الدرج لإلقاء نظرة أفضل على الكروم المتضخمة. نعم، كان الرجل يحتضن جثة أحد الأشخاص الذين أطلقت عليهم كرو النار. هل كان صديقًا؟ فردًا من العائلة؟

نظر الرجل المنتحب إلى أعلى، بدا طائشًا وخطيرًا. فتحت تريس فمها لتصدر تحذيرًا، لكن الرجل مال على قدميه وسحب مسدسًا من حزامه، صوبه بيده المرتجفة عبر الفجوة بين السفن نحو كرو.

مرة أخرى تجمد الجميع، الجميع ما عدا الكابتن كرو نفسها، حدقت في ذلك البندقية بلامبالاة.

«سموكي!» صرخ قبطان السفينة التجارية. «لا تكن مجنونًا، يا رجل! ستقتلنا جميعًا!

وقف الرجل، سموكي -ملطخًا بدماء صديقه- لكنه لم ينزل المسدس،

كما أنه لم يسحب الزناد، رفعت الكابتن كرو المسدس الذي أخذته من آن ووجهته نحو الرجل.

ثم أدارت كرو المسدس وأطلقت النار على رأسها.

على الفور، اندلعت الكروم من جلد كرو، شقوا خدها وأخذوا يتلوون ويلتفون مثل الدود حول عينيها. أمسكت إحداها بالرصاصة، تموج جلد وجهها ويدها، وكأن لديها ثعابين بدلًا من عضلات. تمايلت الكرمات، ثم انسحبت، وانزلقت عائدة إلى جسدها.

تسربت قطرة من الدم من زاوية عين كرو، ونزت البعض من شق في خدها، ولكن بخلاف ذلك بدا وجهها سليمًا. أنزلت المسدس، ثم سحبت قنينة شرابها. أخيرًا، لوحت لسموكي للتقدم، كما لو كانت تطالبه بمحاولة إطلاق النار عليها أيضًا. تصدى له العديد من أفراد طاقمه، وانطلقت الرصاصة في الهواء.

قالت كرو بصوت عالٍ: «أتوقع أن تبحر سفينتي في أقل من ساعة، محملة بثروات أكثر مما ينبغي أن تحمله». بقيت عيناها على قبطان السفينة الأخرى، الذي كان لا يزال واقفًا بالقرب من سالاي. «إذا لم يحدث ذلك، فسوف أزور سفينتك الرائعة وأعلم كل واحد منكم ما يعنيه عبور الكابتن كرو، إذا كنت تشك في صدق كلامي اسأل طاقم أوونز دريم عن مدى استمتاعهم بالحياة في قاع البحر الأخضر».

اختفت القبطان في مقصورتها. سقطت تريس على الدرجات مرة أخرى، كانت ترتجف وقد أعياها المشهد المرعب لتلك الكروم التي تنفجر من جسد كرو.

من أو ما هي؟





المنصت البارع



قال الدكتور أولام، ممسكًا بزجاجة دقيقة تحتوي على شيء يذكرنا بكلية تطفو في محلول بشكل غير مريح: «إن القبطان حاملة للأثير الأخضر».

«ماذا أكلت؟» سألته تريس وهو جالس في غرفة الكشف.

«لم تأكل، حملت، يعني أنها حاضنة. إن كرو المضيف لسلالة عدوانية من الطفيلي الأخضر. وفقًا لمعتقداتكم التقليدية يعرف الأشخاص مثلها بآكلي الأبواغ، على الرغم من أنني أجد هذا المصطلح غير دقيق. أخبرني من أين تأتي الأبواغ؟»

قالت تريس: «من الأقمار».

قال أولام: «آه، نعم، من الأقمار، كما يأتي الطعام من المطبخ، أو يأتي الفخار من جزر زفير، لا يمكن أن تكون هناك مرحلة أخرى لوجودها هم؟ هذه الأشياء تظهر بطريقة سحرية؟»

«إذن ... تقصد كيف تصل الأبواغ إلى الأقمار؟»

قال أولام: «بل أسأل عما ينتجها على الأقمار؟ همم؟»

«أنا ... لا أدري» قالت تريس. فاجأها أن مثل هذا التساؤل جاء متأخرًا وربما كان ينبغي عليها طرحه من قبل.

ركع أولام بجانبها ممسكًا الكلى، هزها، ثم رفع حاجبه وسألها «هل تقايضي؟ هذه ستجعل بولك برائحة الليلك».

«أمم ... لا، شكرًا».

«هل تبيعين إحدى كليتيك؟» قال أولام.

«مرة أخرى، لا».

قال أولام: «يا لك من أنانية، لست بحاجة إلى اثنتين».

«وكم لديك؟»

ابتسم أولام: «في مقتل».

«ماذا تقول؟»



«لا، أعني أنك دحضتني بنجاح». وقف وهو يهز رأسه. «على أي حال، أقمارك هي موطن لمجموعة من الكيانات الشرهة المعروفة باسم الأثير، على الرغم من أن الأثير الحقيقي في عوالم أخرى قد تعايش مع الناس، فقد أصبحت تلك الموجودة على أقمارك نهمة وعدوانية وولّادة».

قالت تريس: «لا يُسمح لي أن أقول هذه الكلمة».

«لا، إنها تعني ... في الواقع، تعني هذه الكلمة شيئًا قريبًا جدًّا مما تعتقد أنها تعنيه، لكنها طريقة أكثر تهذيبًا لقولها، على أي حال، فإن الأثيرات أعلاه تتكاثر ذاتيًّا بشكل كبير، وكل منها متصل بعنصر أساسي. الغطاء النباتي والجو والسيليكات...

«هذا وحده خطير، لكن أنواعك أيضًا غير مستقرة للغاية. أصغر قدر من محفز ما -الماء في هذه الحالة- تسحب مباشرة من (طاقة العوالم) لتفجير الأبواغ في هذا العالم، إنها عملية رائعة».

كلما فكرت تريس في هذا الأمر، تولد لديها المزيد من التساؤلات. في الماضي امتنعت عن السؤال من شدة التهذيب؛ لأنه لم يكن مجبرًا على تفسيراتها، لكن كان هناك شيء ما في أولام يشجع على مثل هذا النوع من الحديث، بالتأكيد كان هذا هو السبب، وليس أنها كانت تتغير.

قالت تريس: «إذن، كيف أدخلت القبطان ذلك الشيء بداخلها؟»

قال أولام: «لم أتمكن من العثور على إجابة مرضية»، ثم سحب رفًا مليئًا بالكلى المعبأة، ووضع فيها الكلية التي كان يحملها. «يقول البعض أن هذا يحدث بشكل عشوائي للأشخاص الذين يسقطون في البحر، بينما يزعم البعض الآخر أنه يجب عليك تناول نوع خاص جدًا من الأبواغ».

قالت تريس: «إذن فقد أكلته».

«ربما» قال أولام، «ربما». وهو يشد كم بدلته ليكشف عن ساعد ذي بشرة رمادية مع أذن تخرج منها.

«لديك أذن على ذراعك!» تساءلت تريس.

«همم؟ نعم بالتأكيد».

«ولكن ... لماذا؟»

قال أولام: «لأنني عندما وضعتها على فخذي الداخلي ظللت أسمع بطانة ملابسي عبرها بطريقة تشتت الانتباه».

«أليس رأسك موقعًا أفضل؟»

قال أولام: «لدي بالفعل اثنان هناك، ألم تلاحظيهم؟ بغض النظر عن الأذن، إن محنة قبطانتك مأساوية، إنها متصلة مباشرة بالأثير الأخضر الأولي الذي ينمو على القمر، يحتاج إلى الماء ليبقى على قيد الحياة، والقمر ليس عليه أي ماء؛ لذلك تصيب بطريقة ما الناس على هذا الكوكب.

«إن الكروم داخل الكابتن كرو عطشى بشكل استثنائي، وهي تستنزف سوائلها باستمرار. بطريقة ما يستخدمون هذا السائل -بالإضافة لسوائل جميع مضيفي الأبواغ أخرى حول العالم- لإطعام الأثير الهائل المتضخم على القمر، لم أتمكن من اكتشاف الآلية».

قالت تريس: «تبقيها الكرمات على قيد الحياة، لقد أنقذوها من تلك الرصاصة».

قال أولام: «نعم، الأثير يحمي نفسه بحمايتها، لكنه مسعور، نهم، غير قادر على التفكير العقلاني، إنه يمتصها حتى يجففها، إنه ابتلاء تصاعدي يأخذ المزيد ثم المزيد من مضيفه. قيل لي إنه مؤلم بشكل استثنائي، ودائمًا ما يكون قاتلًا».

«رحمتك أيتها الأقمار» همست تريس. «هذا يجعلني أتعاطف معها تقريبًا».

«نعم، حسنًا، معظم السفاحين البشعين مثل كرو يميلون إلى أن يكونوا اختبروا المأساة بشدة، يجعلك هذا تتساءلين من هو الوحش الحقيقي: القاتل أم المجتمع الذي خلقهم؟»

أومأت تريس برأسها.

قال أولام: «كان هذا سؤالًا مخادعًا، الوحش الحقيقي هو الموجود في ذلك الدرج بجوارك، أعطيته سبعة وجوه مختلفة».

ألقت تريس نظرة خاطفة على الدرج الموجود في المنضدة الجانبية الصغيرة بجانب مقعدها، أحدث صلصلة، تظاهرت بعدم الانتباه.

قالت تريس: «أعرف الآن على الأقل سبب خوف الطاقم منها، إنهم لا يجرؤون على التمرد؛ لأن هذا الشيء الذي بداخلها سيحميها منهم».

قال أولام: «حقًّا، لدي قليل من الشك أن القبطان يمكنها قتل كل شخص على هذه السفينة دون أن تطرف عينها، إلا أنه -كما تعلمين- إن لم يعد لديها طاقم فلن يجعلها الخلود المؤقت قادرة على تقضيب الأشرعة بمفردها، كما يقول المثل القديم».

«هل هذا قول مأثور قديم؟»

قال أولام: «غريب، أعني من الغريب أن اللسان الذي كنت أستخدمه بدأ يبلى على ما أعتقد. اعتدت على ثنيه بشكل رائع. هل تعلمين أن هذه القدرة وراثية؟ واحد من كل أربعة ألسنة لا يمكنه فعلها». نظر عن كثب إلى فمها.

لم تحاول تريس أن تثني لسانها، بدلًا من ذلك حاولت معرفة أهداف الكابتن كرو، أرادت المرأة دفع الطاقم إلى حافة اليأس، أن تبحر في مياه خطرة لأنها كانت تحتضر؟ وأرادت اختبار أكبر قدر ممكن من الحياة قبل أن تموت؟

قالت تريس: «كم من الوقت؟ كم من الوقت تبقى لكرو؟»

قال أولام: «يصعب القول، سمعت أن المرض عادة ما يفقد المرء قوته في أقل من عام، لكنني أعلم أنها عانت منه لفترة أطول من ذلك، لقد بقيت لفترة أطول بشكل ملحوظ، لكن في هذه المرحلة أشك في أن لديها أشهرًا متبقية، ربما أسابيع، وربما أيام. لقد لاحظت أنها بحاجة إلى الشرب بشكل مستمر تقريبًا لمنع نفسها من الجفاف والذبول».

كانت هذا قطعة أخرى من الأحجية. لسوء الحظ، لم يكن لدى تريس أي فكرة عن عدد القطع التي تحتاج إليها، أو كيف ستبدو هذا الأحجية عند تجميعها.

«هل تريدين أي شيء آخر؟» سألها أولام. «لقد حصلت على وجه ثامن كما ترين، وأعتقد أنه قد يكون هناك مساحة لزرعه على الجانب السفلي من القفص الصدري».

«ماذا تستطيع أبواغ الظلمات فعله؟» سألت تريس.

عبس أولام، قام بفرد كم قميصه بهدوء، ثم اقترب من تريس، وانحنى نحوها وهو يتفحصها بعين واحدة، ثم نادى: «هويد!».

دلف خادم السفينة إلى الداخل، لم تدرك تريس أنني كنت في الخارج.

«هل أعطيت تريس أبواغ الظلمات؟» سأله أولام.

«لا!» قلت له.

أجاب أولام: «جيد، كنت قلق من أن...».

«لقد أعطيتهم لوييف!» قلت متحمسًا. (كان مبرري لفعل ذلك أنني اعتقدت أنها نوع من عرق السوس).

تنهد أولام وهو يعقد ذراعيه. تساءلت تريس إذا كان ذلك قد ضغط على الأذن التي على ساعده، وكيف كان شعوره حينها.

قال الجراح: «تريس، أبواغ الظلمات هي نوع مختلف جدًّا من أنواع الخطر الأخرى، إنها بحاجة إلى مصدر حي دائم للمياه من جسم من ينبتهم».

«مثل ما حدث للقبطان؟»

قال أولام: «نعم، لكنه مؤقت في حالتها».

«ولكن ماذا يفعلون؟»

قال أولام: «إنهم يصنعون أثير الظلمات، يُطلق عليها أيضًا اسم خلاصة الظلمات: فقاعة من مادة لزجة تقلد كائنًا أو كيانًا قريبًا. يظل الأثير تحت سيطرتك طالما تغذيه دائمًا. إنها تتسم بالعملية أكثر من العديد من مخلوقات البوغ الأخرى، ولكنها أيضًا أكثر شناعة، إذا كنت تدربين بها...».

توقف وتطلع إليها. «عندما تتدربين عليها، احصلي على قدر كبير من الماء بالقرب منك للشرب، جنبًا إلى جنب مع سكين فضية. يستخدم معظم الرفاؤون أثير الظلمات للتجسس، لكن احذري من إنشاء فقاعة أكبر من حجم قبضة يدك؛ لذا أربع أو خمس حبات كحد أقصى، إذا كان مخلوقك كبيرًا جدًّا فمن المرجح أن يفلت من سيطرتك».

«أنا ... بالكاد فهمت نصف ما قلته يا أولام».

«نصفه؟ لماذا، أعلم أنك ذكية، مخك--».

قالت تريس: «... ليس للبيع».

قلت لها: «أوه! يمكنك الحصول على مخي! يحاول باستمرار إخباري أن الجوارب المتسخة ليست مصفاة مقبولة للمعكرونة، وإذا كان هذا صحيحًا، فأنا لا أريد التفكير في الأمر».

ابتسم أولام، ثم أخذ دفترًا صغيرًا من الجيب الداخلي لمعطف بدلته وبدأ يكتب. قال أمام نظرة تريس المرتبكة: «أنا أسجل أكثر أقواله إحراجًا؛ لأشاركها معه بمجرد أن يصبح أفضل، أظن أنني أستطيع ابتزازه بها لعقود».

وبالفعل شرع يكتب.

قالت تريس: «هويد، أحتاج إلى معرفة كيفية الوصول إلى الساحرة، كنت هناك معها، هل يمكنك إرشادي أو إخباري بكيفية عبور بحر الظلمات؟»

قال أولام: «لن يكون مصدرًا للعون طالما أنه تحت تلك اللعنة، يا تريس، سوف تحتاجين إلى كسرها».

«ولكن كيف؟» سألته. «أنت لا تعرف، فمن غيرك يعرف؟»

بدا على وجهي استغراقي في الأفكار. خلال تلك الفترة الزمنية، عادةً ما يعني ذلك أنني أفكر فيما إذا كان عض خدي أحيانًا يجعلني آكلًا لحوم البشر، لكن اليوم كنت في الواقع أفكر فيما كانت تقوله تريس.

لمرة واحدة تمكنت من الانغماس في الحديث.

قلت لها بهدوء: «يمكنني التحدث، لكن لا يمكنني قول أي شيء، يمكنني أن أخبرك أنه يجب عليك دائمًا ارتداء اللون الأبيض في حفل زفاف شخص آخر».

«هو يتحدث، ولكن لا يقول شيئًا، لا شيء ذا صلة على الأقل باللعنة».

«صحيح! الآن، هذا مهم، أنت بحاجة إلى العثور على شخص يمكنه التحدث وقول الأشياء».

قالت تريس: «هذا وصف الكثير من الناس».

لقد كان صراعًا، لقد أربكت اللعنة لساني ودماغي، أنا حرفيًا لا أستطيع أن أقول الكثير.

«اعثري على... شخص... ليس... بشخص»، قلت لها. «ويمكنه التحدث... عندما... لا ينبغي له».

أمالت تريس رأسها، اقترب أولام. «كان ذلك أكثر ما قاله اتساقًا منذ شهور يا تريس، أعتقد أنه يقول شيئًا مهمًا».

«يبدو الأمر وكأنه رطانة، أعتقد أنه يتلاعب بي».

«أمم، إذا كان الأمر كذلك، فالأمر يشبه ما كان عليه من قبل. شخص ليس بشخص؟ يستطيع التحدث عندما لا ينبغي له...».

عبست تريس في وجهي، وأخذت تفكر بعقلها المبارك، ثم باغتتها الإجابة: «حيوان ناطق؟» خمنت.

طرحت نفسي على الأرض، وتنفست الصعداء، سرعان ما تهت في أفكاري، محاولًا حسم ما إذا كان الإساكفيون جيدين أيضًا في صنع الحلويات، أو أنها كانت مجرد صدفة.

«آه!» قال أولام وهو يصفق بيديه، ثم انكمش على صوت قريب جدًا من إحدى أذنيه. «يجب أن يكون هذا هو التفسير، إنه يخبرك بإيجاد قرين».

«ماذا؟»

غالبًا ما يرتبط المستخدمون الأقوياء (لطاقة العوالم/ السحر) -إذا كنت تفضل هذه التسمية- بالحيوانات الناطقة، لقد لاحظت أن لديك تقاليد مماثلة في عالمك، أليس كذلك؟»

قالت تريس وهي تفكر في قصص الطفولة: «أفترض ذلك».

قال أولام وهو يشمر كمه مرة أخرى ويخرج مشرطًا: «سأعترف بأن جنسي هو سبب هذه الشائعات في بعض العوالم، لا أعتقد أن هذا هو الحال هنا، مع ذلك ولا أعتقد أنها نتيجة لفنون (الصحوة). من المحتمل أن الساحرة وأمثالها قد وجدوا طرقًا لبث طاقة العوالم في الحيوانات الأليفة لتعزيز قدراتهم المعرفية».

«هل تتحدث اللغة الكيليسية؟» سألته تريس.

«نعم من الناحية الفنية، على الرغم من أنني أستخدم (الرابط الروحي) لترجمة أفكاري، والتي أنطقها بلغة لم تسمعي بها من قبل. بغض النظر، يبدو أن هويد يعتقد أنك قادرة على العثور على قرين/ حيوان ناطق، إذا صح التعبير. من المحتمل جدًّا أن يكون مثل هذا الحيوان مرتبطًا بالساحرة بطريقة ما. عادة ما يكون القرين من المخلوقات الصغيرة التي تستخدم في التجسس طيورًا، قططًا عرضية...».

قالت تريس بهدوء: «أو فأر».

«بالفعل»، شرع أولام يقطع أذن ساعده.

هرعت تريس خارج الباب قبل أن يتمكن من تقديمها لها».



القرين



وجدت هوك في غرفتها، جالسًا على السرير، كان يتثاوب بين مضغ قشرة خبز يابسة وقراءة أحد كتب ويف: دفتر ملاحظات يشرح بالتفصيل استخدام الأبواغ الخضراء، لقد تركته على السرير، وبدا أن هوك قد قضم زاوية الكتاب بين قضمات القشرة، هل ذلك كان مقصودًا أو بسبب غريزة فطرية؟ لم تستطع التخمين.

قالت تريس وهي تغلق الباب: «لقد كنت تكذب عليّ».

انحنى هوك، وعيناه تحدقان يمينًا ويسارًا، باحثًا عن أفضل مكان للاختباء.

«لماذا لم تخبرني أنك قرين؟» سألته تريس.

«أوه...» قال هوك.

«هل كنت رفيق الساحرة؟ هل تعرفها؟ هل تعرف كيف الوصول إلى جزيرتها؟ هل كنت تخفي ذلك كل هذا الوقت؟»

«هاه». جلس هوك على مؤخرته، وارتعش أنفه. «نعم، أنا قرين، ولهذا يمكنني التحدث، كيف عرفت؟»

«هويد»، قالت تريس مشيرة في اتجاه غرفة الجراحة. «كان من الصعب عليه التحدث بسبب اللعنة، لكنه أعطاني قرائن كافية لربطها ببعضها. هوك، لماذا لم تخبرني؟»

قال هوك: «لم أكن أريد أن أعرضك للخطر، إن الساحرة شخص فظيع يا تريس، يجب ألا ترغبي في معرفة المزيد عنها، وبالتأكيد يجب ألا تحاولي الوصول إلى جزيرتها».

سارت تريس نحو السرير وركعت بجانبه، على مستوى نظر الفأر، قالت: «أنت ستخبرني بكل ما تعرفه عن الساحرة، وإلا...».

«وإلا ماذا؟» صرخ.

«وإلا...»، أخذت نفسًا عميقًا وقالت بتوتر -لأنها لم توجه تهديدًا مروعًا مثل هذا في حياتها-: «سأتوقف عن التحدث معك».

«... لن ترميني في البحر أو شيء من هذا القبيل؟»

«ماذا؟» قالت مذعورة. «لا! سيكون ذلك مروعًا!».

«تريس، ستكونين قرصانة سيئة».

قالت: «أرجوك يا هوك، أخبرني بما تعرفه، هل يمكنك إرشادي إلى جزيرة الساحرة؟»

فكر قليلًا، كاد أن يتكلم لكنه توقف، فرك رأسه بمخلبه، قال: «لا، لا أستطيع يا تريس، أنا لست كما تعتقدين، أنا، أنا... لست قرينًا، حسنًا، أعتقد أنني كذلك نوعًا ما، لكن ليس بالطريقة التي تعتقدينها، يمكن لعائلتي بأكملها التحدث، لقد نشأت في جزيرة منعزلة بعيدة عن عالم الساحرة».

«إذن ما أنت؟ من نسل قرناء؟»

قال: «تفسير جيد»، ثم تنهد. «إذا كنت تريدين حقًّا الوصول إلى الساحرة، فإن أفضل رهان لك هو كسر لعنة هويد، لا أستطيع أن أقودك إليها، أقسم لك أنني أقول لك الحقيقة».

«هل يمكنك على الأقل مساعدتي في كسر لعنة هويد؟»

فكر للحظة: «أنا... يمكنني؟ أعني ليس من المفترض أن أتحدث عن هذا، ولكن طالما أن الأمر يتعلق بهويد... حسنًا، ها هي المشكلة، يمنع سحر الساحرة أي شخص من الحديث عن تفاصيل لعنتهم».

قالت: «أعرف ذلك بالفعل».

«لكنني سمعت من عائلتي كما رأيت بنفسك في بعض الأحيان يمكن لشخص ملعون أن يكشف عن أشياء على أي حال. اللعنات ليست حية، إنها ثابتة مثل بنود العقد، هذا يعني أنه على الرغم من مقدار العمل الذي تقوم به الساحرة، فإن كل لعنة بها ثغرات».

قالت تريس وهي لا تزال راكعة بجانب السرير: «أنا لا أفهم».

قال هوك: «حسنًا، لنفترض أن لديك صديقًا ملعونًا، إذا ذهبت إليه وسألته «هل أنت ملعون؟» فلن يكون قادرًا على قول نعم. لكن حقيقة أنهم لا يستطيعون هو في حد ذاته نوع من التأكيد، هل فهمت؟ لذا بطريقة ما لقد خدعت اللعنة لإعطائك معلومات جديدة».

«ولكن ما علاقة ذلك بكسر اللعنة؟»

«يسمع كل ملعون التعويذة أثناء إلقائها، وبالتالي يعرف الطريق إلى خلاصه. إن الساحرة... يا تريس، شريرة، سادية، عندما تلعن شخصًا ما فإنها تريده أن يعرف الطريق إلى حريته، ثم لا يمكنه إخبار أي شخص».

«هذا يبدو مروعًا» قالت تريس، وهي تنظر مرة أخرى نحو المكان الذي تركت فيه هويد.

قال هوك: «نعم، لقد حذرتك، حتى الحديث عنها أمر خطير، لا يجب أن تستمري في محاولة الوصول إليها».

قالت: «أنا عازمة على الذهاب؛ لذلك يمكنني إما الذهاب مسلحة بمعلوماتك، أو الذهاب بجهالة وأن أكون حينها أكثر عرضة للموت، إنه اختيارك يا هوك».

«آه، لا داعي للدوس على المصيدة بعد أن تكون بالفعل حول رقبتي يا تريس، أحاول تقديم المساعدة، لكن ليس هناك الكثير مما يمكنني قوله، عليك أن تجدي طريقة للتحايل على اللعنة، يجب... أفترض أنك سألت ذلك الصديق: «كيف يمكنني إلغاء لعنتك؟» بمجرد أن تعرفي أن هناك لعنة، لن يتمكن هذا الصديق من إخبارك».

«لكن لنفترض أنك أخبرت صديقك بقصة عن شخص آخر شفي من لعنته، وسألته عن رأيه، قد يتمكن من التحدث إليك حول القصة، نظرًا لأنها تتعلق بشخص آخر، وبالتالي ليس عن وضعهم المحدد. قد تتمكن من إرسال بعض المعلومات المفيدة في الخفاء».

قالت تريس: «يبدو أن الأمر سيشمل الكثير من التخمين والالتباس».

«والإحباط، والألم، نعم، لكن هذا كل ما لدي من أجلك يا تريس، أنا لست خبيرًا، أعتقد أنه يجب التركيز على أن تظلي على قيد الحياة، وليس على هذا المسعى المجنون لزيارة الساحرة، إن كرو تضمر لك أمرًا في هذا الصدد، أستطيع أن أشعر به».

قالت تريس: «اعتقدت ذلك في البداية أيضًا»، سمحت له بتغير الموضوع، لقد احتاجت إلى وقت لاستيعاب ما قاله قبل دفعه على قول المزيد على أي حال. «لكن كرو تغيرت، يبدو أنها سعيدة لكوني على متن السفينة».

«وهذا لا يقلقك أكثر؟» سألها هوك.

«الآن بعد أن ذكرت ذلك... يجب أن أكون متشككة، أليس كذلك؟»

قال هوك: «بحق لعنة الأبواغ، نعم، أعني، إن كرو تأكل طلقات الرصاص، وتكره الجميع، وهي مصممة على إصدار حكم بالإعدام على طاقمها. ومع ذلك قررت -بشكل عرضي- أنها تريدك أن تبقى على متن سفينتها؛ لأسبابها الخاصة».

ارتجفت تريس. «قد أحتاج منك إلى التجسس عليها مرة أخرى».

«أوه...» قام هوك بقضم كفوفه قليلًا، ثم بدأ يقضم الدفتر مرة أخرى.

«كف عن ذلك!».

قال لها وهي تخطف الدفتر بعيدًا: «آسف، إن المضغ يجعلني أشعر بتحسن، سوف أتجسس عليها إذا أردت يا تريس، ولكن... أعني لا أعتقد أنني أجيد ذلك، أنا متأكد من أنهم رصدوني آخر مرة، وقد تم إغلاق هذا الكوة بإحكام منذ ذلك الحين، بالإضافة إلى وجود القط ...».

نقرت تريس بإصبعها على الدفتر، كانت القبطان ماكرة، وحتى هويد -الأحمق الصرف- اكتشف أن هوك كان قرينًا. فتاة تقضي وقتًا مع فأر يبدو أنه مدرب جيدًا؟ ربما كان لدى كرو شكوكها أيضًا.

لكن ربما كانت هناك طريقة أخرى، ماذا قال أولام عن أبواغ الظلمات؟ كانت مفيدة في التجسس...

قاطعها طرْق على الباب، ألقت تريس نظرة على هوك الذي أمسك بقشرة خبزه في فمه -بحذر شديد- واختبأ تحت السرير. عندما فتحت تريس الباب وجدت سالاي واقفة في الخارج.

قالت قائدة الدفة: «تريس، نحن بحاجة إلى التحدث عن حقيقة هويتك».

عين الملك



أرادت سالاي أن تعرف هويتها الحقيقية.

لسوء الحظ، كان هذا يسبب بعض الالتباس لتريس نفسها، عندما كانت أصغر، اعتقدت أنها تفهم من تكون، الآن كانت تبحر مع القراصنة وتتعلم استخدام الأبواغ، وجدت نفسها تطالب أولام بإجابات عن تساؤلاتها، ولا تهتم إذا كانت طريقتها مهذبة.

لم تكن متأكدة من أنها كانت تريس ذاتها، أو ما إذا كانت ستصبح شخصًا آخر. بعبارة أخرى يمكنك القول إن حالتها في الوقت الحالي كانت مؤسفة.

«حسنًا؟» سألتها سالاي.

لم يكن لدى تريس الكثير من الخبرة في الكذب، ولكن من المفارقات أن الأشخاص الأكثر نجاحًا في ذلك هم أولئك الذين لا يفعلون ذلك كثيرًا؛ لذلك عندما ظلت تريس هادئة، ولكنها تراجعت وأشار إلى سالاي بالدخول، كان هذا هو الشيء الصحيح الذي ينبغي فعله بالضبط.

ترددت سالاي، على الرغم من ميلها للتفكير المنطقي، كانت متوترة من دخول غرفة رفاء، لقد تعودت على فكرة وجود الفضة في الجوار، إنها تساعدك على تجاهل الأبواغ إلى حد ما، مثل عادتك في تجاهل كون أنفك دائمًا مرئيًّا، أو مثل تجاهل الناس للرعب الوجودي المتولد من معرفة أن أجسادهم تتدهور ببطء كل يوم، والوقت نفسه يدفعهم نحو نسيان إيقاع قلوبهم النابضة.

ومع ذلك على الرغم من أن سالاي ربما كانت تفتقر إلى القوام والمزاج، فإنها لم تكن تفتقر إلى الجرأة، دلفت إلى الغرفة وأغلقت الباب، وهي تتحمل ببطولة البرودة الذي أصابت عمودها الفقري والقشعريرة التي اجتاحت جسمها.

«هل تريدين بعض الشاي؟» قالت تريس وهي تخرج فنجانين. كانا زوجًا ساحرًا متطابقًا من البورسلين الفاتح الباهت مع الفضة على الحواف. «إنه فاتر بشكل مبهج».

قالت سالاي: «إيه، لا، انظري، أنا أعلم أنك لست من تتظاهرين بكونه».

«أنا مجرد فتاة تتجنب أن تلقى في البحر».

قالت سالاي وهي تعقد ذراعيها: «نعم، لا، أنا لم أعد أقتنع بهذا التمثيل يا تريس».

أزعج ذلك تريس قليلًا. «ماذا تريديني أن أقول؟» سألتها تريس، في نوبة نادرة من الغضب. «لقد اعترفت بالفعل أنني سرقت هذا المعطف، بخلاف ذلك فأنا فتاة صغيرة من جزيرة تافهة، لا يوجد شيء مميز بي».

«أوه؟ فتاة غير «مميزة» تصادف أنها غير خائفة من الأبواغ؟ والتي تصادف أن تصبح رفاء السفينة بعد يومين فقط من الانضمام إلى الطاقم؟»

«أنا مرعوبة من الأبواغ!» قالت تريس، لمرة واحدة لم تهتم بعدم تهذيبها. «كنت بحاجة إلى عمل على متن السفينة، وكان هذا هو العمل الوحيد المتاح!»

انحنت سالاي إلى الأمام، وهي تتأمل تريس. «بحق القمر الحاجب، أنت جيدة جدًّا في هذا، لا أرى أي تلميح لكذبك».

«لأنني لا أكذب! حسنًا، إذا كنت لا تصدقينني، فماذا تظنين بي؟»

قالت سالاي: «مفتشة ملكية متخفية».

قالت تريس مشيرة إلى معطف: «هذا، هل هو تمويه؟»

قالت سالاي: «إنها خطة ذكية، سأعترف بذلك، كنت تعلمين أننا سنشتبه على الفور في وجود وافد جديد، لكن بالطبع سيكون المفتش آخر شخص يرتدي زي المفتشين! إلا عندما يكونون مفتشين؛ لذلك كنت تعرفين أنك بارتدائه سنفترض بالطبع أنك لست مفتشة».

قالت تريس: «هذا مسار فكري مثير للاهتمام...».

قالت سالاي: «نعم، سأعترف، لم أكن لأخمن الأمور معًا لولا اكتشافي أن كرو قد أعطتك فرصة للهروب من السفينة، وأنت لم تنتهزيها».

قالت تريس: «بخصوص هذا الأمر، لم أرغب ببساطة في التخلي عنكم جميعًا، حسنًا، أنا لا أكذب، أنا لست مفتشة».

ضاقت عينا سالاي وهي تسأل: «نعم؟ وماذا عما فعلته بقذائف المدفعية؟»

تجمدت تريس.

«آها!» قالت سالاي. «لم تتوقعي أن أعرف ذلك، أليس كذلك؟ لقد شاهدت رد فعل لاغارت عندما لم تغرق تلك السفينة اليوم. أراد قتل هؤلاء الناس، رغم أنني لا أعرف السبب، أعلم أنك الشخص الوحيد الذي تمكن من الوصول إلى ذخائره لتخريب محاولته».

بحق القمر الرحيم، فكرت تريس. إذا اكتشفت ذلك... ربما اكتشف لاغارت وكابتن كرو ذلك أيضا، كان يجب أن تعرف أنها لا تستطيع أن تخدع مثل هذا الطاقم المتمرس.

جلست تريس على سريرها منزعجة. كانت سالاي مخطئة بحقها، لكن قائدة الدفة... وقفت في وجه الكابتن كرو، لقد حالت دون وقوع مجزرة، إذا كانت تريس ستثق في أي شخص على هذه السفينة، فقد قررت أن تكون سالاي.

قالت تريس: «اكتشفت أن القبطان تريد إغراق السفن؛ لتجعلكم جميعًا من المطاريد القتلة، إنها تريدك أن تطيعها كليًّا، حتى مع قوتها يجب أن تخشى التمرد».

انحنت سالاي نحوها، وقد تساقطت خصلات شعرها الأسود المجعد حول جوانب وجهها. «فتاة عادية كما تتظاهرين، اكتشفت مؤامرة الكابتن كرو؟»

قالت تريس: «بالصدفة، حقًّا يا سالاي، ليس لدي أدنى فكرة عما أفعله».

قالت سالاي: «لنفترض أنني أصدقك، وتقبلت أنك لست مفتشة. هل يمكنك إثبات ما قلته عن القبطان؟»

قالت تريس: «هناك قيعان مزيفة في براميل المدفعية، يحتفظ لاغارت بقذائف المدفعية المخربة هناك، لقد استبدلتهم بأخرى عادية حتى لا يتمكن من إغراق المزيد من السفن. لدي تلك التي بدلتها، لكني لا أعرف ما إذا كان ذلك سيثبت أي شيء. إنها كلمتي ضد كلمته».

قالت سالاي وهي تخطو ذاهبًا وإيابًا بخطوات سريعة: «لست بحاجة إلى مواجهته بشأن ذلك، نحتاج فقط إلى جعل الآخرين في الطاقم يوافقون على اتخاذ إجراء. لقد نظمت لقاء مع آن وفورت في وقت لاحق الليلة، إذا أحضرت إحدى قذائف المدفعية هذه، فقد يكون ذلك دليلًا كافيًا بالنسبة لهم، هم بالفعل يشككون في دوافع القبطان، و...».

توقفت سالاي، ثم عادت إلى تريس: «وأنت تلاعبت بي للتو لإخبارك عن اجتماعنا السري! تبًا، أنت جيدة».

تنهدت تريس.

حدقت فيها سالاي مرة أخرى. «باردة كالثلج، لك قلب من الفولاذ الذي لا يفل».

«حقًا؟» سألتها تريس. «هذا ما فهمته من كلامي؟»

قالت سالاي: «حقًا، تحاولين استخدام الخوف والارتباك الزائف لإلهائي، لكنني أصدقك في شيء واحد: أنت لست مفتشة ملكية».

«أوه؟»

قالت سالاي: «أنت ذكية للغاية لأن تكوني منهم، يجب أن تكوني عين الملك!».

أوه، هذا يفسر الأمر برمته، أو هذا ما افترضته تريس، إذا عرفت ما هو «عين الملك» بحق البحار الاثني عشر.

قالت سالاي وهي تضع يديها على فخذها: «يعلم الجميع أن (عيون الملك) يجب أن يكذبوا عند السؤال عن هويتهم لحماية مهامهم السرية؛ لذلك لن أحاول إقناعك بتأكيد ذلك، هل ستحضرين إحدى قذائف المدفع هذه الليلة؟»

قالت تريس: «إذا كنت تعتقدين أن ذلك سيقنع الآخرين، فسأفعل ذلك». لم تكن متأكدة مما يمكن أن يفعله أي منهم ضد شخص مثل كرو، ولكن سيكون من الجيد التحدث عن الأشياء التي اكتشفتها.

قالت سالاي: «عظيم، الاجتماع في غرفة مسؤول المؤن بعد الوجبة المسائية الثانية، عندما يتم استدعاء المراقبة الليلية». توجهت نحو الباب، ثم ترددت. «أرجوك لا تغتالي أحدًا قبل ذلك».

قالت ذلك وخرجت، جلست تريس على سريرها مذهولة عندما ظهر هوك.

«إذن، عين الملك، إيه؟ لقد خدعتني بالتأكيد».

«أنا--»

قال: «كانت تلك مزحة»، وهو يقضم خبزه اليابس مرة أخرى. «أظن أنك لا تعرفين حتى من هم».

«ليس لدي أدنى فكرة».

قال هوك: «هم مجموعة قتلة سريين، يتولى الملك تكليفهم بمهمات خاصة، من المفترض أنه لا يوجد أكثر من خمسة في المرة الواحدة، إنهم نخبة النخبة».

«وهي تعتقد أن فتاة تبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا هي واحدة منهم».

قال هوك: «من المفترض أن تتناول الأعين جرعات الشباب لإخفاء أعمارهم، ولكن... من المحتمل أنهم غير موجودين بالفعل، والملك يشجع الشائعات ليخشاه الناس».

«لا تلومي سالاي، الناس على متن سفن مثل هذه تحوم حول حدود القانون، حتى عندما لا يكونون قراصنة، إن شخصًا مثل سالاي تعيش حياتها كلها مليئة بالشكوك، إنها ليست غبية، لكنها ليست معتادة على التعامل مع شخص حقيقي إلى هذا الحد، يبدو الأمر كما لو كنت تتحدثين لغة مختلفة تمامًا».

قالت تريس: «سأحتاج إلى إقناعها بالحقيقة، بطريقة ما». تسبب اعتقاد شخص ما أنها قاتلة بشعورها بالألم في أنحاء جسدها.

قال هوك: «لا أعرف ما إذا كنت سأذهب إلى ذلك الاجتماع لو كنت مكانك، الكابتن كرو تشك في سالاي والآخرين، أعتقد أنها تخطط لقتلهم».

«ماذا؟ كيف علمت بذلك؟»

«عندما تجسست عليهم ذلك اليوم؟ لقد اكتشفت القليل عن «الاجتماعات السرية» و«التخلص منها في النهاية». كان ذلك قبل أن يصلوا إلى الأشياء المثيرة التي أخبرتك بها».

بدا ذلك سيئًا لتريس، ولكنه أيضًا غامض جدًّا. وقفت مرة أخرى، وهي تسير في أرجاء الغرفة الصغيرة، تستمع إلى كشط الأبواغ على الهيكل الخارجي.

«نحن لا نعرف ما يكفي يا هوك، لا نعرف لماذا تريد القبطان أن تجعل الآخرين مطاريد قتلة، أعني إنها تريد أن تأمرهم بفعل شيء خطير، لكن لماذا؟»

قال هوك: «نعم، أنا في حَيرة أيضًا، يذكرني الأمر بصديقي، لقد كان ذا شخصية أؤكد لك، ذات مرة عرض عليه الجبن -بالمناسبة نحن لا نحب الجبن كما يعتقد الناس، أتساءل كيف بدأت الإشاعة، على أي حال--»

قالت تريس بلطف: «أعتقد أننا يجب أن نحافظ على تركيزنا يا هوك، نحتاج إلى مزيد من المعلومات عن القبطان».

أسقط هوك قشرته، قال: «حسنًا، على ما أظن، أعني إذا كنت تريدينني حقًا. . .».

شعرت تريس بالذنب على الفور، وتذكرت اعتراضاته السابقة، لم يكن لديها الحق في أن تطلب منه تعريض حياته للخطر.

قالت وهي تدفع بخصلة جامحة خلف أذنها: «لا تهتم، أعتقد أن هناك طريقة أخرى». نظرت في الحجيرة السرية أسفل السرير، ثم أخرجت الصندوق الصغير المليء بأبواغ الظلمات.

« تريس ... « قال هوك. «ماذا تفعلين؟»

قالت: «أنا خارج مجالي الطبيعي تمامًا، يا هوك، أنا مجرد فتاة مغرمة بالفناجين، ليس لدي تدريب خاص ولا خبرة خاصة، لا يمكنني التفوق على كرو في المناورة ما لم أستخدم الموارد التي أمتلكها». رفعت الصندوق وقالت: «الميزة الحقيقية الوحيدة بالنسبة لي هي حقيقة أنني أخاف من الأبواغ أقل من أي شخص آخر بنزر قليل».

«نعم، ولكن أبواغ الظلمات؟ لا ينبغي لنا... أنت تعرفين... نستهل طريقنا بفعل شيء من هذا القبيل؟ أنت لا تبدئين الركض بجري ريجالثون كامل، بل تهرولين قليلًا أولًا».

«ماذا؟»

قال: «ريجالثون، إنه سباق الأربعين ميلًا، يقام كل عام في عيد ميلاد الملك».

«أربعون ميلًا؟» قالت تريس، وهي تبحث في الأدراج المختلفة في خزانة ويف. «ألم ترَ سكينًا فضيًّا هنا؟ كانت اليابسة ستنتهي ويسقطون من الجزيرة إذا تسابقوا إلى هذا الحد، هل يركضون في دوائر؟»

قال: «أوه، تريس، معظم الجزر ليست بحجم الصخرة، كما تعلمين».

«حقًّا؟» قالت. سحبت السكين من الدرج. «هل تقصد أن هناك بعض الجزر بعرض أربعين ميلًا؟»

قال: «وأكثر، أعتقد أن واحدة في بحر زفير يبلغ عرضها ستين ميلًا».

«بحق الأقمار!» قالت وهي تحاول تخيل تلك المساحة الكبيرة من الأرض في مكان واحد. لماذا قد لا تتمكن من رؤية البحر على الإطلاق من منتصفها! هزت رأسها لتبعد هذه الأفكار المجنونة وسحبت قربة الماء.

بعد ذلك ركعت على ركبتيها بجانب السرير، والتقطت ثلاثة أبواغ سوداء، ووضعتها على المرتبة. تراجع هوك بعيدًا، وسحب قشرة الخبز.

أخذت نفسًا عميقًا وفكرت في تشارلي، يمكنها أن تفعل هذا له ولطاقم السفينة، ستقوم بحل الألغاز الموجودة على هذه السفينة، وحماية الناس هنا، وسيوجهونها بعد ذلك في اتجاه تشارلي.

رفعت القطارة وقطرت قطرة ماء على الأبواغ.



خلاصة الظلمات



أفترض أنه ليس لديك فكرة عن ماهية روابط لوهل، لا تشعر بالسوء، في هذه المرحلة من القصة كنت مهتمًا بمحاولة معرفة عدد درجات اللون البرتقالي المختلفة التي يمكنني ارتداؤها معًا؛ لذلك لدينا جميعًا أولوياتنا.

معظم أبواغ الأثير -مثل الأبواغ الخضراء وأبواغ الزفير- لا تنطوي على أي نوع من الروابط، استخدامها هو مسألة بسيطة من السبب والنتيجة. يسقط الأثير المضغوط على الكوكب على شكل أبواغ، ويحفزه القليل من الماء على النمو في تعريش متفجر.

تختلف أبواغ الظلمات في الواقع إنها أقرب إلى الكيفية التي من المفترض أن تعمل بها الأبواغ. إن إحياء أبواغ الظلمات يخلق رابطة مؤقتة، نوعًا من التعايش بين المضيف والأثير، على عكس روابط ناهيل التي تتعامل مع الوعي وترسيخ الواقع، فإن روابط لوهل تتعامل مع المادة، وكانت في هذه الحالة الماء.

شعرت بها تريس كعطش مفاجئ/ جفاف في فمها. مدت يدها إلى قربة

الماء، ثم توقفت للحظة، وقد أذهلتها حركات الأبواغ.

ظهرت على شكل فقاعات وتموجات، تذوب ثم تتضخم مثل البالون المتفخ. في ثوانٍ كانت البركة اللزجة -على الرغم من أنها بدأت من ثلاثة أبواغ صغيرة- بحجم قبضة الشخص، وهنا لحسن الحظ، توقفت عن النمو، على الرغم من استمرارها في التموج والالتواء. للحظة عابرة ظهر وجه صغير يمتد من القيح الأسود، ثم ذاب مرة أخرى.

قدمي عرضك، طبعت الفكرة في ذهن تريس، مقايضة، ماء. امنحيه الماء.

أذعنت تريس دون أن تعرف ما تفعله.

تبحث خلاصة الظلمات -على مختلف أشكالها- عن نمط أو نموذج، غالبًا ما يأخذ الأمر تلميحًا من مبتكره أو مضيفه، وفي هذه الحالة ألقت تريس نظرة خاطفة على هوك، الذي تراجع عبر السرير إلى الزاوية البعيدة، ممسكًا بقشرة الخبز أمامه مثل درع من وجبة خفيفة.

نبضت خلاصة الظلمات لتستطيل، شكلت ذيلًا أسود وأربعة كفوف ووجهًا وخطمًا... بدا الجسم مثل درنة مشوهة. سرعان ما وجدت تريس نفسها تنظر إلى مخلوق صغير بدا تقريبًا وكأنه فأر مغموس في الطلاء الأسود، باستثناء أن ملمس الشعر بدا أشبه بالجلد عن الشعر، ولم تكن هناك تفاصيل كافية على أصابع القدم والوجه.

كان سلسًا للغاية؛ لونه أسود فاحم ولامع، كما لو كان مصنوعًا من القطران، أو منحوتًا من حوض شحم الخنزير بواسطة فنان موهوب لم يجد سبيلًا آخر للتعبير عن نفسه. انطلق ذهابًا وإيابًا عبر السرير مجربًا ساقيه، ومرة أخرى كانت حركاته تشبه الفئران تقريبًا.

على الرغم من أن عطشها كان يتزايد، والغريب أن عينيها بدأت تشعر

بالجفاف، لم تستطع تريس التوقف عن مشاهدته. تناولت شرابًا، ووجدت نفسها تتجرع القربة بأكملها. لم تكن تعتقد أنه ستكون هناك مساحة كافية في معدتها، ولكن بمجرد انتعاشها، تعززت رابطة لوهل. لقد أعطته ما أرادته، وبذلك اكتسبت قدرًا من السيطرة عليه. فقدت إدراكها للعالم من حولها، وباتت رؤيتها مشوشة.

ثم أصبحت تريس الكائن الذي ليس بفأر، يمكنها توجيهه، والنظر من خلال عينيه، وشم ما يشمه. دفعت الكائن للقفز على الفور نحو هوك، الذي صرخ وركض تحت السرير. كان الأمر ممتعًا لأسباب لم تستطع تفسيرها.

لكن لا، كان لديها عمل لتقوم به، نعم عمل مهم تضمن الركض عبر السرير والقفز على الأرض. عندما لامست الأرض، ضغطت قدميها على جسدها، وكان عليها أن تدفعهما مرة أخرى، بعد ذلك اندفعت نحو الباب وضغطت نفسها أسفله، وخرجت كما لو كانت مادة لزجة تتسرب مرة أخرى لتتشكل.

الظلال، كانت تحب الظلال، هنا في الأسفل، في هذه الممرات تحت سطح السفينة، كان بإمكانها التحرك بشكل غير مرئي تقريبًا. حتى على الدرجات كانت الظلال عميقة، لكن في الأعلى، كانت الشمس تشرق من خلف القمر. الشمس الحاقدة، رغم أنها كانت تنزلق نحو الأفق، نائمة، غير مدركة لها. جثمت تريس من خلال أبواغ الظلمات المتجسدة على الدرج، مستمعة إلى أقدام الناس، وهي تشم رائحة الجلد القديم لأحذيتهم.

هناك، رأت ظل الصاري عندما استدارت السفينة، قفزت فيه، ثم ركضت بطوله، قفزت فوق عروق الفضة على ظهر السفينة، كانت تعلم أنه سيؤذيها إذا لمسته، لكنها كانت أقوى في هذا الشكل من الأبواغ العادية، مجرد

القرب لن يضرها.

وصلت إلى مقصورة القبطان التي كانت تشغل المساحة الواقعة أسفل مؤخرة السفينة. من المؤكد أنها لم تكن قادرة على التسلل تحت تلك الفجوة الصغيرة بين الباب والسطح، لكنها فعلت ذلك. استغرقت عملية إعادة التشكل وقتًا أطول هذه المرة، لكن عينيها عاد تشكيلها بشكل أسرع من بقية جسمها، وتمكنت من تفقد الغرفة.

جلست كرو على مكتبها بجانب الكوة تكتب شيئًا ما على ضوء غروب الشمس المتضائل، كانت قبعتها معلقة على مشبك بالقرب من الباب، وكان قميصها مفتوحة بجانبها، وكانت ترتدي سترة مفككة الأزرار.

بمجرد أن عادت قدماها تنمو، اندفعت تريس من خلال أبواغ الظلمات المتجسدة إلى الظلال العميقة تحت المقعد. كانت لكرو رائحة فاسدة، رائحة أعشاب متعفنة، ولحم محترق، وشيء آخر لم تستطع تريس التعرف عليه. كانت رائحة البشر الآخرين مزيجًا من رائحة العرق واللحم الحلو، لم يكن هذا الحال مع كرو، لم تكن كرو شخصًا ليس بالكامل، كان الطفيل يفوز.

أدركت تريس من خلال أبواغ الظلمات المتجسدة أنه كان ينبغي عليها أن تنتظر حتى يجتمع كرو ولاغارت، كان عليها أن تحسن التخطيط، لكن الخطط... كانت الخطط أشياء لأشخاص لم يوجدوا بعد، بيد أن تريس موجودة الآن.

ما هذا الدفتر الصغير الذي كانت كرو تكتب فيه؟ دنت منها. هل تستطيع البقاء في الظل بما يكفي لقراءة الدفتر؟ رفعت رقبتها وهي تنظر لأعلى وتحاول الرؤية، لكن الزاوية كانت خاطئة تمامًا، هل تستطيع. . .

لا، لا، يجب أن تقف بجانب كرو لتلقي نظرة على الدفتر، شعرت بالإثارة

والحماس في هذا الجسد، لكن... ولكن حتى في الظلام، لم تكن غير مرئية.

ربما أقرب قليلًا، ربما يكن أن تقترب قليلًا.

منعت تريس نفسها بصعوبة، كان الأمر أشبه بمحاولة الامتناع عن الأكل عندما تكون نهمًا، أرادت أن تفعل ما تريد، أليس كذلك؟

لا، لا...

ستغادر كرو قريبًا لتناول وجبة المساء، كانت تذهب دائمًا كعادتها لتحضر الطعام، ثم تعود، انتظري.

انتظري.

انتظري.

تعالى النداء لتناول العشاء، أغلقت كرو دفترها، وأخذت جرعة كبيرة من قنينتها، ثم وقفت، أخذت قبعتها من على المشبك، وخرجت من الباب، ثم أغلقته خلفها.

الآن!

خرجت تريس من خلال أبواغ الظلمات المتجسدة بسرعة من الظل، صعدت على ساق الطاولة بمخالب حادة جدًّا بالنسبة لجسمها الناعم والمرن، ثم قفزت على الجزء العلوي من المنضدة، متلهفة للوصول إلى الدفتر لدرجة أن قدميها كانتا ملتويتين ومشوهتين أثناء ركضها، وكانت أجزاء إضافية من الأرجل تنمو مثل الأورام على جانبيها.

وصلت إلى الدفتر وعضته؛ لتفتحه على الصفحة التي تركها كرو علامة عليها، وكان في الداخل... كلمات؟

كلمات تفوح منها رائحة الغبار، كلمات متربة، قذرة، مملة، غبية، خبيثة،

كتبت بالحبر. لماذا الكلمات؟ لماذا كانت حريصة جدًّا؟

كلمات، اقرئي الكلمات.

لم تكن ترغب في ذلك، لكنها فعلت على أي حال، حيث زاد حجم عينيها حتى انتفختا في وجهها، واستوعبت المزيد، مما جعل التفاصيل أكثر تميزًا. بدت العديد من الكلمات مطبوعة بواسطة جهاز ما، لكن ثمة ملاحظات في الهوامش، فيما افترضت أنه خط يد كرو.

طريقة للتخلص منهم في النهاية؟ قالت المذكرة، طريقة لطرد الأبواغ من دمي؟

أمر مثير للفضول، ركزت تريس من خلال أبواغ الظلمات المتجسدة على النص.

من الواضح أن إكسيبيس لديه القدرة على علاج أي مرض. في عام 1104 أبلغ أحد الباحثين عن علاج عن شفائه من أورام سرطانية في مرحلة متقدمة للغاية، كان هذا الشخص -واسمه دلف من جزر زفير- عالمًا معروفًا ومحترمًا، وكلمته جديرة بالثقة.

لدينا مثال متطرف آخر، في عام 1123 شُفيت الملكة بك الخامسة عشرة من حملها للأبواغ، وظلت الشخص الوحيد خلال آلاف السنين من التاريخ المدون الذي نجا من هذا الغزو، كان إكسيبيس ضالعًا في الأمر.

كلمات غبية، كلمات غبية تملأ العين كنشارة الخشب، لماذا؟ يجب أن تجد شيئًا تأكله، شيئًا ينز دفئًا وملحًا سائلًا.

كانت تنازع نفسها وتتلوى، وتبدلت هيئتها بين الانتفاخ والتموج، كادت تمزق نفسها في نوبة غضبها، لكنها نجحت أخيرًا، وأجبرت نفسها على اتخاذ هيئة فأر رثة. قامت بقضم الصفحات لتعود لتصفح الدفتر. مرت

بملاحظات أخرى من كرو، لكن معظمها لم يلفت انتباهها، حتى رأت كلمتين عالقتين في ذهنها مما قاله هوك سابقًا.

أشارت الاجتماعات السرية مع ويف إلى ضرورة وجود سبيل للعثور على الموقع المناسب، من المؤسف أنه لجأ إلى الابتزاز، آه حسنًا، على الأقل أظهر بعض الشجاعة قبل أن قتله.

هذا لم يفسر ماهية إكسيسيس، قلبت المزيد من الصفحات للعثور على بداية الفصل، ما هذا الشيء الذي يمكن أن يعالج الأمراض؟ عشب؟ جرعة؟

لا، مخلوق.

يعيش إكسيسيس-ريليف تحت الأبواغ في قصر موجود على نحو ما في قاع البحر القرمزي، على الرغم من أن عمره غير معروف، فإنه عاش في المكان نفسه لمدة ثلاثمائة عام على الأقل.

يطلق عليه الكثيرون -بكامل قواهم العقلية- أسطورة، ومع ذلك فإن هذا الفصل سيثبت أنه حقيقي بلا جدال، كما يتضح من شهادات الثقات من متلمسي العلاج. صحيح أن السفر في البحر القرمزي ليس لضعاف القلوب. في الواقع كثيرون قد يثيرون التساؤلات حول الصحة العقلية لكل من يبحر في هذه الأبواغ، وكان هذا السبب المتكرر لرفض الشهادات عن وجود التنين.

لقد فشلت جهودي لتحديد مكانه حتى الآن، لكن يمكنني إثبات أن الجنون لم يكن سببًا للبحث في هذا المسار، بل هو اليأس. إن روايتهم جديرة بالثقة على الرغم من أنها قد تبدو غير قابلة للتصديق، إن إكسيسيس التنين حقيقي.

التنين.

اعتقدت كرو أن التنين كان حقيقيًّا.

وأرادت إجبار طاقمها على الإبحار في البحر القرمزي للعثور على التنين وشفاء علتها.

كان هذا أول شيء اكتشفته عن كرو وكان منطقيًّا تمامًا، تحتاج تريس من خلال أبواغ الظلمات المتجسدة معرفة المزيد، كيف يجد المرء التنين؟ لقد سمعت أنه منح الأمنيات، لقد سمع الجميع تلك القصص، ولكن بالتأكيد كان هناك المزيد. هل كان تحديد مكان التنين كافيًا، أم كان عليك أن تدفع له في المقابل؟

لكن لا، كانت الكلمات شظايا في العين، كلمات غبية، عديمة الفائدة، بلا دماء، بلا ملح، عديمة النكهة، عديمة الصراخ. لقد انتهيت، كفى.

عاد التنازع الداخلي مرة أخرى وتفكك شكلها، كانت كالهريس على المكتب، تضرب سطحه وتتلوى.

صوت خطى.

كان النزاع بين الجزء الذي أراد الكلمات والجزء الذي لم يرد العودة للكلمات مرة أخرى.

صوت خطى في الخارج.

لا، لا، لا، لا، لا، لا، لا، لا، لا، امتثل لأوامري.

عادت كرو، ووضعت المفتاح في القفل.

كان يجب أن...

في ومضة وانفجار من الدخان الأسود، ارتدت تريس إلى جسدها، وجدت فمها يابسًا وجافًا كما لو كان ممتلئًا بالرمال. لم تستطع التعرف على ملمس لسانها، الذي بدا كقطعة من القماش، وكانت يداها تذبلان أمامها. انهارت على جانبها على السرير، وعندما حاولت التحدث لم تطلق سوى صرير.

«تريس!» قال هوك، وهو جالس أمامها. « تريس!» أمسك السكين الفضي بتحرج بين كفوفه. «كان هناك خط من الظلام يخرج من فمك، لم أعرف ماذا أفعل، لكنك كنت تسعلين و. . .».

«الماء»، تمكنت من إجبار نفسها على نطقها بقوة، مدت يدها نحو قربة الماء الثانية.

اندفع هوك وأمسكها بأسنانه وجذبها نحوها، تمكنت من دلقها في فمها، بمجرد أن لمس لسانها احترق فمها، ظلت تشرب رغم الألم، وتختنق بالمياه، وتجبره على النزول إلى حلقها الذي كان جافًا مثل الرق.

بعد ذلك استلقت على المرتبة المبللة وهي تتنفس بصعوبة، لو كانت تعاني من الجفاف بشكل طبيعي، لكانت ماتت بلا شك، لكن هذا لم يكن تأثيرًا طبيعيًا. أدى امتصاص السائل في الوقت المناسب إلى عكس العملية؛ حيث أعاد نفخ ذراعيها مع تلاشي الحرق في فمها وحلقها.

رقدت على ظهرها، مستمتعة بإحساس عدم الشعور بالألم، وفكرت فيما اختبرته. بدأت تتساءل في قلق: هل ستجد كرو بقايا أبواغ الظلمات؟ عندما تحررت تريس من الرابطة، اعتقدت أنها شعرت بجسدها يتحول إلى دخان أسود، هل ترك ذلك أثرًا؟

«تريس؟» سأل هوك. «هل...أنت بخير؟»

قالت بصوت أجش: «نعم». دفعت شعرها بعيدًا عن وجهها، حيث أفلت من ذيل الفرس أثناء تنازعها. «ربما تكون قد أنقذت حياتي، يا هوك، شكرًا لك».

قال: «حسنًا، أعتقد أننا متعادلان الآن، كنت سأكون في قاع البحر الأخضر إذا لم تخرجيني من القفص».

كان لا يزال يفرك يديه؛ لذلك أجبرت تريس نفسها على الجلوس وابتسمت له، لكن بحق قمر الوعيد، كان تشعر بصداع متوحش يهاجم رأسها، ربما يكون من الأفضل ترك أبواغ الظلمات لحالها في المستقبل.

ومع ذلك، فقد عرفت ما تريده الكابتن كرو، وعلى الرغم من أنها لم تكن متأكدة، يبدو أن الأشياء التي سمعها هوك لم تكن تتعلق بسالاي والآخرين. كانت «الاجتماعات السرية» مع ويف، و«التخلص منها» تشير إلى الأبواغ في دمها.

ربما يعرف كل من سالاي وآن وفورت ماذا يجب فعله. ترقبت تريس إذا ما كانت كرو ستندفع لغرفتها وهي غاضبة من التجسس عليها. عندما لم يحدث ذلك، أخذت تريس حمامًا مترفًا، ثم ارتدت ملابسها واستعدت لحضور الاجتماع السري. كانت تأمل ألا يغضب الآخرون منها عندما يكتشفون أنها ليست عين الملك.

بالطبع، كانت تريس تقلل من قدرة العقل البشري على تصديق ما يريده.



المخلص

32

قالت سالاي وهي تشير إلى تريس: «لقد وجدت طريقة لنا للهروب من مأزقنا، ها هي مخلصنا».

تجمدت تريس، ولا تزال يدها على مقبض باب مكتب مسؤول المؤن الذي أغلقته للتو، لم تكن تتوقع أن يتم وضعها في هذا الموقف المحرج لحظة دخولها. «أمم...» بدأت.

قالت سالاي وهي تخفض صوتها الذي بدا كهمس تآمري: «إنها لا تستطيع تأكيد ذلك بالطبع، لكنني واثقة من أنها عين الملك».

رفع فورت لوحه: <لا أريد أن أكون مخالفًا يا سالاي، لكنني أشك بصدق في أن تكون هذا حقيقة الأمر>.

قالت آن: «نعم، أوافقه الرأي، تريس رائعة بلا شك، لكن من الواضح أنها فتاة من جزيرة منعزلة».

قالت سالاي: «الهدف الأساسي من عيون الملك أن يبدوا أبرياء. كم عدد فتيات الجزر المنعزلة التي شاهدتهم يمشين على البحر؟ ثم يتشبثن خارج السفينة عند الإبحار؟»

تفحصها فورت وآن؛ مما دفع تريس للاحمرار خجلًا. قالت: «كنت يائسة، لقد فعلت ما كان عليّ فعله من أجل البقاء على قيد الحياة».

<إنه أمر مريب بعض الشيء> كتب فورت، <كيف انتهى بك الأمر على الفور كرفاءة للسفينة>.

«صحيح؟» قالت سالاي. «إنها ليست خائفة من الأبواغ».

صححت تريس: «أخاف الأبواغ جدًّا».

قالت سالاي: «كان بإمكانها الفرار من السفينة في شيمرباي، لكنها اختارت البقاء حتى تتمكن من مراقبة كرو، لقد اعترفت لي في وقت سابق بهذا».

تنهدت تريس: «أنا... لا أريد مقاطعتك يا سالاي، لكنني أعتقد أنك تسيء تفسير ما قلته لك».

قالت آن: «انتظري، سالاي، أنت تتصرفين كأن هذا شيء جيد. إذا كانت عين الملك فستقتلنا جميعًا، نحن خارجون عن القانون الآن».

قالت سالاي وهي ترفع إصبعها: «آه، لكنها تعرف أننا لسنا متواطئين في قتل أي شخص».

كتب فورت: <عمليًّا، نحن متواطئون، تحولنا إلى قراصنة، ثم مات ناس، لا يهم أننا لم نطلق المدفع، نحن مسؤولون عن موت هؤلاء المساكين>.

ساد الهدوء في الغرفة الصغيرة، جلس فورت على كرسيه خلف المنضدة،

بأكتاف عريضة بما يكفي للمس كلا الجدارين في وقت واحد، كان يرتدي حمالات؛ لأن الأحزمة السبعة الأخيرة التي حاول ارتداءها قد انهارت على الفور، وأعرف من مصدر موثوق منه أنه مجبر بموجب تفويض قضائي بالبقاء على بعد ثلاثين قدمًا على الأقل من أي أحزمة أخرى نتيجة لممارساته الوحشية السابقة ضدها.

جلست آن على المنضدة بجوار الحائط، وهي تأرجح ساقيها. بدت مهتمة للغاية بالعقدة في ألواح الأرضية، لكنها في الواقع كانت ملتاعة من كلمات فورت، كانوا جميعًا مذنبين، الجميع باستثناء تريس.

تقدمت سالاي نحو الآخرين، مبتعدة عن الباب. «حسنًا، لهذا السبب من المهم أن تكون عينًا، الطريقة الوحيدة بالنسبة لنا للبقاء على قيد الحياة بعد أن أصبحنا من المطاريد القتلة هي أن يشهد لنا عميل للملك». نظرت إلى تريس، والتوسل بادٍ في عينيها. «لهذا السبب يمكن أن تكون مخلصتنا، يمكنها إخبار الملك بأننا قصدنا الخير، أننا حاولنا إيقاف كرو، إنها مخرج لنا من محنتنا، أليس كذلك؟»

كانت تريس ترى سالاي صارمة ومباشرة، مثل المصافحة القوية في شكل بشري، لكن في الوقت الحالي كان هناك خوف في عينيها الداكنتين، وألم، بحق القمر الرحيم، كان من الصعب رفض تضرعها.

نظر كل من فورت وآن إلى تريس، وقد بدت شرارة أمل في عينيهما أيضًا.

كان هوك على حق، هؤلاء الناس لم يكونوا حمقى، لم يكونوا أغبياء لأنهم كانوا يأملون أن تكون تريس أكثر من مجرد الفتاة التي بدت عليها، لقد أرادوا ببساطة أن تكون هناك فرصة.

جف فم تريس مرة أخرى، وإن لم يكن بسبب إساءة استخدام الأثير هذه المرة، كانت هناك طريقة لإثبات أنها لم تكن عينًا. كان عليها فقط أن تقول إنها واحدة. بشكل متعارض، هذا من شأنه أن يثبت أنها لم تكن واحدة، على افتراض أن سالاي كان على حق وأنه لم يُسمح لأعين الملك بالكشف عن حقيقتهم.

لكن قول ذلك من شأنه أن يطفئ آخر نور أمل لهم، كان فعل ذلك... بالغ القسوة، مثل ركل قطة صغيرة.

لا، مثل ربط الديناميت بقطط صغيرة، ثم مشاهدة إلى أي الارتفاع يمكنك جعل الرؤوس تطير.

لم تستطع تريس أن تقول ذلك، لقد أرادوا ذلك كثيرًا، كانت بدورها في حاجة ماسة أن يحصلوا على ما يريدون؛ لذا بدلًا من ذلك غيرت الموضوع، مدت يدها إلى حقيبتها وأخرجت قذيفة مدفع.

قالت: «أخذت هذا من حجيرة سرية في أحد براميل المدفعية التابعة للاغارت».

نظرت سالاي إلى الاثنين الآخرين وعقدن ذراعيها بشكل حاد، وكأنها تقول: هل تصدقونني؟

أخذ فورت قذيفة المدفع ووزنها في راحة يده ثبتتها أصابعه الملتوية بينما أمسكتها المفاصل الأخرى بثبات. دحرجها من كف إلى آخر، ثم وضعها على المنضدة. أخرج إزميلًا ومطرقة، ممسكًا بهما بطريقته الفريدة، ونقر بحذر على كرة المدفع في أماكن قليلة محددة، ثم تمكن من إمساكها بكف واحدة ولفها حتى انفصل النصفان.

في الداخل، عادة ما يمكن للمرء أن يعثر على عبوة ناسفة من أبواغ الزفير ونظام الصمامات لتفجير قذيفة المدفع. (سنصل إلى التفاصيل لاحقًا). كان لكل كرة رقم مطبوع من الخارج، عدد الثواني حتى التفجير الثانوي، والذي سيطلق رذاذًا من الماء.

في هذه القذيفة تم استبدال الشحنة بقطعة قماش محشوة، وامتلأت المياه في المركز المجوف بشحنة من الرصاص.

قالت آن: «إنها مغشوشة؛ لإغراق سفينة، وليس الاستيلاء عليها. بحق القمر العادل يا سالاي، أنت على حق، لقد جعلتنا القبطان مطاريد قتلة عن عمد!».

قال فورت وهو يرفع لوحه: <كنت أعرف أن شيئًا مريبًا اكتنف الأمر برمته، وقد عرفت ذلك أيضًا يا آن>.

«نعم، ولكن رؤيتها... « قالت آن. «كيف أمكنك الحصول عليها دون أن يتم القبض عليك، يا تريس؟»

قالت: «لم يكن الأمر صعبًا، لا أحد يريد الاقتراب من القذائف».

«ولكن كيف وجدتهم في الأساس؟» سألت آن، وهي تحدق في قذيفة المدفع المشرحة.

«لدي خبرة في البراميل والمقصورات المخفية».

نظرت سالاي إليها بنظرة خبيثة وابتسامة عارف.

<سؤالي هو لماذا؟> كتب فورت. <ما الذي ستكسبه القبطان من هذا؟ كنا بالفعل قراصنة، قتل الناس بدلًا من نهبهم لا معنى له>.

قالت سالاي: «نعم، هذا هو اللغز».

ترددت تريس ثم تنهدت، كان عليها أن تخبرهم. «سمعت القبطان تتحدث إلى لاغارت، كانت خائفة من أنك ما لم تكونوا مجرمين مطلوبين للعدالة، وتواجهون الموت في أي جزيرة تحاولون الفرار إليها، فلن تكونوا مخلصين بما فيه الكفاية».

قالت آن: «حسنًا، إنها محقة في ذلك، حتى غرق تلك السفينة، كنت أفكر في العثور على طريقة للرحيل».

كتب فورت: <هل سمعت القبطان تتحدث إلى لاغارت؟ كيف؟ لا ينطقون بأسرارهم في العراء أبدًا>.

قالت تريس: «لم يكونوا في العراء، كانوا في مقصورتها». نظر إليها الثلاثة، وأدركت خطأها، بحق القمر الرحيم، ما كان عليها أن تأتي إلى هذا الاجتماع وهي تعاني من صداع شديد.

قالت آن: «لقد تمكنت من التجسس على القبطان، في مقصورتها بينما كانت تتحدث بتآمر مع ضابطها الأول عن خططها السرية لخيانة طاقمها؟»

«إيه، نعم».

علقت الكلمات في الهواء للحظة قبل أن تلتقطها آن وتهضمها. «تجسس جيد للغاية بالنسبة لفتاة من جزيرة منعزلة، أليس كذلك؟»

قالت تريس: «كنت فقط محظوظة»، ثم حاولت تجاوز الأمر بسرعة. «حسنًا، أنا قلقة من أن القبطان ستحاول إغراق المزيد من السفن، ساعد تبديل قذائف المدفع في منع المزيد من الوفيات اليوم، لكنني أعتقد أنها تريد قتل طاقم واحد آخر على الأقل متوافقين جميعًا على المتن، أعني مجازيًا متوافقين مع خطتها على متن السفينة، منذ ذلك الحين كما ترون». أشارت إلى السفينة.

قالت سالاي: «أنا أتفق مع العين، كان الأمر اليوم وشيكًا للغاية. لدينا ما يكفي من الدم على أيدينا، نحن بحاجة إلى إيجاد طريقة للتعامل مع كرو بشكل قاطع».

كتب فورت: <قد يستغرق ذلك بعض الوقت، أولًا أعتقد أننا يجب أن نجد طريقة لإرواء ظمئها>.

قالت آن: «إنها ليست بالضبط من النوع القابل للارتواء، إذا لم تكن قد لاحظت، أعتقد أننا نحتاج فقط إلى إبعادها عن المكان الذي يمكن أن تتسبب فيه بالضرر».

<ماذا لو> كتبت فورت، <أقنعناها بالإبحار في بحر مختلف؟ بحر لا يبحر فيه الكثير من الناس، بهذه الطريقة سنواجه عددًا أقل من الأبرياء الذين يمكن أن تؤذيهم>.

قالت سالاي: «هذا صحيح، لكن علينا أن نصل إلى البحر القرمزي أو -الأسوأ - بحر الظلمات، لكن لا توجد طريقة لإقناع القبطان بفعل ذلك، إنها تريد أن تكون حيث تكثر السفن».

قالت تريس: «في الواقع، أنا متأكدة من أنها ستوافق على الإبحار في البحر القرمزي».

قالت آن: «لا، القبطان لديها شعور صحي للغاية بالحفاظ على الذات، لن نقنعها أبدا... « تراجعت، نظرت إلى تريس، وضاقت عيناها. «على الأقل، لا يمكن لأي فرد عادي من أفراد الطاقم إقناعها بمثل هذه الفكرة المجنونة».

قالت تريس بغير ارتياح: «أعتقد أن الأمر سيكون سهلًا، سالاي، يجب أن تقترحي أنت ذلك».

«بعد ما فعلته سابقًا؟» قالت سالاي. «تريد الكابتن عذرًا لشنقي في الحال. إذا طلبت منها أن تبحر في البحر القرمزي، فسوف تلقي بي في البحر بالتأكيد».

«هل تعتقدين حقًّا أنك تستطيعين إقناعها يا تريس؟» سألت آن.

في هذه اللحظة، أرادت تريس أن تخبرهم بما عرفته، أن كرو خططت للإبحار في البحر القرمزي لتعالج نفسها. و... خطر ببالها أنه إذا شُفيت القبطان، فسيفوز الجميع، لن يضطر الطاقم للخوف من آكلة الأبواغ، ستعيش كرو، وربما يمكنهم جميعًا التوقف عن كونهم قراصنة بطريقة ما.

ولكن إذا شرحت تريس كيف عرفت هذا، فإنها كانت متأكدة من أن الآخرين سيقتنعون بأنها بالفعل عين الملك. كان التصنت على القبطان شيئًا مختلفًا عن الاعتراف بسرقة مذاكراتها الخاصة بطريقة ما.

لذا، بدلًا من التوضيح، أومأت تريس برأسها. «سأفعل ذلك، أنا متأكدة من أنني أستطيع حملها للموافقة على الإبحار في البحر القرمزي، يمكن لبقيتكم التركيز على الخطة طويلة المدى: طريقة لاستعادة السفينة منها».

كتب فورت <طالما ظلت تلك الأبواغ في دمها، ستكون محصنة ضد أي شيء يمكن أن نفعله بها>.

قالت تريس: «أعم، لنفترض أنها لن تظل بداخلها بعد الآن، افترضوا أن صلاحياتها ستنتهي في المستقبل القريب، بواسطة... شيء لا علاقة له بي على الإطلاق».

حدق الثلاثة بها مرة أخرى.

قالت سالاي: «حسنًا، حسنًا»، وهي تخرج تريس من الباب. «ستفعل ذلك، أقنعيها بالإبحار في القرمزي. إذا وافقت على ذلك، فأنا واثقة من أنه يمكنني جعل الدوج يوافقون على الفكرة أيضًا. معظمهم مستاؤون من عمليات القتل مثلنا». ثم أضافت سالاي بصوت هامس: «فقط تذكري صفقتنا، اشهدي لصالحنا عند الملك، أقنعيه أننا لم نرد أيًا من هذا، وأخبريه أننا ساعدناك في إيقافها، حسنا؟»

قالت تريس: «سالاي، أنا حقًّا لست عين الملك».

قالت سالاي: «أعلم، لا يمكنك الإفصاح عن ذلك، لكن إذا صادف وكانت لديك فرصة للتحدث إلى الملك نيابة عنا، فهل يمكنك أن تعديني بأنك ستقتنصينها؟»

قالت تريس: «أظن».

قالت سالاي: «هذا جيد بما فيه الكفاية، حظًّا سعيدًا».



الكذاب

33

وجدت تريس القبطان على سطح السفينة، متكئة على السور في مقدمة السفينة بينما كانت تصب الماء من قنينتها في قدح جميل من الصفيح وتحدق في الأفق وقد تلون بلهب غروب الشمس. صعدت تريس، وفي تلك اللحظة توقف الفوران. دعا قائد الدفة الليلية، إلى لف الأشرعة، وتوقفت السفينة. كانت كوحش هادئ، نائم على أصوات الرياح الرقيقة على الأبواغ والقماش.

في كل مرة تتوقف فيها السفينة، يخرج العالم فجأة عن إيقاع موسيقاه، لم تكن هناك حركة لتعويض حركة الأبواغ، وكان الهواء هادئًا للغاية، كان الكسح اللطيف للأبواغ في العادة متسقًا لدرجة أن نقصه أصبح غير طبيعي، حتى سطح السفينة ساده الهدوء حيث ذهب البحارة إلى أسفل لتناول وجبة خفيفة ولعب الورق لحين عودة الفوران.

لم تعر القبطان تريس اهتمامًا، شربت الماء من قدحها، ثم علقته على إصبع السبابة، محدقة في اتجاه الشمس. كما لو كانت جلادًا سماويًّا، ثم إرسالها للتأكد من انتهاء اليوم بشكل صحيح.

لم تتحدث تريس على الفور. كانت القبطان قد أوضحت أنها لا تحب أن يتم مقاطعتها عند الاستمتاع بشرابها، كانت تريس تأمل فقط ألا ترمي المرأة القدح في المحيط عندما تفرغ من الشرب. نعم، لقد كان نفعي في تصميمه، مثل تريس، كانت تكره أن يهدر أي منهما.

أطل القمر الأخضر مراقبًا من أعلى ومحتلًا ثلث السماء، لطالما تعجبت من مدى ضآلة نظر سكان البحار البوغية إلى أقمارهم. عندما وصلت إلى الكوكب لأول مرة، لم أستطع منع نفسي من التحديق. هناك خبث في الطريقة التي يحومون بها بمقربة من الأرض؛ حيث تبدو معظم أقمار الكواكب مثل الأشخاص الواقفين حول حلبة الرقص في انتظار دعوة للرقص، هم موجودون بالفعل في ساحة الرقص، ويرتدون ملابس مزينة بالترتر.

«لماذا أنت هنا يا تريس؟» سألتها كرو آخرًا.

فكرت تريس مليًا، إذا طلبت من كرو على الفور الذهاب إلى البحر القرمزي، فستشك المرأة بلا جدال.

قالت تريس: «حسنًا، أردت مناقشة شيء ما».

قالت كرو: «ليس هذا ما قصدته، أريد أن أعرف سبب وجودك هنا على هذه المحيطات، ماذا تريدين؟»

كما لو كان هذا سؤالًا بسيطًا يسهل الإجابة عنه، لا يعرف الناس عمومًا ماذا يريدون، على الرغم من أنهم يكرهون بشكل شبه موحد أن يتم إخبارهم بما يجب أن يريدوا، كما أن تريس قد عاشت حياتها كلها وهي تشعر بأنها لا يجب أن تطلب الأشياء التي تريدها.

قالت: «غادرت جزيرتي لأرى العالم».

قالت كرو: «كثيرًا ما يقول الناس ذلك عندما يصبحون بحارة. إنها حكمة صغيرة، أليس كذلك؟ سافر في البحار وشاهد مئات الجزر المختلفة، المشكلة هي أن كل الأماكن بالقرب من أرصفة الموانئ متشابهة بشكل مخيف، وهذا في الأساس كل ما سترينه».

«على الأقل سألتقي بالعديد من الأشخاص المختلفين».

قالت: «حسنًا، نعم، هذا صحيح، المشكلة هي أن دواخلهم كلها تبدو متشابهة بشكل مخيف، وبصفتك من المطاريد القتلة، هذا في الأساس هو كل ما سترينه منهم».

أشاحت تريس ببصرها بعيدًا عن كرو، كانت تتمنى أن تتحرك السفينة مرة أخرى، كل هذا الوقوف جعلها تشعر بالغثيان.

«إذن هذا كل شيء؟» قالت كرو. «فقط بعض الرغبة الطفولية في أن تكوني في مكان آخر؟»

قالت تريس: «نعم».

بدت القبطان محبطة، من بعيد غرقت الشمس أخيرًا في البحر، وانطفأت تمامًا، بقي الشفق فقط محتفظًا بأدلة على الجريمة.

لقد أزعج تريس كم كان عليها أن تكذب مؤخرًا، بالتأكيد لا ينبغي للمرء أن يشعر بالسوء حيال الكذب على شخص مثل كرو، لا ينبغي للمرء أن يضرب الناس أيضًا، لكن مثل هذه الأعراف الاجتماعية لا تنطبق على النمر الذي ينهش ساقك.

لذا لم تكن تريس قلقة بشأن هذه الكذبة، كانت أكثر قلقًا حيال كثرة الأكاذيب التي تتولد منها، لقد كانوا جميعًا من أجل الصالح العام، نعم، لكن النمر المذكور أعلاه قد يعتقد أيضًا أن النهش المشار إليه كان من أجل الصالح العام، وعلى وجه التحديد صالحه.

بدأت تريس تدرك حقيقة مزعجة، لا يتم فصل الناس إلى مجموعات بسيطة من الكاذبين وغير الكاذبين، غالبًا ما يصنع الموقف وتنشئة الفرد أو الجينات الأكاذيب، ومن ثَمَّ الكذابين.

«في الواقع»، وجدت تريس نفسها تقول: «هناك المزيد، شخص أحبه تم أسرته الساحرة، أنوي السفر إلى جزيرتها لأواجهها وأستعيده».

كادت كرو تسقط القدح، مدت تريس يدها وهي قلقة وأمسكت به.

قال كرو: «بحر الظلمات، أنت تنوين السفر إلى بحر الظلمات».

قالت تريس: «حسنًا، آمل ألا أكون وحيدة، من الناحية المثالية، أود أن أفعل ذلك عبر سفينة».

ضحكت كرو، ولم يكن ذلك صوتًا مرحًا، كان عدائيًّا وساخرًا، وإذا قورن بالضحك العادي فهو بمنزلة كلب حراسة بالنسبة لجرو.

«أنت؟» كررت كرو. «فتاة ذات شعر مموج تعمل بالتنظيف أتت من العدم؟ أنت ذاهبة... لا أستطيع حتى التفوه بها!».

تغير شيء ما في تريس عند سماعها هذا الصوت، لم يكن مفاجئًا تمامًا، لكنه جانح بالتأكيد، وبدا مرنًا أكثر بكثير مما كان عليه في الماضي. حدقت في عيني كرو وقالت: «لا أعتقد أن كلامك منصف، لقد وصلت إلى هذا الحد، أخبرتني والدتي دائمًا أن أصعب جزء في أي مهمة هي البداية».

قالت كرو: «بصفتي شخصًا تسلق عدة جبال، يمكنني أن أقول بكل ثقة أن والدتك حمقاء».

احتقنت تريس غضبًا، كانت بعض الأشياء غير ضرورية ولا مبرر لها، حتى بين القراصنة.

قالت كرو: «من تعتقدين أنه سيأخذك في هذه المهمة المستحيلة؟»

قالت تريس: «حسنًا، أنا أعرف طاقم سفينة واحدة فقط في الوقت الحالي، كنت أتمنى...».

قاطعتها بنوبة ضحك أخرى، لقد توقعت هذه النوبة، لقد استفزتها عن قصد؛ لأنها كانت أقل إحراجًا من الكذب، على الأقل على كرو.

وقد فكرت للتو في كذبة أخرى مهيبة.

«ماذا لو وجدت طريقة للدفع لك؟» قالت تريس.

ضحكت كرو بشدة حتى بدأت تسعل، حتى إن أولام صعد وألقى نظرة خاطفة على سطح السفينة عند سماع الصوت، حيث كانت المرة الوحيدة التي سمع فيها كرو تضحك كان ذلك عندما تمكن أحد البحارة من طعن نفسه في المنفرج بخطافه.

قالت كرو وهي تمسح عينيها: «حتى لو أردت الذهاب إلى بحر الظلمات، وحتى لو كنت قادرة على الدفع، فلن يوافق الطاقم على ذلك أبدًا».

قالت تريس متظاهرة بالتفكير: «ربما كنت محقة، يجب أن أدرج الأمر وأهونه عليهم، في البداية أرسلهم إلى مكان مرعب، لكنه أقل خطورة، ماذا عن ... البحر القرمزي؟ سأحتاج إلى عبور القرمزي للوصول إلى بحر الظلمات على أي حال؛ لذلك يمكننا الذهاب إلى هناك أولًا».

قالت كرو: «لن يوافقوا على ذلك أبدًا يا فتاة، هذا الطاقم جبان مثل الملك نفسه».

قالت تريس: «لكنني أستطيع حملهم على الموافقة، هل تسمحين بذلك؟ عدد قليل جدًّا من السفن تبحر في القرمزي؛ لذلك يجب أن تكون تلك السفن هي الأغنى والأكثر قيمة للنهب!».

وتجدر الإشارة إلى أن ذلك منطقي تمامًا مثل افتراض أن الأشخاص الذين يعيشون في ممالك بعيدة يجب أن يكونوا أكثر صحة؛ حيث يستغرق المشي إلى تلك الأماكن وقتًا طويلًا.

هزت كرو كتفيها. «إذا كنت تستطيعين إقناعهم فلا بأس، لكنهم لن يوافقوا، ليس بعد، هم ليسوا ... يائسين بما فيه الكفاية».

شكرت تريس القبطان واستأذنت في الانصراف، لم ترغب في قول أي شيء آخر، ولم تكن بحاجة إلى ذلك؛ لأن فتاة ذات شعر مموج تعمل بالتنظيف أتت من العدم قد خدعت القبطان ثانية.



رجل المجاري

34

ثمة قصة من بلاد تريس أنا مغرم جدًا بروايتها، كما ترون في قصر الملك الخادم الأدنى هو رجل المجاري، الرجل الذي يمر عبر مياه الصرف الصحي بالقلعة للتأكد من عدم فقد أي شيء مفيد أو التخلص منه.

لا أحد يريد أن يكون رجل المجاري؛ بسبب الرائحة الواضحة، والأسوأ من ذلك لم يستمع أحد إلى رجل المجاري؛ لأنه أينما ذهب، كان الناس إما مشغولون للغاية في التحرك بعيدًا عنه عكس اتجاه الريح، أو كانوا منشغلين بمحاولة تذكر كيفية التخلص من القيء من السجاد. (صابون وخل وماء دافئ).

كان لدى رجل المجاري في قصتنا العديد من الأمور الخطيرة للشكوى منها، بعضها يتعلق بنقص الألياف في النظام الغذائي الملكي، الشيء الوحيد الذي لم يشتك منه هو عشاؤه. كل يوم كان يحصل على الشيء نفسه؛ بطاطا مشوية مع شحم الخنزير.

براندون ساندرسن

أحب رجل المجاري البطاطا المخبوزة، لدرجة أنه قرر طلب واحدة ثانية على العشاء. أعطوه إياها، في الغالب لحمله على الرحيل، ثم أصبحت عادة؛ قطعتان من البطاطس كل يوم.

استمر هذا حتى بدأوا في تقديم شيء مختلف لصغار الخدم على العشاء بدلًا من ذلك: خبز الذرة مع شحم الخنزير. وكان رجل المجاري يكره خبز الذرة، انتظر عودة البطاطس، لكنها لم تعد.

ذات يوم، في أثناء قيامه بعمله اليومي بعد ملاحظة أن شخصًا ما قد صبغ مشروب البنش باللون الأخضر مرة أخرى في الحفلة الراقصة الأخيرة، خطرت له فكرة، كانت حياته في القصر بائسة، لكنه بالتأكيد يستطيع أن يفعل شيئًا لتحسين وضعه. قرر التحدث إلى الطباخة والحصول على البطاطس في وجبة العشاء مرة أخرى.

لذلك انطلق رجل المجاري في مهمة، وجد الطباخة، فاعتذر لها عن تخثر اللبن، وقدم التماسه. البطاطس من فضلك، أقل من خبز الذرة.

أبدت الطاهية تعاطفها، إذا حكمنا من خلال الدموع في عينيها، لكن لسوء الحظ، لم تستطع تغيير القائمة، وأوضحت أن كبير الخدم في القصر وضع محتويات الوجبة، أما الطباخة ببساطة فتعد الطعام.

ذهب رجل المجاري للتحدث إلى كبير الخدم، وجد الرجل في خضم عمل غريب، يحاول أن يرى كم منديلًا يمكن أن يحشره في فتحة أنفه. عرض رجل المجاري مشكلته، بدا كبير الخدم متعاطفًا بالنظر إلى الطريقة التي كان يعض بها شفته. للأسف لم يستطع تغيير محتويات الوجبة؛ لأنه تم تخصيص المؤن من قبل وزيرة التجارة، التي لم تعد تقدم البطاطس.

حسنًا، اتضح أن وزيرة التجارة قد أسقطت خاتمها في مجال رجل المجاري، تمكن من استعاده بعد بعض البحث الدؤوب، على الرغم من أنه تساءل لماذا شخص مختار مثل وزيرة التجارة تأكل الكثير من الذرة، ذهب لإعادة الخاتم، وقامت الوزيرة بتكريم رجل المجاري بمقابلته شخصيًا في الهواء الطلق، أثناء هبوب رياح شديدة، بينما كانت السماء تمطر خلال موسم الحساسية.

شرح رجل المجاري محنته، وأبدت وزيرة التجارة تعاطفها، بالنظر إلى الطريقة التي كادت أن تغمى عليها وهو يقترب، وتستمع إلى شكواه، ومع ذلك لم تستطع مساعدته، كان الملك نفسه قد أمر بإطعام الذرة فقط للمخدم.

حسنًا، لم يكن الملك ذلك الشخص الذي يمكن أن تلتقي به كل يوم؛ لأنه لم يكن منتظمًا، وكان معتادًا على التغوط كل يومين. في اليوم المناسب، نادى رجل المجاري وهو يحمل مظلة في يده، كان يعلم أن الملك سيكون قادرًا على سماعه، كما كان لدى رجل المجاري دليل تجريبي على مدى جودة الصوت في هذا الموقع بالذات.

طلب من الملك بالتكرم بمنحهم البطاطس في وجبة العشاء مرة أخرى، أوضح له أنه يحبها كثيرًا، وأنه اعتاد دائمًا على تناول حبتين. بدا الملك متعاطفًا بالحكم من توقفه عن منح رجل المجاري عملًا إضافيًا لفترة قصيرة للإجابة عليه.

قال الملك: «لا أستطيع، تعرض محصول البطاطس بأكمله للآفات، كما عليك الانتباه».

تعلم رجل المجاري درسين مهمين في ذلك اليوم؛ أولًا لست بحاجة إلى خفض مظلتك للتحدث إلى شخص ما. ثانيًا لا أحد -ولا حتى الملك- لديه القدرة على توفير البطاطس في الوقت الحالي.

قال الملك بعد انتهائه من التغوط: «أنت الشخص الذي بدأ في أكل حبتين من البطاطس، أليس كذلك؟»

«أمم... نعم؟» قال رجل المجاري، ثم ندم على فتح فمه.

قال الملك: «أمر مضحك، كان عليّ أن أتوقف عن شراء البطاطس حتى قبل تلف المحصول، بمجرد أن أخذت حبتين، أراد الجميع حبتين أيضًا؛ بسبب زيادة الطلب، أصبحت البطاطس باهظة الثمن، ولم نستطع تحمل تكاليف توفيرها للخدم».

لذلك في الحقيقة، كان ثمة درس ثالث.

حتى الأعمال الصغيرة لها عواقب، وبينما يمكننا غالبًا اختيار أفعالنا، نادرًا ما نختار عواقبها.

عندما سارت تريس في الطوابق السفلية، شعرت يقينًا... بعدم ارتياح. كان هذا حدثًا شائعًا. تميل المحادثة مع القبطان كرو إلى ترك الشخص مع بقايا قذرة، رواسب المسلسلات العاطفية.

عندما رأت تريس أولام يبتعد، وقد خاب أمله لأن الضحك لم يتسبب في أي حوادث خرق للمنفرج، سارعت وراءه.

قالت: «دكتور، هناك شيء أود أن أسألك عنه، حول... الأبواغ أنا بالتأكيد لم أحاول».

قال وهو ينظر إلى أسفل الممر: «اصمتي». قادها نحو غرفتها. بمجرد دخوله، فحصها عن كثب. «نعم...أعتقد أنك ما زلت على قيد الحياة».

«أعني، أنا أتحدث إليكم، وأنجول».

قال: «هذه ليست مجموعة ملموسة من الأدلة كما قد تفترضي، ولكن ماذا كنت تودين سؤالي؟»

«هل أبواغ الظلمات... هل تترك أي أثر بعد كسر الرابط؟» سألت. «مثل، لنفترض أنك كنت تستخدمها للتسلل إلى مكان لا يجب أن تكون فيه».

«مكان لا يجب أن تكون فيه هو، بشكل عام، حيث يتسلل الناس، هممم؟»

«حسنًا، ولكن دعنا نقول، لقد تمت مقاطعتك وقام شخص ما بكسر التعويذة نيابة عنك؛ لذلك لم تمت».

«إنها ليست تعويذة، ولكنها علاقة تكافلية معقدة بين كيانين، في كلتا الحالتين سأشتري للشخص الذي أنقذك هدية لطيفة للغاية، ربما كتف احتياطي».

«أوه...».

«يمكن للناس دائمًا استخدام المزيد من الأكتاف، كما تعلمين، على الرغم من أن الناس وعدوني بأكتاف باردة كهدايا في ثلاث مناسبات منفصلة، فإنهم لم يوفوا بوعودهم؟ يمكن أن يكون البشر غامضين للغاية».

«حسنًا، هلا رجعنا إلى موضوعنا؟ لو سمحت؟»

ابتسم أولام، وربط أصابعه أمامه. غريب، كيف يمكن أن تبدو بشرته الرمادية وعيناه حمراء ... طريفة بمجرد التعرف عليه. أقل شيطانية، ومثيرة للعجب. قال: «لن يتم اكتشافك، إلا إذا رأى أحدهم خلاصة الظلمات وهو يتحرك بينما كنت تتحكمين فيه. بمجرد انكسار الرابط، تتبخر إلى دخان أسود يتشتت بسرعة، ولا يترك أي بقايا وراءه».

أومأت تريس بارتياح.

«لماذا أنت قلقة للغاية بشأن هذا؟» سأل أولام.

قالت تريس: «حسنًا، لقد أجريت للتو محادثة مع القبطان، أشعر أنني تفوقت عليها، ومن ثم...».

«ولذا فإنك تفترضين بحكمة أنها ربما كانت تتلاعب بك سرًّا بدلًا من ذلك، ربما لأنها كانت لديها فكرة عما كنت تفعلين، هممم؟ أمر شيق، أخبريني، ما الذي دفعتها لفعله؟»

قالت تريس: «الإبحار إلى البحر القرمزي، أنا أعرف ما ستقوله، لكنني تحدثت أيضًا إلى آن وسالاي وفورت، إنهم على استعداد للإبحار في القرمزي أيضًا، ويعتقدون أنهم يستطيعون إقناع الدوج».

قال أولام: «لا أشك في أنهم يستطيعون ذلك، يمكن أن يكون ثلاثتهم مقنعين للغاية، لكن لماذا نبحر في القرمزي؟ ما الذي يجعلك تريدين حدوث هذا بحق السماء؟»

«أوه!» قالت تريس. «حسنًا، حسنًا، هذا ما اكتشفته عندما كنت أتجسس على القبطان، إنها تخطط لزيارة التنين وتجعله يشفيها».

قال أولام: «إكسيسيس، هل تخطط للمقايضة مع إكسيسيس؟»

«نعم، ولذلك أقنعتها بأن تبحر إلى البحر القرمزي».

«شيء أرادت فعله بالفعل؟»

«حسنًا، نعم، تقنيًا الأمر أقرب لأنني أقنعتها دون أن تعلم أنني أقنعتها».

«مرة أخرى، أن تفعل شيئًا تريد أن تفعله».

«إنه لأمر معقد، لكنني قلقة من أنني ربما لست ذكية كما كنت أعتقد».

قال أولام: «هذا يبدو بديهيًا، يا صغيرتي».

قالت وهي جالسة على سريرها: «حسنًا، ألم يكن ذلك ينم على بعض الذكاء؟ كانت القبطان ستغرق سفينة أخرى على الأقل؛ لذا دفع الجميع للرحيل الآن بدلًا من الإقدام على ذلك ... وهكذا يفوز الجميع، أليس كذلك؟ بافتراض أنه يمكننا العثور على التنين، ستشفى القبطان، ولن تكون هناك حاجة لغرق المزيد من السفن. ربما بمجرد أن تتوقف عن الاحتضار، ستطلق كرو سراح الجميع، وأنا...».

حسنًا، ستكون على البحر القرمزي بشكل ملحوظ في منتصف الطريق إلى بحر الظلمات، هذا من شأنه أن يجعلها أقرب إلى إنقاذ تشارلي مما كانت تعتقد أنها ستصل إليه في الواقع.

قال أولام: «يا صغيرتي»، وهو جالس على ركبة واحدة بجانب السرير، «إكسيسيس تنين، إنه لا يقدم العطايا، بل يقدم الصفقات».

«مقابل ماذا؟ كنوز؟ هل تقصد أن علينا سرقة المزيد من السفن أولًا؟»

« إكسيسيس ليس بحاجة للربح، يا تريس، إنه يريد شيئًا واحدًا فقط لمواصلة تجاربه: أن يقوم الخدم بأعماله الروتينية. لكن نظرًا لأنه يعيش تحت الأبواغ، فإنه يتطلب نوعًا خاصًا جدًّا من الخدم».

«خاص ... على أي نحو؟» سألت تريس.

قال أولام: «لا يخاف من الأبواغ، هذه هي المقايضة دائمًا، عطية واحدة معقولة -أظن أن الشفاء مهم- في مقابل أن يعمل عبد واحد معه طوال حياته. الحيلة هي العثور على قربان لا يشعر بالذعر عند انقياده عبر نفق من الأبواغ».

في تلك اللحظة القطيعة، تذكرت تريس عيني القبطان عندما قررت تريس البقاء على متن السفينة، عندما تطوعت لتصبح رفاءة للسفينة.

أنت حقًا لا تخافين من الأبواغ يا فتاة؟ سألتها كرو.

أوه، بحق الأقمار ... حادثت تريس نفسها.

في الخارج، بدأ الفوران مرة أخرى، بدأت السفينة في الحركة بعد وقت قصير، وسمعت القبطان تعطي أوامر جديدة، كانوا يتجهون إلى ميناء ليأخذوا مؤنًا إضافية؛ لأنهم سيذهبون قريبًا في رحلة طويلة... بدون موانئ...

كانت كرو تخطط لمقايضة تريس عند التنين، وقد قامت تريس من جهلها بتسريع السفينة بشكل كبير لوجهتها. ربما خدعت كرو، لكنها تمكنت من خداع نفسها أيضًا.

لم يكن لديها بطاطس يضرب بها المثل، لكنها بالتأكيد كانت تقف في كومة كبيرة من فضلات رجل المجاري.


5



عاشقة الشاي

35

أمضت تريس الأيام الثلاثة التالية، وهي تحاول ابتكار طريقة للهروب، من المؤكد أنها فعلت كل ما يمكن توقعه منها، لقد قامت بحماية طاقم سفينة تجارية بأكملها، لقد تمكنت من وضع كروز سونج على مسار نحو مصالحة آمنة للجميع باستثناء نفسها، بالتأكيد سمح لها ضميرها بالفرار الآن.

توقفت السفينة في الميناء لتتزود الماء قبل الإبحار في القرمزي، وكان عليها أن تجد طريقًا للخروج من السفينة هناك، ثم يمكنها المضي قدمًا في سعيها الحقيقي، وترك السفينة تذهب بدونها،

إلا أنها...

جلست في غرفتها متكئة على طاولة عملها تحدق في الفناجين التي أرسلها تشارلي لها أثناء السفر، لقد ظل وفيًّا لها طوال ذلك الوقت؛ حيث ذهب إلى حد الإبحار إلى بحر الظلمات؛ لأنه رفض أن يسلك الطريق السهل ويتزوج من إحدى النساء امتثالًا لرغبة والده، لقد ذهب إلى هلاكه بسبب... بسبب الحب، حبه لها.

هل تستطيع حقًّا الهرب؟ كان هويد أفضل ما لديها في معرفة كيفية الوصول إلى الساحرة، بالإضافة إلى ذلك كان لديها هنا على متن هذه السفينة طاقم سيبحر إلى البحر القرمزي. هل يمكنها حقًّا التخلي عن أصدقائها؟ خاصة عندما كانوا يظهرون الكثير من الثقة بها؟ إذا غادرت فمن ستعطي القبطان للتنين؟ هل ستترك كرو بلا ملاذ سوى العودة إلى البحر الأخضر وتواصل نهبها وطرقها القاتلة؟

أثقلت مثل هذه الأسئلة كاهلها، القلق له وزن، وهو مورد متجدد بلا حدود. قد يقول المرء أن المخاوف هي الأشياء الوحيدة التي يمكنك جعلها أثقل بمجرد التفكير فيها.

في اليوم الذي وصلت فيه كروز سونج أخيرًا إلى الميناء، كانت تريس على ظهر السفينة؛ حيث أحدثت الرياح فوضى في شعرها. فكرت ثانية في تشارلي، لقد افتقدته بقدر مخيف، لم تكن قد أدركت -خلال سنواتها معًا- إلى أي مدى كانت تعتمد على وجوده.

لا يعني ذلك أنه فعل أي شيء محدد، لم يكن تشارلي في الحقيقة شخصًا يقدم على «فعل الأشياء»، لقد كان شخصًا «يوجد الأشياء». كان اتخاذ القرارات أسهل ما حوله، كما لو كان مزلقًا عاطفيًّا يخفف من آلية القلب أثناء عملها في المهام الصعبة.

في الآونة الأخيرة، كانت تواجه مشكلة في استرجاع صورته. كان بإمكانها تذكر صورة له معلقة فوق مدفأة القصر، لكن هو؟ لم يكن ذلك سهلًا، رغم أنها كانت تحبه، هذا ليس حدثًا غريبًا جدًّا. الصورة هي شيء يسهل تعريفه واحتواؤه، في حين أن الشخص هو روح، وبالتالي فهو ليس أيًّا من هذين الشيئين.

ظهرت الجزيرة أمامهم، تباينت مع خضار الأبواغ، نادى الدوج متحمسين للنزول إلى الشاطئ، حتى هويد بدا وكأنه يثب أثناء سيره وهو يتجول مرتديًا... حسنًا...

حسنًا، كنت أرتدي بنطالًا أسود مع جوارب رياضية بيضاء ناصعة، ها قد أطلعتك على الأمر، بت تعرف عاري، كانت علاقتي بالموضة في تلك الأيام شبيهة بعلاقة صولجان شائك يبلغ وزنه خمسة عشر رطلًا مع جبهة بغير واق.

قبل أن تقرر تريس ما إذا كانت تريد تنفيذ خطة هروبها التي رسمت نصفها، سار لاغارت نحوها ببطء وربت على كتفها، وأشار إلى مقر القبطان. «كرو تريد أن تراك يا فتاة».

أطاعت تريس بحسرة. في الداخل وجدت كرو على مكتبها، وهي تحمل فنجانًا خزفيًّا رائعًا بزخارف نباتية مرسومة على الجوانب. ارتشف القبطان منه ملوحة باتجاه المقعد عبر المكتب الصغير.

جلست تريس وهي تلاحظ -لكنها تحاول عدم التحديق- الدفتر الذي قرأته سابقًا. نقرت عليها كرو بإصبع السبابة بينما كانت تحدق خارج كوة غرفتها.

على سطح السفينة، أعطى لاغارت أوامر إلى الدوج لإعداد السفينة للرسو، تباطأت السفينة واستدارت، أطلقت الألواح الخشبية آهات ناعمة من الجهد.

«هذا... فنجان جميل، يا كابتن» أخيرًا قالت تريس، وقد تجرأت على التحدث أولًا.

قالت كرو: «حصلت عليه من هؤلاء التجار، أول غنيمة رسمية لي».

قالت تريس: «نحن نتجه نحو الميناء»، كما لو أن الأمر يحتاج إلى ذكره. «أنا، أمم، أخطط للذهاب إلى الشاطئ...».

قال كرو: «لا، أنت لن تذهبي».

«لن أذهب؟»

هزت كرو رأسها نفيًا وأخذت رشفة أخرى. «ستنضمين إليّ في محادثة هنا بينما يقوم الطاقم بتفريغ البضائع وإعادة تحميل الإمدادات، سأستمتع بصحبتك».

شعرت تريس برعدة كرد فعل لكلمات كرو، هل هذا دليل على أنها اكتشفت تجسس تريس؟

أو... لا، ببساطة كانت كرو تتوخى الحذر مع قربانها المختار للتنين، شعرت تريس كأنها تغرق، وقد أدركت أنها لن تقرر الفرار من عدمه، حتى لو لم تكن كرو تعرف ما الذي تخطط له، فإنها لن تخاطر بأي شيء.

«هل تحبين الشاي يا فتاة؟» سألتها كرو.

«أنا مغرمة به، نعم».

قالت كرو: «من المحتمل أن تحبي هذا، شاي زابريل من جزر دروماتري، هو نوع باهظ الثمن، يساوي أكثر من وزنه ذهبًا».

والجدير بالذكر أنها لم تعرض فنجانًا على تريس.

«هذه هي الطريقة التي يعيش بها المطاريد القتلة»، تابعت كرو. «نفحات محمومة من الترف، أفضل الاستمتاع بها بسرعة؛ لأن حياتنا قصيرة، يسعدني أن يختبر البقية منكم هذا».

«أن يختبروا كونهم مطاردين؟ كونهم خارجين عن القانون؟»

قالت كرو: «أن تكوني على بُعد خطوة واحدة من الموت، معظم الناس لا يعيشون أبدًا يا تريس؛ لأنهم يخشون ضياع السنوات المتبقية لديهم ... السنوات التي ستفنى أيضًا بدون أن يحيوها. إنها مفارقة العيش بحذر». أخذت رشفة أخرى ونظرت إلى تريس. «هل تشعرين أنك على قيد الحياة الآن؟ الآن بعد أن انضممت إلينا في القتل، وقد تتعرضين للقتل؟»

أرادت تريس الإجابة؛ لأنها... لقد لاحظت هذا، لم تكن خجولة بشأن الصواب والخطأ، أو بشأن اللياقة، كما كانت من قبل، كان... شيء ينكسر بداخلها بسبب هذه الحياة؟

هل هو شيء يمكن إصلاحه؟

قالت تريس: «أنت مخطئة، يعيش الكثير من الناس العاديين حياة هادفة وممتعة دون الحاجة إلى شخص مثلك يدفعهم لحافة الخطر، لا يجب أن تكون قاسية جدًّا حيال قتل الأشخاص الطيبين».

قالت كرو: «أنا لست أكثر قسوة من الأقمار، لماذا ينتزعون الصغار والكبار، عشاق الفضيلة أو الرذيلة، من سقط ضحية المرض هنا، والمجاعة هناك، أو حادث عرضي داخل منزل آمن؟ لماذا يجب أن أتجنب قتل الناس الطيبين؟ أتبع طريق الألهة أنفسهم في إيصال الموت دون تمييز، إن القيام بخلاف ذلك يعني أنني أعظم منهم».

«كان من الممكن أن تحصلي على ما تريدين دون أن تقتل».

«نعم، ولكن لماذا؟» قالت كرو. «أنا قرصانة، وأنت كذلك، على الرغم من أنك مثال فظيع للغاية، إنك رحيمة جدًّا، تبحثين عن حماية السفن التجارية العشوائية عندما يجب أن تكوني قلقة بشأن نفسك».

صمتت تريس لالتقاط أنفاسها.

تناولت كرو رشفة أخرى من شايها، قالت: «نعم، أعرف أمر قذائف المدفع». لماذا اللف والدوران حول الموضوع طالما يمكنك تسديد ضربة مباشرة للعديد من الناس الموجودين؟ «لاغارت لم يكتشف الأمر بعد، لكنه يتمتع بذكاء محدود، هناك شخص واحد فقط يمكنه تبديل تلك القذائف».

تمنت تريس أن تكون أكثر تماسكًا، وألا يفضحها العرق على جبينها.

قالت كرو وهي تتكئ على مقعدها: «لا تبدين خائفة للغاية، كانت تلك خطوة جريئة، وإن كانت مضللة، ستكونين خادمة ممتازة، بدلًا من ذلك بحار- إذا كان من الممكن التحكم بك بشكل صحيح. على أي حال انتهى الآن، نحن نبحر إلى القرمزي كما تريدين، هل تعتقدين حقًّا أنه يمكنك إنقاذ صديقك من الساحرة؟»

«لا أفعل ذلك من أجله فقط»، قالت تريس، منزعجة من مدى سماحها لكلمات كرو بالتأثير عليها. «أردت حماية الطاقم، لم أكن أريدك حقًّا أن تجعليهم من المطاريد».

ضحك القبطان. «حماية الطاقم؟ بإقناعهم بالإبحار في القرمزي؟ يا صغيرتي، كنت قلقة من أن قتل ويف سيحرمني من مصدر التسلية المفضل لدي، لكنك قد حللت مكانه بشكل جيد وحقيقي!»

احمرت خجلًا ونظرت إلى أسفل، حاولت أن تتذكر كيف شعرت بالفخر الشديد قبل أيام قليلة، لكن تلك المشاعر بدت ساذجة بشكل ملحوظ الآن.

«هل تعرفين حتى؟» قال القبطان. «هل تدركين ماهية البحر القرمزي؟»

«أنا... أعلم أنه سيئ...».

أطلقت كرو زئير الضحك بصوت عالٍ لدرجة أن الأقمار نفسها سمعتها بالتأكيد، خبطت على الطاولة، وصدمت صحن الشاي. «لقد دفعتِنا للإبحار في هذا المسار، ولا تعرفين حتى ما الذي نبحر نحوه!».

خطر ببال تريس أنه كان يجب عليها طرح هذا السؤال من قبل. قالت تريس: «أنا أفهم أن هناك أبواغًا أكثر خطورة من الأبواغ الخضراء، لكني لا أرى كيف يمكن أن يكون البحر أكثر خطورة، فنحن بالفعل حريصون على عدم سكب الماء، ولدينا الفضة في جميع أنحاء سفينتنا؛ لذا طالما أننا حريصون سنكون بخير، أليس كذلك؟»

قالت كرو بضحكة خافتة: «أوه، يا فتاة، ليست الأبواغ هي المشكلة، إنه المطر».

صحيح، المطر.

لم أشرح موضوع المطر.

قد يتساءل الأشخاص الذين يميلون أكثر لمعرفة الأرصاد الجوية عن أنماط الطقس ودورة المياه على كوكب الأرض، إذا كنت واحدًا من أولئك الذين تمثل لهم هذه الأشياء أهمية بالغة، فلديك تعاطفي، لم يفت الأوان بعد لتغير من شخصيتك، ربما عليك الذهاب للاحتفال، لكن حاول تجنب موضوعات مثل أنماط الطقس ودورة المياه، ما لم تكن بالطبع تعجز عن فعل ذلك مثلي.

يتساقط المطر في شرائط محلية صغيرة على كوكب تريس، هذه الخطوط النابضة بالحياة من الماء تنسج مثل الثعابين في السماء، يجلب المطر الموت والحياة، جنبًا إلى جنب مع الآلهة.

إنه أقرب من العواصف المنعزلة عن العواصف الحقيقية، تكون هذه العروض الرائعة أفضل في الليل، إنهم يحطمون ضوء القمر إلى ألف لون، لم تشاهد العظمة الكاملة لقوس قزح حتى ترى أحدها ينفجر في حلقات على البحر الأخضر، يتحول إلى قمر كبير بما يكفي لابتلاع السماء.

وبطبيعة الحال، تنمو الأثيرات مع المطر، وتنتشر خلف شرائط الماء تلك، يبدو الأمر كما لو أن كائنًا سماويًا يرسم خطوطًا على الخريطة، وتنبعث التحصينات تلقائيًا حسب إرادتها، تلك الجدران المعلقة هناك تلهث مدى الحياة، ثم تنهار في البحر؛ لتلتهمها الأبواغ الغيورة.

إنه بديع بطريقة لا يمكن إلا لشيء مرعب جدًا أن يلهمه، ومرعب بطريقة لا يمكن إلا شيء بديع أن يطلبه، لحسن الحظ فإن هطول الأمطار هذا يمكن التنبؤ به تمامًا، إنها تتبع نفس النمط في كل مرة؛ لذا فهي ثابتة لدرجة أن خرائط هطول الأمطار منذ مائة عام لا تزال دقيقة.

ماعدا في البحر القرمزي.

قالت كرو: «يتساقط المطر بشكل غير متوقع في القرمزي، يا فتاة. نعم، الأبواغ خطرة، فهي تخلق أوتادًا حمراء حادة مثل الإبر، لكن الخطر الحقيقي يكمن في المطر، يمكن أن تهب عليك العواصف في أي وقت، بشكل غير متوقع، وتنسج في السماء في أي اتجاه يحلو لها، يعتمد الإبحار في القرمزي في كل شيء على الحظ العشوائي، لا يمكن لأي تحضيرات أن تحميك؛ لأن المطر يقتل الأذكياء مثل الحمقى على حد سواء، مثلما أفعل».

سمعت تريس صخبًا خارج الغرفة عندما بدأ الدوج يعيدون براميل الماء. «أنا...» قالت تريس، وقد جف فمها. «وبحر الظلمات؟ هل به أيضًا أمطار عشوائية؟»

قالت كرو وهي تقف، «أوه، لا، لكن لا يهم، بالنظر للطريقة التي تولد بها أبواغ الظلمات وحوشًا تخدم الساحرة، يمكن أن تهطل الأمطار على بعد عشرين فرسخًا منك، لكنك ستظلين محاصرة من قبل الوحوش. ليس هناك مفر منهم، على الأقل في القرمزي قد يجانبك الحظ، لا أحد يبحر في الظلمات دون أن يتعرض للهجوم». ابتسمت كرو. «لا أحد». أومأت برأسها بعد ذلك، وصرفت تريس.

عاد الدوج، وتم تحميل مؤن السفينة، لم تكن هناك فرصة لتريس للفرار الآن.





المستكشف

راقبت كرو تريس، لم يُسمح لها بالذهاب إلى الطوابق السفلية إلا بعد أن ابتعدت السفينة بأمان عن الميناء في مسار مباشر إلى البحر القرمزي.

باتت مُحاصَرة، محاصرة في هذه السفينة.

كانوا يبحرون باتجاه بحر مجنون حيث يسقط المطر بشكل غير متوقع، وإذا نجوا فسيتم بيعها كعبدة لتنين.

هل اعتقدت حقًّا أن لها اليد العليا؟ هل اعتقدت حقًّا أنها تستطيع إنقاذ تشارلي؟

وإنقاذ نفسها؟ وإنقاذ الجميع؟

كان أسوأ جزء هو أن تشارلي ربما لن يعرف أبدًا ما حدث لها، كان يتعفن وحده في سجن الساحرة، وإذا تحرر بمعجزة ما، فسيجد أنها غادرت الصخرة، لكن سفينتها دمرت من قبل المطاريد.

مشت بعدم اتزان ناحية الدرج ثم عبر الممر، كان أحد الدوج يضحك ويعمل خلفها، وهو يقفز على درجات السلم، لكنها شعرت بالوحدة، كأنها كانت تختنق أثناء تناول العشاء، ولا أحد يلاحظها، أو ربما لا أحد يهتم.

هربت إلى غرفتها حيث كانت الدموع تهدد بالانفجار خارج السيطرة، كانت غير متيقنة أن البكاء الشديد سيكون ملائمًا للقراصنة؛ لذلك كانت سعيدة عندما تمكنت من إغلاق الباب قبل أن تفقد السيطرة تمامًا.

قال هوك: «مهلًا». جرى بسرعة إلى رجل السرير. «مرحبًا، يا تريس، ما خطبك؟ ماذا حدث؟»

«أنا ... أنا ...» هزت رأسها وهي تلهث لتلتقط أنفاسها، وقد فقدت القدرة على الكلام. فجأة أصبح الأمر أكثر مما تطيق، الناس مثل البطون كما تعلم، يمكنهم هضم بعض ما تطعمه لهم، ولكن عند ابتلاع أطعمة كثيرة بسرعة، سيرتد الأمر عليك في النهاية.

«ماذا فعلوا بك يا تريس؟» سألها هوك. «قولي لي، أعدك، سأعضهم في أصابع أقدامهم».

«أصابع أقدامهم؟» سألته من خلال دموعها متخيلة المشهد المضحك.

قال: «نعم، لعلمك هو عرض نبيل للغاية؛ حيث إن أصابع القدم هي ثالث أكثر جزء نتن في جسم الإنسان، سأفعل ذلك على أي حال من أجلك».

استقرت تريس على السرير، محدقة في السقف بينما كانت الدموع تزحف على خديها.

«تريس؟» قال هوك. «حقًّا، ماذا حدث؟»

همست: «لم يحدث شيء، ولم يفعل بي أحد أي شيء، أنا الملامة على كل شيء، تخطط القبطان لمبادلتي عند تنين البحر القرمزي، سأكون ثمن شفائها.

«كنت أعلم أن الأمر يفوق طاقتي، فلماذا أتفاجأ؟ لماذا لا ينتهي بي الأمر محاصرًا على متن سفينة تقودها شيطان، تبحر مباشرة نحو هلاكي؟ هذا ما أستحقه».

وضعت كفيها على عينيها وفركتهما، ثم شعرت بعضة صريحة على إصبع قدمها الأيسر الكبير.

«آه!» صرخت وهي تعتدل في جلستها وتنظر نحو قدم السرير حيث جلس هوك.

قال: «آسف، لكنني وعدت أن أعض الشخص المسؤول عن بكائك، أيضًا... أمم، بلا إهانة... لكن طعمه مقرف».

عادت واستلقت، قالت: «لا تجعلني أضحك، قد أتحطم مثل كأس بارد يسقط في ماء ساخن».

ركض على طول السرير، واستقر بجانب الوسادة، وهو يراقب دموعها، كانت تنساب بهدوء الآن، لكنها استمرت، مثل الألم نفسه.

«أنا... ذهبت إلى الشاطئ، اختبأت في إحدى بالات القماش التي أخرجها الدوج، ثم هربت بينما كان فورت يبيعها. بالمناسبة هو جيد في التجارة، لم أرَ شخصًا يساوم مثل هذا الرجل قطّ. كما كانت المدينة مثيرة للاهتمام حقًا، ربما ترغبين في معرفة ذلك؟»

هزت كتفيها.

«عندما أشعر بالسوء، من الجيد أن أفكر في شيء آخر»، قال هوك وهو يلف قدميه. «لذا أخبريني إذا كان حديثي يساعدك، أو لأصمت. في بعض الأحيان يكون من الأفضل أن يصمت الناس والفئران، وأنا أعلم ذلك، على الأقل هذا ما قاله لي أحدهم ذات مرة.

«على أي حال، لقد شاهدت فورت يساوم، لكنني كنت بعيدًا جدًّا لسماع كلماته، أنا أعلم فقط أنه حصل على الكثير من النقود مقابل هذه البالات أكثر مما تستحق، مع الأخذ بعين الاعتبار أن المشتري كان يعرف أنها بضاعة مسروقة. أوه! وبعد ذلك ذهب للقاء مجموعة من الصم الذين يعيشون في الجزيرة. كانت هناك مجموعة منهم، ابتسم فورت كثيرًا واستخدم يديه للتحدث بدلًا من اللوح. أتساءل ما إذا كانت الجزر الأخرى بها مجموعات من هذا القبيل لم ألاحظ ذلك مطلقًا.

«على أي حال، لم ترفع المدينة العلم الملكي، أليس هذا ممتعًا؟ أعلم أننا على حدود بحر الزمرد، لكن هذا لم يمنعهم، لطالما أشاع الملك أنه لا توجد أي جزر مارقة، ونحن رسونا للتو على إحداها! كنت أتوقع الكثير من الأرجل الخشبية ورقع على العيون، لكن بدا الناس ... عاديين».

قالت تريس: «نحن قراصنة الآن، ولا توجد رقع على أعيننا، نحن طبيعيون أيضًا على ما أعتقد».

«أنه أمر مضحك لو فكرت فيه، أليس كذلك؟» قال هوك. «أن كل القراصنة في العالم كانوا في يوم من الأيام أشخاصًا عاديين». التزم الصمت وكأنه غير متأكد ما إذا كان عليه الاستمرار في الحديث.

من الغريب أن تريس وجدت حديثه مفيدًا، لم تكن قطّ من عشاق الترحال، لكنها كانت تحلم بأماكن بعيدة وفناجينها، أراد هذا الجزء منها أن يسمع حقًّا عن الجزيرة.

قالت وهي تنظر إلى هوك: «لقد قلت إن البلدة ممتعة، كيف وجدتها مثيرة للاهتمام؟»

«أوه!» قال. «لديهم برج الجرس، تريس! لطالما أردت أن أرى برج

الجرس، سمعت بعض الناس يتحدثون، وقالوا إنه يحتوي على 53 جرسًا، يا له من رقم فردي، ألا تعتقدين ذلك؟ لطالما اعتقدت أن برج الجرس سيكون به جرسًا واحدًا. إنه ليس برج أجراس. حسنًا، لقد مشيت على طول الطريق من حوله وأخذت نظرة خاطفة عبر النافذة، لديهم حبال لدق الأجراس! يمكنك سحبها وإصدار الأصوات في جميع أنحاء المدينة. أشك في أنهم سمحوا للفئران بسحب الحبال رغم ذلك، حتى لو استطعنا سحبها».

ابتسمت تريس، كان الابتسام فعلًا بسيطًا، لكن منذ لحظات فقط بدا مستحيلًا مثل الطيران، أو الإتيان بقافية لكلمة «أونيون» [بصلة]. (لتجرب الأمر لاحقًا).

كان هناك شيء محبب في الطريقة التي استمر بها هوك في شرح تجاربه على الجزيرة، تحدث عن الأشياء الأكثر شيوعًا، حديقة الزهور التي تفوح منها عبير طيب، مسار تتناسق فيه كل الأحجار لعمل شكل حلزوني، نافورة مياه للشرب تعمل من خلال دواسة قدم.

حقيقة إنه وجد هذه الأشياء مثيرة للاهتمام بما يكفي للحديث عنها كانت في حد ذاته جذابًا، كان الموضوع أقل أهمية من حماسه؛ ولهذا ابتسمت تريس. هذا لم يزل مخاوفها أو حزنها، لكنه دفع تلك الأفكار القاسية للتحول إلى أفكار محزنة على نحو أقل.

قال هوك: «ثم بللت الفتاة شقيقها عندما داست على الدواسة أثناء انحنائه للشرب، أليس هذا ممتعًا؟ يذكرني بأيام شبابي، عندما لم أكن على متن سفينة قراصنة بعيدًا عن المنزل».

قالت تريس: «يمكنك العودة إذا كنت تريد يا هوك، يمكنك المغادرة، يجب عليك أن تذهب».

قال بهدوء: «لا أستطيع، لا يمكنني العودة إلى جزيرتي، يا تريس؛ لأن منزلي لم يعد موجودًا».

بدت عليه علامات المأساة؛ لذلك لم تضغط عليه تريس للحديث في التفاصيل، كما لم ترغب في التفكير في حقيقة أنها -في جميع الاحتمالات- لن تعود إلى المنزل أيضًا.

«هل تعتقدين أن الأمور كانت أفضل عندما كنت أصغر سنًّا؟» سألها هوك. «هل كانت الحياة أكثر منطقية حقًّا؟»

«نعم» همست تريس. «أتذكر ... الليالي الهادئة، مشاهدة الأبواغ تسقط من القمر، فناجين فاترة من شاي العسل، إثارة خبز شيء جديد».

قال هوك: «أتذكر أنني لم أكن خائفًا، أتذكر أنني كنت أستيقظ كل يوم على روائح مألوفة، أتذكر أنني أدركت كيف ستسير حياتي بسيطة، مثل حياة والدي، ربما ليست رائعة، لكنها ليست مرعبة أيضًا».

قالت تريس بهدوء وهي لا تزال تحدق في السقف: «لا أعتقد أن الأمور كانت أفضل حقًّا، نحن فقط نتذكرها بهذه الطريقة طلبًا للراحة».

وافقها هوك قائلًا: «ولأننا لم نتمكن من رؤية المشاكل، ربما لم نكن نريد رؤيتها، عندما يكون المرء صغيرًا، هناك دائمًا شخص آخر يتعامل مع المشاكل».

أومأت تريس، كان الأمر أبعد من ذلك، تتغير الذكريات من خلالنا، تزداد حلاوة أو مرارة بمرور الوقت، مثل المشروب الذي نتناوله ثم نعيد خلطه لاحقًا حسب الذوق، عند الحصول في الغالب على المكونات الصحيحة، لا يمكنك تذوق الذكرى دون تلطيخها بما أصبحت عليه.

يلهمني هذا، كل منا يصنع تقاليده الخاصة، أساطيره الخاصة، كل يوم. ذكرياتنا هي أغانينا الشعبية، وإذا قمنا بتعديلها قليلًا مع كل أداء... حسنًا، سيكون هذا كله تحت مسمى الدراما الجيدة. إن الماضي ممل على أي حال، نحن نتظاهر دائمًا بأن المثل العليا وثقافة الماضي تتقدم في السن مثل النبيذ، ولكن في الحقيقة تميل أفكار الماضي إلى التقدم في السن مثل البسكويت، تصبح ببساطة يابسة بلا طعم.

فكرت تريس في عدد قليل من أغانيها الشخصية المفضلة، التي كانت مليئة بالعسل والحب وأشياء حلوة أخرى.

لقد شعرت بتحسن صدقًا، بحق الأقمار، جعلها الحديث عن أبراج الجرس ونوافير المياه تشعر بالتحسن. بالنسبة لبعض الناس كان الشعور بالتحسن عذرًا لتجاهل الموقف، لكن تريس فضلت استخدام تقلبات مزاجها كسلاح؛ لذلك وهي دائمًا براجماتية، جلست على السرير وواجهت مشاكلها.

همست: «أنا بحاجة إلى وسيلة للدفاع عن نفسي، طريقة لهزيمة كرو قبل أن تبيعني للتنين».

كان من حسن الحظ حقًّا أن غرفة تريس تحتوي على خمسة أنواع مختلفة من أخطر مادة على هذا الكوكب.

العالم



فحصت تريس غرفتها فحصًا سريعًا عندما انتقلت إليها، قامت بفرز الأشياء التي تركها ويف، في الغالب للتأكد من أنه لا يوجد شيء خطير يختبئ بينها، كانت الاستكشافات السابقة تصرفات فتاة تلعب دورًا.

الآن فحصتها مرة أخرى كفتاة تحاول إنقاذ حياتها.

بات مكان القراءة مكان للدراسة، والأشياء التي ساوتها صارت منظمة، وما قبلت به بات محل التجربة، لا شيء يحفز حقًا مثل وجود موعد نهائي، مع التأكيد بوجه خاص على كلمة نهائي.

لم توظف تريس كامل طاقتها في النشاط فحسب، بل أعطته جسدها بالكامل؛ لأن العمل لا يمكن أن ينجز الكثير بدون مجموعة لطيفة من الأصابع، لم يكن وتيف شخصًا منظمًا. كانت تريس تأمل أن يترك وراءه كتيبات تعليمات. وبدلًا من ذلك عثرت على قصاصات وملاحظات مكتوبة، مليئة بالحكايات المجمعة والأفكار غير المكتملة. هذا النوع من المخلفات العقلية التي غالبًا ما ينسبها غير المطلعين على العبقرية إلى الذكاء غير المفيد.

في الحقيقة، لم يكن هناك نمط لمثل هذه الفوضى غير فوضى الإحباط الخبيثة، كانت علامات لعقل يمتد إلى ما وراء حدوده نحو أفكار خارج نطاق مناله. يمكن أن يحدث هذا بسهولة لشخص غبي وشخص عبقري على حد سواء، إنه ليس دليلًا على القدرة أكثر من كون شخص شبعان لا يقدر على تناول الحلوى مؤشرًا على وزنه. في حالة ويف كانت القصاصات تدل على وجود مكتنز عقلي، كان يجمع الأفكار مثل جدة تجمع الخنازير الخزفية.

كانت في منتصف إدراكها المتنامي بوضعها -عرفت أنها لن تجد حلًّا سحريًّا- عندما وقعت تريس على أول قصاصة واعدة. لقد كان مخططًا تفصيليًّا لقذيفة مدفع، معه رسالة مخربشة في قاع الورقة تشير إلى أن القبطان أرادت من ويف أن يكتشف كيفية صنعها بنفسه، ومن ثم لن تضطر السفينة إلى الاستمرار في شرائها بأسعار عالية من سادة الزفير.

استحوذ هذا الأمر على اهتمام تريس، كان لديها اهتمام عرضي بآليات قذائف المدفع، مثل الطريقة التي قد تجد نفسك فيها مهتمًّا بمطبخ ثقافة كنت تتعلم لغتها، لكن ما جذب انتباهها هو الاستخدام المعقد للأبواغ بداخلها.

تم إعاقة ويف، استطاعت أن تستشف هذا القدر من ملاحظاته المكتوبة، والتي تسببت فقط على تشويه وإبهام الرسم التخطيطي المنظم، ومع ذلك فإنه يصور تقنية إثبات لم تكن على علم بها.

عزيزي القارئ، حتى الآن قد رأيت أن قذيفة المدفع في عالم تريس لم تكن مجرد قطعة معدنية، بل قطعة مدفعية، وهي ما وعدت بشرحه بمزيد من التفصيل. كما ترى كان لكل منها جهاز توقيت في الداخل، من شأنه أن يؤدي إلى انفجار ثانوي واندفاع للمياه بعد إطلاقه. نعم، أنت تعرف هذا الجزء بالفعل، لكن هل تعرف كيف تم عمل العدادات؟

اتضح أن الأمر بسيط للغاية: كان الفتيل المؤقت عبارة عن كرمة. ومن الملاحظات علمت تريس أنها لم تكن أول من اكتشف أن وضع الماء على الأثير سيؤدي إلى استمرار نموه بعد انفجاره الأولي. كان الظهور المتفجر غير منتظم، لكن كل شيء بعد ذلك كان أكثر قابلية للتنبؤ به، بل وحسابه بدقة. تنمو الكرمة الخضراء التي تم قياسها بدقة بمعدل موثوق للغاية عند إعطائها كمية محددة من الماء.

(نعم، بالنسبة لأولئك الذين يهتمون بأمور مثل أنماط الطقس، يتوقف هذا النمو في النهاية، وتستنفد الكرمة في النهاية جميع إمكانات نموها، وإلا فلن يتمكن الناس من تناولها جيدًا. كان استنفاد النمو المحتمل للكرمات ضروريًّا لتحويلها إلى أغذية طارئة).

على أي حال، الانفجار الأولي الذي يدفع قذيفة المدفع للارتفاع يحطم أيضًا حاوية زجاجية صغيرة من الماء بداخلها، لتبلل قطعة من الأثير الأخضر. تنمو تلك الكرمة -لتدفع سدادة على طرفها قليل من الفضة- عبر أنبوب قصير باتجاه الآلية المركزية لقذيفة المدفع. كانت هذه شحنة من أبواغ الزفير المحيطة بكرة مجوفة مصنوعة من ماورد الأبواغ. هذا الماورد بدوره يحتوي على شمع من الداخل؛ مما سمح له باحتواء عبوة من الماء وليس لمسها.

يدفع الطرف الفضي من خلال أبواغ الزفير؛ مما يسفر عن مقتل عدد صغير منها ولكنه يترك معظمها دون أن يصاب بأذى، ثم يلامس كرة الماورد التي تتصدع من ضغط الفضة. تفيض المياه، وتلمس أبواغ الزفير، لتنفجر؛ مما يؤدي إلى تفجير الآلية بأكملها بعنف، وإطلاق الشظايا والمياه.

ورد في ملاحظة في الجزء السفلي -لا تعتقد أن وييف قد كتبها ولكنه منشئ الرسم التخطيطي الأصلي- ما نصه: لقد رأيت التصميمات الحديثة، ووافقت عليها، إن تصادم عبوات التفجير هي مستقبل المدفعية.

لم تكن تعرف ما يعنيه ذلك الجزء الأخير، لكنها مع ذلك وجدت الرسم التخطيطي بارعًا، كان به ثلاث مجموعات أبواغ مختلفة تعمل معًا، خضراء للصمامات. وردية لوعاء الماء، زفير للانفجار، لا تنفصل الكرة المركزية عند الإطلاق الأولى لقذيفة المدفع لأنها كانت بعيدة، أقوى بكثير من الزجاج، ولكن كان بها ضعف داخلي؛ حيث يمكن أن تتسبب الفضة في إتلافها، اكتشفت أيضًا من خلال هذا التصميم أن الشمع يمكن أن يعزل الأثير عن الماء.

تملكتها الرهبة، وامتلأ ذهنها بالتجارب المحتملة. الآن تجدر الإشارة إلى أن تجربة أبواغ الزفير كانت عادةً طريقة ممتازة للتأكد من عودتك إلى المنزل في عدد من التوابيت الصغيرة، بدلًا من واحد كبير، ولكن -كما أوضحنا سابقًا- كان لدى تريس حس فطري نادر بالنسبة للكثيرين في مهنتها.

تجذب مهنة الرفاء جمهورًا ذاتي الاختيار، عادةً ما يشمل ذلك الأفراد الاستثنائيين الذين نجوا بطريقة ما من ميلهم الطبيعي للقفز من ارتفاعات حمقاء إلى المياه الضحلة، أو ركوب الدراجات أسفل سفوح الجبال، أو أكل التوت زاهي الألوان غير المعروف.

يحتاج الجنس البشري إلى قدر معين من التهور، بدون ذلك سيكون الناس عقلانيين للغاية للإتيان بأشياء مخيفة، مثل المغامرة بالقرب من تلك الأشياء البرتقالية الساخنة جدًّا التي تحول الخشب إلى اللون الأسود، وتجعل لحية ثارج البطل الأسطوري تدخن، لكن الارتقاء والتطور ليس آلية دقيقة، وقد أدى إلى وجود عدد معين من الأشخاص في المجتمع لديهم أعصاب

أكثر من الخلايا العصبية، كان رفء الأبواغ هو الأحدث فقط في مجموعة من الأنشطة البراقة بشكل متزايد والتي تهدف إلى اصطفاء هؤلاء الأفراد من مجموعة الجينات بدقة وعنف.

لكن تريس لم تبحث عن المهنة، لقد تورطت فيها، كانت ذكية بما يكفي لفهم الرسوم التخطيطية وعميقة التفكير بما يكفي للتوسع في الأفكار، وما افتقرت إليه في التدريب الرسمي، فقد عوضته أكثر بحذرها مثل ذلك الشخص الذي يستخدم قفازات الفرن حتى عندما يُمنح القدر وقتًا ليبرد.

كانت -في تلك اللحظة- المزيج الدقيق الذي تطلبه الابتكار. في الواقع، في حين أن البعض قد يسمي ما حدث بعد ذلك بأنه حظ غبي، فإنني سأصفه بأنه أمر لا مفر منه.

حادثت تريس نفسها وهي تمسك بالمخطط بأنه لا يوجد سبب لعدم صنع شيء مماثل قابل للحمل.

ليس مجرد مسدس، كانت المسدسات شائعة، ورغم أنها مفيدة، لم تكن مرنة على نحو خاص. هل يمكنها تحسين ذلك؟ كيف سيبدو مسدس البوغ المعياري؟

منحتها ملاحظة في الجزء السفلي من المخطط- تمت إضافتها مرة أخرى بواسطة المنشئ الأصلي- آخر معلومة تحتاج إليها.

ارجع إلى مخططي الخاص بالشعلات الضوئية حيث تتكرر في هذا التصميم.

بحق القمر الباطن... مسدسات ضوئية، وقد وضعت بالفعل الخطوات القليلة الأولى لتصميمها، كل ما كان على تريس فعله هو...

سمعت طرقًا على الباب.

يا له من انقطاع مهذب من النوع الذي اعتادت عليه تريس في حياتها القديمة، ومع ذلك فقد شتت تركيز تريس مثل رعد ألف مدفع تطلق القذائف معًا. قفزت واقفة على قدميها وفتحت الباب، وهي مستعدة بشكل غير معهود لإطلاق تيار من الشتائم المسيئة على من قاطعها بقسوة.

وجدت فورت واقفًا في الخارج، يسد المدخل، وممسكًا بصفيحة مغطاة بغطاء قِدر لإبقائها دافئة، رفع لوحه.

قال: <لم تنضمي لوجبة المساء، هل أنت بخير؟>

طرفت تريس بعينها، ثم ألقت نظرة خاطفة على كوة غرفتها. هبط الظلام الحالك، وكانت تحدق في القراءة دون أن تدرك ذلك. بعد فترة وجيزة ستحتاج إلى إضاءة مصباحها، رفاهية مُنحت للراكب حُرم منها البحارة العاديون. وضعت يدها على رأسها، ودفعت شعرها للخلف، في محاولة لتتبع الساعة. هل جذب الأمر انتباهها لهذه الدرجة حقًّا؟

بحق القمر الرحيم ... كانت على وشك الانفجار في وجه فورت الذي كان لطيفًا للغاية ليحضر لها بعض العشاء. ماذا ألم بها؟ هل هناك تعويذة في تلك الأوراق جعلت الوقت يتلاشى؟ أم أنها كانت مهتمة حقًّا لهذه الدرجة؟ أمر جدير بالنظر، رغم أن الموضوع لم يشمل أي فناجين أو نوافذ.

تناولت تريس الطبق قائلة: «شكرًا لك يا فورت». ألقت نظرة خاطفة تحت الغطاء ووجدت بقايا طعام اليابسة المعتادة. ربما كان طبق اليوم عبارة عن بعض البطاطس المهروسة وطيور النورس، على الرغم من صعوبة تحديد ذلك من البقايا المتفحمة، خمنت أن الطعام لم يكن قوامه نشارة الخشب والصخور على الرغم من النكهة؛ لأنها لم تمت من سوء التغذية بعد.

قال: <ما زلت مدينة لي بكل هذا، لم تأمرني الكابتن مطلقًا بالسماح لك بتناول الطعام، على الرغم من وظيفتك الجديدة>.

تمتمت تريس: «عندما نتفق على المبلغ المستحق، هل يمكنك السماح لي ببعض الطعام الذي لم يتم كشطه من قاع القدر؟»

عبس فورت <ماذا؟ تريس، أحتفظ ببعض الطعام لك ولهويد أولًا، قبل أن أترك الباقي للبحارة>.

«أنت...ماذا؟»

باغتتها إجابته مثل ضربة مطرقة على الجمجمة.

لم تكن هذه بقايا الطعام.

كان هذا ما يأكله الجميع.

«أوه... يا إلهي».

طأطأ فورت رأسه وهز كتفيه اعتذارًا، ثم كتب بقدر ينم على الكياسة: <تناوبنا بعد وفاة وييف على إعداد الطعام، أنا أفضل ما لدينا، خلف طهو آن نصف الطاقم مريضًا لمدة ثلاثة أيام>.

قالت تريس: «هل هذا صحيح، حسنًا، أعتقد أنني اكتشفت طريقة يمكنني من خلالها أن أرد لك –وبقية أفراد الطاقم– اللطف الذي أظهرتموه لي».

<الطبخ هنا ليس سهلًا> رفع راحة يده بجانب اللوح محذرًا بعد أن كتب الكلمات. <لدينا فقط حصص بحرية، معظمها قديم أو معلب أو جاف، من الصعب أن تكون مستساغة>.

قالت تريس: «أعتقد أنك ستندهش، تعال وخذني غدًا قبل أن تبدأ في الطهي وجبة المساء...» تراجعت عندما سمعت الجرس على سطح السفينة يدق تحذيرًا.

لم يكن ضرب الجرس ثلاث ضربات ثقيلة إشارة رصد سفينة أخرى، ولم يكن إعلامًا بميعاد تناول الطعام كذلك الذي كان رنينًا مستمرًّا، كانت دقتان، ثم صمت يليه دقتان أخريان.

«ما هذا؟» سألته.

كتب فورت بسرعة وهو يقفز تقريبًا من الإثارة. <أمامنا حدود جديدة، تم رصد البحر القرمزي، هل تريدين أن تشهدي المعبر؟>

«قطعًا!» قالت، انضمت إليه في الممر، رغم أنها كانت مترددة بشكل غريب في ترك أبحاثها، كان ذلك سخيفًا، لم تحصل على تدريب أكاديمي رسمي، اقتصر تعليمها على أساسيات القراءة الأساسية والحساب. فتاة تغسل النوافذ! بالتأكيد لم تكن عالمة في الخفاء، إذا كان لها ميول بحثية لأدركت ذلك من قبل.

حقيقة الأمر أنها ببساطة لم تواجه قطّ موضوعًا شيقًا بشكل كافٍ أو خطيرًا بدرجة كافية؛ ليستحوذ على انتباهها.

المتدرب



لست متأكدًا أن زيارة بحار الأبواغ هي أمر قد أوصي به، في حين أن هناك أماكن في الكون أكثر فتكًا، إلا أن القليل منها خطير جدًّا. ستقتلك مواقع أخرى بزئير أو سيل جارف، لكن الأبواغ تفعل ذلك بصوت هامس. في إحدى اللحظات التي تستمتع فيها بقراءة كتاب ممتع، تأخذ نفسًا مشؤومًا، ليتسلل عدد قليل من الأبواغ القرمزية إلى جهازك التنفسي، وفجأة تتحول جمجمتك إلى مصفاة.

هذا لا يحدث في كثير من الأحيان، ولكن عندما يحدث يبدو بطريقة ما أكثر ظلمًا من الموت من صاعقة أو إعصار. من المفترض أن تعلن الطبيعة عن نفسها قبل قتلك، إنها تقتلك للمتعة فقط.

ومع ذلك، فإن بحار الأبواغ لديها بعض المعالم التي يمكن تسويقها.

أفسح فورت مكانًا لتريس عند مقدمة السفينة؛ حيث أبعد اثنين من الدوج ليستقرا إلى جانب المجاديف للمشاهدة. كان المساء قد هبط، وظهر القمر الأخضر بعيدًا وقد تدلى على ارتفاع منخفض تحت قبته الخضراء في

الأفق خلفهم، كان صورة معكوسة للقمر القرمزي أمامهم، ظهر الأخير كجِرم أحمر كبير في السماء، يختلس النظر على الأفق، وتحوم الشمس فوقه مثل الأخ المتلهف.

بالقرب من السفينة، أمامها مباشرة، اختلطت الأبواغ الخضراء تدريجيًّا مع أبواغ البحر القرمزي، ليمتزجا في لون بدا- من بعد- بنيًّا غامقًا. بدا اللون الأحمر المتلألئ وراءه محيطًا من الدم، كأنما أُطلق النار على القمر القرمزي التي أبحرت كروز سونج نحو جثته.

لم تفكر تريس في مدى خطب هذا اللون، أضفى كل من القمر والبحر الزمردي -حرفيًّا- اللون على كل شيء رأته في حياتها على الإطلاق. لقد أرهبها أن تدرك أنها كانت تغادره وتدخل ذلك المحيط الأحمر الجريح. أطل القمر الأخضر عليها مراقبًا طوال حياتها، وشعر جزء منها بالقلق -على الرغم من غير منطقية ذلك- من أنها ستختفي في اللحظة التي سيتوقف القمر عن التفكير فيها.

عندما اقتربوا، ثم عبروا الحدود الفارقة بين البحرين، انحنى فورت على الدرابزين ورفع لوحته. <أنت تبتسمين>.

قالت تريس: «آسفة، إن هذا مرعب للغاية».

<تبتسمين عندما تكون الأمور مرعبة؟>

قالت: «لم تكن عادة عندي، أعتقد أن عقلي يرهب جنون الأشياء في البحار هنا، ويحاول التكيف».

فرك فورت ذقنه، لكنه لم يكتب أي شيء آخر، كانت تعلم أنه كان يفكر في دورها المفترض كعين الملك، وكيف أنها لم تكن خائفة من الأبواغ كما ينبغي أن تكون. ومرة أخرى، لم يكن الأمر صحيحًا، لقد كانت خائفة.

في الوقت نفسه، لم تكن قد أدركت كم ستكون هذه الأبواغ الحمراء رائعة الجمال، ولا كم سيكون غريبًا أن تغادر بحر الزمرد. كانت هذه مشاعر جديدة عليها، ومثل النكهات الجديدة، يمكن أن تكون مرعبة ومُسكرة في الوقت نفسه.

ما الذي لم تكن لتعرفه عن نفسها قطّ، لو لم تغادر جزيرتها الأصلية؟ والأسوأ من ذلك، كم من الناس مثلها عاشوا في جهل، ويفتقرون إلى الخبرة لاستكشاف وجودهم بشكل كامل؟ إنها واحدة من أكثر المفارقات مرارة التي كان عليّ قبولها على الإطلاق: هناك، بلا شك، عباقرة موسيقيون ذوو موهبة لا تضاهى ماتوا ككنّاس شوارع؛ لأنهم لم تتح لهم الفرصة قط لالتقاط آلة موسيقية.

أبحرت كروز سونج مباشرة في القرمزي حتى أطلق أحد الدوج من على الأشرعة تحذيرًا، هطل المطر من السماء وتسلل الموت نحوهم.

لم تكن تريس قد رأت المطر من قبل، في جزيرتها، كانت المياه تأتي من الآبار، على الرغم من أنهم أخبروها عن سقوط المياه من السماء، بدا الأمر دائمًا سحريًّا وغامضًا، كأنه جزء من القصص الخيالية.

يبدو أن إحدى تلك القصص أرادت أن تأكلها؛ لأن المطر اتجه نحوها مباشرة: خلفت عقدة من السحب سريعة الحركة في السماء انفجارًا من الأثير في خط على المحيط، كان صوت الطقطقة مسموعًا من مسافة بعيدة؛ حيث ارتفع جدار ضخم من الأشواك القرمزية التي نشأت وتشابكت بقوة كبيرة.

تسمرت تريس في مكانها مسحورة. لحسن الحظ، كانت سالاي تتمتع بخبرة أكبر هنا، وكانت بالفعل تدير السفينة عندما أعطت القبطان أمرًا للقيام بذلك. استداروا بشدة متجهين نحو الميناء وانحرفوا - بشكل بطيء- عائدين إلى الأخضر.

لم يطاردهم خط المطر، على الرغم من أنه انعطف على حدود البحرين، متجهًا بسرعة إلى الأمام، تاركًا أشواكًا قرمزية متشابكة يبلغ ارتفاعها ثلاثين قدمًا. سقطت في نهاية الحد وغرقت في البحر، تاركة إياه هادئًا ونقيًّا، مثل طفل دس جرة البسكويت المكسورة تحت المنضدة وافترض أن كل شيء سينسى.

تنفست تريس، «بحق الأقمار، ماذا لو... توقف الفوران في ذلك الحين؟ ماذا لو كنا غير قادرين على التحرك...».

نظر فورت إلى لوحه لقراءة ما قالته، كان رده الوحيد هو هز كتفيه، لقد كانت نوع المخاطرة التي سيخوضونها بإبحارهم في القرمزي.

استدارت تريس نحو مؤخرة السفينة، حيث وقفت كرو بالقرب من الدفة تتجرع من قنينتها. بدت بعد ذلك مستغرقة في أفكارها.

هي لن تجرؤ على المضي قدمًا، أليس كذلك؟ مع زحف خط المطر عبر المنطقة؟

أخيرًا قالت كرو بصوت مرتفع حتى يسمعه الجميع: «يا قائدة الدفة، الرجاء خذينا في دورة جنوبًا، على طول الحدود، يبدو أن دخول القرمزي في الوقت الحالي ليس قرارًا حكيمًا».

قالت سالاي: «أمرك يا كابتن».

نزلت كرو بسرعة من على سطح السفينة الرئيسي، ثم أغلقت باب مقصورتها خلفها بعنف. سارع لاغارت إلى أسفل الدرج، وكاد يتعثر من العجلة، ثم سارع بالصراخ في الدوج للعودة إلى العمل للتغطية على تعثره. في غضون دقائق، كانوا يبحرون بأناة على طول الحدود. استأذن فورت ليذهب لتنظيف بعض الأواني، تاركًا تريس متكئة على سور السفينة.

تجاوز لاغارت تريس، ثم وقف مترددًا «أنت، ما رأيك في الوضع الآن؟»

أجابت: «بصراحة لا أعرف، ما زلت ذهني يحاول استيعاب الأمر برمته».

«يمكنني مساعدتك في ذلك!» نادى صوت الدكتور أولام من مكان قريب.

أشار لاغارت إليها لتتبعه، انضمت إليه في مؤخرة السفينة وقد استبد بها الفضول، وقف المدفع على منصته ذات القضبان، خلف دفة القيادة ومقعد القبطان، فبدا مثل شرفة شديدة التعزيزات تبرز من الجزء الخلفي من السفينة.

كان قسمًا خطيرًا من السفينة؛ حيث كان بعيدًا عن حماية الفضة؛ لذا تستغرق الأبواغ التي قفزت بطريقة ما من الفجوة بين البحر والسطح وقتًا أطول حتى تموت، كان ذلك بالطبع مهمًا لأبواغ الزفير المستخدمة كشحنات.

بحث لاغارت في ماسورة المدفعية، وهو ما دفعه لحسن الحظ إلى النظر إلى الأسفل؛ لأنه إذا رأى وجه تريس، فربما لاحظ زيادة قلقها المفاجأة، ما الذي كان يفعله؟ هل كان سيواجهها بواحدة من قذائف المدفعية التي أبدلتها؟

بحق الأقمار... كانت ستمسي جاسوسة فظيعة، كيف يمكن لسالاي والآخرين أن يعتقدوا أنها عين الملك؟ لم تفهم تريس أنه من الممكن أن تكون بالغ السوء في شيء غير قابل للحدوث. في هذه الحالات، من المنطقي أن يكون مثل هذا الشخص مؤهلًا تمامًا؛ لأنه يتطلب كفاءة حقيقية للتظاهر بعدم الكفاءة المذهلة. يطلق عليها خاصية متعدية لعدم الكفاءة، وهو تفسير لأي شيء خطأ رأيتني أقدم على فعله على الإطلاق.

في هذه الحالة، لم تدخل عدم كفاءة تريس المتعدية حيز التنفيذ، لأن لاغارت لم يدرك مدى توترها، ولم يواجهها بقذيفة مدفع مزيفة. بدلًا من ذلك، اختار قذيفة مدفع عادية، ثم رفعها متأملًا كما لو كان معجبًا بلوحة جميلة. أو -بالنظر إلى مظهره وقد انتصب رأسه الأصلع في نهاية رقبته المسننة- ربما كان يتساءل عما إذا كان هناك أي علاقة بينهما.

قال لتريس: «الآن بعد أن أصبحنا قراصنة حقيقيين، أعتقد أنه يجب أن يكون لدينا شخص على هذه السفينة بجانبي وبجانب القبطان يعرف كيف يطلق مدفعًا، بقية أفراد الطاقم عديمي الجدوى حول الأبواغ ليتم تدريبهم على ذلك، تهانينا».

لاحظت أنه على الرغم من كلماته الجريئة، فقد وصل بحذر شديد إلى فوهة المدفعية واختار كيسًا من أبواغ الزفير، ممسكًا إياه بإحكام بين إصبعين، سرعان ما حمله في المدفع من خلال مزلاج في الأعلى.

قال وهو يغلق الغطاء المعدني: «تدخلي شحنة الزفير هنا، تحميلها بسرعة؛ لأنه حتى هنا فإن الفضة على سطح السفينة قريبة بما يكفي لبدء قتل الأبواغ، الغلاف الداخلي هناك مبطن بالألمنيوم لمنع تأثير الفضة».

دفع حشوة في المدفع وكبسها في مكانها بقضيب. قال موضحًا: «هذه الخرقة تملأ فجوة المدفع، وتمنع الانفجار من الالتفاف حول القذيفة، وتركز قوة الدفع في التسديد». أنزل قذيفة مدفعية من مقدمة المدفع، ارتطمت لتستقر في مكانها. «يجب ألا تكون زاوية المدفع منخفضة للغاية، وإلا فإننا سندحرج القذيفة إلى الأمام».

قالت تريس: «حسنًا، ولكن ... أمم، هل تعلم القبطان أنك تجعلني أفعل هذا؟»

صرخ غاضبًا: «أنا قائد المدفعية، لا تهتم الكابتن بمن أدرب، افعلي ما يقال لك، يحتاج المرء أيضًا إلى الاعتناء بنفسه، لا أريد أن ينتهي بي الأمر مجروحًا، ثم أغرق لأنه لا يوجد أي شخص آخر على هذه السفينة اللعينة لديه الشجاعة للتعامل مع الزفير».

إذن، لم يكن لاغارت يعرف أنها ستباع للتنين، صدم هذا تريس على غرابته؛ حيث بدا أنه يعرف بقية الخطة، لكنها أدركت بعد ذلك أن هناك فرصة جيدة لربما اعتبرته القبطان قربانًا احتياطيًا. كان أحد أفراد الطاقم الأقل خوفًا من الأبواغ.

التقط لاغارت قطعة خشبية صغيرة بالقرب من الدرابزين، ثم ألقى بها في البحر، ثبت أنها نوع من العوامات الصغيرة ذات العلم، مربوطة بحبل بالسفينة. في أثناء إبحارهم، تراجعت لمسافة بعيدة مثل أكثر الملاحقين ضميرًا.

قال لها لاغارت: «أطلقي خمس قذائف في اليوم، أفضل طريقة للتعرف على المدفع هي التدرب».

هَمَّ بالابتعاد.

«انتظر!» قالت تريس. «ألن تدربني أكثر من ذلك؟»

قال: «سيكون التدريب عديم الفائدة حتى تعرفي المزيد، أنا مشغول، اكتشفي ذلك ولا تزعجيني بأسئلة غبية، إذا أغرقت العوامة، فتهانينا. هناك المزيد منها في قبو السفينة. تعالي لإزعاجي عندما يمكنك القيام بذلك بعد طلقتين على الأكثر، وبعد ذلك سنتحدث عن بعض التدريب الحقيقي».

قالت تريس: «حسنًا»، ثم خطرت لها فكرة. «لكن ربما يجب أن أبدأ بشيء أقل تكلفة وإهدارًا من قذائف المدفع الكاملة، أليس لدينا مسدس صوتي على متن السفينة، أليس كذلك؟ يمكنني تجربة ذلك أولًا».

«أي نوع من الأسئلة الغبية هذا؟» قال لاغارت.

لقد كان السؤال بشكل محدد أغبى أنواع الأسئلة الغبية، وهو على الأقل أفضل من العبارات المطنبة.

قال: «إن المسدس الضوئي ليست مثل المدفع؛ لذا افعلي ما قلته لك أيتها الحمقاء». واصل التذمر مع نفسه وهو يبتعد.

عقدت تريس ذراعيها، لقد كانت تخطط لقضاء المساء إما في الدراسة أو محاولة اكتشاف كيفية كسر لعنة هويد، كان هذا تدخلًا غير مرحب به. ومع ذلك ربما كان به بعض المزايا، إذا كانت تخطط لبناء سلاحها المبني على الأبواغ لمحاربة القبطان، فثمة استخدامات أسوأ لوقتها من تجربة المدفع.

لقد كان لاغارت فقط، برفضه تقديم أي تدريب مفيد، قد ضمن أنها تضيع ساعات في اكتشاف الآليات الأساسية لتوجيه المدفع. حتى مع هذا التأخير القصير على الحدود، كانت تعلم أن وقتها بات قصيرًا. اعتمادًا على مكان عرين التنين في البحر القرمزي، كان لديها ما بين بضع ساعات وبضعة أسابيع للتخطيط.

طرأ على ذهنها حل بعد لحظة واحدة فقط. دفعت المدفع للأمام، كما رأت لاغارت يفعل. ثم ابتسمت، وأخذت قضيب الإطلاق -كان في نهايته قطعة قماش مبللة- وغرقته في فتحة المس. بعد ثانية دوّى انفجار وارتد المدفع إلى الخلف على طول مساره.

استغرق الأمر أقل من دقيقة حتى أطل رأس «من الخلف»، بعيون واسعة ومتلهفة.

مربية الدواجن



«عليك استخدام هاتين الرافعتين» قالت آن شارحة وهي هي تلف مقبض -لا يختلف عن المقبض الموجود في مفرمة اللحم- عند قاعدة المدفع. «هذه الرافعة تديره إلى اليسار أو اليمين، أما الأخرى فترفعه في الهواء. لمعلوماتك تسقط قذيفة المدفع أثناء تحليقها في الهواء؛ لذلك عليك أن تصوبي لأعلى وأن تسددي بضربة مقوسة».

استطردت: «الجزء الصعب هو تقدير المسافة، هناك الكثير من قذائف المدفع ذات فتيل من أطوال مختلفة. لشل حركة السفينة بشكل صحيح، لابد أن تنفجر القذيفة قبل الاصطدام مباشرة، لذا فإنها ترش الماء».

قالت تريس وهي جالسة على أسطوانة المدفع: «لابد أن تكون هناك طريقة أسهل، مثل صنع قذيفة مدفعية تنفجر عند الاصطدام بشيء ما، ومن ثم يتوجب عليك التصويب على السفينة فقط، وليس تقدير المسافة».

قالت آن: «ربما هذا ممكن، لكنني لم أسمع عن وجود شيء من هذا القبيل».

اعتقدت تريس أنها أدركت الآن فقط ما يتحدث عنه الرسم التخطيطي في غرفتها، والذي ذكر «شحنات تفجير اصطدامية». هناك من خطط لصنع أسلحة من هذا القبيل، ربما قد بناها بالفعل.

لن يكون الأمر صعبًا جدًّا، أليس كذلك؟ ماذا لو صنعت قذيفة مدفعية مدببة بدلًا من دائرية، بحيث يمكنك إطلاقها بشكل مائل للأمام مثل السهم. وعند الاصطدام في هذه الحالة، يمكن أن يرتد الطرف المدبب للخلف إلى المركز لتفجيرها.

لكن قذيفة المدفع غير مستديرة؟ هل يمكن حتى صنعها؟ حتى الاسم قد ارتبط بالتصميم الدائري.

انتهت آن من تحريك المدفع لأعلى، ثم وقفت، مستندة بيدها باعتزاز على السلاح. أيها السادة الرجال، ابحثوا عن امرأة تنظر إليكم كما تنظر آن إلى ذلك المدفع؛ لأنه في حالة وجود مثل هذه المرأة، سترغبون في الانتقال إلى مملكة مختلفة تمامًا، وإبلاغ السلطات، ومتابعة البريد بحثًا عن طرود تحتوي على أصابع مقطوعة عشوائيًّا.

قالت تريس: «معذرة، أرجو ألا تعدي سؤالي تدخلًا في شؤونك، لكن لماذا أنت... أمم...».

«غريبة الأطوار فيما يتعلق بالأسلحة؟» سألتها آن.

احمرت تريس خجلًا، ثم أومأت.

«لماذا أنت غريبة الأطوار وتحمرين خجلًا كلما طرحتِ الأسئلة؟» سألتها آن.

«أنا لا أريد أن أثقل على الناس».

قالت آن: «يجب عليك ذلك في كثير من الأحيان، وإلا كيف ستحصلين على ما تريدين؟»

«حسنًا... أعني، لا يجب على الآخرين التفكير فيما أريد. فالأمر...» أخذت نفسًا عميقًا. «هل ستخبرني يا آن، لماذا أنت غريبة الأطوار فيما يتعلق بالأسلحة؟»

«لماذا في رأيك؟» سألت آن. «أي تخمينات؟»

«لا، أنا... سألت فورت، وقال إنه يعتقد أنك كنت عبدة أو شيئًا من هذا القبيل أثناء طفولتك، يعتقد أن إطلاق البنادق يتعلق بالتحكم في محيطك، والوصول إلى السلطة».

قالت آن وهي تستقر على صندوق من قذائف المدفعية الإضافية: «هاه، وعادة ما يكون بارعًا جدًّا في فهم الناس».

«إذن لم تكوني عبدة أثناء طفولتك، هذا ما تقصدين؟»

قالت: «نشأت في مزرعة، كنت أربي الدجاج، لقد كانت حياة رائعة لعلمك، الدجاج ذكي حقًّا وهو حيوان داجن بديع».

«حقًّا؟»

«نعم، إنه لأمر مؤسف أنهم لذيذون للغاية أيضًا، أي تخمينات أخرى عني؟»

قالت تريس: «حسنًا، سألت سالاي، واعتقدت أنك ترين المدافع والأسلحة النارية كرموز للسلطة؛ لذلك تريدين أن تكوني مسؤولة عنها لأن الناس يعتبرون النجارة أمرًا مفروغًا منه، وتريدين وظيفة أكثر أهمية».

قالت آن: «آه، حسنًا، هذا بالضبط ما كنت أتوقع أن تقوله سالاي، كانت دائمًا سيئة في الحكم على الناس، حقًّا سيئة للغاية».

«أنا... أمم...» قالت تريس.

«هل سألت أولام عني بالمرة من فضلك».

احتقنت تريس بشدة.

«فعلت!» قالت آن وهي تشير نحوها. «ماذا قال؟»

أجابت تريس: «لم أفهم حقًّا تفسيره، لقد قال شيئًا عن شكل البنادق... والسيجار لسبب ما؟»

ضحكت آن بصوت صاخب جامح، مليء بالمرح الحقيقي، لم تتمالك تريس نفسها من الضحك أيضًا. هذا النوع من الضحك يفرط في حجز الشخص بسرعة ويبحث عن أماكن إقامة إضافية في مكان قريب.

«إذن ما السبب وراء ذلك حقًّا؟» سألت تريس بينما تلاشى ضحك آن أخيرًا.

«أنا فقط...» هزت آن كتفيها. «أعتقد أنها خلابة».

«هذا كل شيء؟»

جاوبتها: «كل شيء؟ يمكنك تعريف شخص ما بالأشياء التي يحبها يا تريس. هذا ما يميزنا، هل تعلمين؟ نتحدث عن مدى أهمية الثقافة، ولكن ما الثقافة حقًّا؟ إنها ليست حكومة، أو لغة، أو أي شيء من هذا القبيل. لا، إنها الأشياء التي نحبها؛ المسرحيات والقصص والمنحوتات الرخام».

«والفناجين؟» قالت تريس.

قالت آن: «أفترض، طبعًا، لِمَ لا؟ الفناجين. أراهن أن هناك عددًا كبيرًا من الأشخاص الذين يجمعون الفناجين، لكن فنجانًا بمفرده ليس مثيرًا للاهتمام».

«بل كيف يختلف فنجان بمفرده عن الفناجين الأخرى».

ربتت آن على المدفع قائلة: «نعم! بالضبط، وأنا فنجان يحب الأسلحة النارية، أنا أحب رائحة نفث انفجار الزفير، هل تعرفين تلك الرائحة؟ رائحة البرق الكهربائية؟ أحب التحدي المتمثل في محاولة الوصول إلى هدف بعيد، يمكن لأي أبله غبي أن يضرب رجلًا بجانبه، ولكن تصويب قذيفة على السفينة المجاورة، وهو غير مدرك تمامًا، بينما يحتسي الشاي؟ بام، هذا ما أطلق عليه الإبداع في الأداء».

نظرت بعيدًا في الأفق. «كنت دومًا أستمع إلى نيران المدافع في المدينة في مهرجان الاثنتي عشر يومًا. حسنًا، وفي الأوقات النادرة عندما حاول المغيرون مهاجمة الميناء. في كل مرة سمعت تلك الطلقات، كان يتردد صدى ضد التلال، وكنت أقول لنفسي: «سأكون أنا ذات يوم من يطلق القذائف».

قالت تريس بهدوء: «أنا آسفة لأنك لم تسنح لك الفرصة قطّ».

«لم تسنح لك الفرصة قط؟» قالت آن. «لقد جندت في الميليشيا يوم بلوغ سن الرشد! ذهبت مباشرة إلى طواقم المدفع. استمرت فيها أربعة وعشرين يومًا! حتى...» نظرت إليها آن. «هل تعلمين أن قذائف المدفع يمكن أن ترتد؟ كان أمرًا جنونيًا. ما زلت أعتقد أنني الطالبة الوحيدة في الميليشيا التي تمكنت من إطلاق النار على رقيبها... عندما كان وراءها... داخل الثكنات».

قالت تريس: «يا إلهي».

تنهدت آن ووقفت «على أي حال، يجب أن تحاولي إطلاق النار مثلما أخبرك لاغارت، حاولي إطلاق النار عليهم حتى يمروا فوق العوامة، باستخدام الصمامات الطويلة في الوقت الحالي. ثم اضبطي الطلقة التالية. حتى أفضل المدفعين يستخدمون طلقة استكشافية تساعدهم في الحكم على الريح، وتقييم الأبعاد، وهذا النوع من الأشياء».

وقفت تريس وقد وخزها شعور مجنون بالذنب. «هل تريدين أن تطلقي واحدة الآن؟»

ربما يكون هذا هو الشيء الأكثر جنونًا وتهورًا الذي تفوه به إنسان، وكان حرفيًّا جزءًا من مؤامرة سرية لقتل الرب.

قالت آن: «ها، ها، أنت... مهلًا، هل أنت جادة؟»

أومأت تريس: «يبدو أنك تفتقدين ذلك كثيرًا».

دنت منها آن وتفحصتها عن قرب. «أنت لا تبدين خائفة حتى. أنت حقًّا واحدة منهم».

خاصية متعدية من عدم الكفاءة، صدقوني.

صعدت آن ووضعت يدها على المدفع، ثم نظرت إلى تريس. «سوف يغضب لاغارت».

قالت تريس: «أخبرني أن أكتشف كيف تسير الأمور بمفردي، وألا أضايقه، وها أنا أفعل ذلك، أطلب نصيحة خبير».

نظرت آن إلى المدفع، ثم حدقت في تريس مرة أخرى. «حقًّا؟»

قالت تريس برفق: «لقد فقدت أشياء، ولن يكون من السهل استعادتها، لكن الشيء الذي تريدينه موجود هنا؛ لذا دعينا نحقق ذلك».

ابتسمت آن مرة أخرى، ثم نظرت إلى العوامة، وجهت المدفع إلى الجانب، ثم قامت بضبط زاوية الاستدارة، ثم مرة أخرى.

«أمم، آن؟» قالت تريس مشيرة. «العوامة في هذه الجهة».

اتبعت آن توجيهها، ثم نظرت إلى المدفع الذي كان على بعد ثلاثين درجة على الأقل. «تبدو جيدة بالنسبة لي».

قالت تريس: «صدقيني، أديره درجة أخرى في الاتجاه المعاكس».

فعلت آن ذلك على مضض، أمسكت بقضيب الإطلاق من دلوها، ثم أطلقت وهي تبتسم ابتسامة عريضة مثل حانوتي في منطقة حرب.

كلتاهما انتظرت، وتوقعتا الأسوأ. شمت تريس رائحة معدنية مميزة. ضربت قذيفة المدفع البحر الأخضر، ثم اختفت دون إلحاق أي ضرر.

سأكون صادقًا، لقد تفاجأت أنا نفسي قليلًا.

قالت آن بهدوء: «شكرًا لك، شكرًا لك».

قالت تريس: «لا يوجد شيء يستحق الشكر حقًا».

قالت آن: «بل كان كل شيء، لقد بدأت في الاعتقاد في صحة ما قالوه عني بكوني ملعونة، يا تريس.. أنا لست... أنا فقط... حسنًا، تصويبي سيئ». نظرت إلى المحيط، ثم مسحت عينيها. «لست ملعونة، أنت لا تدركين كم كنت بحاجة لمعرفة ذلك».

قالت تريس: «انضمي إليّ كل يوم، خذ طلقة معي، يمكننا أن نتحسن معًا».

«اتفقنا».

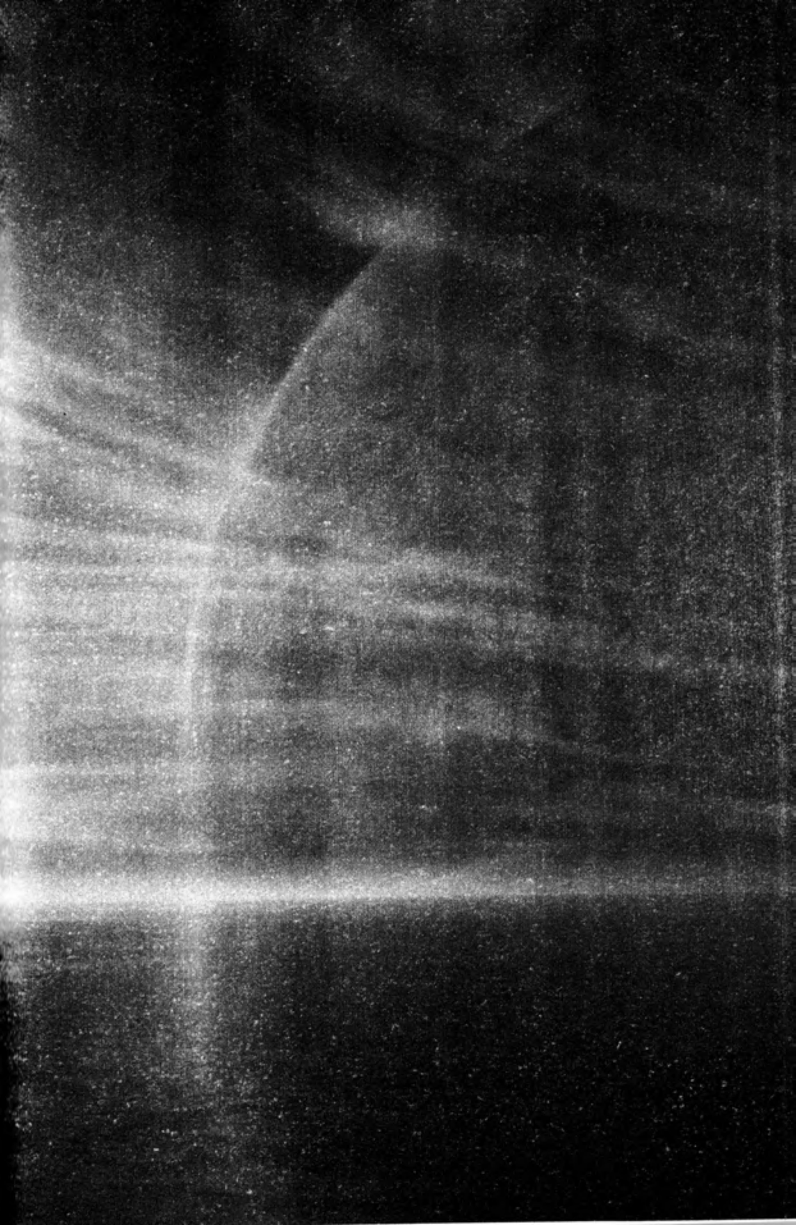
قالت تريس: «أوه، شيء آخر، هل تعرفين إذا كانت السفينة بها مسدس ضوئي؟»

قالت آن: «بالطبع، أنت بحاجة إليه إذا تقطعت بك السبل، أو إذا استسلمت للقراصنة، أوه! أعتقد أن لا داعي للقلق بشأن ذلك بعد الآن، إن الاستسلام يعني الموت لنا، على أي حال، يمكنك الحصول على واحد من فورت».

استأذنت آن للانصراف، وكانت دموع الفرح لا تتماشى تمامًا مع هذا الجزء غير المحمي من السفينة. استقرت تريس وهي تفكر في الناس، وكيف يمكن سد الثغرات الموجودة فيها بأشياء بسيطة مثل الوقت أو بضع كلمات في اللحظة المناسبة، أو -في هذه الحالة- قذيفة مدفع. تساءلت عما يمكن تعزيزه، بخلاف شخص بمجرد إبداء الاهتمام؟

في النهاية أطلقت تريس بضع طلقات بنفسها. (لم تصب أي منها أيضًا الهدف). أثناء قيامها بالتنظيف بعد ذلك، استدارت السفينة أخيرًا بناءً على أمر القبطان. وهذه المرة لم تطاردهم الأمطار عندما دخلوا البحر القرمزي.





الطاهية



في المساء التالي، قامت تريس بتقييم مكونات الطبخ على متن السفينة. ما وجدته لم يكن ملهمًا: طحين قديم، وتوابل قليلة مفيدة، وزيت فاسد، وفرن السفينة؟ كان يقاد بأبواغ أشعة الشمس بطريقة تجعل الأداة الشبيهة بالتنور تسخن على نحو غير متساوٍ. وقد أثبت ذلك الاختبار السريع الذي قامت به عند خبز قليل من الطحين الرطب.

لا عجب أن فورت واجه صعوبة في طهي أي شيء دون حرقه. في الواقع، من ممكن أنه فعل ذلك عن قصد للتغطية على النكهة الفظيعة للمكونات، نظرت إليه وقد عقدت ذراعيها، ثم هزت كتفيها، لم يكونا بحاجة إلى لوح الكتابة الخاصة به لتبادل هذا الحديث.

قالت وهي تناوله زجاجة الزيت الفاسد: «حسنًا، إرم هذا في البحر، لقد فسد من مدة طويلة».

تفحصها، وبدت الزجاجة أصغر بكثير في يديه الضخمة، وقد أمسكها بين إصبعين ملتويين ومكسورين. لقد كان ضخمًا للغاية، ولم تقدر تريس إلا أن تتساءل عما إذا كان إنسانًا بالكامل، وهو أمر مفهوم، ولكن -بعيدًا عن المزاح- كان فورت إنسانًا بنسبة مائة بالمائة، يضاف إليه ما لا يقل عن عشرين بالمائة من شيء آخر لم أتمكن من تحديده بعد.

قالت تريس: «صدقني، يمكننا أن نصنع شيئًا من الطحين، لكن لا فائدة من الزيت».

كتب: <ستندهشين من الأشياء التي سيتبادلها الناس>. خبأ الزجاجة في ملابسه، كانا يعملان معًا في مطبخ السفينة الصغير، والذي لم يكن أكبر بكثير من مكتب فورت للمؤن، على الرغم من أن هذه الغرفة كانت بها خزائن في كل الجوانب، إلا على جانب الباب والفرن على الجانب المقابل.

قالت تريس وهي تدفع نحوه كومة صغيرة من مكسرات الكولو عبر المنضدة: «خذ، اهرس هذه».

<أهرس؟>

«نعم، وافعل ذلك في الهاون حتى لا تفقد أي سوائل. تحتوي مكسرات الكولو على الكثير من الدهون، وسنحتاج إليها؛ لأن الزيت فاسد».

هز كتفيه، وفعل ما أمرت به بينما أجرت تريس بعض التعديلات الصغيرة بالأواني لتحويل الفرن إلى مولد بخبار، أوضحت له أمام تعبيره الملتبس: «نحتاج البخار لخبز متساوي الحرارة؛ نظرًا لأن البخار موصل جيد للحرارة».

<لكن ألن نصنع الخبز؟>

«خبز المكسرات»، قالت وهي تنخل الطحين للتحقق من عدم وجود أي عفن، يمكنها العمل بطحين قديم، لكن طحين متعفن؟ كان ذلك أسوأ بكثير. لحسن الحظ، بدا هذا جافًا ونقيًا بدرجة كافية. «نحن بحاجة إلى تجنب الخبز الأساسي، الطحين القديم له طعم سيئ، لكنه لن يجعلنا نمرض؛ لذلك نحن بحاجة إلى شيء لا يكون الطعم فيه ملحوظًا للغاية، يجب أن يكون خبز مكسرات الكولو عمليًا، ويمكننا تبخيره».

لم يراجع كلامها، واستمر في الهرس، وخلال الساعة التالية وجدت تريس نفسها تعود إلى روتينها القديم، كم مرة قامت بطهي الطعام لوالديها، مستخدمة كل ما يمكنهم تحمل نفقته أو تنقيته؟ كانت هناك ألفة مهدئة لفعل ذلك مرة أخرى، وإذا كان على نطاق أوسع بكثير.

كانت تأمل أن يكون والداها بخير بدونها، كانت تنوي الكتابة إليهما، لكن مع كل ما حدث... فجأة شعرت بالذنب لرغبتها في تلقي المزيد من الرسائل من تشارلي، إذا كانت تجربته في البحار تشبه تجربتها، فقد كانت معجزة أنه وجد الوقت ليرسل لها ما أرسله.

لم يملأ فورت الوقت بالثرثرة التافهة، وبينما قد يعزو ذلك إلى صممه، فقد عرفت عددًا ليس بقليل من الأصماء الثرثارين. راقب فورت كل ما فعلته بعناية، ووجدت صعوبة في تفسير اهتمامه. هل كان يحاول التعلم منها؟ أم أنه كان يشك فيها؟

أخرجت أول كعكة اختبار لها وهي غير متيقنة من النتيجة، وقطعت شريحة، وعرضتها عليه. التقطها فورت بين جانبي يديه، تفحصها، شمها، تذوقها، ثم بكى.

ستتسبب هذه الاستجابة في حالة من الذعر لأي فنان. تغسل الدموع المنطقة الوسطى حيث يتم التخلص من جميع التباديل والتوافيق اللانهائية غير الجيدة، ويبقى خياران: إما السمو أو الكارثة. للحظة كان كلا التفسيرين موجودين بنفس القدر أمام تريس. ويتساءل الناس لماذا كثيرًا ما يسيء الفنانون شرب الخمر.

مد فورت يده لتناول قطعة أخرى.

كان من الممكن أن يملأ تنفس تريس الصعداء الأشرعة، عادت إلى تقطيع طيور النورس -التي كانت طازجة لحسن الحظ- لعمل فطائر اللحم، لكن فورت رتب على كتفها.

كتب: <كيف فعلت ذلك؟ راقبت خفة اليد>.

«ما الذي يمكنني استخدام خفة اليد من أجله؟»

<المكونات السرية، استبدال كعكة بأخرى معدة مسبقًا>.

«هل أنت دائمًا بهذا القدر من الشك؟»

قال: <أنا مسؤول المؤن على متن سفينة قراصنة>.

قالت: «حسنًا، لم يكن هناك كعكات متبادلة، ولا توجد مكونات سرية بخلاف الممارسة واسعة الحيلة».

مد يده لقطعة ثالثة.

قالت وهي تواصل التقطيع: «كم يساوي ثمن وجبة مثل هذه كل يوم؟»

وقف فورت منتصبًا، ثم تطلع إليها مبتسمًا بمكر. <أوه، أعتقد أن هذه مسألة للمساومة، أليس كذلك؟>

«القطعة الثالثة التي تناولتها تشير إلى أن النقاش قد حسم بالفعل».

تردد، لعق الإصبع الأوسط، ثم كتب: <اعتقدت أنك قلت إنك لم تقومي بخداعي>.

قالت: «أمر غريب، لا أتذكر قول ذلك، قلت فقط أن الخبز كان أصليًا، لا يعني ذلك أنني لم أكن أحاول خداعك، هل تهتم بقطعة رابعة؟»

تجدر الإشارة الآن إلى أن تريس استمرت في هذه المحادثة تحت وطأة ذنب طفيف. لقد أرادت أن تنال إعجاب فورت، ولم تكن عمومًا من النوع الذي يطالب الأصدقاء بأي نوع من الدفع أو التبادل.

ومع ذلك فقد شاهدت كيف تفاعل مع الآخرين، لم يكن فورت رجلًا أنانيًا، لم يكن فقط الشخص الذي رفعها على متن السفينة في اليوم الأول، بل كان يعطيها الطعام عندما تحتاج إليه. كان يبدو دائمًا أنه يمتلك ما يحتاج إليه الناس، ويقدم بهدوء الأدوية والأحذية، أو حتى مجموعة من البطاقات للمحتاج، ونادرًا ما يأخذ شيئًا من نفس القيمة في المقايضة.

ومع ذلك، كان يساوم بشدة على أصغر الأشياء مع أشخاص مثل آن أو سالاي، حتى على تلك الأشياء التي يمكن طلبها من مخازن السفينة، اعتقدت تريس أنه ربما كان مثل خالتها جلورف التي كافحت دائمًا للحصول على أفضل الصفقات في السوق. لقد كانت تخشى أن تبدو سخيفة في حال استغلالها.

كان التخمين خاطئًا مثل إنهاء جملة بحرف جر، لكنه نجح على أي حال، مثل إنهاء جملة بحرف جر؛ لأنه أقنعها بالمساومة حتى عندما لا تريد أن تفرض نفسها على الناس.

قال فورت: <افعلي هذا مرة واحدة عن كل يوم أطعمتك فيه. >

قالت تريس: «مهلًا، قد يبدو ذلك صفقة عادلة، إذا صادف أن يستخدم المرء دماغًا متعفنًا للمقايضة قد يخرجه أولام من درجه السفلي، فإن الطعام الذي قدمته لي يا فورت كان عمليًّا بلا قيمة. أزعم أن وجبة واحدة جيدة يجب أن تساوي بضع عشرات من الوجبات السيئة».

قال فورت: <الطعام لم يكن عديم القيمة>. وهو يهرس المزيد من المكسرات، كان بإمكانه حمل المدقة بأصابعه الملتوية بسهولة تامة، والتوقف بين الحين والآخر للكتابة بمفاصل أصابعه على الجزء العلوي من لوحه الموضوع على المنضدة، ليعرض الآن الكلمات على نفس السطح. <الغذاء له حد أدنى من الفائدة، بافتراض أنه ليس سامًّا>.

قالت تريس: «لم يكن سامًّا، لكنه حاول تسميمنا بالتأكيد».

<لقد أبقاكم على قيد الحياة، وأقول إن الحياة لا تقدر بثمن؛ لذا فإن طعامي الذي يتم تقديمه عندما لا يمكنك الحصول على أي طعام آخر، لا يقدر بثمن>.

قالت تريس وهي تقاطعه: «آه، لكن القبطان قالت مرارًا وتكرارًا إن حياتي لا قيمة لها؛ لذا فإن طعامك بدوره كذلك».

<إذا كانت لا قيمة لك>. كتب فورت، وهو يهرس المكسرات بيد وينقر على اللوح باليد الأخرى، <فمن المؤكد أن عملك بالكاد يستحق أي شيء على الإطلاق، ومن ثَمَّ يجب أن أكون قادرًا على توظيفك مقابل أجر زهيد>.

قالت تريس: «حسنًا، أفترض إذا كان هذا هو الحال، فسوف أجد طريقة أخرى لتسديد ما على لك، يا للعار». أخذت آخر قطعة من كعكة الاختبار قبل أن يتمكن من الإمساك بها، ثم دفعتها في فمها.

بحق الأقمار، لقد نسيت شعور الاستمتاع بالأكل بدون الرغبة الشديدة في التقيؤ.

فرك فورت ذقنه، ثم ابتسم ابتسامة عريضة. <حسنًا، حسنًا، كل يوم عمل تقدمي فيه وجبات لائقة مثل هذه يسدد يومين من الوجبات التي أعطيتها لك>.

قالت تريس: «خمسة».

<ثلاثة>.

أجابت: «اتفقنا، لكن لا يمكنك إخبار الآخرين بأنني من قام بإعداد هذه الوجبات، لا يمكنني تحمل تكبيلي بطهي الإفطار والغداء أيضًا، لدي عمل آخر لأقوم به».

<سيشعر الطاقم بالريبة إذا كانت وجبتان سيئتين وواحدة تأخذ العقل>.

«إذن الطعام يأخذ العقل، أليس كذلك؟» قالت.

تجمد للحظة، ثم ابتسم مرة أخرى. <لقد قللت من شأنك>.

قالت: «آمل أن يكون هذا لافتًا للنظر، أنت رجل واسع الحيلة، يا فورت، يمكنك أن تأتي بعذر لماطلة الطاقم، أخبرهم أنك تجرب وصفات جديدة، ولكن ليس لديك الوقت إلا لتجربة واحدة في اليوم، بالإضافة إلى ذلك، إذا قمنا بتشغيل هذا الفرن، فقد لا تكون الأشياء التي تصنعها...».

<فريدة؟> كتب.

«غير معروفة».

<اتفقنا، على ما أظن، بافتراض موافقتك على عمل تحلية كل يوم أيضًا، لقد كان الدوج يطلبون تحلية لا تذيب الأطباق قبل أن يتمكنوا من أكلها>.

«هل طلبوا المزيد من طهوك؟ بحق الأقمار، كم عدد الأمخاخ المخزنة كسبها أولام في الصفقات؟»

قهقه فورت، كانت ضحكة جهورية، ولكن ليست بصخب ضحكة آن، هي أقرب لعدم التقيد عن عدم الانضباط، كانت ضحكة شخص لا يهتم كيف بدا للآخرين أو كيف ينظرون إليه.

أدركت أنني مخطئ، إنه ليس قلقًا بشأن الظهور بمظهر سخيف من استغلاله.

<حسنا؟> كتب. <حلوى؟>

قالت وهي تضع لحمها المفروم في قالب فطيرة: «أريد مسدسًا ضوئيًا مع طلقات، بدون أسئلة».

نظر إليها.

كتب: <عمل خاص بالعين؟>.

«احتيال».

<هل ستساعدينا في محنتنا؟> أشار إلى أعلى نحو مقصورة القبطان.

«أتمنى ذلك».

<حسنًا لك هذا، مقايضة للحلويات لبقية الرحلة>.

قالت تريس: «حتى نصل إلى وجهتنا في البحر القرمزي».

<لم أكن أعلم أن لدينا وجهة، أمرًا مثيرًا للفضول، حسنًا فليكن>. مسح يده ثم مدها.

صافحها لإبرام الصفقة.

قال فورت: <شكرا لك، بصدق>.

«للطعام؟» سألته.

<للمقايضة>.

لماذا تحب المقايضة بهذا القدر يا فورت؟» سألته متكئة على أحد الخزائن.

أوضح <أن صنعتي الصيد، وقيامي بصيد جيد هو علامة فخر بين شعبي، وعائلتي على وجه الخصوص>.

«... صيد؟»

أوضح: <حسنًا، لقد وسعنا التعريف على مر السنين، اتضح أن مجتمع الصيادين بالكامل لا يتسع نطاقه بشكل جيد، من الذي سيصنع الحذاء؟ يخبز الخبز؟ يخطط لحفلات الزفاف؟> مسح اللوح، ثم أكمل <عندما نبلغ نختار مهنتنا، وهذه مهنتي. صيد جدير على خطا أمي؛ لذا أسجل كل انتصار عظيم وأرسله إلى المنزل في خطابات يتم تعليقها في قاعة عائلتنا>.

قالت تريس: «مدهش».

<هل أدهشتك؟ لقد أثرت ضحك آن>.

قالت: «أنا مندهشة، كما أن لدي صديقًا سيحب سماع تلك القصة، آمل أن تتمكن من مقابلته يومًا ما، هل ستدون صفقتك معي اليوم في إحدى الرسائل؟»

ضحك مرة أخرى. <تريس، سيحرجك أن تعرفي مدى نجاحي في اصطيادك، ألم تتناولي طعامي؟ قضمة الخبز الأولى التي قدمتها لي كانت تستحق كل وجبة قدمتها لك في الماضي. وأنت لم تعديني فقط بالمزيد، ولكنك

ستسمحين لي أن أعزو الفضل كله لنفسي؟> غمز لها. <سوف أتباهى بهذا الصيد على مدار ثلاث صفحات! الآن، أسرعي، أريد أن أجرب واحدة من تلك الفطائر>.

الفيلسوف



لم يكن قطع الشعلة المليئة بالأبواغ أثناء تشتت الانتباه بالفكرة الجيدة، ولكن مما لا شك فيه أن تريس لم تقصد تشتيت انتباهها. لقد حدث ذلك بشكل طبيعي، مثل حالة الفواق أو التحلل الحتمي الذي لا هوادة فيه للكون.

بينما كانت ترفع الغطاء الصلب المصنوع من ورق الشمع عن الشعلة، كانت تفكر في حالة الفرح الخالص الذي عاشها فورت عند المقايضة. لطالما جعلتها المساومة في السوق تتوتر؛ لأنها لم تكن تريد أن تجعل التجار يشعرون بأن بضائعهم لا قيمة لها أو أن خدماتهم لا قيمة لها، ومع ذلك أحب فورت جزء الفصال.

وآن وهي تطلق النار على المدفع. فكرت تريس بها أثناء سكب الأبواغ بعناية من الشعلة. هل سبق أن رأت تريس أي شخص متحمس جدًا لأي شيء مثلما حدث مع آن؟ حتى تشارلي مع فطيرة مخبوزة وطازجة لم يبد بمثل هذه السعادة.

نقرت تريس على الشعلة بحرص، ثم نظرت إلى هوك، الذي أصر على الانضمام إليها على منضدة العمل، لكنه اختبأ تحت وعاء حساء كبير، ورفعه شبرًا واحدًا أو نحو ذلك لإلقاء نظرة خاطفة، كان خائفًا في الغالب من الأبواغ في الوقت الحالي، على الرغم من أنها ضبطته مختبئًا كثيرًا مؤخرًا، حتى عندما لا تكون القطة في الجوار.

«ما هذا؟» سأل بينما كانت كرة حجرية وردية اللون تتدحرج من وسط الشعلة.

«شحنة الماء»، شرحت، وهي ترفعها إلى الكوة لإظهار الضوء من خلال الحجر الوردي، انغمس ظل من الماء في الداخل عندما هزته. «عندما ينكسر هذا، تتدفق المياه وتشتعل الأبواغ. في هذه الحالة، هي أبواغ ضوء الشمس التي تحترق بضوء ساخن ساطع».

قال وهو يرفع الوعاء إلى أعلى: «إذن تلك لا تنفجر؟»

قالت تريس: «لا، لكن يمكنهم حرقنا لأنهم يشعون وميضًا وحرارة ساطعين». وضعت قذيفة مدفعية على المنضدة محدثًا صوت قرعة. «حسنًا، إن واحدة من تلك القذائف مليئة بأبواغ الزفير؛ لذلك سوف تنفجر بشكل جيد».

خفض هوك درعه بشكل واضح، دحرجت تريس كرة صغيرة من الماورد المليء بالماء ذهابًا وإيابًا على الطاولة. تذكرت الخطب في مختلف أيام الأقمار التي أقيمت في أعلى جزيرتها. وفي أيام الأقمار الخضراء، تمكنوا من مشاهدة اصطفاف الشمس والقمر. لطالما شعرت أنها تفتقد شيئًا ما في تلك الاجتماعات، لأن الاصطفاف -من جانبهم- بدا مثل أي اعتام آخر للقمر الذي يحدث كل يوم، لكن يبدو أن الشمس كانت تتركز خلف القمر بالضبط مرتين فقط في السنة.

خلال الكسوف، تحدث الدعاة عن احترام الأقمار وعن معنى الحياة، باستثناء أن كل واعظ يزور الجزيرة يبدو أن لديه فكرة مختلفة عن الغرض من الحياة، حتى إن واعظين من نفس المدرسة سيختلفان في الرأي.

كان هذا الجزء يريحها، إذا لم يستطع الدين أن يحسم الأمر، فيمكن أن يُغفر لها لكونها هي نفسها في حالة من الفوضى.

ولكنها تساءلت الآن وهي تحفر في بقايا الشعلة لإخراج العداد الزمني. لقد تصرف كل واحد من هؤلاء الدعاة كما لو كان يمتلك الجواب، كما لو كان هناك هدف واحد في الحياة، كل الحياة. لقد فهمت الاتجاه العام، من المؤكد أن إجابة واحدة ستجعل الأمور أكثر تنظيمًا. اثنان زائد اثنان يساوي أربعة. يغلي الماء عند درجة حرارة معينة. أيضًا الغرض من الحياة هو تعلم تقليد نداء السعدان.. استمر.

بالنسبة لفورت، كان العثور على مقايضة جيدة هو الهدف من الحياة، بينما كان الهدف بالنسبة لآن هو تعلم إطلاق مدفع دون تفجير أطراف أصدقائها عن طريق الصدفة، فهل كان هناك العديد من الإجابات؟ أم أنها الإجابة نفسها في جميع الحالات مع تطبيقات مختلفة؟

تجدر الإشارة إلى أن تريس كانت ستصبح فيلسوفة رائعة، في الواقع لكنها قد قررت بالفعل أن الفلسفة لم تكن ذات قيمة كما افترضت، وهو أمر يستغرق ثلاثة عقود على الأقل من معظم الفلاسفة العظماء لإدراكه.

أخرجت العداد الزمني أخيرًا، ثم وضعته على المنضدة، لاحظت أن المسدس الضوئي يعمل إلى حد كبير مثل المسدس العادي، حيث يتم تحميله بشحنة منفصلة لإطلاق النار.

«إذن... ماذا نفعل؟» سأل هوك.

قالت وهي تحجب قطعة فضية من العداد: «انظر هنا». أشارت لجزء مخروطي حاد من طرف مثل رأس قلم رصاص. «هذا ما يجعل الشعلة تنفجر، الفضة تخترق قلب الماورد بالماء.

ما سأفعله هو عكس هذا، سأضع هذه القطعة المدببة في الجزء العلوي من الشعلة، لكن بوضعية مقلوبة؛ لذلك عندما تضرب الشعلة شيئًا ما، سترتد الفضة للخلف، وتكسر كرة الماورد، ليخرج الماء».

قال هوك: «حسنًا بالتأكيد، يبدو أنه سيعمل، لكن لماذا؟»

أوضحت تريس: «أحتاج إلى إيجاد طريقة لإيقاف كرو، ولكن كما رأينا عندما هاجمنا هؤلاء التجار، فإن البندقية العادية لن تؤذيها».

«وأنت تأملين أن شعلة ما ستقدر على ذلك؟» قال هوك.

قالت: «ليس بالضبط»، ثم بدأت تعيد تصميم الشعلة، لم تكتفِ بوضع الصاعق الفضي تحت الغطاء بدلًا من القاعدة، بل استبدلت أبواغ ضوء الشمس بالرمال وبضع حبات من الأبواغ الخضراء. أغلقت الجهاز وثبتت الأنبوب بدون العداد الزمني، ثم تفحصته. «سألت آولام في وقت سابق اليوم، فقال إن الأبواغ التي تعيش في دم كرو ستحميها من أي سلاح يحاول خرق جلدها؛ لذلك أعتقد أنني سأوقفها دون أن أؤذيها».

«كيف بحق البحار ستفعلين ذلك؟»

قالت: «بالطريقة نفسها التي نوقف بها السفن دون إغراقها، أقوم ببناء شعلة تنفجر بالكروم الخضراء، ثم استخدمها لإلصاقها بالحائط أو بالأرض. إذا تمكنت من القيام بهذا العمل، فلن أضطر لقتلها، أو حتى إيذائها، يمكنني شل حركتها، ثم تتولى سالاي قيادة السفينة».

«هذا رائع!» قال هوك، وهو ينظر بعيدًا من تحت سلطانيته. «هل تعتقدين أنك ستنجحين حقًا؟»

شحنت تريس الشعلة -ببعض أبواغ الزفير- في المسدس الضوئي الذي كان يحتوي على ماسورة قصير كبير الحجم. تفحصتها لكنها لم تسحب الزناد الذي سيضخ الماء في الماسورة ويطلق القذيفة، ليس من الصواب اختبار هذا النوع من الأشياء في غرفتها.

لكن كيف يمكنها اختبار ذلك؟ كانت بحاجة إلى أن تكون قادرة على الاصطدام بشيء صلب لكسر خرطوشة الماء؛ لذلك لا يمكنها ببساطة إطلاقها من الكوة، لكنها أيضًا لم ترغب في السماح لكرو بمعرفة ما كانت تقوم بصنعه.

كان عليها أن تجد طريقة أخرى. وضعت المسدس، ثم ألقت نظرة جانبية على هوك، أخيرًا تخلى عن مكان اختبائه، واقترب منها وهو يزحف.

قال: «أنت تبدين حزينة، لا بأس يا تريس، ستجدين طريقة للخروج من هذا المأزق، أنت طيبة وذكية، ستنجحين».

قالت بهدوء: «إذا نجحت، فسيعني ذلك الحكم على كرو بالموت، مرضها سيأكلها من الداخل إذا لم تقايض التنين».

رفع هوك كفوفه وأنفه يرتعش، لم يتفوه بما يعلمه علم اليقين: أن كرو لا تستحق التعاطف على الإطلاق. عرفت تريس هذا بالفعل، وكان يعلم ذلك.

لسوء الحظ، التعاطف ليس صمامًا يمكن غلقه عندما يبدأ في إغراق الفناء. في الواقع الطريق إلى حياة بدون تعاطف هو طريق طويل ومؤلم، مليء بالإنسانية المتبادلة التي تباع بخصم كبير.

لإلهاء نفسها عن خططتها لكرو، قامت تريس بفحص العداد الزمني الذي أخرجته وهي تعيد تركيب الشعلة. بدت الآلية الصغيرة تمامًا كما وصفها المخطط: كرمة خضراء صغيرة كفتيل، نمت بالفعل من الأبواغ، وقارورة زجاجية صغيرة، والتي -كونها أكثر هشاشة من حبات الماورد- تنكسر عند إطلاق النار.

قامت بإخراج الكرمة، ثم سكبت القليل من الماء عليها، فتراجع هوك تخوفًا، تلوت الكرمة الصغيرة واهتزت، شاهدتها لبعض الوقت، ثم خمنت أنها يجب أن تتدرب باستخدام أدواتها.

تذبذبت الكرمة بقوة أكبر.

ترددت تريس، ثم انحنت ودنت من الكرمة. نما الأثير بثبات، على الرغم من أنها لم تطل أكثر من إصبعها، ثم استدار الطرف -الجزء الذي كان ينمو- نحوها. تسللت الكرمة الصغيرة في اتجاهها.

انطلقت تريس جانبًا، بدأ رأس الكرمة ينمو في هذا الاتجاه بدلًا من ذلك.

زاد ارتباكها، ووجهت تريس كرسيها في الاتجاه الآخر، تحركت الكرمة مرة أخرى، تاركة خطًا متعرجًا على طولها الممتد حيث تبعتها الرأس.

أوشك الماء أن ينفد؛ لذا بللته مرة أخرى، ثم انحت لتراقبها وهي تزحف نحوها، أكانت... تبحث عن شيء؟ في منزلها على الجزيرة، وجدت بعض الأعشاب في سقيفة رطبة نجت بطريقة ما من الملح، نمت الحشائش كلها مباشرة باتجاه حفرة الضوء المنفردة في الألواح.

«ماذا تفعلين؟» قال هوك وهو يقترب بحذر.

مدت إصبعها نحو رأس الكرمة التي امتدت نحوه، ثم اتخذت شكلًا لولبيًا مشابهًا لحركة أصابعها اللولبية، كانت تستجيب لها وليس لهوك.

لأنه فأر؟ أو... لأنه خائف منه؟ لكنها كانت خائفة من الأبواغ أيضًا، أليس كذلك؟

إلا أن هذه الكرمة الصغيرة لم تكن خطيرة؛ لذا ... لا، لم تشعر بالخوف، ليس الآن.

عندما استخدمت أبواغ الظلمات، كانت مرتبطة بالخليقة. من الغريب أنها شعرت بشيء مماثل في تلك اللحظة مع هذه الكرمة، نوع من الاتصال، كان يمكنها الشعور بالكرمة وهي تبحث عن شيء. كانت فارغة لكنها تبحث، لديها حاجة.

لقد فهمت، حادثت الكرمة في صمت، وتركتها تلمس إصبعها وتلتف بهدوء حوله. كان لدى فورت مساوماته، وآن بنادقها. لكن ماذا كان لدى تريس؟ أرادت إنقاذ تشارلي، لكن هذا لم يكن هدفها، كان هذا هدفها.

نظرت إلى فناجينها، بينما كانت لا تزال مولعة بها، كان عليها أن تعترف بأنها نظرت إليها فقط هذه الأيام لأنها ذكرتها بتشارلي. لم تعد الفناجين نفسها تتمتع بالسحر ذاته الذي ملكته في الماضي، لقد اختبرت الكثير من العالم الآن، ليس فقط الأماكن.

نفد الماء من الكرمة وتيبست، تاركة إصبعها ملفوفًا، لكن ليس بقبضة منذرة، لمسة خفيفة وفضولية، وليست خطيرة.

لقد وجدتها مثيرة للاهتمام. كيف يعقل ذلك؟ يتفاعل العالم بأسره مع الأبواغ -الميتة على الأقل- كل يوم، يخافها الناس لسبب وجيه. ومع ذلك، كان إحساسها بهذه الكرمة مثل إحساسها بجرو أكثر من كونه قوة دمار عمية.

هل يمكن للعالم بأسره أن يخطئ في تقدير شيء شائع جدًّا؟ على الرغم من أنه بدا ذلك من غير المرجح لتريس، فإنه كان صحيحًا، ولم يكن مفاجئًا. يخطئ الناس باستمرار في تقدير الأشياء المشتركة في حياتهم. (يتبادر إلى الذهن أشخاص آخرون).

لم تكن تريس تكتشف شيئًا غير معروف تمامًا. في الواقع بدأت تدرك ولع الرفائين بالأبواغ والأثير. كان الأمر برمته متعلقًا بالخوف.

في حين أن قدرًا صحيًّا من التهور دفع أسلافنا نحو الاكتشاف، فإن الخوف هو ما أبقاهم على قيد الحياة. إذا كانت الشجاعة هي الريح التي تجعلنا نحلق مثل الطائرات الورقية، فإن الخوف هو الخيط الذي يمنعنا من الذهاب بعيدًا. نحن بحاجة إليه، ولكن ما ورثناه علمنا الخوف من بعض الأشياء الخاطئة.

على سبيل المثال، بالنسبة لأسلافنا القدامى، غالبًا ما يعني وجود أشخاص أغراب وجدد أمراضًا جديدة ورمي الرمح العرضي في أجزاء جسمنا الأكثر ليونة. أما اليوم فالأشياء الوحيدة التي من المحتمل أن يلقيها الأشخاص الجدد في طريقنا هي بعض الكلمات اللعينة المثيرة للاهتمام التي يمكننا استخدامها لإثارة إعجاب أصدقائنا.

ماذا عن الخوف من شيء مثل الأثير؟ حسنًا، إنه طبيعي مثل الحلمات، ولكنه بلا وظيفة تقريبًا مثل حلمات الذكور. وعندما يتخلى المرء عن مخاوف وافتراضات معينة، ينفتح عالم بأكمله أمامه.

المرشد



أعشق الذكريات، فهي قصائدنا التي نتغنى بها، أساطيرنا المؤسسة الشخصية، لكن يجب أن أعترف بأن الذاكرة يمكن أن تكون قاسية إذا تركت دون منازع.

غالبًا ما تكون الذاكرة هي علاقتنا الوحيدة بما كنا عليه من قبل. الذكريات هي أحافير، العظام التي خلفتها نسخ ميتة من أنفسنا. وبشكل أكثر تمكنًا، إن عقولنا جمهور جائع، لا يتوق إلا إلى قمم التجربة ووديانها. يتآكل المبتذل منها، تاركًا وراءه الأجزاء المميزة التي يجب تذكرها مرارًا وتكرارًا.

أكانت مؤلمة أو عاطفية، سريالية أو سامية، نحن نعتز بتلك الصخور الصغيرة من تجربة الذروة، ونصقلها بلمسات ناعمة من العيش بالوكالة المعاد تدويره. وبذلك -مثل الوثنيين الذين يصلون إلى تمثال منحوت من الطين- ننحت من ذكرياتنا الآلهة التي تحكم حياتنا الحاضرة.

أحب هذا، قد لا تكون الذاكرة هي القلب الذي يجعلنا بشرًا، لكنها على الأقل عضو حيوي، ومع ذلك يجب أن نحرص على ألا يتلاشى نعيم الحاضر عند مقارنته بالأيام التي يُفترض أنها أفضل، نحن سعداء بالتأكيد، لكن هل كنا أكثر سعادة حينها؟ إذا سمحنا بذلك، ستلقي الذاكرة بظلالها على الحاضر، حيث لا شيء يضاهي أساطير ماضينا المدعومة.

يشغلني هذا الأمر؛ لأن وظيفتي هي بيع الأساطير، أعبئهم، وأتاجر فيهم، ومقابل سعر زهيد، سأسمح لك بمشاركة ذكرياتي التي أعدك رسميًّا بأنها حقيقية، أو ستظل كذلك طالما وافقت على عدم التوغل بعمق فيها.

لا تدع الذاكرة تطاردك، خذ نصيحة من قام بتشريح الوحش، ثم أعاد جمعه على نحو أكثر رعبًا، والذي استخدمته بعد ذلك في استجلاب بضع عملات إضافية من جمهور نشوان. استمتع بالذكريات، نعم، لكن لا تكن عبدًا لمن كنت تتمنى أن تكون.

تلك الذكريات ليست حية، بل أنت.

شخصيًّا، لا أعتقد أنني أوليت اهتمامًا كافيًا لمدى جمال عالم تريس. بالنسبة لي كان كوكبًا منعزلًا يغرق في خبث الأثير، الذي له فائدة أكبر في التجسيدات الأخرى، وأسهل بكثير لجنية على الأقمار نفسها على أي حال.

ومع ذلك، لم أشهد في أي مكان آخر قصدته في رحلاتي أي شيء يماثل تلك الأبواغ. عندما أبحرنا في القرمزي، شعرت وكأنني ورقة تطفو على دماء عملاق صريع. كلما توغلنا أكثر، ارتفع القمر القرمزي مظلمًا ومشؤومًا في النهار، وغالبًا ما تحيطه هالة من ضوء الشمس، كأنه خثرة على الضوء.

في الليل، ينشق القمر مستعرًا بتوهجه الجريء الخارق. في البداية كنا بعيدين جدًّا لرؤية تساقط الأبواغ، ولكن عندما اقتربنا، ظهر مدار القمر،

كأنه نبع يتدفق من السماء إلى وسط البحر. كانت الأبواغ الخضراء تبدو دائمًا مثل حبوب اللقاح في الهواء، لكن أبواغ القرمزي بدت وكأنها تدفق حمم البركانية، تتفجر في السماء لتذيب الكوكب.

لم أكن في كامل قواي في أثناء الرحلة، لكن ما زلت أستطيع الرؤية. وستبقى دائمًا مشاهد تلك الأرض البراقة في ذاكرتي صورًا مذهلة، صور سريالية أخّاذة لسحر مهيمن لدرجة أنه سقط حرفيًا من السماء.

كان من الممكن أن تكون تريس أكثر سعادة إذا لم يكن المنظر مذهلًا للغاية، كان لديها فرصة أفضل لجذب انتباهي.

«هل تسمح من فضلك بالتركيز، يا هويد؟» سألت الفتاة.

أشرت إلى القمر الأحمر البعيد، وتدفق الأبواغ لأسفل لملء البحر. «يبدو وكأن القمر يتقيأ».

تنهدت تريس.

قلت: «تخيلي أن البحر هو المرحاض، والقمر هو وجه إله، يتسلل إلينا بعد ليلة طويلة من الدوران على كرسي بار».

لقد ألفت في الواقع قصيدة عن إله يتقيأ، لن أثقل عليك بسماعها، على الرغم من أنها المرة الوحيدة التي كان لدي عذر لنظم قافية جيدة حقًا على وزن سكارف [وشاح].

أخيرًا، بعد بعض التحفيز، ابتعدت من ملهمتي المكتشفة حديثًا واستقرت على سطح السفينة بالقرب من تريس. كانت تفضل العمل معي في الطوابق السفلية، بعيدًا عن الأنظار، لكنني كنت عنيدًا، كنت أرغب في مشاهدة تقيأ القمر، كما يفعل المرء.

قالت: «نحن بحاجة إلى كسر اللعنة».

قلت: «آه، نعم». دنوت منها وهمست بطريقة تآمرية: «كما تعلمين، لدي واحدة منها».

«لعنة؟»

«بالفعل».

«أنا أعلم، يا هويد».

«أحقًّا؟»

«نعم، لهذا السبب يمكننا التحدث عنها، إذا لم أكن أعرف، فلن تتمكن من إخباري».

«لا يمكنني إخبارك بشيء لا تعرفينه، ولكن فقط بالأشياء التي تعرفينها بالفعل؟»

«نعم بسبب اللعنة».

«أوه! لعنة! أنا...».

«.. لديك واحدة، أنا أعرف، أنا بحاجة إلى كسرها حتى يمكنك أن تقودني إلى الساحرة، لا أحد يعرف أين يمكن العثور عليها في بحر الظلمات».

صمتت.

«هويد؟» سألت. «هل تفهم؟»

«أعتقد أنني أفهم، لكن انظري، هذا صعب». مال عليها. «أستطيع أن أقول لك...».

«نعم؟»

«شيء مهم...».

«نعم؟»

«الجوارب مع الصنادل» همست. «هي صيحة الموضة الجديدة، صدقيني، ستكون كل البدعة».

تنهدت بسخط متزايد.

لقد اعتدت على رد الفعل هذا من الناس، لكنني أفضل أن أكون مزعجًا عن عمد. إن إحباط الناس عن طريق الصدفة مخالف لأخلاقي المهنية. إن الأمر مثل... عامل بناء يصنع طريقًا جديدًا في أثناء السير نائمًا، ذلك سيغضب رئيس العمال للغاية، كيف بحق الجحيم يمكن للمرء أن يجعل السائر في أثناء النوم يأخذ استراحة العمل التي ينص عليها القانون؟ هل توقظه؟

قالت تريس: «انظر، لدي هذه الورقة هنا، هل ترى؟ ولقد قمت بتدوين الكثير من الكلمات التي أعتقد أن لها علاقة باللعنات. هل يوجد أي شيء لا يمكنك التحدث معي عنه؟ إذا كان الأمر كذلك، فسيعطيني ذلك دليلًا».

كانت فكرة عملية، كنت سأعجب بها، لو لم أكن مشتتًا بالتساؤل عما إذا كان أي شخص قد صنع الملابس من المناديل بعد.

أعطتني تريس قائمة الكلمات، درستها، أملت رأسي إلى الجانب، ثم أومأت.

«أي شيء؟» سألت.

قلت: «على ما يبدو نسيت كيفية القراءة».

متحلية بصبر أسطوري، استعادت تريس القائمة وقرأت على الكلمات، كررتها بعدها.

«حسنًا؟» سألت.

قلت: «لقد سمعت بالتأكيد بعض هذه الكلمات من قبل. الآن، لقد نسيت القواعد. هل هذه هي اللعبة التي أرسم فيها صورة للكلمة، أم أنها اللعبة التي أمثلها فيها؟»

تأوهت واستلقت على سطح السفينة، ورأسها يضرب الخشب. «هل يمكن أن تقودني إلى الساحرة دون كسر لعنتك؟»

صمتت.

«هويد؟»

ابتسمت لها، لقد حجبت إحدى أسناني لتبدو وكأنها مفقودة، لأنني اعتقدت أن ذلك يجب أن يكون متماشيًا مع الموضة للغاية. سخر عدد من الدوج من هذا المظهر على أي حال.

قالت: «ربما يمكنني قول بعض الحروف، ويمكنك التفكير في طريقة للتخلص من لعنتك، يمكنني أن أسألك (هل هذا الحرف في الكلمة؟) نظريًّا، لن تكون قادرًا على قول نعم إذا كانت كذلك».

هذا لم يكن لينجح، لقد كان حلًّا بديلًا سهلًا لدرجة أن الساحرة فكرت فيه، و«برمجت» اللعنة بشكل أساسي لمنع الشخص من تأكيد الكلمات بهذه الطريقة.

كما أنه، في هذه الحالة المحددة... حسنًا...

قلت: «حروف، تهجئة الكلمات، قراءة...»

قالت تريس: «حسنًا، حسنًا، أنت لم تجب عن سؤالي رغم ذلك. هل يمكنك أن تقودني إلى الساحرة؟ حتى بدون كسر لعنتك».

سكت.

كان جزء مني يأمل أن تلاحظ مدى صخب هذا الصمت.

قالت وهي جالسة: «مهلًا، في كل مرة أتحدث فيها عن الإبحار لرؤية الساحرة، تصمت».

«هل أفعل ذلك حقًّا؟» سألت.

«إنها الأوقات الوحيدة التي كنت فيها بجوارك ولم يكن لديك أي شيء لتقوله...» اتسعت عيناها. «هويد، لا يمكنك التحدث عن الساحرة أو جزيرتها، أليس كذلك؟»

أنا، على وجه الخصوص، لم أستطع الإجابة.

قالت: «هويد، هل يمكنك التحدث عن جزيرة الملك؟»

«لقد كنت هناك مرة واحدة!» قلت. «هل سمعت قصة ابن الملك؟ أنا لا أتذكرها حقًّا، ولكن بها بعض الأحداث المتعلقة بالبراز، لذلك لا بد أنها قصة مضحكة!»

قالت: «الحديث عن زيارة جزيرة الملك لم يجعلك تصمت، لكن الحديث عن جزيرة الساحرة فعل ذلك...» قطعت كلامها للحظة. «أنا بحاجة إلى خريطة».

وهكذا، بعد أيام قليلة من المحاولة، اكتشفت المزيد لمساعدتي أكثر مما اكتشفته أولام في العام الذي قضيناه معًا. كان ذلك المتحول الغبي يستمتع بذلك. أقسم، لقد أصبحوا جميعًا أكثر غرابة منذ أن أطلق سايزد لهم العنان.

على أي حال، كانت سالاي في موقعها المعتاد، توجه السفينة إلى أعماق القرمزي، لم تكن لديها خريطة لبحر الظلمات معها على الدفة، ولكن -بناءً على طلب تريس- أرسلت أحد الرجال لإحضار واحدة من غرفتها. لم تكن مفصلة بشكل خاص مثل كل خرائط بحر الظلمات. لحسن الحظ، كانت صحيحة بشكل تقريبي؛ نظرًا لأن جميع البحار خماسية الأبعاد في الأساس.

بدأت تريس تشير إلى الأماكن على الخريطة، وسألت: «هويد، أود منك أن ترشدنا هنا، هل يمكن أن تفعل ذلك؟»

في كل مرة، أخبرها ببعض الحقائق المثيرة للاهتمام حول مكان ما، مثل المشي هناك مرتديًا الزبدة بدلًا من الأحذية، حتى وصلت إلى نقطة معينة.

عندما سألته عنها صمت.

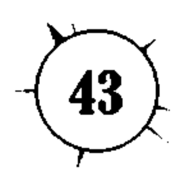
عندما أتوقف عن الكلام، غالبًا ما يتصرف الناس بسعادة، إنه خطر على مهنتي، ولكن هذه المرة كان الأمر مختلفًا، سحبت تريس الخريطة إلى صدرها وعيناها تدمعان.

كانت تعرف مكان جزيرة الساحرة، بالقرب من حدود بحر الظلمات والبحر القرمزي، وهو ما يستغرق ربما إبحار نصف يوم في داخل القرمزي.

كانت أول معلومة ملموسة تجدها، الخطوة الحقيقية الأولى نحو إنقاذ تشارلي، لقد كانت لحظة جميلة تحطمت عندما ظهور خط مفاجئ من الأمطار في الأفق الذي انطلق مباشرة نحو سفينتنا.



الموسيقى



أعلم أن البحارة يخشون العواصف على كوكبكم، إنه أمر شائع بين جميع الثقافات البحرية التي مررت بها، ومن المثير للاهتمام أن معظمهم ينسبون أيضًا - أو كانوا ينسبون في ماضيهم- نوعًا من الإرادة إلى العواصف، فهي لا تتكون ببساطة، بل تريد شيئًا.

لم يتم تعيين طاقة العوالم في أنماط الطقس في عالم تريس على وجه التحديد؛ لذا فهي ليست ذاتية الإدراك، لكن ذلك لم يتبد من الطريقة التي اقترب بها المطر مباشرة من كروز سونج.

حدقت تريس فيها، وشعرت بالخدر، وقد تلاشت فرحة اكتشافها الكبير، يمكن أن ينتهي كل شيء هنا، أليس كذلك؟ كل نضالها واستعداداتها... يمكن أن ينتهي ببساطة، يمكن أن تختفي كروز سونج تحت المطر، وتندفع في مئات الزوايا المختلفة، ثم تسحب إلى الأعماق.

وكانت تريس عاجزة عن فعل أي شيء حيال ذلك.

لحظات كهذه تجلب الرياح والمطر إلى الحياة، نحن بحاجة إلى هدف، إنه الارتباط الروحي القائم بين الوجود البشري والإرادة البشرية، الهدف جزء لا يتجزأ من حياتنا لدرجة أننا نراه في كل مكان.

تصنع آلهة السماء الرعد بصياحها أو تسبب في انبعاث البرق من وقع خطاها، تسمى الرياح وتمنح نوايا ودوافع مختلفة، حسب اتجاه هبوبها، ويتم حجب الأمطار أو منحها أو إرسالها لإحداث الدمار، وفقًا لتغير الحالة المزاجية السماوية.

العاصفة ليست غرضًا ماديًّا مثل الصندوق أو الشجرة، حتى بالنسبة لأكثر العقول التي تعتمد على التفكير العلمي، فإن العواصف هي مجرد فكرة أكثر من كونها أرقامًا، متى يصبح المطر الخفيف سيلًا، ومتى يستحيل السيل عاصفة؟ لا يوجد خط فاصل، يتعلق الأمر بما تشعر به.

العاصفة فكرة، إنها أقوى بكثير بهذه الطريقة، أرادت تريس - وهي ترقب المطر وهو ينقض عليها والأوتاد المدببة القرمزية تسير خلفه مثل الرماح المتقاطعة للحرس الملكي- أن يكون موتها قدرًا متعمدًا للأقمار، لم تكن تريد أن يكون موتها بلا معنى.

ترنحت السفينة إلى الجانب؛ مما جعل تريس تتعثر. صرخت وأمسكت بالسور، ثم انتزعت بسرعة خريطة بحر الظلمات قبل أن تطير في مهب الريح. تسبب ترنح آخر للسفينة في سقوطها في الاتجاه الآخر، بدا الأمر عشوائيًّا بالنسبة لها، لكن سالاي وقفت بقربها وهي تعطي الأوامر، امتثل الرجال لأوامرها، وتولوا إدارة الأشرعة.

لم تهتم سالاي بشكل خاص إذا كان موتها بلا معنى أو متعمدًا. طالما أنه لن يدنو قبل مدة طويلة، كما ذكرت من قبل قد تكون معتادًا -على كوكبك- على أن موقع الدفة على السفينة غير مهم نسبيًّا.

ليس الأمر على هذا النحو في البحار البوغية، تمايلت السفينة مرة أخرى، وأصدر الخشب أنينًا وقعقعت الأشرعة، لا تشبه السفينة الشراعية معظم المركبات، يستغرق الأمر وقتًا وجهدًا لتغيير قوتها الدافعة. ترقبت تريس وقد اتسعت عيناها، حيث أمسكت الكابتن كرو بحبل متدلٍّ وتشبثت بإحكام، حتى هي أطاعت أوامر سالاي في هذه اللحظة.

في مكان قريب، هرع ثلاثة من الدوج إلى عجلة القيادة لمساعدة سالاي لسحب السفينة بعيدًا، وتطويع مئات الأطنان من الخشب لإرادتها. انحرفت كروز سونج إلى جانب خط المطر، ملتفة بالقرب من جدار أوتاد الأثير لدرجة أن عددًا قليلًا من الرماح القرمزية كشطت بدن السفينة. أمرت سالاي البحارة، لسبب لم تفهمه تريس، بالتقدم بثبات وببطء، حتى رأت أن ضفائر الأوتاد المتشابكة العملاقة تغرق.

أحدث الأثير المنبعث من أبواغهم تموجات في البحر، وضاعف انسحابهم ذلك، فهار البحر وزلزل، لا توجد عادة أمواج حقيقية في البحار البوغية، ليس كما هو الحال في المحيطات السائلة، ولكن عندما يحدث ذلك، فإنها تكون في غاية الخطورة.

اهتزت كروز سونج مثل قطعة ثلج في كوكتيل جيد، ثم مالت إلى الجانب مثل شخص قد استمتع بشرب الكثير منها. شعرت تريس على الفور بالغثيان في معدتها، ثم شعرت بالذعر من فكرة ما سيفعله القيء على السطح وسط الأبواغ. تمكنت من العثور على دلو، أثبتت وظيفتها الأولى على متن السفينة أنها مفيدة بطريقة غير متوقعة.

خلال كل ذلك، استمرت سالاي في إعطاء الأوامر، كان الأمر كما لو أنها منعت السفينة من الانقلاب بقوة الإرادة المطلقة. كانت تقوم أحيانًا بتحريك السفينة عكس اتجاه الأمواج، لكنها في أحيان أخرى قامت بلف الدفة لتسير مع التيار. في تلك اللحظات القليلة، كانت السفينة عبارة عن آلة موسيقية عملاقة، وقد لعبت دورها كربان، وقادتنا إلى بر الأمان.

لسوء الحظ، في النهاية، اندلعت موجة أخيرة على جانب السفينة. أدى هذا إلى تسرب الأبواغ عبر سطح السفينة. كانت متوحشة وقرمزية وعطشى بما يكفي لتتغلب على حماية الفضة لبضع ثوانٍ، ولم تكن تريس هي الوحيدة التي كانت تشعر بالغثيان.

حدث ذلك مع انفجار أحمر شديد، وميض من الأوتاد على سطح السفينة، بالقرب من الدرجات المؤدية للمؤخرة، وفي غمضة عين، اخترق وتد رِجل من الدوج ليثبته في الجدار الخشبي خارج مقصورة القبطان. سأترك المقارنات الوقحة مع وسادة الدبابيس لأكتفي فقط بقول: لم أرَ رجلًا ينزف بهذه السرعة من قبل، ولكنني أيضًا لم أرَ رجلًا لديه هذا القدر من الأماكن لينزف الدم منها قط.

حدق الجميع في المشهد المفزع، وتأوهت تريس، عادت إلى دلوها ثانية. ثم اندفع الدوج -وقد تذكروا تدريبهم- بحثًا عن مناشف الطوارئ لامتصاص الدم ومنع أي تسرب على جانب السفينة. في البحر الأخضر، يمكن أن يؤدي تدفق الدم على الجانب إلى شل حركتهم. هنا سوف تتمزق السفينة إلى أشلاء.

لحسن الحظ، تم بناء السفن في بحار البوغ لمنع ذلك، مع كل اللحامات المنحدرة والمختومة. أدت الفضة وظيفتها في النهاية، وسار الجميع عبر أبواغ رمادية ميتة، يطحنونها بأقدامهم على السطح الخشبي.

وسط هذا المشهد الكئيب، توقفت السفينة، لقد سكنت الأبواغ.

سأعترف بالشعور بعدم الارتياح الذي يراودني حتى يومنا هذا، حيال أيام إبحارنا في البحر القرمزي. أعرف جيدًا علم الكونيات الخاص بكوكب تريس وخفاياه، وأنا واثق من أنه لا يوجد كيان يوجه عواصفه.

بيد أن المعرفة لا تعني دائمًا الإيمان.

استدار الموجودون على سطح السفينة، كرجل واحد، لمشاهدة الأمطار وهي تميل وتنقض علينا مرة أخرى بلا هوادة لسبب غير مفهوم. قاد الماء في المقدمة شحنات من الأثيرات العنيفة خلفه، مثل ثلاث سفن متجاورة.

إن العاصفة شيء حي، حتى وإن لم تتوغلها (طاقة العوالم) على وجه التحديد؛ لأن «الحياة» كمفهوم هي بنية بشرية. نحن من نحددها، الطبيعة لا تهتم، ترى كل شيء كعملية كيميائية. لا يمكن أن تهتم على الإطلاق أن مجموعة من الكربون والهيدروجين والأكسجين قررت يومًا ما أنها تفضل الجلوس على أريكة بدلًا من مقعد.

لذلك، فالشيء حي طالما قررنا ذلك، بالنسبة لنا على تلك السفينة، في ذلك اليوم، كانت الأمطار حية. كان عليها أن تكون كذلك، وأنا أعلم في الحقيقة أن تريس اهتزت ليس فقط جسديًا، ولكن أيضًا عاطفيًا عندما رفعت رأسها من على دلوها لترى المطر وهو يدنو مرة أخرى، كانت الكابتن كرو عاجزة عن فعل أي شيء، حتى سالاي لم يكن بإمكانها إنقاذ السفينة أثناء السكون.

تجاوزنا خط المطر ببضع مئات من الأمتار.

مما بدا، في أعيننا المرعوبة، إن محاولة مباشرة لقتلنا كانت محاولة عشوائية؛ لذلك شاهدنا المطر يتلاشى من بعيد، تاركًا جدارًا ثابتًا من الأشواك الحمراء التي امتدت لارتفاع شاهق، باتت حاجزًا منيعًا لن يغرق إلا بمجرد أن يبدأ الفوران مرة أخرى.

رقص المطر في دوائر على بعد، ثم اختفى. هل كانت نزوة إله يسخر منا؟ أم هي ظاهرة طبيعية، منحتها عقولنا استقلالية فقط أثناء بحثها عن الأنماط والمعنى والإرادة؟

أعرف ما كنت أؤمن به في ذلك اليوم.

القتيل



أشرت سابقًا إلى أنني لم أتذكر أسماء الدوج، حسنًا كانت هذه كذبة، أردت أن أبقي تركيزك على اللاعبين الأساسيين في هذه القصة بالذات.

لكن كل شخص لديه قصة، بما في ذلك الدوج الذي مات، كان اسمه باكسون، كان هو وأخته من دوج كروز سونج. كان باكسون طويل القامة وغريب المظهر، ذلك النوع من الرجل الذي يبدو أنه وُلد بساقين طويلتين لا تتناسبان مع حجم جذعه. كان أصلع، على الرغم من صغر سنه، واندمجت رقبته نوعًا ما مع ذقنه، لدرجة أنه بعد مقابلته سيشتهي لسبب غير مفهوم رغيف الباجيت الفرنسي.

كما أنه كان لطيفًا بشكل لا يمكن تفسيره، كان الرجل ذاته الذي ظل يتفقد تريس وهي متشبثة على بجانب السفينة، ومن بين عديد الرجال الذين أمسكوا الحبل بينما رفعها فورت.

*

براندون ساندرسن

كان يضحك دائمًا عند تناول الوجبات ويشكر فورت على الطعام، بغض النظر عن مدى سوء مذاقه. كان يحب الموسيقى، لكنه لم يستطع العزف، وكان دائمًا يندم سرًّا على عدم التعلم أبدًا، أتمنى لو كنت في حالة ذهنية جيدة لإعطائه دروسًا.

مات الآن، سلمنا جثته إلى الأبواغ وأبحرنا إلى الأمام.

شعرت تريس بالمسؤولية، ربما لو انتظرت السفينة بضعة أشهر أخرى في البحر الأخضر، لما واجهوا الأمطار في ذلك اليوم. كانت مرعوبة من أن باكسون لن يكون الضحية الوحيدة لتهورها؛ لذلك لجأت لغرفتها، وتشتيت أبواغها المريح.

كما هو الحال دائمًا، كان هوك هناك. كان صوته وهو يتحدث معها عن الحياة كفأر يصرفها عن مشاكلها. كانت الحكايات البائسة مريحة، حتى عندما تحدث عن المخاوف والتحديات بين مجتمع الفئران، وجدت نفسها هادئة؛ لأن تلك الأحداث حدثت في مكان بعيد، كانت أحداث شخصية، لكنها مجردة إلى حد ما في الوقت نفسه..

قال هوك: «إنه أمر مثير حقًّا، كيف يمكننا أن نشم رائحة العالم على نحو لا يبدو أن البشر قادرون عليه، إن رائحة أحذية الجميع مختلفة، هل كنت تعلمين هذا؟»

«كنت أعتقد أن جميعها لها الرائحة نفسه».

«ليس بالنسبة للفأر!» قال هوك، وهي جالسة على الطاولة بجوار مكان عملها. انطلق يروي قصة حول كيفية تمكنه من متابعة إنسان وسط حشد من خلال استنشاق الرائحة المميزة لحذائه.

انصرف نصف ذهن تريس للسمع والنصف الآخر للعمل. كانت تعمل على شعلات أخرى من أجل مسدس ضوئي معزز. قامت بتعديل كميات الأبواغ مختلفة الأنواع في كل شعلة، ثم قامت بتسجيلها في دفتر ملاحظات حتى تتمكن من معرفة التجربة الأفضل.

على السطح، عنقت النوارس وهي تحلق في الهواء. ربما كان رجال الدوج بحاجة إلى شيء ما ليبعد تفكيرهم عما حدث لباكسون؛ ولذا كانوا يصطادون في الهواء لتأمين اللحوم للوجبات القادمة. بالإضافة إلى ذلك، كانت الطيور نادرة جدًّا في القرمزي؛ لذا عليك اغتنام الفرصة عندما تسنح لك.

سرعان ما كان لدى تريس أربع طلقات مختلفة إلى جانب أربع شحنات مختلفة، ستطلق كل طلقة نظريًّا الأثير الأخضر عند ضربها، ولكن مقدار كل طلقة كان مختلفًا، مما سيساعدها على تعديل التصميم، وكان بكل شحنة كميات مختلفة من أبواغ الزفير.

أخبرت نفسها أن هذا العمل سيساعد أفراد الطاقم الآخرين، كلما أسرعت في العثور على طريقة لتعطيل كرو، كان بإمكانهم جميعًا أن يغادروا القرمزي. للأسف، وجدت هذه الحجة جمهورًا معاديًا، على الرغم من أنها طرحتها على نفسها فقط. كانت تخطط، على أي حال، لمحاولة دفع الطاقم للإبحار في الظلمات بعد ذلك، وقيل إنه أكثر خطورة.

كم عدد الأرواح التي كانت على استعداد للمخاطرة بها لإنقاذ رجل واحد؟ في أي مرحلة تفوق صالح طاقمها على صالح تشارلي؟

قد تعتقد أن هذه مشكلة أخلاقية غير عادلة لفرضها على فتاة بسيطة تغسل النوافذ، ولكن هذا النوع من التفكير يحمل في ثناياه نوعًا من الغطرسة، يمكن لغسالة النوافذ أن تفكر، مثل أي شخص آخر، وحياتها ليست أقل

تعقيدًا، وكما حذرتك، غالبًا ما يترك العمل «البسيط» متسعًا من الوقت للتفكير.

نعم، يُدفع للمثقفين والعلماء مقابل التفكير بأفكار عميقة، لكن هذه الأفكار غالبًا ما تكون مملوكة للآخرين، إنها مفارقة كبيرة أن المجتمع يميل إلى احتقار أولئك الذين يبيعون أجسادهم، ولكن ليس أولئك الذين يؤجرون عقولهم.

بينما جهزت تريس الشعلة الأخيرة في المجموعة، تباطأ هوك.

«حسنًا... أعتقد الآن يجب أن نختبرهم» قال. «أي أفكار حول كيفية القيام بذلك؟»

قالت: «حسنًا، كان الدوج في الغالب يقيمون في الطابق العلوي مؤخرًا، والحجز خالٍ من البضائع».

أومأ هوك برأسه، كان الخيار الأكثر وضوحًا، وضعته على كتفها، ثم جمعت شعلاتها ومسدسها ودفترها في حقيبتها، ذهبت وشرحت لاغارت أنها تريد فحص العمل اليدوي الذي قامت به آن بترقيع الهيكل في الأسفل. أوضحت تريس أن ذلك قد يساعدها على فهم كيفية صنع رقع ماورد أفضل في المستقبل.

كانت كذبة غير ملحوظة، وحتى إذا استشعر لاغارت عدم صدقها، فمن المحتمل أنه أعتقد أنها كانت تحاول أن تبقي نفسها مشغولة. أعطى قائد المدفعية الإذن لها وقال إنه سيمنع أي شخص من مضايقتها. كان الحديث ممتعًا نسبيًا، تساءلت تريس لفترة وجيزة عما إذا كان ثمة خطب قد ألم به.

في طريقها إلى الأسفل، نادى دوج من منطقة الأشرعة، مشيرًا إلى الأفق البعيد. تم رصد خط مطر آخر. اشتعلت أنفاس تريس، لكن المطر -هذه المرة- انحرف بعيدًا عن السفينة واختفى بعد فترة وجيزة.

أشاحت تريس بصرها وسارعت إلى قبو السفينة الشبيه بالكهف، أغلقت الباب الأفقي في الجزء العلوي من الدرجات بالمزلاج لمزيد من الأمان، ثم وضعت مصابيح الزيوت الثلاثة، وهو أمر منع من امتلاكه البحارة العاديين، لم يكن من الحكمة ترك الكثير من الأشياء تحترق عندما تعيش في الأساس في قطعة جافة وجوفاء من الحطب العملاق.

كانت المخزن نصف فارغ، بعد أن أفرغت السفينة بضاعتها في المحطة الأخيرة قبل الإبحار في القرمزي، شكلت المواد الغذائية وإمدادات المياه جمهورها عندما حملت شحنة تبعتها بشعلة في سلاحها، ثم استدارت ورفعت المسدس باتجاه الجزء الخلفي الفارغ من العنبر.

يُحسب لهوك أنه لم يركض، على الرغم من أنه كان منكمشًا قليلًا في شعرها، والذي تركته غير مجدول كثيرًا هذه الأيام، جمعته في ذيل أو تركته غير مقيد، ليطير بحرية. دفعت ثمن ذلك بالفرشاة في الليل، لكنها شعرت... بالتحرر. في موطنها، كانت دائمًا تشعر بالحرج بسبب سلوك شعرها. لكن هنا، كان هناك الكثير من الأشياء الأكثر إلحاحًا التي تدعو للقلق.

ضغطت تريس على الزناد؛ مما تسبب في اصطدام قادح المسدس بالشعلة بقوة كافية لكسر القارورة الزجاجية الصغيرة للشحنة. انفجرت أبواغ الزفير، وأطلقت الهواء بلون أزرق باهت، اندلعت الشعلة من مقدمة المسدس...

... ثم طارت ما يقرب من قدم قبل أن تهبط بشكل عنيف ومفاجئ في الأرض، ربما كان ينبغي عليها استخدام المزيد من الزفير.

لسوء حظ تريس، كان باقي عملها دقيقًا، لقد استوعبت بشكل أساسي طبيعة الآليات من المخطط، وهكذا عمل تصميمها بشكل مثالي، عندما اصطدمت الشعلة بالأرضية أولًا، دفعت الصدمة الطرف الفضي إلى الداخل في كرية الماورد، وأطلقت الماء.

انفجرت الكروم الخضراء إلى الخارج، وأمسكت على تريس ولفتها بسرعة مذهلة، شعرت بذعر مفاجئ وبعض الانزعاج عندما أحكمت الكروم قبضتها حولها، ورفعتها عن الأرض بحوالي قدمين، لكن لم يكن هناك ألم حقيقي، وبمجرد أن انتهى الأمر كانت تشعر بالإذلال أكثر من الخوف.

«تريس!» قال هوك. «أوه، تريس! هل أنت بخير؟» انطلق من على كتفها إلى الكروم.

هزت أصابعها، ثم بدأت في الضحك.

كانت ضحكة تريس شيئًا سخيفًا، حيث تتضمن الشخير والفواق. لقد كانت ضحكة صادقة، تؤكد طبيعتها السخيفة مدى صدقها.

في تلك اللحظة، تلاشت آخر بقايا خوف تريس من الأبواغ، لقد أخطأت، وستكون حذرة في التجارب المستقبلية، لكن اليوم كلفها خطأها القليل من كرامتها، تم مقايضتها بمتعة معرفة شعور أن تكون تعريشة عنب.

قالت تريس: «من حقيبتي» استطردت وهي ما زالت تضحك. «أحضر لي السكين الفضي».

بينما كان هوك يندفع مطيعًا أمرها، لاحظت تريس أن نهايات الكروم لا تزال تنمو. كما حدث من قبل، عندما فكرت بها، استداروا تجاهها. في هذه الحالة بالذات، لم تكن تريدهم أن يقيدوها أكثر؛ ولذا فكرت فيهم وهم ينسحبون بعيدًا عنها، ويا للعجب، هذا ما فعلوا.

لم تكن سيطرة كاملة، كما لم يكن بإمكانها فعل أي شيء بشأن الكروم النامية بالفعل واضطرت إلى استخدام السكين لتحرير نفسها، لكن التجربة جعلتها تتساءل إلى أي مدى يمكن أن تمتد سيطرتها.

أضافت بعناية المزيد من أبواغ الزفير إلى كل شحنة، كانت التجارب التالية أقل إمتاعًا، حلقت ثلاثتهم جميعًا كما أردت، على الرغم من أن إحدى الشعلات انطلقت دون أن تطلق الكروم.

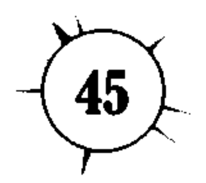
انفجرت الاثنتان الأخريان بالكروم كما كانت تأمل، خلال التجربة الأخيرة، حاولت التفكير في الكروم أثناء نموها، ورغبتها في ألا تمسك بأي شيء. هذه المرة، بدلًا من الإمساك بالجدار وأضلاع السفينة، امتدت الكروم تجاهها، ثم سقطت الكتلة بأكملها على الأرض.

أمضت ما تبقى من فترة ما بعد الظهر تقطع الكروم وتنقلها إلى الخارج لترميها من الشباك، لقد أخفت كل شيء يدينها في غرفتها مع هوك، وبخت نفسها لأنها نسيت أن تغلق الباب في طريقها للخروج مبكرًا، واندفعت لمساعدة فورت في تحضير عشاء اليوم. كانت مساعدة مشتتة، حيث كان عقلها في مكان آخر. لماذا فشلت إحدى شعلاتها في إطلاق الكروم؟ ماذا لو أطلقت رصاصة لم تنفجر عندما كانت تواجه كرو؟

ستحتاج إلى إجراء المزيد من الاختبارات قبل المواجهة، لكنها حصلت في النهاية على سلاح، مفاجأة.

كانت كرو تبحث عن شخص لا يخشى الأبواغ، وكان هذا بالضبط ما ستحصل عليه.

الحامية



أذنت القبطان بفتح برميل مشروب روحي بعد العشاء، والتي اعتبرتها تريس لفتة لطيفة، لقد أثبت أن القبطان لم تكن بلا قلب تمامًا. (وهذا قطعًا يعني أن كرو كان لديها ضمير، لكنها تجاهلته في معظم الأوقات، وهو قاطع أسوأ بكثير).

لم تشارك تريس في تناول الشراب، لقد اختبرت السكر مرة واحدة فقط في حياتها، قبل عامين في تجمع عطلة عندما لم تدرك قوة مفعول المشروب المسكر. في ذلك اليوم، هذت في الحديث إلى ما لا نهاية عن وصفاتها المفضلة. بينما وجدت تشارلي ذلك أمرًا محببًا، كانت قلقة من أن القليل من الكحل اليوم قد تجعلها تفصح عن خططها بدون سيطرة.

وبدلًا من ذلك، حضرت طبقًا من وجبة المساء: بسكويت ومرق اللحم قوي النكهة مع الخضار. لقد كانت في الأساس عبارة عن يخنة تأكلها بأصابعك، لكنها على الأقل أعطت وهمًا بالتنوع. كان هناك الكثير مما يمكنها فعله بالمكونات الموجودة تحت تصرفها.

أحب الطاقم ذلك على أي حال، بعد أشهر من الوجبات التي حملت قرابة غير مريحة مع بلاط الجص، لن يشتكي المرء بتكرار بسيط لموضوع لذيذ، إلا أن الطاقم لم يكن غبيًا، على الرغم من أن المرء قد لا يصدق ذلك بعد تجربة الطرق المتنوعة التي اعتدى بها الدوج على لغة ما. علم الطاقم أن تريس كانت تساعد فورت، وفجأة احتوت وجباتهم على طعام بدلًا من شيء - بالتعريف الأكثر صرامة للكلمة- صالح للأكل؛ لذلك عندما هتفوا لها وهي تغادر، لم يكن ذلك فقط لأنهم كانوا مخمورين إلى حد ما.

شعرت بعدم استحقاق هذا الاهتمام، لا سيما بالنظر إلى كيف أدت أفعالها إلى تعريضهم جميعًا لمثل هذا الخطر؛ لذلك أسرعت إلى مقصورة سالاي مع طبق من الطعام، لم تظهر سالاي على العشاء، وقلقت تريس عليها.

عرفت تريس الباب الصحيح فقط بسبب الرقم الموجود عليه؛ لم تزر سالاي قط، طرقت تريس بتردد، واعتقدت أنها سمعت شخصًا يتمخط في الداخل. بعد لحظة، فتحت سالاي الباب، وعلى الرغم من أن لون بشرتها الداكن يخفي أشياء مثل أنفها وخديها، فإن عينيها أشارتا أنها كانت تبكي.

قالت سالاي: «أوه، تريس»، وصوتها مختزل وصارم كالعادة. «هل هناك خطأ؟»

«أحضرت لك العشاء» قالت تريس بغير ارتياح. لم تر سالاي قط بدون لباسها البحري المكون من بنطالها المتين والمعطف. لقد شعرت بالخطأ إلى حد ما للتطفل عليها عندما كانت ترتدي رداءً فوق ثوب النوم.

ومع ذلك، أشارت المرأة إلى تريس للدخول ووضعت الطبق على المكتب. دلفت تريس، مصدومة لاكتشاف مدى صغر الغرفة. كان بالكاد نصف مساحة مسكنها. كقائدة للدفة، كانت سالاي هي الثالثة في قيادة السفينة. بالتأكيد كانت تستحق مساحة أكبر من هذه الخزانة.

قالت سالاي: «أنا أقدر إحضار الوجبة، كان من غير المهني مني أن أجعلك تحضريها، أنا بحاجة للحفاظ على قوتي بالطبع، اليوم فقط أثبتت أن أكثر...».

تجاوزت تريس واستقرت على المكتب، وأخذت الطبق. تساءلت تريس عما إذا كان ينبغي لها أن تذهب، لكن سالاي استمرت في الكلام؛ لذا بقيت.

أوضحت سالاي: «ما زلت أفكر بضرورة وجود طريقة لتجنب هطول الأمطار». دفعت صحن الطعام جانبًا، ثم أشارت إلى الخريطة المبسوطة على مكتبها. «مع هذا ليس لها نمط، لقد أبحر الناس في البحار لعدة قرون، ولا يوجد حتى الآن ممر آمن معروف عبر البحر القرمزي، إذا لم يتم العثور عليه في التو...».

توقفت سالاي، ثم نظرت خلفها إلى تريس. «أنت تعرفين واحدًا، أليس كذلك؟ طريقًا لحماية الطاقم؟ ما كنت لتأتي بنا إلى هنا إذا لم تكن تعرفي طريقًا ما، أليس كذلك؟»

«أنا ...» قالت تريس، ثم ابتلعت ريقها. «أنا آسفة يا سالاي، لما حدث لباكسون».

قالت سالاي: «إن وظيفتي هي أن أفعل ما لا يستطيع القبطان والضابط الأول القيام به. أو... أو لن يوجد شخص للقيام بذلك. شخص ما يجب أن يحمي الطاقم». خبطت بيدها على الطاولة، ثم وضعتها على رأسها، محدقة في الخريطة.

استقرت تريس على السرير الضيق بجانب الحائط، جلست ويدها في حجرها، وقد شعرت أنها تتطفل. كانت الغرفة خالية بشكل ملحوظ من أي شيء شخصي. كان كل ما هنالك بعض الخرائط الملفوفة في سلة بجانب

الحائط، صناديق مرتبة ومنظمة للأغراض الموجودة أسفل السرير، وصورة معلقة فوق الكوة مضاءة بمصباح مكتب وامض.

لقد كانت رسمًا، هؤلاء الناس لم يكتشفوا التصوير بعد، لكنها كانت جيدة، رسمها بخبرة ولكن بسرعة فنان شوارع في عاصمة الزفير، لقد صورت رجلًا طويل القامة مبتسمًا وفتاة تشبه إلى حد كبير سالاي.

«هل هو أبوك؟» سألتها تريس وهي تشير إلى الصورة.

نظرت سالاي إلى الأعلى، ثم أومأت برأسها. «لقد وعدته بأنني سأدفع لدائنيه، لكن عندما عدت، كان قد رحل، أجبر على العمل من قبل جامعي الديون لدى الملك، بحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى السفينة، كانوا قد تركوه في سجن الدين في أحد الموانئ، لكنهم لم يتذكروا أيًا منها».

«ذلك فظيع».

«المشكلة هي أنه عندما تحتاج السفن الملكية إلى يد إضافية، يمكنها دائمًا إجبار الرجال في سجون الدين في العمل ضمن طواقمها؛ لذلك ثبت أن تعقبه مستحيل، يجب أن يكون قد ارتحل حول الجزر، وتم إجباره على العمل وتركه على جزر مختلفة عشرات المرات.

«ما زلت أقول لنفسي، وأعد والدتي عبر الرسائل أن أملنا الوحيد هو أن أستمر في الإبحار. استمر في زيارة الموانئ الجديدة والسؤال عنه. إنه هناك في مكان ما، يا تريس. أما ذاك... أو أنه مات في إحدى المعارك، أُجبر على ركوب طاقم سفينة حربية. إذا كان هذا هو الحال، أعتقد أن الأوان قد فات. لقد خذلته بالفعل، مثلما فشلت مع باكسون».

قالت تريس: «سالاي، يجب ألا تفقدي الأمل».

«لِمَ لا؟» سألتها سالاي، والتفتت نحوها. «هل هذا صحيح؟ هل لديك طريقة لإخراجنا من هذا؟ هل لديك سر من الملك يسمح لنا بالنجاة من القرمزي؟ لو سمحت، من فضلك قولي لي أن لديك خطة».

«أنا...» ماذا يمكن أن تقول؟ هل تحاول مرة أخرى أن تحتج على ظن سالاي بها؟ الآن، عندما طلبت من المرأة أن تحافظ على الأمل؟

حادثت تريس نفسها أن الأمل كذبة -الأمل فيها هي- ليس أملًا حقيقيًا.

ما لم تكن تستطيع فعل شيء، ما لم تكن هناك طريقة للمساعدة. تذكرت تريس بوضوح الشمس وهي تراقب دنو الأمطار، كانت تعلم أنه لا يوجد شيء يمكنها القيام به لمنعها، علمت أن حياتها أصبحت الآن متروكة للصدفة العشوائية.

لقد كادت تشعر وكأنها كانت في موقع السيطرة، كأنها تستطيع أن تشكل مصيرها. ثم جاء المطر بمنزلة مطرقة أرسلتها الأقمار لمنحها التواضع عن طريق توجيه ضربة قوية على جبهتها.

استدارت سالاي بعيدًا. «ليس من العدل أن أطلب منك حمايتهم، أليس كذلك؟ أنا لا أعرف مهمتك هنا، مهمتك الحقيقية. من الممكن أن يكون واجبك هو ببساطة إخراجنا من المملكة. لقد أصبحنا مطاريد قتلة، خطرين على كل من نواجههم. لا أستطيع أن ألومك على توجيهنا نحو موتنا لحماية الأبرياء. لقد تركت ذلك يحدث، لقد فشلت في ذلك أيضًا». مسدت حواف خريطتها. «لو عرفنا فقط إلى أين ستأخذنا القبطان، حينها على الأقل يمكنني التخطيط إلى متى سنبقى هنا».

قالت تريس: «أوه، سالاي، أعرف ذلك».

«حقًا؟»

«نعم، ربما كان يجب أن أخبرك سابقًا، تأخذنا القبطان لمقابلة التنين».

«إكسيسيس؟» قالت سالاي، وهي تدور مرة أخرى في مقعدها. «هل هو حقيقي؟»

«أولام يقول بذلك، والقبطان لديها كتب تدعي صحة الأساطير».

قالت سالاي وهي تفرك ذقنها: «حسنًا، على الأرجح يعرف أولام الحقيقة، لكن لماذا تزور التنين... أوه، إنها تبحث عن مخرج من معاناتها، أليس كذلك؟ لطالما افترضت أن كرو شديدة العند، فقد كانت ترهب الأبواغ في دمها لتخضع لها، عاشت أطول مما ينبغي لأي شخص كآكل بوغ، لكن ما الذي ستقايض به...؟»

أغلقوا عيونهم.

قالت سالاي: «أوه». ثم ضحكت. «إنها تعتقد أنك ستدعيها تقايض بك من أجل حياتها؟ ها!»

«نعم، أمر مضحك للغاية».

قالت سالاي: «حسنًا، أعتقد أن هذا شيء نتطلع إلى حدوثه. سيكون من المسلي مشاهدتها تكتشف ما أنت عليه حقًا، لكن قولي لي، أعلم أنه لا يمكنك تأكيد أو إنكار مهمتكِ الحقيقية، ولكن هل هناك أي تلميح يمكنك تقديمه لما يمكن توقعه بعد التعامل مع كرو؟»

قالت تريس: «حسنًا، سأحتاج إلى دعمك، إذا تعاملت مع كرو، إذن فلن أرغب في أن يحررها الطاقم، سأحتاج إلى ... أمم ... أخذها لمواجهة العدالة، كما ترين».

«بالطبع!» قالت سالاي، متفائلة للمرة الأولى اليوم. «نعم، يمكنني ترتيب ذلك، بمجرد أن تقبضي عليها، سنترك القرمزي، إذن؟»

قالت تريس: «نعم، على أي حال... حسنًا، هذا محرج بعض الشيء... لكن لدي عمل على إنهائه مع الساحرة في بحر الظلمات بعد ذلك، وكنت آمل...».

اتسعت عيون سالاي، ثم ضحكت مرة أخرى، كانت ضحكتها مثل الجرس الذي يدعو البحارة إلى حمل السلاح. حاد ومتحمس، لكن متحكم فيه بطريقة ما. «بالطبع لديك، لماذا كنت قلقة؟ إذا كنت ستبحرين في الظلمات... حسنًا، فإن التعامل مع القرمزي لن يشكل معضلة لشخص مثلك».

ثم استحال تعبير وجهها أكثر جدية. «لكن هل يمكنك مساعدتي في حماية الطاقم؟ أعلم أننا مجموعة من القراصنة لا قيمة لهم بالنسبة للملك، لكن لا أحد سيبحث عنهم، حتى قائدتهم لا تهتم بهم. من فضلك، من فضلك، لا تدعينا نفقد صديقًا آخر».

في تلك اللحظة، شعرت تريس وكأنها شيء قد طهوه فورت. مسخم ويابس وبالكاد قادر على تحقيق الغرض المقصود منه. تقلصت أمام ثقل أمل سالاي، ماذا يمكنها أن تفعل؟ كانت مزيفة وكاذبة...

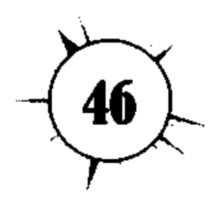
مهلًا.

خطرت لها فكرة غريبة للغاية ويائسة للغاية، ربما لا شيء، ربما نزوة عديمة الفائدة.

والجدير بالذكر أن اليأس الغريب هو بالضبط الحالة التي تفضي غالبًا إلى العبقرية.

قالت لها تريس: «كوني جاهزة، هناك شيء يمكنني تجربته».

المخبر



أمضت تريس الأيام القليلة التالية في حالة متأججة بين الدراسة المضطربة والاضطراب المدروس، كانت خطتها الناشئة أكثر خطورة بكثير من عملها مع الشعلات. وفي هذه الحالة، لم يكن لديها مخططات أي شخص آخر لتعتمد عليها.

أمضت الكثير من ذلك الوقت في تجربة أبواغ خضراء، وثمرة بحر الزمرد نفسه التي لم تفهمها قطّ في سنواتها السابقة. لم تكن وحيدة، ولم يكن مفاجئًا أنها كلما تعلمت أكثر، قل خوفها. هذا هو الحال مع معظم الموضوعات؛ حيث يلعب الخوف والمعرفة في كثير من الأحيان على جانبين مختلفين من الشبكة في الملعب.

من الواضح أن هناك استثناءات، بعض البشر مثل بعض النقانق يخالفون هذه الاتفاقية. وفي حين أن أيًا من المجموعات الأكبر ليست مرعبة بشكل جماعي، إلا أنها تحتوي على أفراد مميزين سيثيرون ذعرك تمامًا. كلما عرفت المزيد عنهم، زاد قلقك، لكن بالنسبة للبشر عمومًا، عادةً ما تكون المعرفة مساوية للتعاطف، ويؤدي التعاطف إلى الفهم.

وجدت تريس الأثير الأخضر في الغالب لعوبًا ومتشوقًا للاستجابة لأوامرها العقلية في مقابل الماء. على مدار أيام دراستها، أصبحت بارعة في جعل الكروم ينمو بشكل حلزوني، وأن يمتد باستقامة وقوة، وحتى ينمو ببطء؛ مما يعوق الكثير من قوته.

كان بإمكانها أن تشعر كالعادة بإحساس يتجاوز الكروم، لا شيء مميز مثل العقل، هو أثر اعتقدت أنه قد يكون للقمر نفسه، أو الكروم الأم دائمة النمو التي تعيش عليه.

بخلاف الضروريات مثل النوم، لم تنقطع تريس عن دراستها إلا عندما اضطرت للذهاب لمساعدة فورت في تحضير العشاء. في كل مرة، كانت رؤية وجوه أفراد الطاقم تجعلها أكثر قلقًا.

بعد ثلاثة أيام من لقائها مع سالاي، جلست في غرفتها، وحثت بضع الكروم الخضراء على النمو بدقة حول أصابعها دون الضغط بشدة. كانت السفينة تتدحرج حاليًا بطريقة تمكنها من رؤية شلال الأبواغ المتساقط من كوة غرفتها، بدا الشلال أكبر فأكبر مع مرور كل يوم، وأصبح من الواضح بشكل متزايد أن هذه كانت وجهة القبطان، يجب أن يكون عرين التنين بالقرب منه، أو ربما بداخله.

في معظم البحار تشكل الأبواغ المتساقطة كومة، مثل الرمل في قاع الساعة الرملية، وإنه لم يظهر للعيان على الفور، إلا عند الاقتراب من قمم الأقمار، كان البحر في الواقع جبلًا بحجم مملكة، على الرغم من أن المنحدر كان ضحلًا بشكل لا يصدق، وبالتالي غير محسوس، لكن كلما اقتربوا، كلما احتاجوا إلى الارتفاع لأعلى.

في الوقت الحالي، كانت الأغراض الموجودة على مكتب تريس معرضة لخطر الانزلاق، وكان كل شيء يبدو منحرفًا مقارنة بالأفق، كما لو كنا نرى من خلال عدسة طالب اكتشف للتو فيلمًا تجريبيًّا.

قام هوك بشكل دوري بتقطير المزيد من الماء على الكروم، باستخدام ملعقة صغيرة وقدح (كان قدحًا خشبيًّا، مع لمسة نهائية جيدة من سنوات طويلة من الاستخدام) من الماء ملتصقًا بالمكتب بالشمع.

قالت تريس: «ماذا لو تعلمت الإبحار على متن السفينة بنفسي».

«السفينة بأكملها؟» سأل هوك.

«ربما ليس هذه السفينة، بل أصغر، بالتأكيد هناك قوارب شراعية يمكن لشخص واحد أن يبحر بها، يمكنني أخذ أحدها في بحر الظلمات؛ لذلك لن أخاطر بأي حياة أخرى».

«وكم من الوقت تعتقدين أن الأمر سيستغرق منك لتتعلمي الإبحار بمفردك؟» سأل. «خاصة في مثل هذه البحار الخطرة؟ يمكنك قضاء سنوات».

«ربما هذا ما أحتاج إلى القيام به».

قال: «أو ربما، أنت بحاجة إلى الاعتراف بشيء أصعب بكثير يا تريس، إن صديقك بعيد المنال، يجب أن تتخلى عن هذا المسعى وتعتني بنفسك».

لم تستجب، رغم أن الغضب الذي شعرت به من كلماته تجلى في ضغط الكروم على أصابعها، وكأنهم أيضًا محبطون.

أجبرت نفسها على الاسترخاء بينما كان هوك يقطر ملعقة أخرى من الماء على الكروم. كان يتحسن في تحقيق التوازن على قدميه حيث كان يساعدها، كان عليه أن يفعل ذلك كثيرًا أكثر من أي وقت مضى.

قال: «تريس، لا أحب أن أراك حزينة، لكني أكره أن أراك تتأذين. ما فعلته هنا على كروز سونج مذهل، لكنه لا يزال بعيدًا بأشواط عن المخاطر التي قد تواجهينها في بحر الظلمات».

«فعلًا؟ لا أحد يعرف! لقد سألت فورت وسالاي وحتى أولام. أخبروني جميعًا أن بحر الظلمات خطير، لكن لا أحد يستطيع تحديد سبب خطورته. إنهم يعرفون فقط أن «الساحرة تراقب» تلك الأبواغ. وأن السفن التي تذهب إلى هناك تتلاشى. ربما هناك شيء ما عن الوحوش؟ لا أحد يستطيع الجزم على وجه اليقين».

قطر هوك المزيد من الماء، ثم تنهد بهدوء. «تذكرين كيف ذهبت إلى الشاطئ في آخر ميناء؟»

«كيف يمكنني أن أنسى؟ لقد أخبرتني بست قصص عنها حتى الآن».

«أنا ... لم أحكِ لك أهمها».

نظرت تريس إلى أعلى، واستدارت أطراف الكرمات الأربع التي كانت تلتف حول أصابعها مثل الرؤوس إلى هوك.

«لقد ذهبت للبحث عن الفئران من أهل المدينة»، أوضح هوك وهو يضع الملعقة ويفرك كفوفه. «هناك البعض منا في معظم الجزر هذه الأيام، أقصد من الفئران الناطقة، بقليل من الجهد وجدت فأرًا زار جزيرة الساحرة. قبل أن تسألي لم يكن يعرف الطريق، لقد صادف أنه كان على متن سفينة زارتها، ولكنه... أخبرني بالمخاطر التي واجهوها».

«ولم تخبرني؟» قالت تريس، نمت كرومها الأربع صعودًا بحركة مفاجئة حادة، مثل المسامير.

«لم أرغب في تشجيعك!» قال هوك. «أنا قلق عليك يا تريس، ولكن ربما إذا عرفتِ المخاطر، فسترين مدى صعوبة ذلك».

(نصيحة لطيفة: إن أخبرك أحد «لقد أبقيتك في الجهالة لحمايتك»، فهو ليس أمرًا محبطًا فحسب، بل هو تعالٍ أيضًا. إنها طريقة اقتصادية حقًّا لإهانة شخص ما، إذا كنت تتطلع إلى الحط من قدر أحدهم في جدول مزدحم بالفعل، جربها).

جاهدت تريس نفسها ألا تغضب وأن تقدر مشاعر هوك، ولحسن الحظ -مثل الفتاة التي سألت ناسًا في غرفة هادئة فجأة عما إذا كانوا يريدون رؤية وشمها- أدرك أنه لا عودة للوراء الآن.

قال هوك: «هناك ثلاثة اختبارات على المرء أن يواجهها للوصول إلى الساحرة، أعتقد أنها تحب أن تكون الأمور درامية. على أي حال، فإن الأول هو الأكثر وضوحًا؛ عليك عبور بحر الظلمات».

قالت تريس: «وهو ما يمكننا القيام به، الآن بعد أن أوضح لنا هويد طريق الذهاب».

قال هوك: «أنت تعرفين إلى أين تذهبين، نعم، لكن تريس، ألا تفهمين؟ يتساقط المطر في بحر الظلمات مثل أي مكان آخر. وقد قامت الساحرة بإعداد طريقة ما لإطعام المخلوقات التي تخرج من الأبواغ باستمرار، إنهم يتجولون ويطوفون في المحيطات، إن وحوش الظلمات بحجم السفن. هل تتذكرين ذلك الشيء الذي صنعته لمراقبة كرو؟ هل تعتقدين أنه يمكنك محاربة مائة منهم في حال هاجموا السفينة؟»

هذا... بدا مروعًا، تلوت الكروم على أصابع تريس وانزلقت لأسفل، واختبأت خلف راحة يدها.

قال هوك: «إذا نجوت من ذلك، عليك مواجهة حراس الساحرة: جيش من الرجال الآليين الخارقين الذين يعيشون على جزيرتها، لا يمكن تدميرهم كليًا، فهم مقاومون لجميع أنواع الأسلحة، وشديدو البأس.

«إنهم يقبضون على أي شخص تطأ قدمه الجزيرة، ثم يسجنونه. الأسرى لا يمكنهم حتى مقابلة الساحرة؛ لذلك لا تعتقدي أن هذه طريقة لجذب انتباهها. قيل لي إنها تعتقد أن أي شخص أحمق بما يكفي ليتم القبض عليه من قبل الحراس فهو أقل شأنًا من أن يحظى بانتباهها».

هاه، كان الأسر المتعمد إحدى الخطط التي أخذتها تريس في الاعتبار.

قال هوك: «وإذا هربت منهم بطريقة ما، فلن تصلي إلى الساحرة أبدًا، تعيش في برج مصنوع من معدن غير قابل للتدمير، إنه زلق للغاية ولا يمكن تسلقه، ولن يلصق به شيء، إنها تقف فوقه في المساء للتواصل مع الأقمار، ولكن هناك طريقتان فقط للدخول؛ من خلال الأبواب المقفلة بوسائل غامضة، أو من خلال النافذة الصغيرة حيث تتنقل الغربان داخله وخارجه؛ لتتلقى الأوامر.

«تريس، إذا حاولت الذهاب إلى تلك الجزيرة، فسوف تأكلك وحوش جوهر الظلمات. وإذا نجوت بمعجزة ما ووصلت إلى الجزيرة، فسوف يحبسك الحراس إلى الأبد. وحتى إذا هربت منهم، فسوف ينتهي بك الأمر بالجلوس أمام البرج والصراخ ليسمعك أحد حتى تفقدي صوتك. لا توجد طريقة لتحقيق ما تريدين».

قالت: «لقد فعلها هويد، لقد رآها، وكذلك فعل تشارلي».

قال هوك: «تشارلي، اختُطف على وجه التحديد لأنها كانت تأمل في الحصول على فدية من الملك! من يدري ما حدث مع هويد، من الممكن أن يكون الشيء نفسه».

جلست للوراء، وإلى حد ما أحدثت بها معلومات هوك الأثر الذي أمله، لقد كشفت بالضبط مدى صعوبة مهمتها.

حسنًا، لا تستطيع التركيز على ذلك في الوقت الحالي، كان لديها مشاكل أخرى للتعامل معها، لن تكون موجودة لتلعنها الساحرة إذا انتهى بها المطاف في سجن التنين أولًا. ولن تتاح لها أبدًا فرصة أن يسجنها تنين إذا قُتلت بسبب هطول الأمطار على بحر القرمزي.

لذلك، عادت تريس إلى عملها مع الكروم.

الشاعر



انفجرت الشعلة عند قدمي أولام، غطت كتلة متلوية من الكروم الجراح، والتفت بطول جسمه حتى رقبته. حاول أن يحرر نفسه، لكن أفضل ما أمكن تحقيقه كان الخلط بين النشنج والتنهيد الجاف.

«ما رأيك؟» قالت تريس، أسرعت عبر الحجز للوقوف بجانبه. «هل ستنجح في احتجاز كرو؟»

كافح أولام ليهز كتفه. «من خلال فهمي لمرضها وقواها، يجب أن يكون هذا كافيًا. تعترض كرومها الخطر الجسدي، لكنها لا تهتم إذا لم تكن قادرة على الحركة، لا تتوافق احتياجاتهم واحتياجاتها تمامًا، هم؟ وطالما أنها تعيش لتزويدهم بالمياه، فإنهم لا يهتمون بما يحدث لها».

«هل تعتقد أنه مبالغة؟» سألت تريس. «إذا كان ما تقوله صحيحًا، فيمكننا الهجوم عليها في الليل أثناء نومها».

قال أولام: «من المؤكد أن كرومها ستتفاعل مع ذلك. الأبواغ التي بداخلها ليس لديها طريقة للحكم على نيتك، سوف يفترضون الأسوأ ويقاتلونك».

«إن ألمعية هذه الآلية التي ابتكرتها هو أنك لست مضطرة إلى إطلاقها مباشرة على القبطان. ستحكم الكروم على تسديدتك بعيدًا عن الهدف، وبالتالي قد لا تقدم على أي رد فعل. بمجرد الالتفاف حولها بإحكام، تأكدي من عدم القيام بأي تحركات مهددة، وبهذا يجب أن تكون الأبواغ راضية».

قالت تريس: «شكرًا لك، أوه! دعني أحررك». مدت سكينها الفضي.

قال أولام: «لا حاجة لذلك، هذا لطيف للغاية، قل لي: أين وجدت تلك الشملات؟»

قالت تريس، وهي تبحث في حقيبتها التي كانت على الأرض بالقرب من مكان جلوسي: «لقد صنعتها». انتهزت الفرصة لشرح خطتها بالتفصيل لي ولأولام.

كان ردي بالطبع سؤالها عن رأيها في سمك البوري.

من فضلك توقف عن محاولة تخيل ذلك، سيكون من الأفضل لكلينا.

«أنت صنعتهم؟» سألها أولام. «بنفسك؟»

أوضحت: «لدي بعض مخططات ويف، التي توضح كيفية عمل قذائف المدفع، لم يكن من الصعب الاستنباط منها».

«مدهش، أيتها الشابة، يجب أن أملك دماغك، بمجرد الانتهاء منه بشكل طبيعي، هممم؟»

قالت وهي تبحث في حقيبتها: «أنا آسفة يا أولام». أين وضعت دفتر ملاحظاتها؟ أرادت أن تسجل أن هذا التصميم يعمل بشكل أفضل من تصميمها السابق. عشر طلقات وحتى الآن لم تنفجر. «التحدث بهذا الشكل يجعلني أشعر بالغثيان».

«أخشى أنك لا تملكين أعصاب القراصنة بعد».

« أعرف».

«يمكنني زرع البعض، إنها عملية خالية من الألم بنسبة خمسة وثلاثين في المئة!».

قالت: «لا، شكرًا»، أخرجت دفتر الملاحظات واستدارت. قفزت عندما وجدت أولام واقفًا بجانبها، كانت الكروم تقع في كومة حيث يقف.

«كيف؟» سألت.

أوضح: «لقد هضمتها من عدة أماكن رئيسية».

«... هضمتها؟» سألته تريس.

«أنه مقرف جدًّا!» قلت. «أنا أحسده».

قال أولام: «ينبغي عليك يا صديقي، بحكم التعريف يمكنني فعل أي شيء يستطيع الإنسان القيام به، بالإضافة إلى المزيد. أرى أنك تدونين ملاحظات عن تجاربك يا تريس، مثير للاهتمام، كما تعلمين، يمكنني بالتأكيد...».

قالت تريس: «عقلي ليس للبيع».

«كنت سأسأل عن يديك هذه المرة، يا له من خط ممتاز، رائع، رائع».
ابتسم مبينًا عددًا غير إنساني حرفيًا من الأسنان. يقول إنه يفعل ذلك لأنه يرى أن الابتسامة الكبيرة بشكل مفرط يجب أن تكون مريحة للبشر بشكل مفرط، لا أستطيع تحديد ما إذا كان يمزح أم لا.

قالت: «الأيدي، ليست للبيع، ولا ركبتي، أو أذني. لا يوجد جزء في جسمي للبيع، يا أولام، أبدًا».

قال: «حسنًا، هذا نهائي وحازم، لقد تغيرت إلى حد ما، همم؟ أتذكر عندما وصلت لأول مرة وبدوت محرجة لرفضي».

«أنا لست مختلفة الآن، أنا ببساطة أكثر يأسًا».

«يائسة أكثر من تلك الأيام القليلة الأولى على متن السفينة؟» سألها.

ترددت تريس، وهي تفكر في تلك الأيام الفظيعة. حسنًا، نعم، لقد كانت يائسة أيضًا. لقد افترضت أنها يائسة قدر الإمكان.

ربما كان الأمر أشبه برفع الأثقال، كانت قدرتها على اليأس تتزايد بمرور الوقت، ولم يكن هناك مجال لمشاعر أخرى، مثل الإحراج.

قال أولام: «بغض النظر، سنمضي قدمًا، لا مزيد من العروض الآن، لنرجع إلى خطتك مع القبطان، هل أنت متأكدة من أن الآخرين سينضمون إليك في هذا التمرد؟»

قالت تريس: «متأكدة تمامًا، أنا... ربما قادت سالاي والضباط الآخرين إلى الاعتقاد بأنني عين الملك...».

قال أولام: «يا إلهي، كيف تمكنت من ذلك؟»

قالت تريس بتجهم: «بالصدفة، بطريقة ما يبدو أنني أفضل في الكذب عند قول الحقيقة».

قلت: «كلمات حكيمة، كلمات حكيمة، لكن أخبريني، هل سمعت قصيدتي الأخيرة؟»

قال أولام: «معذرة، سأفصل أذني في الدقائق التالية».

«ماذا؟» قالت تريس، لسوء الحظ كانت محكومة ببنيتها البشرية، لا تستطع فصل أذنيها إلا إذا أرادت أن يكون الفصل دائمًا.

قلت: «ذات مرة كان هناك مزارع يحمل بصيلة خزامى، من لم يكن لديه مكان لزراعتها، وجد مكانًا للجلوس، ثم انتابته نوبة غضب، وهرسها عن طريق الخطأ، النهاية».

أوه، بحق الآلهة.

أوه، قواي الداخلية.

ماذا أصبحت؟

«كان هذا... لطيفًا» قالت تريس. وبالنسبة لفتاة ادعت أنها كانت سيئة في الكذب، فقد نجحت في التظاهر بكل أريحية.

عاد أولام إلى السمع بعد وقت قصير. قال: «آه!» أنت لا تنزفين من أذنيك يا تريس؟ أمر لافت للنظر. هل هذا كل ما ستحتاجين مني اليوم؟

قالت تريس: «أعتقد ذلك، ولكن... هل أنت متأكد أنك لن تساعد في تمردنا؟»

قال أولام: «يا إلهي، يمكنني تقديم الرعاية الطبية فقط، إذا احتجت إليها، المزيد من التدخل لن يكون مناسبًا».

قالت تريس: «إذا لم نخرج من القرمزي قريبًا، فقد تنتهي السفينة بالغرق، هذا من شأنه أن يقتلك أيضًا».

قال أولام وهو يمشي إلى الدرج: «افتراضات، افتراضات، إن هويد خالد، وأنا كذلك تقريبًا. في حين أنني لا أستمتع بفكرة المشي عبر قاع بحر البوغ للوصول إلى الأمان، لا سيما مع وجوده في حالته الحالية، فهذا ليس خارج قدراتي».

وقفت لألاحقه بصفتي جزءًا مني، ذلك الجزء التي لا يزال قادرًا على قليل من الإدراك، واصلت محاولة نصب كمائن له من القصائد السيئة.

وقفت بجانب تريس، التي جلست الآن مع مسدسها الضوئي في حجرها، تحدق في الأرض. في الخارج، كانت الهسهسة الناعمة للأبواغ التي تحك على طول الهيكل رفيقًا ثابتًا، تذكير بأننا كنا نتحرك حتمًا نحو عرين التنين.

قدرت الكابتن كرو أنها كانت على بعد يومين فقط.

قالت تريس، بهدوء، وهي تنظر إليّ: «أنا قلقة، أشعر بالرعب».

وضعت يدي على كتفها وتمكنت من منع نفسي من تقيؤ قصيدة أخرى عليها، لابد أنها رأت شيئًا في عيني، جزءًا الاستبصار الذي ما زلت أملكه.

كررت: «أنا مرعوبة، ليس فقط على الآخرين، على الرغم من أنني أشعر بذلك، أنا خائفة على نفسي ومما ستفعله بي كرو، لن أستطيع التغلب عليها في أعماقي، أعرف ذلك».

مددت يدي الأخرى، رافعًا إصبعًا واحدًا، همست: «لديك، كل ما تحتاجين إليه، يا تريس».

«مسدس ضوئي؟ ولكن ماذا لو فشلت؟»

«لديك كل ما تحتاجين إليه»، ضغطت على ذراعها، ثم ذهبت لملاحقة أولام، ثم تباطأت، كان هناك خطأ ما، أليس كذلك؟ بخلاف حقيقة أنني لم أكن أبدأ حاليًا في قصيدة ملحمية عن جمال مسامير القدم؟

أوه، توقفت الهسهسة على بدن السفينة، توقف الفوران، وكانت السفينة تبطئ. حسنًا، لا يوجد ما يدعو للقلق، كان هذا يحدث طوال الوقت، ولم يكن خطيرًا.

ما لم يكن المطر قريبًا.

ربما يمكنك تخمين ما حدث بعد ذلك.

الكابوس



تراودني الكوابيس، لا تمنع حالتي الفريدة ذلك، على الرغم من أنني لست بحاجة إلى النوم بقدر ما يحتاج إليه البشر العاديون.

أسوأ كوابيسي المتكررة ذلك الذي يمسك بي من حنجرتي ويهزني حتى أستيقظ وأنا غارق في عرقي، لا يتمثل في مطاردة الوحش لي، ليس الأمر أنني فقدت، أو أنني غير محبوب.

لا، أسوأ كابوس بالنسبة لي حين أدرك أنني أكرر نفسي لسنوات، وأروي نفس النكات المستهلكة، والقصص ذاتها، واستنفد طريقي عبر صبر الناس وولعهم حتى تذوى ما عليه من أعشاب.

لذلك سأمتنع عن تكرار شكوكي ومخاوفي بشأن هطول الأمطار على القرمزي، ولكن إذا كان هناك دليل على أن القدر نفسه قد وضع صعابًا هائلة أمام كروز سونج، فستكون حقيقة أنه لم يكن هناك خط مطر واحد، بل خطان منفصلان يتجهان مباشرة إلى السفينة.

اثنان في وقت واحد، مع موت السفينة على منحدرات الجبل القرمزي الشاسع، وتوجه مقدمة نحو عمود الجسيمات المتدفقة من القمر الغاضب.

عندما وصلت تريس إلى السطح العلوي، رأت سالاي واقفة على السطح الخارجي، ثابتة في موقعها في حال بدأ الفوران مرة أخرى وأتيحت لها الفرصة لتوجيههم إلى بر الأمان. ظلت السفينة ثابتة، بشكل مثير للدهشة. كل مهاراتها، كل شغفها، لم يكن يعني شيئًا عندما كانت السفينة مكبلة بالأبواغ الساكنة، كانت عاجزة.

تعالت صيحات الدوج وهم يتبادلون الاقتراحات، طرح العديد منهم فكرة الركض عبر الأبواغ إلى بر الأمان. كان هذا بالطبع غباء. إذا دمرت السفينة، فسيموتون في اللحظة التي يبدأ فيها الفوران مرة أخرى. كان هناك زورقا نجاة، نعم، لكن ما الذي يمكن أن يقدمه ذلك؟ الموت البطيء بسبب الجفاف، كانوا على القرمزي. قليلون أبحروا هنا.

لسبب وجيه للغاية.

نظرت سالاي إلى ما وراء الدوج والتقت بعيون تريس.

حان الوقت، همست: لو سمحت.

أمسكت تريس بإحدى الدوج، وهي امرأة نحيفة ذات شعر طويل معقود في ذيل فرس. «اذهبي إلى سالاي!» صاحت تريس في وجهها. «أخبريها أنني بحاجة إلى حبلين طويلين للغاية وبرميل ماء من منصة المدفع، هيا! هيا!».

ركضت تريس إلى غرفتها، وهي تتخطى لاغارت على الدرجات. صرخ من خلفها، لكنها لم تكن لديها عقل للاستماع، ربما كان لديها دقائق حتى وصول المطر وانتهاء قصتهم، ما لم تتمكن تريس من إضافة فصل آخر من خلال قوة الإرادة المطلقة.

البطولة شيء رائع، كثيرًا ما يساء فهمه. نعتقد جميعًا أننا نفهمها لأننا نريد أن نرى بذورها داخل أنفسنا، هذا جزء من السر، حقًّا.

إذا جمعت قصصًا عن الأبطال، أولئك الذين خاطروا بحياتهم من أجل الآخرين، وأولئك الذين وقفوا في وجه الصعاب الساحقة، وأولئك الذين تعرضوا للخطر بلا مبالاة مع ثقة نفس بطل يقفز من أعلى منصة، ستجد أنماطًا؛ نمطان في الواقع.

الأول هو أنه يمكن تدريب الأبطال، ليس من قبل حكومة أو جيش، ولكن من قبل الناس أنفسهم. الأبطال هم الذين فكروا فيما سيفعلونه، والذين تدربوا على القيام به. غالبًا ما تكون البطولة هي النتيجة التلقائية على ما يبدو لحياة من الاستعداد.

لكن إذا سألت هؤلاء الأبطال عن سبب مخاطرتهم بحياتهم، فلا تفعل ذلك وأنت تقف أمام حشد بينما تمنحهم ميداليتهم؛ لأن الحقيقة هي أنهم على الأرجح لم يفعلوا ذلك من أجل بلدهم. أو حتى لمثلهم العليا. لطالما تحدث أبطال الحرب -عبر الثقافات والعصور والأيديولوجيات- عن نفس الدافع البسيط، فعلوها من أجل أصدقائهم.

في فوضى التدمير المسعورة، يميل الولاء للقضايا والممالك على حد سواء إلى السقوط في الفوضى، لكن الرابطة بين الناس، حسنًا، هي أقوى من الفولاذ، إذا كنت تريد خلق أبطال، فلا تمنحهم شيئًا يقاتلون من أجله. امنحهم شخصًا للقتال من أجله.

فتحت تريس باب غرفتها بغتة، مما دفع هوك إلى الهرب تحت السرير. هرعت إلى مكتبها، حيث وجدت كرة كبيرة من الماورد، نمت وتشكلت خلال الأيام القليلة الماضية. كانت بحجم رأس الطفل وكانت مشمعة من

الخارج، وبها شحنة هائلة من الأبواغ الخضراء، تلونت باللون البنفسجي الخافت عاكسة اللون الوردي حولها.

بالكاد كان لدى تريس الوقت الكافي لملاحظة أنها سكبت اثنين من أبواغ الظلمات على المكتب، كان ذلك إهمالًا من جانبها. رفعت «قذيفة المدفع» الوردية من على المكتب، ثم اندفعت إلى الردهة.

على سطح السفينة، تجمع رجال الدوج حول سالاي. كانت الكابتن كرو خارج مقصورتها، واقفة على الطابق الأرضي تتجرع الماء من قنينتها ويحيطها هالة من القدرية. كانت تأمل ألا تموت هنا، بالطبع، لكنها كانت بالفعل في طور الميت. باتت أشكال الزوال التي يمكن أن تحدث تغييرًا ملحوظًا في قدر المرء محدودة للغاية، بمجرد أن تضع احتمال فنائك نصب عينيك كل يوم لأكثر من عام.

اخترقت سالاي الدوج وأشارت إلى الحبل وبرميل الماء. «لقد أحضرناهم، يا تريس، ماذا نفعل الآن؟»

قالت تريس: «اربطي حبلًا واحدًا حول البرميل، وأنزليه بحذر على جانب الأبواغ». ثم أخذت نفسًا عميقًا واستطردت. «ثم اربطي الحبل الآخر حولي وافعلي الشيء نفسه».

استدار الجميع نحوها بحدة وحدقوا فيها.

تعالى صوت سالاي مصدرة الأوامر، وسارع الطاقم لتنفيذها. قامت آن شخصيًّا بإنزال البرميل، بينما قام فورت وعدد قليل من الدوج بإنزال تريس بحذر شديد. هبطت وشعرت مرة أخرى بالأبواغ الناعمة تحت قدميها؛ لكونها قريبة جدًّا من القرمزي، شعرت كما لو أنها عثرت على أرض أسطورية حيث صدئت الأرض بطريقة أو بأخرى وتلون السماء على النقيض بدرجة الأزرق الغريب.

تطايرت الأبواغ على السطح بصوت مألوف حين لامس البرميل السطح جانبها. لوحت آن من أعلى، وتابعت عشرات العيون تريس وهي تقوم بحل البرميل ولفه بالقرب من بدن السفينة.

ثم خلعت الغطاء بيد مرتجفة وحدقت في الماء الداكن، ما كانت على وشك القيام به يتعارض مع كل ما قيل لها من قبل.

«اقترب المطر، يا تريس!» صاحت سالاي من أعلى. «أوه، يا للأقمار، إنه قادم!».

كان بإمكان تريس سماع طقطقة وقعقعة أبواغ القرمزي أثناء نموها المجنون مثل الآلاف من الرماح المرفوعة، مدت يدها وهي ترتجف في جيب معطفها الأحمر وأخرجت وتدًا فضي الطرف، وبيدها الأخرى، حملت قذيفة المدفع التي تحتوي على الأبواغ الوردية.

حادثت نفسها، امسكي واثبتي، امسكي فقط، لا تدمري البرميل، أخرجيها، ثم امسكي.

باستخدام الوتد، قامت بحفر حفرة في الجزء العلوي من القذيفة، حتى كشفت عن الأبواغ الخضراء بداخلها، ثم أسقطتها في البرميل.

انفجرت كروم سميكة بحجم الأذرع، ارتفعت وتشابكت حول بعضها. يمكن لشحنة صغيرة من الأبواغ الخضراء أن تخلق ما يكفي من الكروم لشل حركة شخص- وقد قامت تريس بتعبئة القذيفة بعدة شحنات. خرجت المجسات من البرميل واصطدمت بالسفينة. نهلت الأبواغ من الماء بلهفة، واستمرت الكروم في النمو وأمست أسمك وأقوى.

دفعت الكتلة الملتوية والمتفجرة كروز سونج، وهزتها فتعالى صراخ الطاقم. في البداية تراجعت تريس، ولكن لا، لا، لقد صنعت هذا، لا يمكنها الهروب منه، كانت جزءًا منه.

ضغطت بكلتا يديها على الكروم التي لا تزال تنمو، وشعرت بالخضرة المشدودة- مثل العصب- المتموجة تحت أصابعها. حادثت نفسها: لأعلى، من فضلك، من فضلك.

ارتفعي لأعلى.

تأرجحت السفينة أكثر، ثم بدأت في الارتفاع في الهواء. أعادت تريس توجيه كتلة الكروم الخضراء ورفعها، مثل اليد ذات الأصابع المتعددة. بدون الفوران، كان سطح المحيط موطأ ثابتًا بدرجة كافية، طالما أن الكروم - التي انفجرت كليًّا من البرميل- قد انتشرت.

شغلت الحركة الصاعدة تريس، التي كانت لا تزال مربوطة من حول الصدر بالحبل، للحظة قصيرة أملت أن فورت لن يفلتها، لكنها ركزت معظم انتباهها على الكروم النامية؛ لأنها كانت تسمع المطر وهو يقترب، معلنًا عن وصوله بصوت الماء وهو يرشق شيئًا صلبًا: زمجرة الأشواك القرمزية التي صنعها، ثم حممها.

لقد تحدثت مع العديد من البحارة، وكان هذا -عبر عشرات العوالم- كابوسهم؛ صوت المطر وعواء الريح واحتضان الهاوية. في عالم تريس، ليس الماء الموجود بالأسفل هو الخطر، بل هو الماء في الأعلى. ومع ذلك، فإن الكابوس هو نفسه، وقد ولد من المعرفة المؤكدة بأن الشيء نفسه الذي تبحر به، الشيء ذاته الذي يحملك ويعطي معنى لحياتك، سيحاول يومًا ما قتلك.

تقاطعت تيارات المطر المزدوجة على كروز سونج، وأخذت في تنظيف السطح من الأبواغ الميتة، وابتل البحارة من أصغر خادم على السفينة إلى القبطان بقبعتها ذات الريش. لقد تجسد الكابوس. لحقت العاصفة بالسفينة وهي في معزل، وتردد صوت المطر رعدًا على الخشب.

في كل قصة وتحذير وأغنية، كان هذا يعني الموت.

ما عدا ذلك اليوم، على تلك السفينة.

انتظرت كرو قدوم هذه اللحظة المروعة، انتظرت تمزيق الأوتاد لسفينتها من جميع الجهات، وتطويق طاقمها، وكسر الألواح. لم يحدث ذلك قط. شعرت بالمطر فقط وهو يضرب مثل ألف لكمة صغيرة، كان الماء أبرد مما كانت تتخيل.

احتشد الدوج بجانب السفينة، وشقت كرو طريقها بينهم وهي تشتمهم لإفساح المجال لهم. ما الذي جرى؟ لقد رأت تريس تتخطى الجانب وافترضت أنها كانت تركض، على الرغم من أنها لم تكن لديها أدنى فكرة عن وجهتها. نعم، لقد تأرجحت السفينة، لكن...

لم تفهم حتى نظرت إلى الأسفل ووجدت شجرة ضخمة نمت تحت السفينة. كانت هذه هي الكلمة الوحيدة لوصفها بشكل صحيح: شجرة مصنوعة من الكروم المتشابكة. قامت جذور الكروم التي بدت كأصابع مروحة منتشرة بتدعيمها، وتعلقت أغصان الكرمة بكروز سونج.

كانت الشجرة قد رفعت السفينة لمسافة أربعين قدمًا في الهواء، فوق غابة من الأوتاد التي نمت تحتها. اخترقت الأوتاد الجذع، لكن الكروم الخضراء كانت مرنة. كما كانت لا تزال تنمو، بل إن شبكة الأوتاد في واقع الأمر ساعدت في استقرار الكروم.

كانت تريس معلقة على جانب السفينة، متدلية من الحبل الذي أمسك فورت به بقوة، كانت فتاة مرتعشة ومبللة، ووجهها مخفي وراء فوضى من الشعر الرطب.

في هذه اللحظة المتأخرة، بدأ دوج في الهتاف. أنا لا ألوم رد فعلهم المتأخر. لقد تحولوا من موتى مؤكدين إلى أحياء، وهذا النوع من الضربات الوجودية يتطلب للتعافي منها بضع دقات قلب تنبض في أذنيك لتخبرك نعم، كان هذا حقيقيًا.

«ساعدونا في سحبها، أيها الملاعين!» قالت سالاي، ممسكة بالحبل مع فورت. وقف الأخير واضعًا إحدى قدميه مقابل السور، وممسكًا الحبل بيديه التي على الرغم من التوائها كانت صلبة مثل الطوب. فكر بسرعة، سحب تريس لأعلى بضعة أقدام مع نمو الكروم، أنقذ حياة الفتاة، التي لامست أطراف الأوتاد القرمزية حذاءها وهي ترفع لأعلى.

ساعد الجميع في رفع تريس، ولا شك في أن العديد منهم تذكر قيامهم بذلك من قبل منذ أسابيع عندما جلبوها لأول مرة على متن السفينة. هللوا مرة أخرى عندما رفعها فورت بحذر شديد على سطح السفينة.

شاهدت كرو كل شيء بصمت، لم تجرؤ على قول أي شيء أمام هذا الخلاص الرائع. في الواقع لا يبدو أن الكروم قد أضرت بالسفينة على الإطلاق. باستخدام الفؤوس ذات الحواف الفضية، سيتمكن الدوج من تحريرها، ثم قطعها بمجرد عودة الفوران وغرق الشجرة، لقد مارسوا ذلك كوسيلة للهروب من التشابك أثناء معركة بالمدافع.

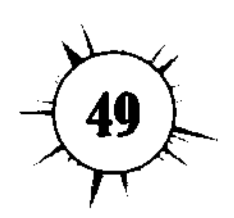


لذلك لم تكن كرو قلقة بشأن السفينة أو الوصول إلى التنين، حيث بات العرين قريبًا جدًا الآن. لقد أخبرت الجميع أن وجهتهم كانت على بعد يومين؛ لأنها لا تريدهم أن يصابوا بالذعر، معتقدة أنها ستأخذهم إلى شلال الأبواغ نفسه، لن يكون ذلك ضروريًا.

اليوم، بات خوف كرو من سلالة مختلفة تمامًا. على الرغم من أنها أمضت حياتها بأكملها في بث الخوف في طاقمها حتى يطيعوها، فقد عرفت أن هناك عاطفة أخرى جعلت الناس أكثر ولاءً، لسوء الحظ، كان ذلك شعورًا لم تفهمه حقًا.

وإذا كان لدى كرو كابوس، فإنه يقف أمامها الآن، في شكل فتاة صغيرة ترتجف اكتسبت بطريقة ما الحب الذي لم تختبره كرو من قبل.

الشهيد



بعد بضع ساعات، جلست تريس في مكتب مسؤول المؤن مع فورت وسالاي وآن الذين تحدثوا بنبرة هادئة.

قالت تريس: «القليل جدًا»، وبدلًا من ذلك حملت فنجانًا (فنجانها المزين بالفراشة) من الشاي من مخزون فورت الشخصي. كون فورت لم يذكر المقايضة عندما أعطاه لها يشي بالكثير. ما فعلته تريس من أجلهم جميعًا قد حملهم ديونًا خشي أنه لن يقدر على تسديدها أبدًا.

لكنه كان ينوي المحاولة مع ذلك.

كتب: <علينا أن نتحرك بسرعة، إذا كان ما تقوله تريس صحيحًا، وكانت القبطان تخطط لمبادلتها عند التنين، فليس لدينا الكثير من الوقت. قالت كرو إن وجهتنا كانت على بعد يومين فقط>.

وافقته آن قائلة: «لقد قالت ذلك هذا الصباح، أعتقد أننا أفنينا جزءًا كبيرًا من التفكير في ذلك قبل هطول الأمطار».

رشفت تريس الشاي، لم تتوقف عن الارتجاف منذ الواقعة، قد أحبت في الحقيقة دفء هذا الشاي، الذي طارد البرد من روحها.

في الخارج، استؤنفت الأصوات المهدئة لاحتكاك الأبواغ على خشب السفينة. على الرغم من أنها كانت تخشى أن تسبب حيلتها ضررًا دائمًا بها، إلا أن الطاقم قطع الكروم بكفاءة بمجرد عودة الفوران. سحبت أوتاد الأثير القرمزية الجذع إلى الأعماق، تاركة كروز سونج لتطفو بهدوء إلى الأمام.

هل كان من الغريب أن تشعر تريس بالذنب بشأن استخدام شجرة الأثير ثم التخلي عنها؟ هل ستكون حزينة هناك؟ ماذا حدث لمن غرق على أي حال؟

ربما بدلًا من اجترار مثل هذه الأشياء، كان ينبغي عليها أن تكون أكثر قلقًا بشأن موعدها الذي يلوح في الأفق مع التنين. لقد شعرت بأنها منهكة تمامًا، مثل مكنسة استهلكها العمل الدؤوب حتى آخر شعيراتها. بعد توتر اليوم، وجدت صعوبة في استدعاء المزيد من الخوف.

قالت سالاي، وهي تقف بجوار الباب: «إذن علينا أن نوجه ضربتنا، غدًا صباحًا، هل اتفقنا؟»

قالت آن: «اتفقنا».

<نعم> قال فورت، رافعًا لوحه. <بوجود عين الملك إلى جانبنا، لا يمكننا أن نفشل>.

نظروا إلى تريس، كانت تتمنى أن تذوي أمام توقعاتهم، يمكنهم استخدام ذرات روحها المتساقطة لتحضير المزيد من الشاي.

قالت تريس بهدوء: «ربما لا ينبغي لنا ذلك».

«ماذا؟» قالت آن. «يا فتاة، سوف تتاجر بك».

قالت سالاي: «لن أفقد عضوًا آخر في الطاقم».

تفحصها فورت بعناية.

قالت تريس: «لا يزال الطاقم على قيد الحياة بمعجزة، أنا قلقة بشأن ما سيحدث لكم إذا حاولنا محاربة كرو، إنها خطيرة، أشعر بذلك».

قال فورت: <هل ستسمحين لها بمقايضتك؟ عن عمد؟>

قالت تريس: «خدمة التنين ليست موتًا، لا أعتقد ذلك على الأقل، وربما يمكنني إيجاد طريقة للهروب، أو ... أو شراء حريتي...»

كانت تعلم أنها لم تكن منطقية، لقد أمضت أيامًا عصيبة تحاول ابتكار سلاح ضد القبطان. أرادت تريس الهرب. وفي الحقيقة، يجب ألا تشعر بالحماس؟ بالتفاؤل؟ خطتها لإنقاذ كروز سونج قد نجحت بعد كل شيء.

لكن الأكاذيب لها طريقة لإضعاف الشخص، كلما طالت مدة عيشك، أصبحت دلوًا من الطلاء المختلط، يستحيل لونك بالوقت نحو اللون البني، هذا لم يوقفني قط، لتعلم ذلك، لكنني لست تريس.

قالت سالاي: «لا يمكننا أن نخسر أمام كرو، طالما أنت لدينا، يا تريس. أنت...».

قالت تريس وهي منهكة: «لستُ يا سالاي، أنا لست عين الملك، لم أكن أعرف حتى ما هو حتى ذكرته لي». هزت رأسها. «أرجوك صدقيني».

لم يصدقوها بالطبع، ستواجه الحقيقة المملة دائمًا صعوبة في منافسة كذبة مثيرة.

قالت آن: «انظري، يا تريس، هل تعتقدين أن مشاكلنا ستختفي بمجرد أن تتحدث القبطان مع التنين؟ سنظل رهن إشارتها».

قالت تريس: «ستكونون قادرين على محاربتها، لن يكون لديها أبواغ لحمايتها، إذا سمحتم لها بمقايضتي، فلديكم فرصة أفضل للنجاح».

وضع فورت يده على يدها، ثم رفع لوحه تجاهها. <ولكن علينا أن نتعايش معها، يا تريس، أجبرتنا كرو على هذه الحياة. لم نكن نعلم أنها كانت تنوي القتل. لكن إذا لم نواجهها الآن، فلن نتمكن من استخدام هذا العذر بعد الآن. نحن نعرف حقيقتها الآن>.

أعادت تريس قراءة الكلمات مرتين. و... على الرغم من أن رد فعلها الغريزي الأول كان لا يزال الاعتراض... كان هناك شعور آخر ينمو بداخلها. وصفته بالغطرسة، وقد أخافها ذلك، لكن الغطرسة وتقدير الذات وجهان لعملة واحدة، وفي كلتا الحالتين، ستتصرف.

في ذلك اليوم، قابلت عيون فورت وأومأت برأسها. «حسنًا».

قالت سالاي: «إذن هو التمرد، غدًا صباحًا، سوف أتأكد من أن الدوج معنا».

قالت آن: «سأشتت انتباه لاغارت، إذا أطلقت المدفع، فسوف يوبخني مرة أخرى».

قال فورت: <لدي مفتاح لغرفة القبطان، هي لا تعرف ذلك، سوف ندخل وهي نائمة ونأسرها، ثم نبحر إلى البحر الأخضر ونسلمها لمسؤولي الملك في مقابل حياتنا>.

أخذت تريس نفسًا عميقًا، ثم قالت: «القبض عليها لن يكون بهذه السهولة، يا فورت. سوف تتفاعل الأبواغ الموجودة بداخلها مع الشخص الذي يحاول كبح جماحها. لحسن الحظ، لقد ابتكرت سلاحًا قد ينجح، هو...».

ماذا كان هذا؟

« هو...».

ارتجفت تريس، شعرت بشيء، حكة مألوفة مميزة برائحة خبز والدتها، دون تفكير، مدت يدها إلى الجانب، إلى الظلال تحت الحافة البارزة في منضدة فورت.

قاوم بعض الظلام هناك أصابعها، شعرت وكأنه قربة ماء ممتلئة.

كان جوهر الظلمات.

شعرت تريس بعقل آخر يتحكم به، لكنه كان بعيدًا وهي قريبة، عملت بالفطرة، واستولت على السيطرة، شعر لسانها على الفور بالجفاف. سعلت، و -بذعر- قطعت الاتصال تمامًا، انتفخ جوهر الظلمات، واستحال دخانًا أسود.

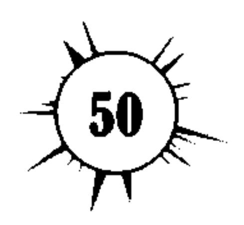
كان العقل الآخر.

كان كرو.

كانت كرو تستمع إليهم من خلال جوهر الظلمات.

قالت تريس بانزعاج: «أوه ... بحق الأقمار، كرو تعلم».

القاتلة



قرع جرس السفينة في سلسلة من النغمات الحادة المتواصلة.

قالت آن: «الكل مطلوبون على ظهر السفينة، كيف... كيف يمكنها أن تعرف، يا تريس؟»

قالت تريس: «من الأبواغ، هذا أمر يصعب شرحه».

استمر الجرس في الرنين، وبدت كل دقة وكأنها تمثل تهديدًا: موت، موت، موت.

«ماذا نفعل؟» سألت آن. «سوف تعدمنا، كما فعلت مع وييف».

قالت سالاي: «نقاتل، كنا سنفعل ذلك غدًا، علينا أن نبدأ مبكرًا. تريس، قلت إن لديك سلاحًا يمكننا استخدامه؟»

على الرغم من أنها لا تريد غير النوم، أومأت تريس برأسها، لقد ارتبكوا الآن. وقفت وفتحت الباب عازمة على الجري في الردهة إلى غرفتها للحصول على المسدس الضوئي. ومع ذلك، بمجرد أن فتحت الباب، وجدت مسدسًا موجهًا إلى جبهتها.

قال لاغارت: «حسنًا الآن، تريد الكابتن أن ترى أربعتكم على الفور، كيف هو... مناسب للعثور عليك جميعًا معًا».

عاد ارتعاش تريس، ثم تضاعف، في محاولة لتعويض الوقت الضائع، حدقت في فوهة المسدس وشعرت بفمها وقد جف مرة أخرى، لسبب مختلف. أجبرت على إخراج بعض الكلمات على أي حال.

قالت: «لا يمكنك أن تؤذيني، الكابتن تحتاج إليّ».

قال لاغارت: «صحيح، أخشى ذلك». ثم أدار المسدس وأطلق النار على فخذ سالاي.

صرخت آن واندفع فورت إلى الأمام في محاولة للإمساك بلاغارت، لكنه توقف عندما رأى مسدسًا ثانيًا موجه إليه مباشرة.

قال لاغارت: «لم تقل الكابتن أي شيء عن إحضار الثلاثة الآخرين أحياء لسطح السفينة. والآن، يا فورت، هل يمكنك قراءة ما أقوله، أم أن المسدس يتحدث بصوت عالٍ بما يكفي؟»

تجمد الرجل الضخم، لكن آن تجاهلت المسدس، وركعت واستخدمت منديلها لتضميد جرح سالاي.

شعرت تريس بالعجز، أنهت آن ربط الجرح، لكنها نظرت بعد ذلك غير متأكدة. كانوا بحاجة إلى أولام، كانت تنزف بغزارة...

قال لهم لاغارت: «هيا، لأعلى»، متراجعًا ومشيرًا نحو الدرجات. سارع عدد قليل من الدوج للصعود مرورًا بهم، وأحدث وقع أقدامهم قرقعة على الخشب.

«إنها تنزف!» قالت تريس.

قال لاغارت: «ليس بالقدر التي ستنزفه مع وجود ثقب آخر فيها، لأعلى».

دفع فورت برفق آن إلى الجانب، ثم رفع سالاي التي وضعت ذراعيها حول رقبته. أومأت برأسها إلى تريس، وهي ترتجف من الألم. حدقت آن في لاغارت، ويداها ملطختان بالدماء. لقد ابتسم للتو وهز رأس المسدس.

قادت تريس الطريق على مضض، وخرج خمستهم إلى ظهر السفينة. علق القمر القرمزي بشكل مشؤوم في سماء الليل، وسكبت الأبواغ في ضباب واسع، مثل طبقة المطر الضبابية التي قد تسقط تحت السحب على كوكب آخر. هنا، جعلها ضوء القمر الساطع تلمع مثل قطرات صغيرة من الدم المتلألئ.

وقفت كرو وحولها هالة من ضوء القمر، وكان ظلها يكسر الضوء الأحمر. تجمع الدوج على جانبي سطح السفينة، تاركين مساحة مفتوحة في الوسط للقبطان والمتمردين الأربعة. وضع فورت سالاي أرضًا، التي أمسكت بيدها بقوة على جرحها المربوط. تجمهر الثلاثة الآخرون حولها. جاء لاغارت من ورائهم، ثم صعد إلى الربع الخلفي ليتمتع بمنظر أفضل وليضع كلًّا منهم تحت نظره.

قالت كرو: «إذن، تريدون أنتم الأربعة أن تأخذوا سفينتي بعيدًا مني، أليس كذلك؟ تتمردون ضد جماعتكم؟»

لم يرد أي منهم.

قالت كرو: «بصراحة، لم أكن أعتقد أنكم تقدرون على الإتيان بذلك، مع الأخذ بعين الاعتبار كيف اضطررت إلى إجباركم كثيرًا على هذه الحياة». لوحت بيدها، وسارع دوج إلى الأمام، ووضع طاولة صغيرة على سطح السفينة في الوسط.

قالت كرو، وهي تسحب مسدسًا من حزامها وتضعه على الطاولة: «لقد تأثرت». تبعه مسدس ثانٍ ثم ثالث. «اعتبروني... والدة فخورة، لكن هذا يجعلني أتساءل، كم شخصًا على هذه السفينة يحترم حقًّا قبطانهم؟»

كان فورت يراقب لوحه، نقر بضع كلمات على ظهره. <لا أحد يحترمك يا كرو، يفعلون ما تقوليه لأنهم يخشون الأبواغ في دمك>.

قالت كرو: «مهلًا، اعتقدت أنك الشخص الذكي بينهم، يا فورت. إنها ليست الأبواغ التي يخشونها. إنهم يخشونني أنا، أليس هذا صحيحًا، أيها الطاقم؟ تفحصت الرجال من حولها، الذين تراجع معظمهم مع كلامهم، «لا بد أن أقر لك يا تريس بالفضل في تسليمهم. أنا...».

«تسليم باليد؟» قال الدكتور أولام وهو يمد رقبته من مؤخرة الحشد. «أملك...».

«اخرس يا أولام»، زمجرت كرو ولم تلتفت نحوه، أبقت عينها على تريس. «كنت أعلم أنني سأضطر في النهاية إلى التعامل مع سالاي، ربما فورت، لكنك سلمتني الجميع في طرد أنيق، مع دليل على خيانتهم». أشارت نحو الطاولة. «حسنًا، فلنشرع في ذلك، مبارزة قديمة الطراز، ثلاث مسدسات، أربعة منكم- حسنًا، ثلاثة، كما أرى سالاي تتصارع مع نتيجة غطرستها ضدي».

قالت آن: «مبارزة غير عادلة، ستوقف أبواغك أي رصاص نطلقه عليك».

قالت كرو مشيرة نحو الربع: «لا تطلقيهم نحوي إذن، اقتلي لاغارت قبل أن أقضي على ثلاثة منكم، وسأتنحى عن منصبي كقبطان».

«كابتن؟» قال لاغارت، وهو يخطو إلى حافة السور.

صرخت كرو: «ضع مسدسك بعيدًا، يا لاغارت، وقف هناك كهدف جيد».

«ولكن...» تباطأ عندما أدرك أنها بهذا القدر من القسوة، وضع مسدسه بعيدًا ببطء.

«حسنًا؟» قالت كرو. «لم تكن هذه مفاوضة، أنا لا أقدم عرضًا. إنه إنذار».

كان فورت أول من تحرك، قفز نحو المسدسات. ركلت كرو ساقها من على الطاولة، ناثرة الأسلحة على سطح السفينة، ثم اندفعت إلى الأمام وضربت وجه فورت بمرفقها. لم تسمع تريس مطلقًا مثل الصوت التي أحدثته. صوت التحطم الحاد لتكسير أعواد القرفة ممزوجًا بضربة مكتومة الصوت لترقيق صدر النورس.

صدمها الصوت وجعلها تسلم بما كان يحدث، كانت في حالة ذهول، لكنها قفزت الآن على سطح السفينة، في محاولة لانتزاع أحد المسدسات. في خضم الفوضى، لم تستطع تتبع ما كان يحدث، على الرغم من أنني كانت لدي رؤية ممتازة. قفزت كرو فوق فورت بينما كان يمسك بوجهه، ثم ضربت يد سالاي عندما حاولت الزحف إلى أحد المسدسات.

انتزعت كرو المسدس، ثم ألقته بلا مبالاة في البحر، دارت حول نفسها وسددت قبضتها في معدة تريس، ملقية بكل وزنها وقوتها وزخمها في تلك اللكمة. لفظت تريس أنفاسها ودافعها وأملها قسرًا وهي تتقلص من وقع القبضة.

لا توجد طريقة محايدة للاستعداد لتلقي لكمة، لا يوجد تدريب مفاهيمي، ولا نظرية تدرس. عندما تتعرض للضرب، نعم، يشعر جزء منك بالذعر. لكن جزءًا أكبر يصيبه الذهول. لا يمكن للعقل أن يتقبل حدوث هذا؛ لأنه لا شيء في الحياة قد أعده لمثل هذه الوحشية. من الصعب استيعاب حقيقة أن شخصًا ما كان على استعداد لإيذائك، حتى قتلك.

هذه ميزة سيحظى بها شخص مثل كرو دائمًا على الآخرين. يقبل عقلها هذه الحقائق بسهولة، سوف تتسبب في الألم، وسوف تقتل، إنها تستمتع بفعل الاثنين.

كانت تبتسم بجنون عندما رفعت الطاولة وضربتها في وجه فورت. لم تنكسر كما يحدث في بعض الأحيان في قصص قتال الحانات. لقد كانت من الخشب الصلب جيد النوعية، ارتطمت بذراعيه اللتين كانتا تحمي أنفه المكسور، وبطحته أرضًا.

ألقت كرو المسدس الثاني في البحر، ثم بحثت عن الثالث، كان في يد آن وقد وجهته نحو لاغارت.

اتسعت ابتسامة كرو، ثم أشارت لها كما لو أنها تقول: «تفضلي، على الرحب والسعة».

بدأ لاغارت يتراجع.

قالت كرو: «تحرك من موقعك يا قائد المدفعية وسأطلق النار عليك بنفسي، فكر جيدًا في الرصاصة التي تفضل المخاطرة بتلقيها».

بقي في مكانه. بدأت ذراع «آن» تهتز. نظرت إلى كرو ورأت امرأة ليس لديها ما تخسره. في تلك اللحظة كانت آن ذكية؛ لأنها أدركت أنه بغض النظر عما تفعله – سواء ضربت أم لا– فإن كرو لن تترك نفسها تخسر هذه المعركة.

كانت ستنكث وعدها إذا اضطرت لذلك، ماذا سيفعل الدوج حينها؟ يخبرون حراس الملك؟

ولكن على الأقل إذا أطلقت النار على لاغارت، فسيكون لديهم أعداء أقل ليقلقوا بشأنهم، ثبّت آن ذراعها وصوبت، أطلقت النار.

وقد أخطأت التصويب بما لا يقل عن نصف طول قارب.

ضحكت كرو، ثم دفعت آن جانبًا، عادت المرأة المشاكسة بسكين والموت في عينيها.

ضحكت كرو وأخرجت شيئًا من جيبها، مسدس قصير بفوهة واسعة للغاية.

كان مسدس تريس الضوئي.

من خلال الدموع في عينيها التي ما زالت مصدومة من اللكمة، رأت تريس القبطان تطلق المسدس وتصيب آن في صدرها. أحدث الشعلة صوتًا مكتومًا، كان جسد آن مثل الوسادة التي منعت الزناد من الإطلاق؛ لذلك سقط على سطح السفينة وفوهته لأسفل مما أدى لانفجار الكروم لتحيط بآن.

قالت القبطان: «هذا جزاء الغش»، وخبأت المسدس في ملابسها. صدمت كعبها في ساق سالاي المصابة، فصرخت المرأة من الألم. وتفقدت كرو فورت أخيرًا، كان وجهه مليئًا بالدماء، ولا يزال في حالة ذهول.

بعد التأكد من أنه لن يقف مترنحًا، مشت كرو إلى حيث ألقى لوح الكتابة السحري الغريب، ضربته بكعبها وقطعته إلى نصفين بصوت حاد.

صرخ فورت، كانت المرة الوحيدة التي سمعته فيها يتحدث، بخلاف الضحك. كانت صرخة حزينة مليئة بالحزن البشري البدائي. انحنى إلى الأمام، ووضع يديه الملطخة بالدماء على وجهه الدامي، تشنج وهو يبكي.

أدركت تريس أخيرًا هدف كرو، قد يلهم قتل أربعتهم التمرد بين الدوج. لقد تعلمت من إعدامها وييف. الموت يصنع الشهداء، الذل يصنع العبيد.

طأطأ الدوج رؤوسهم عندما قامت بتفحص سطح السفينة، تحول حزن فورت إلى حزن صامت وشخصي. خيم الهدوء على السفينة، لكنه لم يكن هدوء ليلة تساقط الثلوج، كان هدوء غرفة مستشفى بعد وفاة أحد أفراد الأسرة.

هزمت كرو أفضل أربعة ضباط على متن السفينة، ولم تكن بحاجة حتى إلى دم أبواغها الغريب. قال لي أولام لاحقًا بأنه فوجئ بأن الأبواغ لم تتجل، كان لدى كرو سيطرة أفضل على مرضها أكثر مما أدركه أي منا. لقد احتفظت بالكروم عمدًا؛ لذلك لن يتساءل أحد لاحقًا عما إذا كانت أقل خطورة بدونها.

بعد اليوم، لن تكون هناك مقاومة للقبطان مرة أخرى.

صاحت كرو: «يا قائد المدفعية، أنزل المرساة».

«كابتن؟» قال لاغارت. «لكنك قلت إننا بحاجة إلى مواصلة الإبحار للوصول إلى العرين...».

«لقد وصلنا».

«ولكن...».

قالت كرو: «نصيحة سريعة، يا لاغارت، إذا كنت تشك في حدوث تمرد، أخبر الناس دائمًا أن الرحلة ستنتهي بعد أيام قليلة من انتهائها بالفعل. تجبر الطبيعة البشرية الجبناء على الانتظار حتى آخر لحظة ممكنة قبل أن يجربوا أي شيء».

نزلت المرساة وأحدثت سلسلتها خشخشة، لم تكن كرو تخادع، لقد اقتربنا بدرجة كافية على الرغم من عدم وجود موقع محدد يحتاج المرء للوصول إليه لجذب انتباه التنين. كنت ببساطة بحاجة إلى أن تكون داخل المنطقة التي يراقبها. أثبتت كرو ذلك من خلال إلقاء رسالة في البحر، محفوظة في الزجاجة التقليدية، متبعة إرشادات دفتر ملاحظاتها.

ثم رفعت تريس على قدميها، وقيدت الفتاة بقبضة على كتفها كقبضة الموت. قالت كرو: «أنت، ستذهبين معي بهدوء وعن طيب خاطر، أو سأجعل لاغارت يبدأ في إعدام أصدقائك، هذا إنذار آخر».

أومأت تريس برأسها؛ لأنها لم تسترد أنفاسها بعد. كان أول قتال حقيقي لها، واستمر للكمة واحدة بالضبط. كانت عيناها لا تزالان تدمعان، وبطنها يؤلمها. شعرت بعدم الجدوى، على الأقل حتى رأت سالاي تنظر إليها.

عندها شعرت تريس بأنها عديمة القيمة.

كانت سالاي تمسك بفخذها، حيث كان الدم يتسرب من خلال الضمادة المؤقتة. من خلال ألمها كانت تتطلع إلى تريس متوسلة.

ابتعدت تريس.

في تلك اللحظة أدركت سالاي أخيرًا. لقد آمنت أخيرًا. «لم تكوني عينًا قط، أليس كذلك؟»

«لا»، همست تريس. «أنا... حاولت إخبارك...».

سقطت سالاى على سطح السفينة مهزومة.

بدأت الأبواغ في التموج وراء السفينة، ثم دارت في دوامة كما لو كانت تنضب من الأسفل، هرعت أنا والدوج إلى الجانب، وشاهدنا نفقًا كبيرًا يظهر بين الأبواغ، جوانبه صلبة على الرغم من الفوران، أفضى إلى ظلام. لقد تلقى أكسيبيس الرسالة.

صرخت كرو: «أعدوا الزورق». بمجرد أن أصبح الزورق الصغير جاهزًا، معلقًا بجانب السطح، أجبرت تريس على الدخول.

صعد كرو بعد ذلك وأومأت برأسها إلى لاغارت، الذي كان يصوب مسدسًا نحو آن. صرخت كرو: «إذا لم نعد بعد ساعة، اقتل أحدهم».

سقطت تريس على مقعدها، ثم شعرت بيد على كتفها، نظرت ورأتني أمدها عبر السور.

همستُ: «لا يزال لديك كل ما تحتاجين إليه».

تراجعت في لحظة بعيدًا عن القبطان، وخفض الدوج القارب مثل مصعد مؤقت لنقلهم إلى مستوى سطح البحر.

دفعت كرو تريس إلى الأمام عندما خرجوا إلى الأبواغ الصلبة بشكل غريب، ثم بدأوا في النزول إلى النفق.

✵

التنين



إن بحار البوغ ليست بهذا العمق نسبيًّا. بالمقارنة، على سبيل المثال، بعمق الهاوية الإيقاعية على كوكب ثرنودي، فإن البحار البوغية هي عمليًّا برك.

ولكن عندما يتعين عليك المشي إلى القاع، وطوال الوقت يتم تكبيلك ودفعك بواسطة قرصانة عديمة الصبر ومصابة بمرض عضال، قد تبدو بضع مئات من الأمتار أبعد بكثير. ومع ذلك، فقد تغلبت على الطريقة التقليدية للوصول إلى قاع المحيط.

حملت كرو فانوسًا، ومن الطريقة التي يلمع بها الضوء في النفق القرمزي بدا الأمر كما لو كانوا يتسلقون حنجرة التنين. تساءلت تريس عما سيحدث إذا تعرضت الجدران الصلبة للماء. هل ستنمو منها الأشواك، أم أن قوة التنين الغريبة تمنع الأثير من أن يظهر نفسه؟ فكرت تريس في لعق الحائط فقط لترى ماذا سيحدث، وهذا يشي بأكثر مما أستطيع شرحه عن التغييرات التي لحقت بها.

في النهاية، أصبح النفق مستويًا، ثم أفضى إلى غرفة واسعة مصنوعة أيضًا بالكامل من الأبواغ الصلبة. كانت تريس تتوقع الوصول إلى القاع ومعرفة ما كان هناك. هل كانت حجارة، أم تربة، أم مجرد أكوام وأكوام من أشواك الأثير الغارقة منذ آلاف السنين من المطر؟ قدرت أن لديها باقي حياتها هنا لتعلم.

مع هذه الخاطرة، شعرت بالثقل الحقيقي لكل ما يحدث، كانت ستقضي حياتها هنا، لقد خذلت تشارلي. بالقدر نفسه من السوء، بل والأكثر رعبًا إلى حد ما في الوقت الحالي، قد لا ترى الأقمار مرة أخرى. احتمالية عدم رؤية السماء مرة أخرى، وعدم الشعور بأشعة الشمس مرة أخرى، وعدم الاستحمام في وهج القمر الأخضر... جعلتها تشعر بالوهن الشديد في ركبتيها.

دفعتها كرو للأمام على أي حال، فتعثرت تريس في الغرفة القرمزية الواسعة، ثم سقطت على ركبتيها. خنقت مشاعرها؛ لأن الدموع يمكن أن تكون قاتلة إذا تمكنت تلك الأبواغ بالفعل من تجسيد الأثير؛ لكنها لم تستطع منع الارتعاش والارتجاف. لبعض الوقت، كانت عديمة الحساسية تجاه شتائم كرو، حتى ركلاتها غير اللطيفة.

كان الأمر أكثر من قدرتها على التحمل. تراكمت أحاسيس اليوم على تريس في كومة ثقيلة بثقل المحيط نفسه. هل كان شعورها بالحيوية والارتياح والانتصار حين تم سحبها تحت المطر في وقت مبكر من بعد ظهر اليوم فقط؟

هل يمكن أن يحتوي اليوم على الكثير من اللحظات؟ نعم، كانت ساعات ودقائق اليوم هي نفسها كل يوم، لكن كل دقيقة كانت ممتلئة في ذاتها، مثل قربة النبيذ التي تكاد أن تفيض. شعرت تريس كما لو أن كل شيء سيتسرب منها، وستتقيأ المشاعر في كل مكان، لم يتبق منها ما يكفي لاحتوائها.

لا يزال لديك كل ما تحتاجين إليه...

هل كان يقصد المسدس الضوئي؟ كانت كرو تحمله، أليس كذلك؟ لكن تريس لن تتغلب على كرو في سجال جسدي، لديها دليل عملي قاطع على ذلك.

«على قدميك يا فتاة» قالت كرو وهي تسحبها، ثم تدفعها إلى الأمام.

بدت الغرفة التي أمامهم فارغة، باستثناء أعمدة بوغ ضخمة ملفوفة بشرائط سوداء من القماش. أحرقت المباخر في الزوايا كاشفة عن ممر كبير يؤدي بعيدًا إلى اليمين، لكنها لم تبدد ظلام الغرفة تمامًا. في الواقع، ساد الظل، كما لو أن الأضواء موجودة فقط بسماحة منه.

«أيها التنين؟» تردد صوت كرو. «لقد أتيت كما هو مشروط مع القربان الصحيح! اظهر نفسك!».

وجدت كلمة «تنين» طريقها إلى كل مجتمع زرته تقريبًا، ولكن على عكس اسم «دوج»، لم يكن هذا نتيجة علم اللغة الطبيعي، بل تأكدت التنانين من أنهم معروفون وباقون في الذاكرة، وهو إنجاز يتم تحقيقه غالبًا من خلال التفاعل مع المجتمعات المذكورة خلال سنوات تكوينها.

مثل الطفل الذي يتعلم اسمه، تتعلم الثقافات احترام التنانين والخوف منها، إنها مسألة مواءمة في الحقيقة. على الرغم من أن الغالبية العظمى من الناس في الكون لن تقابل تنينًا أبدًا، ناهيك عن رؤية تنين في شكله الطبيعي، إلا أن التنانين تحب التفاعل مع البشر، مثل الجدة التي تحتفظ بعناية بالخيط الذي أحاط بطردها، تريد التنانين أن تعرف أن لديها عددًا معينًا من الثقافات التي يسهل التأثير عليها، ليوم أسود يضرب به المثل.

كل ما سبق كان تقدمة لشرح أن تريس وكرو عندما رأتا ظل يتحرك أسفل القاعة الكبيرة إلى اليمين، كانا تعرفان نوعًا ما ما يتوقعانه. في الواقع، كان له عنق متلوٍ، وجسم زاحف، وجناحان كبيران، بدا كما لو كان يحجبان السماء.

كانت التفاصيل الأخرى غير متوقعة، على سبيل المثال، لبدة الشعر الفضي التي تزين رأس التنين، والتي تمتد أسفل العنق والذقن كلحية، أو الحواف الفضية المعدنية التي تقسم جلد التنين ذي لون العقيق، وتوضح ملامحه. امتد اللون الفضي على جوانب الأطراف الستة، حتى جوانب العنق، وشكل قرنين مصقولين، مصحوبين بخط من الأشواك أسفل الظهر أكثر خضوعًا، رعايا عظمة تلك القرون الملكية.

كان هناك بشر آخرون في منزل التنين، على الرغم من أنه لم يُسمح لهم بالوجود في صالة الدخول عند وصول متلمسي العلاج. لم يرد أكسيبس أن يتلوث خدامه بأشياء تذكرهم بالعالم الخارجي. على أي حال، كان لديهم عمل مهم للقيام به: خدمته وأبحاثه في النظام البيئي المعقد في قاع بحار البوغ.

من الشائع افتراض أن التنانين تجمع ثروات ضخمة، وكنت أتساءل غالبًا ما إذا كانت هذه الحكاية قد بدأت بسبب المعدن الأخروي الذي تركه وراءه على جثثهم. لم أعرف قط أن التنين مغرم بالثروات. بل الأفكار ... كانوا يكتنزونها، وفي هذا الصدد هم بخلاء يليقون بالأسطورة.

لم يهز التنين الأرض على الرغم من حجمه الهائل. (بلغ طوله على الأقل طول أربعة أشخاص يقف بعضهم على أكتاف بعض). في الواقع، بدا وكأنه ينزلق وهو يقترب، يتدفق حول الأعمدة، ويدخل في الظلال في وسط الغرفة. انعكس ضوء النار على فولاذ التنين، مما جعله يبدو وكأنه معدن سائل بينما كان يلوح في الأفق فوق المرأتين، شهقت تريس حتى كرو تراجعت.

عندما لم يتحدث إكسيسيس، استجمعت كرو شجاعتها، كانت على بعد خطوة أو خطوتين منه فقط، وتحدثت. «أيها التنين إكسيسيس لقد جئت لبدء ميثاق وعدك التليد». أشارت إلى تريس. «تحقيقًا لهذه الغاية، أحضرت لك هذه العبدة للعمل في مملكتك».

انحنى التنين، كانت أنفاسه مثل خشب جوز محترق، معاينًا تريس. نظرت إلى تلك العيون التي كانت متلألئة من عرق اللؤلؤ، واعتقدت أنها رأت فيها اللانهاية، ثم رأت نفسها وكرو في انعكاسها.

لديك كل ما تحتاجين إليه...

لم تتلاشَ شجاعة تريس قطّ، على الرغم من قصفها بكل المشاعر الأخرى. عندما بدأت تتألق، أصابت نزوة معينة تريس. لم يكن لدى كرو ما تخسره... لكن تريس كانت ستخسر كل شيء. وفي تلك اللحظة راهنت كل ذلك على حيلة يائسة.

قالت تريس بصوت أجش: «أيها التنين إكسيسيس، لقد جئت لأبدأ ميثاق وعدك التليد. تحقيقًا لهذه الغاية، جلبت لك هذه العبدة للعمل في مملكتك». ثم أشارت تريس إلى كرو.



القربان



«... ماذا؟» قال التنين.

« ... ماذا!» قالت كرو.

أوضحت تريس: «سوف تكون عبدة جيدة، إنها قوية للغاية، يمكنني أن أريك الكدمة على معدتي كدليل، وهي لا تخاف على الإطلاق من الأبواغ، لقد استخدمت أثير الظلمات في وقت سابق الليلة».

أمسكت كرو بتريس محاولة على ما يبدو إسكاتها بالقوة. قاطع التنين ذلك عن طريق مد ساعده بشكل متعمد إلى الأمام، ونقرت مخالبه الخمسة الفضية -كل منها بطول ساق كرو- على الأرض القرمزية.

قال بصوت عميق: «لن أجعلكما تؤذيان بعضكما في منزلي، ستكون واحدة منكما خادمتي، وأنا لا أحب الممتلكات المتضررة».

نظرت كرو إلى انعكاس صورتها في مخالب فولاذ التنين، ثم تركت تريس.

قالت كرو: «أيها التنين العظيم، هذه الفتاة هي الخادمة التي تم إحضارها كثمن لخدماتك، أنا قبطان السفينة!».

قالت تريس: «إذن أنت تقولين إنك الجائزة الأكثر قيمة»، وهي تفرك حلقها حيث من أثر أظافر كرو.

قال أكسيبيس: «أفضل أن يكون خادمي من نوعية معينة». لم يكن صوته عميقًا بالمعنى الموسيقي، بل بالطريقة التي قد تهتز بها الأرض بصدى عميق أثناء زلزال.

«لكنك تفضل أيضًا خادمًا صغير السن، أليس كذلك؟» قالت كرو، مدركة أنها سوف تضطر إلى عرض قضيتها. «أنا عجوز ومتكلسة وعنيدة، إنها شابة سهلة التشكيل، لم يمض على خروجها من جزيرتها أكثر من شهر الآن!».

استقر التنين عاقدًا ذراعيه، ما أثار رعب المرأتين أنه بدا متسليًا.

قال لتريس: «حسنًا، هل لديك رد على ذلك؟»

قالت تريس: «أمم، تبدو كشخص يستمتع بالتحدي، أيها سيكون أكثر إثارة للاهتمام للتدريب؟ فتاة لا تعرف شيئًا، أو قبطان بحر نابضة بالحياة، مليئة بالمهارات التي يمكنك سبر أغوارها؟»

قال التنين: «أفضل عدم بذل الكثير من الجهد في تدريب عبيدي، يا فتاة، أنت تجادلين ضد مصلحتك».

قالت كرو: «نعم، بالإضافة إلى أنها أكثر خبرة في الأبواغ، لقد كانت تبني أجهزة بمهارة، صممت نوعًا من القنابل الخضراء التي رفعت سفينتنا عاليًا فوق البحر فلم تدمرنا الأمطار! وصنعت مسدسًا يطلق الأبواغ، هذه الفتاة هي نوع من معجزة الأبواغ، سوف تخدمك بشكل جيد».

«هل هذا صحيح؟» سأل التنين تريس. «هل فعلت هذه الأشياء؟»

اعترفت تريس: «نعم فعلتها، أنا لست ذكية جدًّا على الرغم من ذلك، لقد أخذت فقط بعض التصميمات التي وجدتها وقمت بتعديلها».

أشارت كرو: «هي متواضعة أيضًا، من يريد خادمًا متعجرفًا؟»

قالت تريس: «كرو لديها خبرة في قيادة الناس يا سيدي، ستكون ناظرة ممتازة لعبيدك».

«ها!» قالت كرو. «أخبريه بصدق بما يفكر فيه طاقمي بي! إنهم يكرهونني، أليس كذلك يا تريس؟ اعترفي بذلك».

أراح التنين رأسه على ساعديه، وبدا تقريبًا كأنه كلب رابض ورأسه على كفوفه، وابتسم ابتسامة عريضة وهو يتابع المحادثة.

قالت كرو: «يا أكسيبيس القوي، هذه الفتاة محبوبة لدى طاقم سفينتي، لقد كسبت قلوبهم بعد فترة قصيرة من الإبحار معنا، إنها طاهية ممتازة، وناكرة للذات بشكل مثير للغثيان، عندما سمعت أن صديقاتها سيذهبن إلى التمرد لمنعي من مقايضتها معك، عرضت أن تذهب طواعية لإنقاذهن من الخطر».

«هل هذا صحيح؟» سأل التنين تريس.

«أنا...»، قالت تريس. «أيها التنين العظيم، إن كرو بحاجة أن تأخذها كخادمة، إنها تموت من الأبواغ التي في دمها، فقط بالعيش معك يمكن أن تشفى، سيكون من الرحمة والحكمة منك أن تأخذها».

«ها!» قالت كرو، مشيرة إلى تريس. «إنه يعلم أنني سأطلب الشفاء من خلال مقايضتك! سأعيش بصحة بعد ذلك».

قال التنين: «صحيح يا صغيرتي، أنت تفقدين حججك بسرعة». أشار إلى كرو. «لا أستطيع أن أرى سببًا لرغبتي في الحصول على هذه القذارة في مملكتي عندما يكون لدي شخص معتدل ومحبوب وماهر».

قالت كرو: «كان يجب أن تكوني أكثر فظاعة يا فتاة، لقد حذرتك من أن هذه الحياة ليست لك».

«أنا ...»، أخذت تريس نفسًا عميقًا، ناظرة إلى التنين. «أعتقد أنني سأكون خادمة سيئة أيها التنين العظيم؛ لأنني حقًّا حقًّا لا أريد أن أكون واحدة».

«وأنا كذلك؟» قالت كرو. «أنا...».

أسكتها التنين بنقرة من مخلبه. ضاقت عيناه قزحية اللون وهو يحدق في تريس. «قولي لي لماذا لا ترغبين في خدمتي؟ على عكس ما قيل لك، إن عبيدي يعاملون معاملة حسنة، لن تعرفي أي مرض أثناء وجودك هنا، سيوكل لك عمل ممتع ووجبات منتظمة وكتب لقراءتها في وقت فراغك».

قالت تريس: «لكن أيها التنين، يا سيدي، هناك شخص يجب أن أنقذه، الرجل الذي أحبه أسير، أحتاج إلى تحريره».

قال التنين: «أنا لا أهتم بقلوب البشر، باستثناء طعمهم، هل لديك أي حجة أخرى لماذا لا ينبغي عليّ اصطحابك الآن وتكليفك بالعمل في المطابخ؟»

«لأني... لأني...» ربما قبلت تريس السابقة مصيرها، كانت تريس السابقة ستريد إرضاءه، لكن تريس تلك قد ماتت.

لقد صاغتها الأحداث فباتت تريس جديدة.

قالت تريس: «لأنني لن أبقى، بغض النظر عما تفعله، لن أتخلى عما أريده أيها التنين».

«لم يهرب أحد من مملكتي على الإطلاق».

قالت تريس: «إذن سأكون أول من يفعل ذلك»، قالت وصوتها يرتفع بالتدريج. «لأنني أستطيع أن أعدك بهذا، أيها التنين العظيم، لن تكون قادرًا على الوثوق بي لتركي وحدي، سأكرس كل ما لدي، كل فكرة، كل لحظة، كل نفس من أنفاسي؛ للهروب منك! لن أهدأ، لن أرضى عن نفسي بمرور الوقت! لن أفقد عزيمتي! سوف أجد مخرجًا حتى لو اضطررت إلى دك كهفك بالكامل! حتى لو اضطررت للسير عبر الأبواغ! حتى لو استغرق الأمر خمسين عامًا، فلن أتراجع أبدًا. وأنت أيها التنين، سوف تضطر في النهاية إلى قتلي لإيقافي؛ لأنني سوف أصل إلى بحر الظلمات، وسأعثر على الساحرة، وسأنقذ الرجل الذي أحبه!»

تردد صدى صوتها في الغرفة الكهفية، ترك التنين الصدى يتلاشى، وهو يراقبها بعيون قديمة.

«الساحرة؟» قال أكسيسيس. «هل ستحاولين مواجهة الساحرة؟»

أومأت تريس برأسها.

«إذن ربما يكون أسرك الآن رحمة».

«بالضبط!» قالت كرو. «تمامًا كما كنت...».

«أوه، اصمتي». لوح التنين بمخالبه في اتجاهها، اهتز القماش الذي يلف أقرب عمود فجأة كما لو كان على قيد الحياة. اندفع إلى الأمام، والتفت حول وجه كرو وكممها.

درس إكسيس تريس، وتفحصها بتلك العيون الدوامة غير المفهومة. قال أخيرًا: «أنا أصدقك، أنت لديك الكثير من الدوافع التي ستمنعك من أن تكوني خادمة مفيدة».

قالت تريس: «شكرًا لك».

بدأت كرو بدورها تتنفس في الكمامة، وعيناها متسعتان. أطبق عليها القماش الأسود الغريب أكثر، ثم شد ظهرها بقوة على العمود.

«إنها حقًّا فظيعة، أليس كذلك؟» قال التنين.

قالت تريس: «أخشى ذلك يا سيدي».

«حسنًا، أعتقد أنني بحاجة إلى شخص ما لتنظيف الأرضيات، الآن بعد أن قمت بترقية ليلى» تمدد التنين، ووقف وقوس ظهره مثل قطة طولها أكثر من عشرين قدمًا ومغطاة بالحراشيف. «أحرص على عدم التدخل كثيرًا في أعمال المجتمع أعلاه، إذا كنت حقًّا قد حققت الاكتشافات التي ذكرتها، فإن الاحتفاظ بك سيتسبب في قطع التقدم التكنولوجي للكوكب، سأختار ذلك كعذر للسماح لي بالرحيل».

«عذرًا سيدي؟» سألت تريس.

قال: «نعم، عذرًا»، موضحًا أنه لن يشرح أكثر. «ماذا تطلبين في المقابل؟»

«... مقابل؟» نظرت تريس إلى كرو. «أوه! لم أصل إلى هذا الحد يا سيدي. و... لم أعلم أنه يمكنني الحصول على مقابل لبيع شخص ما...»

قال أكسيسيس: «إذا كانت حقًّا آكلة أبواغ، فقد أنقذت حياتها. يمكنني أن أشفي المرض، نعم، لكنني لم أذكر لها أن الشفاء يدوم لمدة عام أو عامين على الأكثر. سوف يتفشى المرض من جديد طالما أنها بعيدة عني. إن سبيلها الوحيد للبقاء على المدى الطويل هو البقاء هنا».

فكرت تريس فيما قال، إذا كان يكذب -وكان العلاج دائمًا- فستكون هذه طريقة ممتازة للتأكد من بقاء كرو معه طواعية. وهكذا، رأت تريس أنه من الحكمة التزام الصمت بشأن هذه المسألة.

قال التنين: «بغض النظر، تم إبرام الصفقة، يجب أن أدفع لك، على الرغم من رأيي في سوء المقايضة؛ لذا اسألي الهبة التي تريدينها، أسرعي».

«هل يمكنك إزالة اللعنة التي ألقتها الساحرة؟»

قال: «لا، ولن أفعل أي شيء للمساعدة في سعيك، هناك كائن واحد على وجه التحديد أخشاه على هذا الكوكب، لا، صديقك سيفاندريوس لا يحسب».

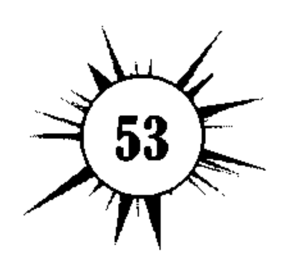
يا للفظاظة.

«لا أعرف إذا كان هناك أي شيء أريده...» قالت تريس، وقد استبد بها الشعور بالإرهاق. «حياتي كافية». ترددت. «إلا إذا...»

«نعم؟»

«هل يمكن منحي ثلاث هبات صغيرة بدلًا من واحدة كبيرة؟»

الناجية



بعد وقت قصير، صعدت تريس المنهكة الأمتار القليلة الأخيرة من النفق، وهي تحمل ثلاث عبوات مغلفة بالقماش: واحدة كبيرة واثنتان أصغر.

كان في استقبالها مشهد لاغارت وهو واقف يراقب من سور السفينة، وقف الاثنان في مواجهة بعضهما وقد اتسعت عيناه، ثم تسللت الفطرة السليمة من ورائه محدثة ألمًا في جانبه، أنزل بندقيته وابتعد.

سمح هذا بظهور حشد من الوجوه الأكثر ودية، هللوا بينما استقرت تريس ببطء في زورق السفينة، انهار النفق على نفسه بمجرد أن بدأ دوج في رفعها إلى سطح السفينة. بالأعلى استقبلتها آن مذهولة.

«كيف؟» سألتها. «كيف؟»

قالت تريس: «ربما كانت على القبطان أن تكممني. خذي ملاحظة يا آن: إذا ذهبت في أي وقت لإجراء صفقة مهمة، فتأكدي من أن المبيع لا يمكن أن يتحدث عن نفسه».

ستندهش من عدد المرات التي كانت فيها هذه النصيحة ذات صلة خلال رحلاتي.

«تفضلي» قالت تريس، وهي تسلم آن أحد الطرود الصغيرة. «لم يستطع التنين مساعدتي في حل مشكلتي؛ لذلك حصلت على هذا من أجلك».

أخذتها المرأة بعبوس، لكن تريس كانت متعبة للغاية لتشرح في الوقت الحالي. أدرك الطاقم ذلك، وأعطوها مساحة صغيرة وهي تشق طريقها إلى حيث كان الدكتور أولام يرعى فورت وسالاي. كانت جروحهم تلتئم بالفعل بواسطة أحد مراهمه الرائعة، لم يشف أي شخص على الفور، لكنه قام بتسريع الالتئام تاركًا شعورًا أفضل بكثير.

كان أولام يشرح فوائد الأنوف المختلفة التي يمكن أن يقدمها (كنت أرغب دائمًا في تجربة تلك التي لا تشم رائحة الجبن)، لكن فورت انهار على السور، وهو يحدق أمامه في ذهول.

ركعت تريس، ثم فكّت الحزمتين المتبقيتين برفق. في الداخل كان هناك لوح آخر مثل الذي دمرته كرو. جلس فورت على الفور. وتردد بصره بينها وبين اللوح ثم عانقها، لا حاجة للكلمات. صعدت «آن» ممسكة بزوج من النظارات كانت قد فكتها، أحد طرفيها يتدلى من أصابعها كما لو كانت تمسك بفأر ميت من ذيله.

أوضحت تريس: «يقول التنين أن لديك شيئًا يسمى متلازمة صغر المرئيات. قدم شرحًا تقنيًا، لكنني لم أفهمه. لا أعرف ما إذا كان هذا المرض قد تسبب بطريقة ما في إصابة شخص يقف خلفك، لكن... حسنًا، يجب أن تساعدك هذه النظارات».

سلمت تريس الطرد الأخير -هو أقرب إلى مظروف- إلى سالاي، ثم وقفت وسارت إلى الدرجات حتى الربع. استقرت على الدرجات وحاولت استيعاب كل شيء.

تركها الآخرون بمفردها في الوقت الحالي؛ لذلك لم يتم مقاطعة تريس حتى جاءت سالاي وهي تعرج مستخدمة عكازًا.

لاحظتها تريس، «ربما ينبغي عليك الابتعاد عن تلك الساق».

هز سالاي كتفيها، واستقرت ببعض الجهد بجانبها، كانت تحمل ورقة مطوية.

قالت سالاي: «مدينة فيليستارد، لقد بحثت هناك من قبل».

«يقول التنين أن والدك وصل إلى هناك منذ ستة أشهر».

قالت سالاي: «اللعنة، بعد أن غادرت مباشرة، كنت سأستمر في البحث، ولم أكن لأعرف أني خلفته ورائي...» مدت يدها وعانقت تريس.

كان هذا بالضبط ما احتاجته تريس في ذلك الوقت، عندما تبدأ العواطف في التسرب، فمن الأفضل إعطاء الجسم ضغطة جيدة لإجبارها على الخروج، مثل الخُراج.

عندما أفرغتا شحنة العواطف للحظة، أجبرت سالاي نفسها على الوقوف، واضعة عكازها تحت ذراعها ومؤدية التحية. «سوف يستغرق الأمر منا حوالي أسبوع للوصول إلى بحر الظلمات، أيتها القبطان، لكن المؤن يجب أن تصمد على ما يرام، اشترينا الكثير منها في الميناء الأخير».

«سالاي...» قالت تريس، «يجب أن تكوني أنت القبطان».

قالت سالاي: «لا يمكن أن أكون القبطان، وظيفتي التأكد من أن القبطان يتخذ قرارات جيدة، هذا هو الضابط الأول».

«ولكن...»

قالت سالاي: «أنت تحاولين اتخاذ قرار سيئ، يا كابتن، هل ترين؟ أنا جيدة في عملي».

قالت تريس: «إن بحر الظلمات خطير، لم يكن التنين على استعداد لتقديم أي مساعدة لي هناك. حتى هو يخشى الساحرة».

قالت سالاي: «حسنًا، سيكون علينا فقط معرفة كيفية عبور الظلمات مثلما فعلنا مع القرمزي، هل نبحر الآن أم ننتظر إلى الصباح يا كابتن؟»

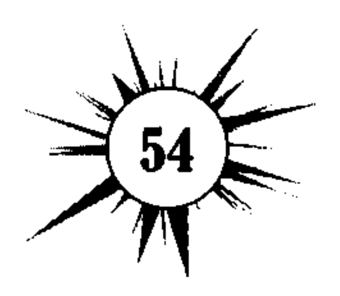
ذوت أي اعتراضات أخرى قبل أن تتمكن تريس من إخراجها،

كان هذا ما أرادته.

قالت تريس: «نبحر الليلة يا قائدة الدفة، وإذا كنت أنا القبطان، فسأذهب لأطالب بسرير كرو، لا توقظيني ما لم يظهر الموت بنفسه ضامرًا الشر، حتى عند حدوث ذلك حاولي المماطلة».


6

الخادم الخاص



يميل الناس لتخيل الوقت على أنه متجانس وثابت ومستقر، إنهم يضعون حدودًا لليوم، ويخلقون الأدوات لقياسه، ويقطعونه إلى ساعات، ودقائق، وثوانٍ. إنهم يتظاهرون بأن كل شريحة تماثل الأخرى، في حين أن بعضها في الواقع عبارة هي مثل شرائح اللحم عالية الجودة، والبعض الآخر مليء بالغضاريف.

فهمت تريس هذا الآن؛ لأنها كان تختبر يومًا مُشبِعًا مليئًا باللحم والدهن تليه قلة هزيلة عجاف تمر مرور الكرام. على الرغم من أنها ليست أيام العطلة، فإنها كانت سريعة الزوال، على الرغم من التوتر المتزايد. اقتربت السفينة بثبات من بحر الظلمات، وتوقفت مرة واحدة فقط عندما اضطرت تريس إلى رفعها بالكروم أثناء السكون.

غاب عنهم المطر في تلك المرة، لكن لم يشتك أي من أفراد الطاقم من متاعب تقطيع الكروم من حول السفينة. إذا كان هناك أي شيء، فإن عدم هطول المطر كان بمثابة تذكير بأنهم - بجميع المقاييس- يجب ألا يكونوا على قيد الحياة.

شعرت تريس بالقوة الدافعة في رحلتها، طيف رياح خلفية، كانت داعمة، لكنها أيضًا لا تكل ولا تمل. بعد كثير من التجوال، وكثير من اللف والدوران، كان الهدف يتحقق. كانت تبحر لمواجهة الساحرة، ربما كان هذا هو ما جعل الأيام تمر بهذه المرونة، إذا كان الجزء الأول من رحلتها هو بمثابة جذب القوس، فقد تم الآن إطلاق السهم.

قررت أيضًا التخلص من القليل من الثقل العاطفي. لقد سئمت الكذب والخداع. جمعت سالاي وآن وفورت، ثم عرفتهم على هوك بصراحة غير مناسبة إلى حد ما عند محاولة كتابة قصة.

وافق هوك على مضض، ربما لأنه كان فقط مبتهجًا للغاية عندما دخلت تريس مقصورة القبطان في الليلة التالية لمواجهتها مع التنين، واكتشفه في قفص صغير، والقط يخدش على القضبان. على الرغم من كل شيء، وجدت تريس بداخلها مجالًا للشعور بالذنب لعدم التفكير فيه. في دفاعها، افترضت أنه آمن في غرفتها، على الرغم من أن معرفتها بأن تفتيش كرو الدقيق للمكان كان يحتم عليها أن ترفع إن لم يكن العلم الأحمر، على الأقل راية فوشيا.

ومع ذلك، فإن حماسته لسماع مآثرها قد أزالت هذا الشعور بالذنب بعيدًا مثل إزالة الأوساخ من على النوافذ. والآن جلس في راحة يدها، عرّف نفسه لضباط السفينة، موضحًا كيف التقى هو وتريس، بعد ذلك انتظر هو وتريس رد فعلهم.

كتب فورت <لقد فعلت الكثير للمساعدة، يا هوك! بحق الأقمار! علينا إخبار الدوج، لا يجب أن يدوس أحد عليك! أنت بطل!>

انتعش الفأر.

قالت آن: «نعم، وعلينا أن نفعل شيئًا حيال تلك القطة، لا يمكننا تركها

تتجول بحرية! سأبني قفصًا أو أي شيء من أجلها، سأبقيها في غرفتي حتى الميناء التالي».

تحول الجميع إلى سالاي، التي بذلت قصارى جهدها لتبدو هادئة وثابتة على الرغم من عكازاتها. فركت ذقنها. قالت: «فأر في الطاقم، أخبرني... ما رأيك في قبعات القراصنة الصغيرة؟»

معلومة داخلية: اتضح أن هوك قد أغرم بهم، بصراحة كان الأمر ملهيًا قليلًا.

الشيء الثاني الذي فعلته تريس باسم الصدق الصريح هو شرح التحديات التي ستواجهها في بحر الظلمات، وهذا بدوره دفعها لتوضيح من هي، ولماذا تركت منزلها، وماذا كانت تحاول القيام به.

حينها سألتها آن عن سر روعة هذا الرجل الذي أحبته، بذلت تريس قصارى جهدها للشرح، على الرغم من أنها كانت متأكدة من أن الأشخاص الذين سافروا حول العالم مثلهم سيجدون حبها بسيطًا وعاديًّا.

لكنها استخفت بقوة الكلمات البسيطة المنطوقة بشغف، لم يشكك فيها أحد بعد ذلك.

لذلك، غربت الأيام مثل القمر القرمزي خلفهم، بينما كسر قمر حالك السواد الأفق أمامهم، لم يعكس أي ضوء، وبدا فراغًا أكثر من كونه كائنًا، كنفق للعدمية. عندما ظهر من الأفق، كانت تريس تخشى -بشكل غير منطقي- أنه سيستمر في النمو، وألا يكون قمر الظلمات بحجم الأقمار الأخرى، بل سيتحول إلى ظلام هائل يبتلع السماء بأكملها.

للهروب من مشهده، أمضت تريس وقتًا في مسكنها الجديد، خصصت للقبطان مساحة أكبر بكثير مما كانت مخصصة لها، على الرغم من أنها لا تزال تستخدم غرفتها القديمة لإجراء تجارب الأبواغ. ملأت صفحة بعد صفحة من دفتر ملاحظات القبطان بأفكار منبوذة حول كيفية حماية السفينة أثناء عبورها بحر الظلمات.

كانت المشكلة تكمن في عقلها الذي لم يعد يعمل بشكل صحيح، في حين كان عقلها يغتنم الأفكار بقوة مفترسة، بدا الآن كأنه محاصر في غرفة، يخدش الجدران بلا فائدة ولا طائل من هذا الجهد.

ماذا حدث لإبداعها؟ ماذا حدث لاستبصارها الذي ميز ذاتها؟ ازداد إحباطها أكثر فأكثر حين انسل كل يوم من بين أصابعها، ولم يخلف أي تقدم أكثر من شعر أجرد وصفحة أخرى مكتوبة في دفتر الملاحظات، ما خطبها؟

لا شيء.

لم يلم خطب بها، كان عقلها يعمل بشكل صحيح، لم تفقد إبداعها، لم تنفد أفكارها، كانت ببساطة منهكة.

نميل لتخيل الناس على أنهم متجانسون وثابتون ومستقرون. نحن من نحدد هويتهم، وننشئ لهم أوصافًا لحبسهم داخل الصفحات، ونقسمهم حسب من يشبههم، ومواهبهم، ومعتقداتهم. ثم نتظاهر بأن البعض - ربما معظمهم - أفضل منا؛ لأنهم يلتزمون بالوصف الموضوع، بينما لا نلائم وصفنا أبدًا.

الحقيقة هي أن الناس سائلون مثل الوقت، نحن نتكيف مع وضعنا مثل الماء في إبريق غريب الشكل، على الرغم من أن الأمر قد يستغرق بعض الوقت حتى نغرق في جميع الزوايا الصغيرة. ولأننا نتكيف، فإننا في بعض

الأحيان لا ندرك مدى التواء الوعاء التي قيل لنا أن نسكنه أو كم هو غير مريح أو غير مناسب على الإطلاق.

يمكننا الاستمرار بهذه الطريقة لفترة من الوقت، يمكننا التظاهر بأننا نلائم هذا الإبريق وكل أركانه ومعالمه الغريبة. لكن كلما طال الأمد، ازداد الأمر سوءًا، وأنهكت أعصابنا، وأصبحنا متهالكين. حتى لو لم نفعل شيئًا على الإطلاق؛ لأن مجرد الاحتفاظ بالشكل يمكن أن يستنفد كل الجهد في العالم. بل أكثر، إذا أردنا أن نجعل الأمر يبدو طبيعيًّا.

كان الكثير من حياة القرصان يناسب تريس، لقد تعلمت كثيرًا ونمت كثيرًا، لكنها تركت الجزيرة منذ وقت قصير نسبيًّا. لقد كانت متعبة لدرجة لا تستطيع ليلة نوم هانئ - أو حتى عشرة- علاجها. لم يعد لدى عقلها المزيد لمنحه. كانت تحتاج إلى السماح لنفسها بفرصة للحاق بالشخص الذي أصبحته.

كانت الآن على بعد ثلاثة أيام فقط من بحر الظلمات، ولم يكن لديها أدنى فكرة عن كيفية عبوره. ولم يكن ضرب رأسها على الصفحة ينجز شيئًا أكثر من اتساخ جبهتها بالحبر.

كانت تريس تخشى ما يخبئه لها الدهر، وبالفعل جاءها الرد بطرقة مهذبة على بابها. أومأت برأسها إلى هوك، الذي قرر -لسبب غريب- أنها بحاجة إلى خادم خاص. هل كان لدى القباطنة خدم خصوصيون؟ اعتقدت أن الرجال الذين لديهم الكثير من أزواج الأحذية يحتاجون إلى شخص ما لتنظيمها.

هرع هوك إلى الطاولة بجانب المدخل ونادى: «تدعوك الكابتن للدخول!».

ظنت تريس أن بإمكانها فعل ذلك بنفسها، لم تكن معتادة بعد على الرفاهية التي تصاحب تولي زمام الأمور، والتي غالبًا ما تنطوي على كونها مهمة للغاية لأن تقوم بالأشياء بطريقة متعقلة.

دخلت سالاي وآن وفورت، شدت تريس قامتها لتلقي الاتهامات. هنا، الآن سيرون الحقيقة بأنها لا تمتلك خطة، وأنها قبطان غير كفء.

في الواقع، كل ما رأوه هو أنها كانت تمتلك خطًّا لطيفًا للغاية. حتى إنه كتب بالمقلوب على جبهتها.

قالت سالاي: «حسنًا يا كابتن، كنا نفكر بعض الشيء في هذه الرحلة، ويبدو أنه من شبه المستحيل التغلب على التحصينات المحيطة بالساحرة».

قالت تريس متأهبة: «أعلم، سالاي، أنا... أنا لا...».

وتابعت سالاي وهي تخرج بعض الأوراق، «لذلك، اجتهدنا لإيجاد طرق للتغلب عليها، لدينا بعض الاقتراحات الجيدة هنا، إذا كنت تودين الاطلاع عليها».

طرفت تريس.

حسنًا، غالبًا ما كانت ترمش بعينها، كما يفعل الناس. في هذه الحالة كانت طرفة عينها ذات مغزى، كانت من النوع الذي يقول: مهلًا، ماذا سمعت للتو؟

«عندكم... اقتراحات؟» سألت تريس.

قالت سالاي: «مهلًا، دعينا نصل إلى هذا الأمر»، أمسك كل واحد منهم كرسيًّا واستقر بجوار طاولة اجتماعات تريس.

انجرفت تريس نحوهم، وهي تحدق بدهشة عندما وضعت سالاي المجموعة الأولى من المخططات. قالت: «كانت هذه فكرة فورت؛ لذا يجب أن يتولى الشرح».

< يقول هوك> كتب على لوحه، <أن الجزيرة محمية من قبل رجال آليين، من فيلق كامل منهم، ولا يمكن أن يتضرروا بأي شكل من الأشكال. لقد بدأت العمل على إيجاد طريقة لتشتيت انتباههم، حتى أدركت أنك قد قمت بالفعل بحل هذه المشكلة، يا تريس>.

كان اللوح الجديد متقدمًا عن الآخر، اختفت سطور النص في الجزء العلوي ذاتيًّا، واستبدلت بأخرى جديدة في الأسفل؛ لذلك لم يكن مضطرًا للتوقف، يمكنه الاستمرار في النقر على الكلمات في الخلف، والتحدث أكثر في الوقت الفعلي.

كما يمكن أيضًا أن يكتب بخطوط مختلفة.

«أنا... حللت المشكلة؟» سألت تريس، وهي تأخذ الكرسي الذي كان هوك يحاول دفعه نحوها، بمجرد أن جلست نفض كفوفه كما لو أنه قام بعمل ممتاز، ثم ذهب لعد أزواج أحذيتها.

قال فورت: <نعم، فعلت. من خلال كل تعديلاتك على المسدس الضوئي! لقد كنت مستعدة بالفعل لمواجهة شخص لا يمكننا قتله، نحتاج فقط إلى التوسع فيما توصلت إليه! أعتقد أن فيلقًا من الرجال الآليين الخارقين لا يمكن أن يؤذونا إذا تم تكبيلهم بالكروم.

<انظري، هذا مخطط لقذيفة باستخدام الأفكار التي توصلت إليها، يمكننا استدراج الرجال الآليين الخارقين، وقصف الشاطئ بالأبواغ الخضراء، وتكبيلهم جميعًا. ثم التسلسل عبورًا بهم!>

أخذت الرسم التخطيطي، كان يحتوي على عدة أجزاء مكتوب عليها (طلاسم الرفاءة)؛ لذلك من الواضح أنه لم يستوعب التفاصيل الدقيقة لما فعلته، ومع ذلك كانت فكرة سليمة، بل ممتازة حتى، كان لديهم بالفعل قذائف مدفعية تنفجر بجهاز توقيت، يمكنها بناء قذائف تنفجر بالكروم بدلًا من رش الماء.

«هذا رائع يا فورت!».

<مقايضة عادلة!> قال وهو ينقر على اللوح. <بمجرد عودة صديقك، سنكون متساويين، ليس قبل ذلك>.

لم تشر تريس إلى أنه فقد لوحه الأصلي في الأساس بسببها؛ ولذا فإن إعادة واحد إليه كان بالفعل مقايضة عادلة، كانت مبهورة للغاية.

لقد حلوا مشكلتها، وبدلًا من أن يغضبوا منها لعدم وجود الحل، فقد توصلوا إلى واحد بأنفسهم، هي... لم تكن بحاجة إلى القيام بكل العمل بمفردها، ولا ينبغي أن يكون هذا بمثابة كشف لها. ولكن بعد قضاء أغلب عمرك في التجول وكل شخص يقوم بتكديس الطوب بين ذراعيك، فعندما يزيل شخص ما لبنة ليحملها عنك قد يخل ذلك توازنك.

«شكرًا لكم» همست تريس وهي تحاول الحفاظ على رباطة جأشها. لم تكن متأكدة ما إذا كان بإمكان القباطنة البكاء أمام طاقمهم. لابد أن ثمة قانونًا بحريًا يمنع ذلك. «شكرًا جزيلًا! لقد كنت أحاول وأحاول التفكير في طريقة للتغلب عليهم».

قال فورت: <نحن هنا من أجلك، نحن طاقمك يا تريس، أصدقاؤك، دعينا نساعدك>.

قالت تريس: «نعم بالطبع، ولكن ... شكرا لكم».

نظرت إليهم كل على حدة وهي مبتهجة.

قالت آن: «أحاول معرفة سبب ظهور عبارة (اسألي بلطف) على جبهتك، يا تريس».

<من الناحية الفنية> أضاف فورت، <تقول «فطلب يلأسأ» [لانعكاس الحروف]>

قالت سالاي: «في الواقع لا تقول أي من العبارتين؛ لأن تم مسحها، هل ترون؟»

قالت آن: «أوه، نعم، على أي حال، قد يكون لدينا حل للمشكلة الأخرى على الجزيرة: الدخول إلى البرج، لقد أعطيتنا الدليل لذلك أيضًا».

«أنبات شجرة كروم خضراء؟» قالت تريس. «للوصول إلى القمة والدخول بهذه الطريقة؟ فكرت في ذلك يا آن، لكن من المؤكد أن الساحرة تبقي الباب مغلقًا».

< ليس النافذة> قال فورت. <حيث تتركها للغربان>.

«إنها صغيرة للغاية».

كتب <صغيرة بالنسبة لإنسان>.

تحولت أعينهم نحو هوك، الذي وقف أمام خزانة ملابس الغرفة. لقد انتهى من عد الأحذية التي تملكها تريس، لم يكن ذلك صعبًا، حيث كانت ترتدي كليهما حاليًا؛ لذلك انتقل إلى عمل قائمة ذهنية للأنواع المختلفة التي قد تحتاج إلى شرائها.

شعر بنظراتهم، إنه شيء تتعلمه الفئران؛ لذا استدار وشعر وكأنه قطعة الجبن الوحيدة المتبقية في غرفة الخبز. «ماذا؟» سألهم.

قالت سالاي: «نحن بحاجة إلى شخص صغير لكي يتسلل إلى برج الساحرة من خلال نافذة الغربان».

قال هو: «هذا صعب؛ لأنني لا أعتقد أن أي إنسان يمكن يتناسب حجمه... أوه، فأر، صحيح». ضرب كفيه معًا.

قال فورت: <نحن بحاجة للقيام بذلك من أجل القبطان، وتسديد ديننا لها>.

قالت تريس: «هوك لا يدين لي بأي ديون، لم يكن ليوجد على متن السفينة إلا بسببي».

<يعني أنه كان سيكون في قاع البحر الأخضر>.

أشك في أنه كان سيصل إلى القاع، لدى الفئران كتلة جسم قليلة الكثافة، من شبه المؤكد أنه كان سينتهي به الحال ملفوفًا في كرة كروم، لينجرف عبر الأعماق الوسطى للمحيط حتى يتحلل. ولكن نظرًا لعدم معرفة أي شخص في الغرفة بكثافة عمق البوغ ولزوجته المميعة النسبية، فقد أخذوا كلمات فورت على أنها حقيقة.

قالت تريس لهوك: «لا بأس، لا تحتاج إلى القيام بذلك إذا كنت لا تريد، أكره أن أرغمك على أي شيء، ولكنه... حل جيد، أنت تجيد التسلل يا هوك».

«ولكن كيف سأصل إلى النافذة؟»

«على الكروم الخضراء، والتي سوف أزرعها رأسيًّا من أجلك».

قال: «لا جدوى من ذلك، فالبرج مطلي بالفضة، ألم أخبرك بذلك؟»

لم يفعل، وهذا من شأنه أن يسبب مشكلة، جلست تريس إلى الوراء، وبدا الانهيار على وجهها، شيء ما في هذا التعبير كان يؤلم هوك، لم يستطع تحمل مدى الكآبة التي كانت تشعر بها مؤخرًا، أعتقد أنه مثل الضباب الدخاني فوق جزيرة؛ لذلك وقع بلسانه.

قال هوك: «يمكنني أن أدخلك عبر الباب، أنا ... لدينا طريقة نعرفها نحن معشر الفئران، إذا أوصلتني بطريقة ما إلى البرج، يمكنني فتحه، لكن تريس، أليس كل هذا غير ذي صلة؟ سيتعين علينا عبور بحر الظلمات أولًا، ويجب ألا نفعل ذلك، بالكاد نجونا من القرمزي!»

كان، يا للأسف، محقًّا. نظرت تريس إلى أصدقائها على أمل أن يعرفوا حلًّا سريعًا لهذه المشكلة حيث قدموا لها حلّين سابقين. لم يتحدث أحد، ربما منع إحباط الثلاثة الآخرين من تمييز -بالمعنى الحرفي والأدبي للكلمة- هذه النقطة، لكنهم شعروا بالإحباط بالقدر ذاته.

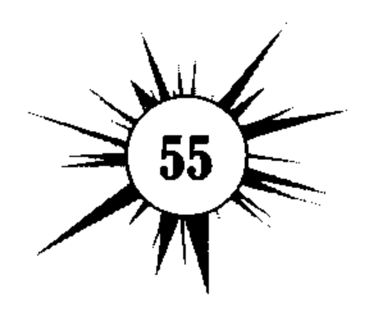
من الغريب أن هناك سمة للتعاون غالبًا ما يُساء فهمها. رأسان ليسا بالضرورة أفضل من واحد (بغض النظر عما قد يقوله الدكتور أولام)، هذا بالأحرى يعتمد على رؤوس معنية.

ومع ذلك، عندما يحاول شخص ما، فإنه يحفز الآخرين للمحاولة أكثر، وعندما تتذوق القليل من النجاح -حتى بشكل غير مباشر- يمكن أن يكون بمثابة مليّن عقلي.

أو في قول آخر، فإن القليل من النجاح هو الدوي المجازي لماكينة البيع الذهنية وهي تدفع الأفكار العالقة إلى خارجها.

اتسعت عيون تريس.

المنافق



وضعت تريس اثنين بالعدد من أبواغ الظلمات على الطاولة. تراجع الضباط الآخرون بشكل ملحوظ، على الرغم من عدم وجود متسع كبير في مقصورة القبطان للتراجع الآمن، لقد أمضت بعض الوقت في التحضير لهذه التجربة، والتي منحت هوك وقتًا للفرار؛ لعدم رغبته في الوجود في الغرفة مع أبواغ الظلمات الأكثر نشاطًا.

وضعت تريس سكينها الفضي على الطاولة، ثم أخرجت قطارة مملوءة بالماء، تتصرف أبواغ الظلمات بشكل مختلف عن سائر الأبواغ. لدى باقي الأنواع كلها تفاعل فوري شبه كيميائي مع الماء، لكن هذه الأبواغ تبدو على قيد الحياة تقريبًا، وكأنهم يريدون شيئًا».

«ماذا... ماذا يريدون، يا كابتن؟ « سألت آن.

قالت تريس، وهي تخفض مستوى بصرها على الطاولة، ممسكة بالقطارة: «الماء، إنها مثل مقايضة، أعطيهم الماء وسيطيعونني لبعض الوقت». رفعت القطارة، شهقت سالاي على الرغم عنها. «يجب أن يكون هذا آمنًا، ولكن

في حال لم يكن الأمر كذلك، فتهيأوا لقطع رباطي مع الأبواغ باستخدام هذا السكين».

<قطعها كيف؟> سأل فورت وهو ينحي إلى الأمام، لقد كان الوحيد في الغرفة الذي لم يبدُ خائفًا بشكل إيجابي. شيء ما حول هذه المحادثة بأكملها (وإذا كنت منتبهًا، ستعرف ما) أثار اهتمامه: التغلب على خوفه الطبيعي.

قالت تريس وهو يلقي نظرة سريعة على لوحه: «خطوط سوداء، اقطعهم بالسكين، لكنني آمل ألا يكون ذلك ضروريًا هذه المرة».

سكبت قطرة ماء واحدة، كما كان من قبل، انفجرت أبواغ الظلمات واندمجت، لتصبح شيئًا لا يختلف عن البثرة المتموجة. أو (اغفر لي قولي) فوران يفور.

وكما حدث من قبل، شعرت تريس بوجود صلة بها على الفور. نوع من التجاذب في عقلها، يمكنها بدء الارتباط، ويمكنها تقديم الماء وإنشاء الرابطة، لكنها قاومت الآن.

قالت آن: «أشعر بشيء، كما لو أنها تؤذي عقلي!».

قالت تريس: «إنها تبحث عن مضيف، أو... مشترٍ. الوحوش التي تجوب بحر الظلمات؟ هذا ما هم عليه، مخلوقات الساحرة التي تخضع لها، أتساءل كيف تغذي الكثير منهم...»

اندفعت الكرة نحو فورت، ثم اتخذت شكل قدح على وجه التحديد، الكوز المعدني الكبير الأثقل والأكبر في مجموعة تريس، ثم نمت أرجل قدح الظلمات واتجهت نحو فورت، الذي ارتبط بها عن غير قصد، كما اتضح من وضع يده فجأة في فمه، والذي كان سيبدأ حتمًا في الشعور بالجفاف، بدأ خط أسود صغير يتحرك بينه والأبواغ.

انتزعت تريس التحكم فيها.

عندما استخدمت الكابتن كرو أبواغ الظلمات، كانت تريس قادرة على السيطرة على الشيء وتدميره أثناء العملية، هذه المرة كان الأمر أسهل بكثير، دفعت عقلها ضد الأبواغ وقدمت الماء، المزيد من الماء.

رشوة.

انتقل الشيء إليها على الفور بدلًا من فورت، وتركها تتولى الأمر، كانت أقرب إليه، وهو ما اعتقدت تريس أنه المفتاح، لقد تولت السيطرة الكاملة، ثم قطعت الرابطة قبل أن يتمكن الشيء من جذبها إلى عينيه وتجربة الحياة كما لو كانت قدح من أبواغ الظلمات.

انفجر وتبخر، تاركًا دخانًا، ثم لا شيء.

شهق فورت، ثم تناول جرعة كبيرة من الماء في فنجان سيراميك أحمر قدمته تريس له.

«ماذا حدث؟» سألت سالاي، وتقدمت إلى الأمام.

قالت تريس: «لقد سيطرت على المخلوق، لقد رشوته بالماء بالمقابل، عرضت ذلك من خلال المفاوضة، ومنحته بحرية أكثر مما يمكن أن يأخذ من شخص غير راغب، بمجرد قبولها سيطرت عليه، ثم صرفته».

«و... هل تعتقدين أنه يمكنك فعل المثل مع أولئك الذين يحرسون بحر الظلمات؟» سألت آن.

وقفت تريس وقالت: «سوف نكتشف ذلك، كم تبقى من الوقت حتى...».

جاء صوت طرق على الباب، ترددت تريس، ثم أومأت برأسها. تحركت آن لتفتحه، وواجههم لاغارت.

يا للجحيم، لقد نسيت أن أخبرك عن لاغارت، سمحت تريس للاغارت بالاستمرار في كروز سونج، لقد اعتقدت عن حق أنه بدون وجود كرو لإثارة إعجابها، فلن يجرب أي شيء غريب.

(لا يعني أنه يستطيع ذلك، فجل ما يمكن فعله أن يلقي النكت السخيفة في غير محلها).

لقد أمضى الأيام القليلة الماضية يتبختر ذهابًا وإيابًا أعلى وأسفل السفينة، وهو حاد الطباع، ومرتبك، ومتردد. قال: «أريد أن أتحدث معك على انفراد، يا كابتن».

ترددت تريس ووضعت يدها على مسدسها الوضيء، لكنها أومأت إلى الآخرين، مشيرة إلى أنه ينبغي عليهم المغادرة، فعلوا ذلك، وأغلقوا الباب خلفهم بينما دلف لاغارت إلى الداخل.

نظر بعضهم إلى بعض لفترة قصيرة. ثم استجمع لاغارت شتات نفسه، بدا وكأنه صقر نسي وضع ريشه بعد الحلاقة الصباحية، والتقت عيناه بنظرات تريس. قال: «أنا أطالب أن تطلقي النار عليّ».

«أطلق عليك النار؟»

«بسبب ما فعلته بك!»

«قلت لك إني قد غفرت لك ذلك».

«أعرف!» قال وبدأ يسير. «كابتن، لا يمكنني تحمل الكذب، أنا أعرف ما تفعلينه حقًا. أعلم أنك تنتظرين حتى أكون هادئًا ومرتاحًا، حينها يمكنك أن تقذفيني في البحر. إنه أمر قاسٍ، الانتظار لقتل رجل حتى يتأكد من أنك لن تقدمي على ذلك، كنت أحسبك شخصًا أفضل من ذلك».

دار حولها وقال: «أطالب بإطلاق النار عليّ، دعينا ننهي هذا الأمر، كوني مباشرة، أطلقي النار عليّ».

تنهدت تريس، وفركت جبهتها. «لاغارت، لن أطلق عليك النار».

«ولكن...».

«انظر، أنا متعبة جدًّا لدرجة أنني لا أستطيع التظاهر بفهم ما يفعله عقلك بك الآن، لن أطلق النار عليك، لكن إذا أصررت، يمكنني أن أرميك في الحبس أو شيء من هذا القبيل».

انتعش، ثم رفع رقبته. «حقًّا؟»

«حقًّا».

«هل ستفعلين ذلك من أجلي؟ سجني بدلًا من قتلي؟»

قالت: «لاغارت، لن أقتلك، لن أقتلك أبدًا، أنا لم أقتل كرو حتى».

فكر في كلامها، ثم فكر أكثر، زاد الأمر تفكيرًا، كانت تلك الكلمات تحتاج الكثير من الاستيعاب بالنسبة له.

لم يكن لاغارت رجلًا ذكيًّا، صحيح أن الأشياء التي حاضر فيها الناس يمكن أن تملأ قاموسًا، لكن ما كان يعرفه في الواقع بالكاد يملأ بطاقة بريدية، ومع ذلك لم يكن أحمق أيضًا. لقد استقر في مكان ما بين الأذكياء والأغبياء، جالسًا على قمة منحنى جرسي يفترض أنه المكان المناسب ليوجد فيه؛ حيث يكون الأعلى هو الأفضل.

على الرغم من ذلك، فهم في تلك اللحظة.

كانت تريس على استعداد لإلقائه في السجن، ولكن ... لم تكن ستطلق النار عليه.

لم تكن ستقذفه في البحر، لم تكن تمارس الحيل عليه، لقد كانت صادقة.

لقد كانت لطيفة معه.

كانت هذه أصعب فكرة أجبر على استيعابها، كما ترى، لم يعرف لاغارت الكثير من اللطف خلال حياته، ومن الحقائق المؤسفة أن الناس غالبًا يعيشون ما يألفونه. لم يعتبر نفسه دنيئًا أو قاسيًا. كان يعتقد أن الطريقة التي يتصرف بها طبيعية؛ لأن هذه هي الطريقة التي كان يُعامل بها طوال الوقت، في البلد التي يصرخ فيها الجميع، يصاب الجميع بقليل من الصمم أيضًا.

الآن، يجدر الإشارة إن هناك من يفلت من دائرة القسوة هذه، عندما تجدهم، اعتز بهم؛ لأنه لسوء الحظ، يستمر الكثيرون مثل لاغارت، ولا يدركون ما هم عليه، حتى يمروا ربما بلحظة مثل تلك التي حدثت على متن هذه السفينة؛ حيث أظهرت له تريس اللطف الخالص، متسامحة مع أفعاله.

نعم، لم يعد مرتبكًا، بدلًا من ذلك شعر بالرعب؛ لأنه أدرك بعد فترة طويلة أن هناك أشخاصًا يشعرون بما يقولون.

كان هناك أناس حقيقيون في العالم، وهذا إلى منافق ثابت العزم مثله غيّر كل شيء، تعثر في طريقه إلى الباب، ودفعه لفتحه وهرب.

راقبته تريس، بدورها، برأس مائل وبسعادة غير مدركة للحرب الدائرة داخل قلب الرجل، لن تأمر بإلقائه في السجن، إذا كان لا يريد أن يعيد فتح الموضوع، فإنها لن تفعل ذلك أيضًا.

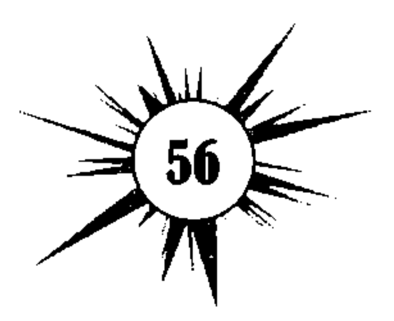
وبدلًا من ذلك، أخفت صندوقها من أبواغ الظلمات بعناية.

وبصراحة، شعرت بغبطة متزايدة، كانت لديها خطة للتعامل مع الوحوش، إذا تمكنت من هزيمتهم، لتغلبت على العقبة الأخيرة بينها وبين الساحرة.

كانت قريبة، قريبة حقًّا، شعرت برغبتها في الاحتفال.

استمر ذلك الشعور تقريبًا إلى أن اكتشفت ما كان يحدث في الأيام القليلة الماضية.

الخائن



توقعت تريس في أثناء مغادرتها مقصورتها أن ينعكس شعورها على الضباط، شعرت بالحماسة والراحة والإثارة. كان لديهم إجابة لكل مشكلة من المشاكل التي كانوا بحاجة إلى مواجهتها من أجل الوصول إلى الساحرة. وبطبيعة الحال، كان ينبغي على الضباط الآخرين أن يبادلوها نفس المشاعر للتناغم مع شعورها وعزف موسيقى النجاح المشترك.

لذلك ارتبكت عندما رأت سالاي تركض نحوها بتعبير قلق، من الواضح أن علاج الدكتور أولام قد أتى بثماره، لكن تريس كانت تأمل ألا تكون سالاي قد نمت أي أصابع إضافية.

«ماذا؟» سألت تريس وقد عاودها الإحساس بالفزع. «ما خطبك؟»

قادتها سالاي إلى حجز السفينة؛ حيث جلست مقيدًا بالسلاسل، أفكر بسعادة في بدايات محادثات شيقة مثل السياسة والدين وآراء عمك العنصرية الصريحة. أجريت هذه التأملات المبهرجة بين بقايا مخزون الطعام في السفينة، أو النذر القليل الذي تبقى منه الآن بشكل منذر، حيث قمت بسعادة بالتخلص من بقية المخزون في البحر.

قالت سالاي: «أمسكناه بثلاثة أباريق من الماء، كان يستعد لرميهم من الكوة الخلفية للسفينة في الطابق الوسط؛ حيث يبدو أنه كان يرمي مخزون الطعام لدينا منذ أيام».

تأوهت تريس: «كم بقي لدينا؟»

قالت سالاي: «الكثير من الماء، لكن أقل من نصف طعامنا، ما يكفي تقريبًا للوصول إلى البحر الأخضر، يجب أن نغادر الآن. يا كابتن... رأينا الطيور على القرمزي مرتين فقط، وهي لا تعيش في الظلمات على الإطلاق، لا يمكننا البحث عن الطعام هناك».

نظروا إليّ.

شرحت: «كان عليّ رمي الأباريق للخارج لأن الطعام كان وحيدًا في قاع البحر، أيضًا أخبريني يا تريس، كيف يشعر عمك تجاه طيور النورس وهي تأخذ وظائفه و/ أو شطائره؟»

نظرت تريس إلى الضباط المتجمعين، ثم التفتوا جميعًا إلى أولام، متوقعين منه إجابة، لقد افترضوا بحماقة أنه يستطيع استيعاب شبكة الدوافع والولاءات والإخفاقات التاريخية المعقدة التي شكلت شبكتي النفسية دائمة التغير.

قال أولام: «إنه في الوقت الحالي غبي جدًّا لدرجة أن يفعل ذلك بمفرده، انظروا كيف وُضِعت علامات بالطباشير على ما كان يهم بقذفه».

حسنًا، حسنًا، إذن، مشيرًا إلى أولام، على ما أظن.

قلت لهم: «قال الفأر إن مهمتي حيوية للغاية، إنه سرّ أيضًا؛ لذا من فضلك لا تخبر تريس».

بعد وقت قصير، اقتربت تريس من هوك في غرفته، كانت غرفتها السابقة، والتي عينتها له. غرفته الخاصة. نعم، لم تكن تحتوي على الفضة، لكنها كانت أكثر مما حصلت عليه معظم الفئران. كان يجلس هناك يعد قائمة بجميع القبعات التي تمتلكها. كان لديه عنصر واحد فقط حتى الآن، لكنه كان نوعًا متفائلًا من الخدم الخصوصيين. علاوة على ذلك، لقد كان متوترًا للغاية لدرجة أنه كان بحاجة إلى شغل الوقت.

نظر إليها: «هل نجح الاختبار مع أبواغ الظلمات؟» قال وأسقط القلم الرصاص، واندفع نحوها. «كنت سأعود لأشاهد، يجب أن.. ولكن... هذا ليس شيئًا يجب على الخادم الخاص فعله، أليس كذلك؟ أن أكون بالقرب من أبواغ الظلمات؟ إنهم يصيبونني بقشعريرة، يا تريس».

«أنا...»، لم تعرف ماذا تقول، إنها محنة لم أعرفها من قبل، لكنني أسمع أنها يمكن أن تكون مرهقة للغاية.

«تريس؟» سأل هوك. «يجب أن تكوني متحمسة، بل ربما متقدة بالحماس ومرتاحة بالتأكيد، لكن...».

قالت: «لقد اكتشفت أن مخزون الطعام لدينا ينخفض بشكل مخيف، بطريقة ما أخطأنا في حساب ما كان لدينا، يبدو... أن لدينا بالكاد ما يكفي لنصل إلى البحر الأخضر، في حال رجعنا الآن؟»

«أوه!» قال هوك. «حسنًا، هذه أخبار مروعة، لكنني أفترض أنه مع كل ما حدث، فليس من المستغرب جدًا أن يتسلل شيء ما عبر الشقوق! يجب أن نبحر إلى البحر الأخضر، ثم نتزود بالمؤن...» تباطأ، والتقت عينيهما، ثم نكس رأسه. «تحدث هويد، أليس كذلك؟»

قالت: «أنت جيد بشكل ملحوظ في قراءة المشاعر البشرية، بالنسبة لفأر».

قال: «حسنًا، العواطف عواطف، لا يهم الأجناس، الخوف والقلق والتوتر متماثلون».

«والخيانة؟» سألت. «هل هذا الشعور مماثل عند البشر والفئران؟»

قال بصوت خافت، «بقدر ما أستطيع الجزم. أنا آسف يا تريس. لا يمكنني السماح لك بمواجهة الساحرة، لا أستطيع من أجل مصلحتك، كما ترين».

آه، تلك الكلمات.

لقد سمعت هذه الكلمات، لقد قلت هذه الكلمات، الكلمات التي تعلن بغطرسة صريحة: «أنا لا أثق في أن تتخذ قراراتك بنفسك». الكلمات التي نتظاهر أنها ستخفف من حدة الصدمة، ولكن بدلًا من ذلك نضيف فوق الألم الموجود بالفعل تعالي، مثل الأوساخ على الجثة.

نعم بالتأكيد، لقد قلت هذه الكلمات، لقد قلتها مع ستة عشر شخصًا آخر في الواقع.

قالت: «يؤلمني أنك لا تثق بي يا هوك، لكن أتعلم، يؤلمني أكثر أنني لا أستطيع أن أثق بك الآن».

قال: «فهمت، أنت تستحقين الأفضل».

وجدت له قفصًا، شعرت أنه من المناسب أن تعيده في واحد، وكان لدى كرو زوجان من الحجم المناسب للاحتفاظ بطيور المراسلة.

لقد حطم قلب تريس أن تترك هوك بالداخل، مكومًا أمام القضبان، رافضًا مواجهتها. لكن كان لديها طاقم لتحميه، ولم تستطع المخاطرة بقيام هوك بشيء أكثر فظاعة لمنعهم. كما كانت، بالكاد، قد احتوت إحباطها. كانوا قريبين جدًا، الآن عليهم الإبحار عبر القرمزي بالكامل وإعادة التزود بالمؤن.

بحق الأقمار... هل يمكنهم تحمل إعادة التزود بالمؤن؟ كيف ستدفع للطاقم؟ هل سيستمرون في العمل كقراصنة؟ وإذا وجدت تشارلي، فماذا بعد ذلك؟ حل الطاقم؟ تسليم السفينة إلى سالاي والعودة إلى المنزل؟ سمح لها تركيزها على الوصول إلى الساحرة، حتى الآن، بالمماطلة في معالجة هذه الأسئلة. لن تبدو كشوف المرتبات أمرًا ملحًّا جدًّا عندما تتوقع أن يتم أسرك وتحويلك إلى قرد صغير في الأسبوع التالي.

كانت مثقلة بالأفكار عندما فتحت الباب ووجدت مجموعة من الدوج تنتظر بالخارج.

بحلول الوقت، عرفتهم تريس جميعًا شخصيًّا. كانت تلك التي في المقدمة، وهي تحمل قبعتها، امرأة حسنة الطباع أوضحت ذات مرة أنها تعتقد أن الطيور هي أرواح الموتى، تحمي البحارة أثناء سفرهم. كان الأمر محرجًا؛ نظرًا لأن تريس كانت تقدم فطيرة الحمام في تلك الليلة، ضحكت المرأة حينها وقالت إن هذه طريقة من طرق الحماية.

كان لديهم جميعًا أطروفات خاصة من هذا القبيل عن الشخصيات والأحلام والحياة. إن البشر مثل شواطئ القارات. كلما نظرت عن كثب، كلما رأيت المزيد من التفاصيل إلى ما لانهاية، لولا ممارستي للانتقاء السردي، كنت ستظل هنا طوال الأسبوع تستمع إلى كيف أمست إحدى الدوج في حالة سكر شديد، وانتهى بها الحال كملكة.

اليوم، لحسن حظنا، تصرفوا بشكل جماعي، وفي خدمة القصة؛ لأن لديهم شيئًا ليقولوه لـتريس.

قال رئيس الدوج: «دعينا نواصل التقدم، يا كابتن، إذا لم يكن لديك مانع، دعينا نستمر في الإبحار، ونذهب لإنقاذ هذا الرجل خاصتك».

«لكن الطعام...» قالت تريس.

قال دوج آخر: «عفوا أيها القبطان، لكن يمكننا أن نأكل الكروم الخضراء لبعض الوقت».

قال آخر: «موافق، إذا كان ذلك يساعدك، فيمكننا أكل أعشاب البحر لبضعة أسابيع».

«مهلًا، هل يمكنكم أكل الكروم الخضراء؟» سألتهم تريس.

صُدم معشر الدوج لسماع جهلها بذلك، قد تكون صدمة لك أيضًا، لكن تم الإشارة للأمر مسبقًا بإلماح فطن، لكن تريس كانت مشتتة أثناء تلك المحادثة، وغاب عنها الموضوع. إلى جانب ذلك، كان قلة من الذين نشأوا في الجزر يعرفون أن الكروم صالحة للأكل من الناحية الفنية؛ لأن في الجزر، كان هناك طعام أفضل بكثير يمكن أن تزرعه بمخاطر أقل بافتراض أن لديك إمكانية الوصول إلى التربة أو أحواض السماد.

حتى عائلتها، على الرغم من فقرها، كان لديها دائمًا طعام عادي لتأكله. بغض النظر، يمكن للناس أن يعيشوا على الكروم الخضراء، بشرط أنهم قد توقفوا عن النمو، وأن يتم نقعهم ليوم واحد، تحتوي الكروم على السعرات الحرارية والمغذيات، لكن لو اتبعت ذلك الغذاء ذلك لفترة طويلة بدون بروتين إضافي ستواجه وقتًا عصيبًا، بيد أنهم يمكنهم الوصول إلى جزيرة الساحرة والعودة منها بالاعتماد على غذاء من الكروم، بالإضافة إلى ما تبقى لديهم.

طأطأ هوك رأسه خلفها، وقد أدرك في النهاية، أن خيانته لم تحقق أي شيء.

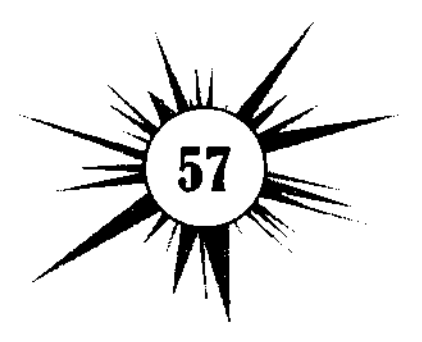
قالت تريس للدوج: «شكرًا لكم».

قال الرجل الذي في المقدمة: «كابتن، أمضينا شهرًا نتناول طعام فورت، ثم بدأت في طهي وجبات العشاء التي لا يبدو طعمها كأنها كشطت من نعل الحذاء و... حسنًا، يمكننا أن نعيش قليلًا على الكروم الخضراء».

وأضاف آخر: «إلى جانب ذلك، إن الأمر يستحق الاستمرار، على أي حال، سنكون القراصنة الوحيدين الذين نهبوا الساحرة نفسها!»



خبير الموضة سيئ السمعة



بخصوص هذا الأمر.

عرفت تريس أن هناك ثغرة في خططها. في الواقع، كانت هناك ثغرات في خططها أكثر بكثير من الأجزاء السليمة. على سبيل المثال، لم تكن متأكدة من أنها خمنت موقع الجزيرة بشكل صحيح. حتى لو فعلت ذلك، لم يكن هناك ما يضمن نجاح خططهم، قد لا تكون قادرة على تجاوز دفاعات الساحرة.

ومع ذلك، كانت كل هذه المسائل ثانوية بالنسبة للمسألة الكبرى، التي تتربص مثل الأشباح تحت المحيط. تمحور تركيزها حتى الآن حول الوصول إلى الجزيرة، ثم إلى البرج.

لكن ماذا بعد ذلك؟

كيف كانت ستعثر على تشارلي، ثم تنقذه بحق الأقمار؟ كيف ستتعامل تريس مع الساحرة؟ تضمنت خطتهم إطلاق المدافع على الرجال الآليين الخارقين على الشاطئ، وهذا من شأنه أن يحدث صخبًا ويجذب الانتباه بالتأكيد.

كيف يمكن لتريس، بعد إحداث هذا القدر من الضجيج، أن تصل سرًّا إلى البرج...

حتى يتمكن هوك من السماح لهم بالدخول.

تراجعت ثقتها. حسنًا، لقد كانت تتراجع منذ عدة أيام، ولم يكن هذا غير متوقع؛ نظرًا لضعف أساسها. الآن باتت تحت تهديد الانهيار التام. كانت خططهم تعتمد على مساعدة هوك لهم بالدخول إلى البرج. بات من الواضح أن ذلك لم يعد خيارًا.

شعرت تريس بالضيق من هذا الأمر، لكن لم تتكشف لها أي حلول خلال الأيام القليلة المقبلة. أبحرت السفينة بلا هوادة نحو قمر الظلمات المرعب، حتى وصلت إلى الحدود بين البحرين. ذلك المكان الذي تختلط فيه الأبواغ، مثل الندبة التي تفرز قيحًا أسود على أحد الجوانب، أو رجل تعاني من نخر كامل.

امتدت أبواغ سوداء إلى ما لا نهاية، راقبت تريس من على سطح السفينة، وشعرت بهدوء غير طبيعي بينما سكن الدوج وحتى الأشرعة بدت وكأنها تحبس أنفاسها، لقد وصلوا إلى بحر الظلمات.

تطلعت سالاي إلى تريس.

قالت تريس: «أنزلي المرساة يا قائدة الدفة، لقد اقترب الليل، ولا أحب الإبحار في هذا البحر في الظلام».

قالت سالاي: «أوافقك الرأي».

اقترحت تريس: «ضاعفي الحراسة الليلة، لا أريد المفاجأة إما بالمطر أو بشيء آخر يخرج من هذا الظلام».

أومأت سالاي برأسها، وبدت غير مرتاحة.

اتجهت تريس إلى مقصورتها، ثم توقفت للحظة. «سالاي، هل سمعت عن أي شخص نجح في الإبحار هنا من قبل؟»

قالت سالاي: «يستمر ملك البحر الأخضر في إرسال أساطيل لمحاولة القبض على الساحرة، بعض السفن تنجو من القرمزي، لكن بحظ عشوائي على أي حال، لم أسمع قط عن عودة أحدهم من بحر الظلمات. عندما يشرعون في الإبحار فيه تجتاحهم على الفور مخلوقات مظلمة من الأبواغ الكريهة».

ارتجفت تريس، هل اعتقدت حقًّا أنها تستطيع أن تفعل ما فشل هؤلاء البحارة المخضرمون في القيام به؟ ماذا الذي كانت تفكر فيه؟ لماذا هي هنا حتى؟ كانت عار على المهنة، كانت ترتدي ملابس القبطان من باب التمثيل الهزلي.

من المؤكد أن تريس لم تعز لنفسها ما يكفي من الفضل -من فضلك تفاجأ بهذا عزيزي القارئ- لأنها قطعت شوطًا بعيدًا، إذا أخذنا كل ما حدث بعين الاعتبار. صحيح أن العديد من أعضاء بلاط الملك لم يتمكنوا من النجاة من أول مواجهة لهم في بحر الظلمات، ولكنك عزيزي القارئ قد قابلت عضوًا واحدًا على الأقل من بلاط الملك: لقد كان الرجل الوسيم في الجزء الأول من القصة بفك وذكاء تمثال نصفي من الرخام؛ لذا من يدري ربما لم تكن معاييرهم عالية.

على أي حال، أصبحت تريس فجأة غير متأكدة من نفسها، هربت من الطابق السفلي إلى الردهة المألوفة في الطابق الأوسط، تجاوزت غرفتها القديمة، ووجدت نفسها تشعر بالحنين إلى الماضي القريب قبل أسبوعين، تلك الأيام التي جلست فيها لتقرأ عن الأبواغ بينما تستمع إلى الخطى المريحة أعلاه، بدت وقع الأقدام واثقة من نفسها، كانت عشوائية، لكن بطريقة ما لا تزال إيقاعية، كأنها دقات تشير إلى أغنية عرفها الطاقم جميعًا وأنشدوها معًا.

الآن هي المسؤولة، هي من يثق الجميع فيها.

اقتربت من مكتب الدكتور أولام الذي سمح لها بالدخول بعد طرقة سريعة، وجدته يتفقد يده التي نمت إصبعه السادس، تنهدت تريس بارتياح، أخيرًا مشهد طبيعي ومألوف.

«تريس!» قال وهو يجرب خاتمًا على الإصبع. «أنا سعيد بالزيارة! هل أعدت النظر في عرضي؟»

قالت: «شكرا لك، لكن لا، أنا أفضل الاحتفاظ بكل أصابع قدمي».

«يحتفظ الجميع بهم يا عزيزتي، لهذا اخترع (الأب) المشرط، لكن مهلًا تبدين منزعجة. حسنًا اجلسي. اسمحي لي أن أغلي بعض الماء». جلست بينما كان يستخدم جهازًا غريبًا يعمل مثل الطبق الساخن، ولكن بدون نار أو أبواغ لتدفئته. وضع غلاية عليه، ثم استدار ونظر إليها، وأصابع رمادية الجلد مربوطة أمامه وهو يتكئ على المنضدة. «تكلمي من فضلك».

قالت: «أولام، لا أستطيع هزيمة الساحرة».

قال: «لا، بالطبع لا يمكنك ذلك».

«هذا ما يتوقعه كل الآخرين مني، و... أشعر بالرعب بشكل متزايد لأني سأخذلهم».

قال: «آه، حسنًا، هل يمكنني مساعدتك في نوبة القلق هذه، همم؟ لست مضطرًّا حتى إلى إعطائك مهدئًا، لا داعي للقلق».

«لا داعي؟» قالت. «حقًّا؟»

«نعم، كما ترين، لا أحد يتوقع منك هزيمة الساحرة، أعتقد أنهم جميعًا يتوقعون الموت. وهكذا لن تخيّبي ظنهم يا صغيرتي، عندما تقتل الساحرة حتمًا الطاقم بأكمله!».

تأوهت.

أوضح قائلًا: «تلك كانت مزحة، أشك في أنها قادرة على قتلي، رغم أنها تعتقد أنها تستطيع ذلك، حتى لو كانت على حق، فهي بالتأكيد لا تستطيع قتل هويد حتى في حالته الحالية؛ لذلك ستقتل فقط معظم أفراد الطاقم».

شعرت تريس بالدوار.

وتجدر الإشارة إلى أن أولام ليس معروفًا بمعاملته اللبقة مع مرضاه، كما أشرت سابقًا، فقد شعبه شيئًا ما عندما لم يعودوا مجبرين على تقليد البشر الحقيقيين. أصدقك القول عزيز القارئ أنه بدون هذا العبء، قد استعادوا جميعًا طبيعتهم بشكل مطرد على مر العقود.

ومع ذلك، فإن أولام هو حقًّا أفضل طبيب قابلته على الإطلاق. إذا كنت من النوع الذي يشعر بالتوتر بسهولة، لكنك بحاجة إلى مساعدته، أقترح عليك أن تطلب منه إغلاق فمه قبل زيارته. من المحتمل أن يجد الفكرة جديدة بما يكفي لتجربتها.

لكنه في ذلك اليوم، أدرك أنه قال الكثير. حتى أولام، وهو مخلوق يظهر مواهبه في التعاطف مثل طائر إمو غاضب، يمكن أن يشعر أحيانًا بمرور شخص ما بمحنة عاطفية.

قال: «يا صغيرتي، أنا...».

«كيف يمكنك؟» قاطعته تريس بغضب. «كيف يمكنك الجلوس هناك وعدم الاكتراث؟ ما خطبك؟»

«أوه! ها.. ها. حسنًا، لا داعي لقضم رأسي مباشرة، لدي العديد من المناشير لهذا الغرض...».

«النكات لن تساعد يا أولام!» قالت واقفة.

لم تكن مزحة، ضع هذا في اعتبارك. في الواقع كان لديه ثلاثة مناشير. سمح لتريس بالسير قليلًا لتهدأ، وعندما بدأت غلاية الشاي في الصفير، لم يتحرك لرفعها.

بينما كانت تسير بخطى سريعة، علقت نقطة واحدة في رأس. لقد ذكر هويد مرة أخرى. خادم السفينة الذي يسيل لعابه باستمرار. كان أولام مخلوقًا ذا قوى غريبة، لكنه رآني شخصًا أقوى.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يقول فيها أولام شيئًا كهذا، لكن هذه المرة صدمتها بالفعل.

آخيرًا، أخذت نفسًا عميقًا، وقالت: «ما كان يجب أن أغضب منك، لقد عاونتني في الماضي يا أولام، أخبرتني بأشياء لم تكن مضطرًا لإخباري بها، يجب ألا أغضب منك لأنك لا تفعل المزيد، أنا ... لا أعرف ما خطبي معك، لم أكن لأتصرف بهذه الطريقة في الماضي».

قال أولام: «أظن أن لا خطب بك، ربما يجب أن تغضبي مني أكثر، أنسى أحيانًا ما قيل لي عن الضغوط التي يعيش تحت وطأتها البشر».

قالت وهي تسير في الاتجاه الآخر في الغرفة الصغيرة: «أنت على حق، نحن ذاهبون للموت، إن هذا السعي محض حماقة! عندما كنت أنا فقط من يخاطر بحياته من أجل تشارلي، كان ذلك سيئًا بما فيه الكفاية، لا يمكنني إجبار البقية على الانضمام إليّ».

قال أولام: «أنت لا تجبريهم، يا تريس». نهض أخيرًا وبدأ يصنع الشاي. «هل رأيتم كيف يمشون هذه الأيام؟ كيف يرفعون رؤوسهم؟ إنهم يعرفون أنهم مسؤولون جزئيًّا عن موت الأشخاص الذين قتلهم كرو.

«أنت لا تجبرينهم عنوة، أنت تعرضين عليهم فرصة لاستعادة إنسانيتهم. يريدون المحاولة في إنقاذ صديقك. إنهم يريدون أن يثبتوا لأنفسهم أنه على الرغم من أنهم قد لا يكونون رجالًا ونساءً شجعانًا من الدرجة الأولى، فإنهم على الأقل يمتلكون ما يؤهلهم للالتحاق بالمرتبة الثانية».

استدار وأعطاها فنجانًا وأشار إلى المقعد، لقد كان فنجانًا جميلًا من الصفيح، قرعته ندوب تنم عن احترام وتفضيل في الاستخدام، ولمع مقبضه من مداعبة الأصابع، تنهدت، أخذت الشاي ووضعته جانبًا ليبرد، ثم جلست على المقعد.

قالت: «انظر، كان هوك مستعدًّا للتحرك ضدي، ربما كان يجب أن أرى وجهة نظره، حتى لو لم أفعل، لا يمكنني استخدامه للدخول إلى البرج الآن؛ لذا فإن المهمة فاشلة».

قال أولام: «لا يزال لديك جوهر الظلمات، ربما يمكنك صنع مخلوق يستطيع التسلل وفتح الباب».

قالت تريس: «إن البرج مغطى بالفضة؛ لذلك لن يكون مخلوق الظلمات قادرًا على لمسه، على الأقل هذا ما قاله هوك. لا أعرف ما إذا كان هذا صحيحًا، أو ما أثق من صحة كلامه، ولكن في كلتا الحالتين لدينا مشكلة كبرى. أولام، لا أستطيع هزيمة الساحرة، ستعرف أنني قادمة».

قال أولام: «إنها تعرف بالفعل كما أظن، مما أعرفه عنها، ربما تتطلع إلى رؤية كيفية تعاملك مع دفاعاتها».

«فعلًا... من الممكن إثارة إعجابها بما نفعله لدرجة أنها تسمح لتشاركي بالذهاب؟»

قال: «غير محتمل، أفضل ما يمكن أن نأمله هو أنها تجدك مسلية وأن تطلق حريتك بعد ترمي عليك لعنة مبدعة على نحو خاص».

«إذن، ليس هناك أمل».

«حسنًا...»

رفعت تريس نظرها.

قال: «من المفترض أن أبقى محايدًا، كما ترين، مع تصرفات أشخاص معينين مثل الساحرة، لكن هناك شخص لا يتبع هذه القواعد، إنه على هذه السفينة، ولديه زوج من سراويل داخلية مطرزة باللون الأحمر الفاتح».

قالت: «هويد، لقد ذكرت أنه... ليس من أظنه، هل هو حقًّا أقوى من الساحرة؟»

قال أولام: «حسنًا، من المعروف أنه من الصعب الحكم على هذه الأشياء، لكن عليّ أن أقول نعم، أتمنى أن تعرفي هويد الحقيقي، بقدر ما كان من الممتع مشاهدة تجسده الحالي بكل روعته، فهو عادة مختلف تمامًا عن الشخص الذي تعرفينه».

«وهذا الشخص... أقل إحراجًا؟»

«حسنًا، عادة ما يكون أكثر إحراجًا، ولكن أيضًا بارع للغاية في أشياء بعينها، إذا كان هناك شخص واحد على الكوكب بأسره يمكنه هزيمة الساحرة وإخراجك أنت ورجلك على قيد الحياة، فهو ذلك الرجل. أنا لا أقول مزحة أو مبالغة في هذا، يا تريس. عندما يرغب في ذلك، هناك عدد قليل من الأشخاص في الكون بأسره الذين يمكنهم التأثير على أحداث مثل

صديقنا العزيز بملابسه الداخلية غير المناسبة».

أود إعلامك أنني امتلكت تلك الملابس الداخلية قبل اللعنة، وأنا متحيز لعملية الشراء هذه.

فكرت تريس فيما قاله، ثم جربت شايها أخيرًا، وهو ما أثبت وحده شجاعتها، لا أشرب أبدًا أي شيء يعطيني إياه أولام دون أن أختبر مفعوله أولًا على النباتات المنزلية.

قالت تريس: «إذا كان بالغ القوة، فكيف تمكنت الساحرة في نهاية الأمر من لعنه؟»

قال أولام: «ليس لدي أدنى فكرة، لكن هذا ليس مفاجئًا بالدرجة. بالنظر لمدى قدرته، يا تريس، غالبًا ما يتخطى حدوده بطريقة ما، لا يهم مدى قوة الشخص، إذا كان يعتقد أنه أقوى قليلًا مما هو عليه بالفعل، فهناك هامش للأخطاء الكبيرة، همم؟»

نعم، كان ذلك مقبولًا.

قال أولام: «بغض النظر، أعتقد في هذه الحالة أن ما حدث له لم يكن مصادفة. إذا كنت سأراهن بنقودي، أو بشيء أكثر قيمة، مجموعة أظافري المفضلة، أعتقد أنه تعرض للّعن عن قصد. ويواجه الآن مشاكل أكثر مما توقع لكسرها».

«لماذا؟» قالت تريس. «لماذا يُلعن عمدًا؟»

أجاب أولام: «لم أستطع الجزم».

كانت تريس متشككة، لكن في هذه الحالة كان أولام (يا للأسف) على حق، كنت أعتقد بصدق أنني كنت سأحل هذا الأمر في غضون فترة قصيرة. اتضح... أنه أصعب مما كنت أتوقع.

لحسن الحظ، كنت أقرب من الحل، أقرب من أي وقت مضى؛ لأن تريس باغتتها أعظم فكرة في ذلك الوقت.

«لذا...» قالت تريس، «ربما ليس عليّ هزيمة الساحرة، ربما عليّ فقط أن أجد طريقة لجعل هويد يفعل ذلك».

«ربما نعم، ربما بالفعل».

استأذنت تريس للانصراف، ثم تجولت حتى غرفتها، هناك بحثت تحت السرير وأخرجت مجموعتها من الفناجين، لقد مر وقت طويل منذ أن تفقدتهم بشغف. لم يتغير استمتاعها بهم، لكنها فقط ... لم يكن لديها الوقت الذي كان لديها من قبل. حقًا في هذه الأيام كانت تستخدم القدح المعدن الكبير فقط، الذي لن ينكسر إذا سقط من على الطاولة عندما تتمايل السفينة.

ومع ذلك، أخرجتهم واحدًا تلو الآخر ووضعتهم على المنضدة. أخيرًا، قامت بإخراج الرسائل التي أرسلها تشارلي إليها. حدقت بشكل خاص في فنجان الفراشة التي تحلق عبر المحيط. لقد افترضت سابقًا أنه يجب إجبار الفراشة على هذا الموقف الرهيب، وإلا لماذا تطير فوق الأبواغ؟

رأتها بشكل مختلف الآن، ربما كانت مجرد فراشة تعرف ما تريد، وكانت على استعداد لمحاولة الحصول عليه، بغض النظر عن مدى استحالة ذلك.

لم تكن فراشة انتحارية، لقد كانت ثابتة العزم.

وضعت الفناجين الأخرى جانبًا، لكنها احتفظت بهذه الفنجان، جنبًا إلى جنب مع قدح البيوتر، كان هذان المفضلان لديها. واحد يرمز للعزيمة. والآخر أداة عملية ومتينة وثقيلة، تقريبًا سلاح.

حادثت نفسها بأن هذين الفنجانين يمثلانها، جانب نفعي، وجانب حالم، التضاد. ومع ذلك، خدم كلاهما الغرض نفسه، أمر لافت للنظر.

لكن تلك الفراشة قد خرجت إلى المحيط وحدها، لم تجلب معها طاقم كامل للموت، أخذت نفسًا عميقًا وربطت شعرها للخلف، ثم أخذت الفنجانين وصعدت إلى سطح السفينة.

قالت لقائدة الدفة: «سالاي، لقد غيرت رأيي، أريدك أن تعدي الزورق الصغير، سوف آخذه إلى بحر الظلمات بمفردي».

الوحش



تعالت الاعتراضات بارتفاع الجبال.

«بمفردك؟» قالت سالاي. «كابتن، أي الأقمار أوحت لك بمثل هذه الفكرة المجنونة؟»

قالت آن: «سأذهب معك، يمكنني أن أحافظ على سلامتك، لدي ست مسدسات، وأربع عيون لأوجههم بها الآن!»

حتى لاغارت -الذي كان يحوم حول مجموعة الضباط- بدا قلقًا.

رفع فورت لوحه سائلًا: <لماذا؟>.

قالت تريس: «أريد أن أجرى التجربة على خلاصة الظلمات، أريد معرفة ما إذا كان بإمكاني السيطرة على الوحوش أو تدميرها؛ لأنني إذا لم أتمكن من ذلك، فلن نحرز أي تقدم، وكل هذا سيكون مجرد جدل عقيم. سأحاول ذلك بمفردي؛ لأنه لا يوجد سبب لجلب بقيتكم، لا يوجد شيء يمكنكم القيام به».

قالت سالاي وهي تعقد ذراعيها: «أعتقد أن هذه فكرة سيئة يا كابتن، لن أدعك تذهبين إلى بحر آخر بمفردك».

«ألست القبطان؟» سأل تريس. «ألا يمكنني اتخاذ هذا القرار؟»

قال سالاي: «يمكنك، لكن لا يجب عليك ذلك».

إن المفارقة مفهوم غريب، أعني التعريف الكلاسيكي على وجه التحديد: المفارقة هي الاختيار الذي يؤدي إلى نتيجة عكسية لما قصد منها. يتحسر العديد من النحاة على سوء الاستخدام شبه المستمر للكلمة، والذي يأتي في المرتبة الثانية فقط بعد الاغتيال الإملائي للطريقة التي يستخدم بها بعض الناس كلمة «حرفيًّا». (استخدامها لأغراض السخرية.)

أنا لست من هؤلاء الأشخاص الذين يهتمون إذا استخدمت الكلمات بشكل خاطئ. أنا أفضل عندما تغير الكلمات المعنى. إن عدم دقة لغتنا ميزة؛ أنها أفضل مثال لحقيقة الوجود البشري المغالى فيه: إن عواطفنا- حتى أرواحنا - هي نفسها مبهمة. إن كلماتنا مثل قلوبنا لا تزال أسلحة ساخنة بعد تشكيلها [في كير الحداد]، تطرق نفسها متخذة أشكالًا جديدة في كل مرة نقوم فيها بتأرجحها.

ومع ذلك، فإن المفارقة مفهوم مثير للاهتمام، إنها موجودة فقط حيث نريد العثور عليها؛ لأن المفارقة الحقيقية مفتاحها التوقع. يجب ملاحظة وجود المفارقة، نحن نخلقها من لا شيء عندما نجدها، ولكن على عكس الأشياء الأخرى التي نبتدعها، مثل الفن، فإن المفارقة تتعلق بخلق المأساة.

إن المفارقة ارتدادية.. تشييد ثم انهيار.

إن القدر المثالي من المفارقة شيء بديع.

لذا شاهد، وتمتع.

قالت تريس: «لا يمكنني السماح لنفسي بالتسبب في المزيد من المصاعب لأي منكم، أحتاج إلى القيام بالجزء التالي بمفردي».

تنهدت سالاي بهدوء، هذا النوع من التنهد الذي تقوم به عندما تحاول عدم الصراخ، لكنك تحتاج إلى إعطاء رئتيك شيئًا لتفعله. أومأت قائلة: «هل يمكننا التحدث على انفراد لحظة يا كابتن؟»

أومأت تريس موافقة، وابتعدت الاثنتان.

قالت سالاي: «لدي اقتراح آخر، نبحر بكروز سونج في طريق قصير ونلتف حول حافة الحدود لفترة من الوقت، نحاول جذب أحد هذه الوحوش، ثم نحاصرها بأبواغ خضراء ونحملها على متنها، من هناك يمكننا التراجع إلى القرمزي ونأخذ وقتنا في تجربته».

قالت تريس: «أمر خطير للغاية».

«أخطر عن أن تدخليه بمفردك؟»

أعادت تريس كلامها موضحة: «أمر خطير للغاية بالنسبة لكم جميعًا، هذا شيء يجب أن أفعله، لكن لا يمكنني السماح لكم بمواصلة المخاطرة بأنفسكم».

قالت سالاي بنبرة خافتة: «كابتن، تريس، تغيرت حياتي كلها عندما عدت من عرين التنين، لقد كنت أبحث عن أبي... لفترة طوية، دفعني الأمل في العثور عليه طوال هذه الفترة حتى بدأ الأمل يذبل، كنت ببساطة استمر في البحث خوفًا من تركه ليموت بالكامل.

«هذا الأمل على قيد الحياة مرة أخرى الآن، قمت أنت بسقايته، ورعايته حتى عاد مرة أخرى إلى الحياة، إن أبي حي، وأنا أعلم أين هو، أنا بحاجة لأن أتحمل ما سيأتي بعد ذلك حتى أتمكن من الوصول إليه».

قالت تريس بهدوء: «إذن ارحلي، أنت بحاجة إلى العيش لإنقاذه، لا يمكنك المجازفة».

قالت سالاي: «أنا بحاجة إلى طاقم جيد لاجتياز هذه البحار».

«لديك طاقم جيد».

قالت سالاي: «لقد كان، ويمكن أن يكون جيدًا مرة أخرى، لكن يا تريس، هل تعرفي ما الذي تفعله خدمة شخص مثل كرو لروح المرء؟ أنها تنمي حولها قشرة سوداء مثل الخبز المحمص المتروك لفترة طويلة في الفرن». أومأت برأسها مشيرة إلى أفراد الطاقم المجتمعين على ظهر السفينة. «لقد وضعتك في زمام الأمور لعدة أسباب. الأول هو أنني أعتقد أنك ستكونين قائدة جيدة، لكن الأمر الآخر هو أنهم بحاجة إلى شخص ما ليقودهم ويمكنه ضبط الأمور مرة أخرى، شخص لم يمتثل لأوامر كرو، إنهم بحاجة إليك».

أومأت تريس وقد بدأت تستوعب ما يحدث، قد يكون تولي سالاي للمسؤولية إلى حد ما مثل فريق يأخذ وقتًا مستقطعًا لإعادة تقييم إستراتيجيته، وكان إعطاء السفينة لتريس بمثابة هدم الملعب لبناء واحد جديد.

قالت سالاي: «منذ أن وصلتِ على متن هذه السفينة، لم تفعلي شيئًا سوى محاولة حمايتنا ومساعدتنا، يعرف الطاقم ذلك، سوف يتبعونك، سأتبعك، لكن لا يمكنني إنقاذ والدي بعد، لا يمكنني إنقاذ ... نفسي بعد. ليس حتى أساعدك أنت وهذا الطاقم؛ لذا أنا أطلب منك.. اسمحي لي أن أساعدك الآن».

«تطلبين؟» قالت تريس. «لماذا لا تطالبين؟»

هزت سالاي رأسها: «لقد تمردنا ضد كرو، لا يمكننا أن ندع هذا النوع من السلوك يُنظر إليه على أنه سلوك طبيعي، علينا أن نوضح أن عصيان كرو كان استثناءً متطرفًا.

«لذلك سوف نتبعك، بالضبط، أنا والضباط سنكون قدوة للآخرين؛ لأننا نعرف إذا لم نقم بذلك... حسنًا، عندها يمكن أن تسير الأمور على متن السفن بشكل سيئ للغاية. عندما تصبح الاستثناءات عادات؛ لذا إذا طلبت منا السماح لك بالقيام بذلك بمفردك، فسنسمح لك يا تريس، ينبغي علينا ذلك».

فاضت نظرات سالاي بالعديد من الدلالات وهي تنظر إلى تريس.

لم يحدث كلام سالاي التأثير المتوقع كما ظننت؛ لأن تريس قد تعلمت الدرس الخطأ، لقد سمعت الجزء الخاص بمساعدة الطاقم وحمايتهم، وهذا ضاعف من عزيمتها.

قالت تريس: «شكرًا لك يا سالاي، الآن أرجو إعداد الزورق الصغير، سأذهب وحدي إلى بحر الظلمات لاختبار نظرياتي حول السيطرة على وحوش الأبواغ هناك».

كان تنهيدة سالاي هذه المرة مصحوبة بهدير، كأنها ابتلعت شيئًا حانقًا وغاضبًا.

بالحديث عن هذا الموضوع، عادت تريس إلى مقصورتها لتلتقط قبعتها قبل أن تتوجه إلى سبيلها. وفي أثناء ذلك سمعت صوتًا من الزاوية.

قال هوك: «خذيني معك».

تجمدت تريس، ثم استدار نحو قفصه.

قال، «اصطحبيني معك، سمعتك تتحدثين. خذيني في القفص، إذا تحتم عليك ذلك، لكن اصطحبيني معك يا تريس على هذا القارب، قد تحتاجينني».

كادت أن ترفض، لكن شيئًا ما في صوته... ربما نبرته ... أخذت قبعتها، وتردّدت للحظة، لكنها حسمت أمرها بعد ذلك. أمسكت بمقبض قفصه أثناء مغادرتها وحملته معها وهي تندفع نحو السطح.

وهكذا، بعد فترة وجيزة، وجدت تريس نفسها في زورق التجديف، وكان بحر الظلمات يحيط بها في كل الاتجاهات. يرافقها فقط فأر محبوس في قفص وبرميل ماء وزوجين من الفناجين. لقد حان الوقت لمعرفة ما إذا كان بإمكانها تجاوز خط دفاع الساحرة الأول؛ لمعرفة ما إذا كان بإمكانها التغلب على وحوش القطران الرهيبة التي تجوب بحر الظلمات، لقد كانت لحظة متوترة ومثيرة، والتي لم تشهدها للأسف الوحوش المخيفة.

بالتأكيد سيظهرون في أي لحظة الآن.

واصلت تريس الانجراف وحدها في كل هذا السواد، كان البحر دافئًا، التهم أشعة الشمس إذا جاز القول. بطريقة ما بدت الظلمات أكثر غربة من البحر القرمزي. اعتقدت أن الأبواغ السوداء ستكون مألوفة أكثر. يتحول العالم إلى اللون الأسود لمدة نصف يوم تقريبًا، كل يوم. لقد كان لون الطبيعة.

ومع ذلك، جلست هناك، شعرت كما لو أن قاربها الصغير معلق في الفراغ. عدم هائل. حتى صوت الفوران الذي جعل الأبواغ تتموج لم يكن مريحًا. بدا أن ثمة خطبًا قد ألمّ به، في مقابل هذا الليل المثابر، في مقابل هذا الامتداد الشره الذي أكل ضوء الشمس ذاته.

والآن كانت الشمس تغرب، استدارت تريس ونظرت للخلف بشوق، لكنها كانت قد جدفت لمدة ساعة أو نحو ذلك، وكانت ذراعاها المتألمتان دليل ذلك.

لم تعد كروز سونج مرئية حتى، ولا البحر القرمزي. كانت وحيدة باستثناء هوك، الذي جلس في قفصه هادئًا ومذعورًا على الرغم من مطالبته باصطحابه. حاولت تريس الكتابة قليلًا في دفتر ملاحظاتها لتمضية الوقت، لكنها كانت قلقة ومشتتة للغاية، لم تكن فكرة جوهر الظلمات فقط، ولكن حقيقة أن الأبواغ كانت قريبة جدًّا، تتماوج وتصدر فقاعات خارج بدن قاربها.

حاولت النظر إلى السماء، ولكن ما إن فعلت، غرقت الشمس خلف القمر في الأفق، قمر الظلمات، مثل ثقب في سماء الواقع؛

لذلك انتظرت. هناك القليل من الأشياء أسوأ من الوقت المثير للأعصاب الفارغ، يبدو وقت الفراغ الذي لا يمكنك استخدامه بأي شكل من الأشكال دائمًا ضرب من سخرية الطبيعة نفسها منك.

لكن أخيرًا، رصدت تريس حركة.

اقترب خلاصة الظلمات منها بشكل مقلق دون أن يلاحظه أحد. ربما لأنه كان مخلوقًا أسود وسط سواد، كما ساعدته حركته عبر الأبواغ أيضًا في إخفاء دنوه. بمجرد أن رصدته، تتبعته بسهولة؛ لأنه يعكس ضوء مصباحها مثل الزيت.

اشتعلت أنفاسها، توقفت عن القلق بشأن الأبواغ، وركزت فقط على اقتراب هذا الرعب، أي نوع من الوحش يتحرك عبر الأبواغ؟ يستحم فيها؟ أو... يسبح؟ هل كان هذا هو المصطلح الصحيح؟

عرفت تريس الكلمة من إحدى قصص تشارلي، رغم أنها وجدت الفكرة رائعة، هل كانت هناك أماكن بها الكثير من الماء بحيث يمكنك الدخول فيها حتى تغطي رأسك؟ ألا يغمرك الماء وتغرق؟

أيًا كانت الكلمة، فإن المخلوق الذي يقترب كان يقوم بهذا الفعل. ربما تميز عزيزي القارئ جوهر الظلمات على أنه يشبه نوعًا من ثعابين البحر، يبلغ على الأرجح نصف طول كروز سونج، لكنك أتيت من عالم تعيش فيه الأشياء في الماء، كانت هذه الفكرة غريبة تمامًا عن تريس؛ ولذا وجدت حركات الوحش غير طبيعية ومزعجة. يجب ألا يتحرك العمود الفقري بهذه الطريقة، مثل قطعة من الخيط، تنحني بخطوط مرنة.

دار حول زورقها كحيوان مفترس، كان مرتبكًا أيضًا.

لماذا كان هذا الإنسان جالسًا هنا وحيدًا في قارب صغير؟ كنت ستشعر بالمثل إذا كنت تتجول في الغابة ووجدت عشاء ستيك دافئًا ترك على جذع، أي حيلة كانت هذه؟

حتى يومنا هذا لا أستطيع الجزم ما إذا كان جوهر الظلمات حي أم لا. إن رابطة لوهل رابطة غريبة بالتأكيد. بالنسبة لسياق القصة، تخيل أن الشيء الذي ينسل خارج قاربها كان من الناحية الوظيفية مدركًا لذاته، على أقل تقدير تم إعطاؤه مجموعة محددة من الأوامر التي تقترب من الحياة.

ولهذا كان حذرًا، أعطى هذا تريس الاستهلال الذي احتاجته. مدت يدها وهي ترتجف ولمست المخلوق وهو يسبح بجانبها.

كان هذا -في إدراك المخلوق- مقلقًا للغاية، كان وحشًا غريبًا عدواني التصميم، ومشبعًا بالكراهية لجميع أشكال الحياة. لقد أمضى كل حياته في البحث عن السفن، وما أن يجدها تنمو أرجله لينزلق على متنها ويقضي على من بداخلها. عندما رآه الناس، أصدروا جميع أنواع الضوضاء، على الرغم من أن كل صوت انتهى ببقبقة مؤلمة. كان هذا صوت بالنسبة له يعني عمل تم إنجازه على أكمل وجه، صوت إشباع وجوده.

خاف الناس منه، لم يمدوا يده للمسه، كان هذا في الأساس مثل سلامي يقف ويحاول القفز في فمك، لا يعني ذلك أنك لا تحب السلامي الجيد، ولكن يجب على الأقل أن تبذل جهدًا من أجل الحصول عليه.

أيضا، كانت هناك مسألة السيطرة على العقل.

راهنت تريس بكل شيء على قدرتها على فعل ما كانت تفعله سابقًا، أن تحكم السيطرة على هذا الشيء.

لقد كانت خطة يمكن اعتمادها أكثر مما قد تعتقد. كما ترى كان البحر شاسعًا أكبر من أن تراقبه الساحرة كله لتهتم بكل مخلوق على حدة، لقد صنعتهم على دفعات، ثم أرسلتهم بأوامر، واحتفظت فقط بسيطرة غير محكمة عليهم. في الواقع إذا حاولت توجيه كل هذه المخلوقات بشكل نشط؛ لأصيبت بالجفاف وماتت على الفور.

علاوة على ذلك، كان لدى المخلوقات ما يكفي من الوعي الذاتي لاتخاذ القرارات، للاختيار. هذه ميزة خطيرة يجب إضافتها إلى أتباعك المتجولين. ولكن مرة أخرى، لم يكن لدى الساحرة خيار آخر، كان عليها أن تمنحهم قدرًا من الاستقلالية؛ خشية أن يكونوا غير قادرين على أداء الوظيفة التي صممتهم من أجلها؛

لذا نعم، كان من الممكن أن تنجح خطة تريس.

إذا زادت خبرتها في الرفء أكثر من أسبوعين.

حاولت تريس السيطرة على المخلوق كما فعلت في وقت سابق، وضغطت على عقلها لعمل الرابط. انتصب المخلوق على قائمته الخلفيتين خارجًا من الأبواغ، مبتعدًا عن يدها، ونظر إليها بعيون الظلمات. جال سؤال في رأسها... أراد شيئًا. حاولت أن تعرض الماء عليه، على أمل أن يكون أكثر مما تعطيه الساحرة.

رفض ذلك. بطبيعة الحال، عرفت الساحرة بهذا الاحتمال، لقد فهمت الضعف الكامن في مخلوقاتها، وقد قامت ببنائها بآليات معقدة لإدراك أي محاولة خارجية للسيطرة، كانت تريس ذات موهبة لا تعرف الاستسلام وذات عزم واضح الثبات، لكنها لا تزال قليلة الخبرة.

والجدير بالذكر أن الساحرة لم تكن.

انتصب المخلوق على قائمته الخلفيتين محدثًا هسيسًا وقد أشهر عن أنيابه في انتظار المأدبة، ألقت تريس بنفسها في قاع القارب مذعورة.

عندها تحدث صوتًا صغيرًا بنبرة عالية.

قال هوك: «توقف»، ثم تابع بصوت بدا مترددًا، «خذنا إلى سيدتك، أنا... عندي تصريح بالمرور».

تمايل المخلوق برأسه، وتلاقت مجموعات أوامر توجيهه المعقدة لتركز على صاحب ذلك الصوت. إحدى التعليمات كانت تقضي بعدم التهامه، والأخرى كان ضرورة أخذه إلى سيدته عندما يأمر بذلك.

عاد هوك الفأر إلى المكان الذي خُلق فيه، وفقًا لتعليمات الساحرة.



السجين



في صباح اليوم التالي، وصلت تريس إلى جزيرة الساحرة.

لقد سُمح لها بشرب الماء واستخدام المرافق (إناء التبول) على زورق التجديف الصغير، لكن بخلاف ذلك فقد أمضت الرحلة محاطة بليات خلاصة الظلمات. لا تقدر على الحركة. ظهر اثنان آخران مثله من الأبواغ لدفع القارب بسرعة فائقة إلى وجهتهم.

رفض هوك الرد على طلبها بتوضيح ما فعله، أو لماذا امتثلت له المخلوقات، لكن كان لدى تريس شكوك.

لذلك بعد رحلة عجيبة، وصلت تريس أخيرًا إلى جزيرة الساحرة. ووجدتها أصغر مما كانت تتصورها، وهو أمر لافت للنظر؛ نظرًا لصغر جزيرة تريس وفقًا لمعايير معظم العوالم؛ لذا كانت دهشتها مشابهة لما قالته طفلة تبلغ من العمر أربع سنوات، «أتعلم، كنت أتوقع منك أن تكون أكثر نضجًا».

نظرًا لأن بحار الأبواغ تفتقر إلى السيليكات الدقيقة المشتقة من الشعاب المرجانية المنقحة بواسطة عمليات الهضم الإكثيولوجية (نعم، إن شواطئك المفضلة عبارة عن فضلات الأسماك)، كانت جزيرة الساحرة مجرد كومة أخرى من الصخور ترتفع من الأبواغ. في هذه الحالة، كانت الجزيرة الصخرية الصغيرة ذات اللون الرمادي الداكن دائرية بشكل مثير للريبة، وربما يبلغ عرضها مائتي ياردة.

حاولت بعض الأشجار تجميل المنظر الطبيعي لكنها باءت بالفشل، سواء لكونها متناثرة أو غير مناسبة. وبدلًا من ذلك، بدت سقيمة ومغضنة ذات أوراق بشَرارِيب نمت فقط عند أطراف الفروع. كما لو عرفوا مفهوم «الأشجار» من خلال الوصف فقط، وبذلوا قصارى جهدهم ليشبهوها بوجه الإجمال.

قد أمضت تريس الرحلة وهي تتناوب بين كره هوك وكره نفسها، مع مساعدة سخية تنهال على نفسها. جلست الآن محاطة بليات جوهر الظلمات، تراقب بفزع وهم يقتربون من الجزيرة. وتجدر الإشارة إلى أن جوهر الظلمات بدا الآن أقل منه ثعبان البحر وأقرب إلى كومة من الكروم الأخضر.

كان بدن القارب يحتوي على خط من الفضة؛ مما خلف أبواغًا ميتة وراءه لتتعقبه بأثر يتبدد. حرص المخلوق على عدم لمس الفضة، ولكن -مثلما لاحظت تريس عندما رأت من خلال عيون فأر الظلمات- يمكن أن تقترب منها دون أن يتم تدميرها.

فتح المخلوق قفص هوك، وجلس على أحد المقاعد الخشبية، بالقرب من مقدمة القارب. انسحقت الأبواغ وأحدثت حفيفًا عاليًا بينما دفع مخلوقي الظلمات الآخرين الزورق الصغير إلى الأمام بثبات.

«لقد كنت هنا من قبل»، خمنت تريس. «كل هذا الحديث عن النشأة في مجتمع من الفئران، كان كله أكاذيب، أليس كذلك؟»

«نعم»، همس هوك.

قالت تريس: «أنت تنتمي إليها، أنت قرين لدى الساحرة، أو شيء من هذا القبيل، لطالما انتميت إليها».

«نعم» قال بلين.

كانت كل إجابة بمثابة سهم، من النوع الشائك الذي يؤلم عند إصابته، ولكن أيضًا ينفلق ويمزق الجسد عند نزعه، من النوع الذي يجعلك ترغب في تركه مغروسًا، مع جروح لا يمكن أن تلتئم أبدًا، خوفًا من ألم أسوأ عند انتزاعه.

ومع ذلك، بقدر ما تأثرت، أجبرت نفسها على الاعتراف بشيء ما، لقد فعل هوك كل ما في وسعه، باستثناء ترك السفينة عندما في الميناء؛ لمنعها من القدوم في هذا الطريق، ولحمايتها من الساحرة.

لقد كذب، نعم، لكن من الواضح أنه كان مرعوبًا من الساحرة. لم تستطع إلقاء اللوم عليه كثيرًا بسبب الطريقة التي تصرف بها، الآن بعد أن أعادته دون قصد إلى هنا. ومع ذلك، يمكنها أن تلوم نفسها.

كان يجب أن تكون أكثر ذكاءً، وأن تضع خطة بديلة، ربما كان عليها أن تأخذ بنصيحة سالاي، وتدع الطاقم يساعد في حل المشكلة؟ تراجعت تريس على شفا الكارثة وهي تفكر في ذلك.

إن للتغيير جانبًا خادعًا، نتظاهر بأن التغييرات الكبيرة تتعلق بقرارات فردية، ولحظات فردية، وهذا حقيقي في واقع الأمر، لكن القرارات الفردية واللحظات الفردية بدورها لها سلسلة ممتدة من القرارات الأصغر وراءها. لا يوجد انهيار جليدي بدون جبل من الثلج، حتى لو بدأ بانهيار جزء صغير منه.



لا تتجاهل جبال الدقائق التي تتراكم خلف قرارات مهمة، كان هذا يحدث لـتريس في تلك اللحظة، لم ينبثق الإدراك الكامل بعد كضوء الفجر، لكن الوهج كان يلوح في الأفق.

قادت وحوش الظلمات القارب بطريقة غريبة عندما اقتربت من الجزيرة، وسرعان ما لاحظت تريس السبب، امتدت خطوط طويلة حادة من الحجر المقطوع المدبب عبر البحر، مثل قضبان رمل مسننة. اختارت الساحرة جزيرتها عن عمد؛ كان الاقتراب من المكان غدارًا بشكل استثنائي. تكمن الصخور المخفية مثل الألغام، بالكاد تختلس النظر من خلال الأمواج الغاضبة، ولا تعطي أي إشارة تقريبًا إلى مواقعها.

كان الاقتراب إذن شبه مستحيل، وعندما قام القارب بسلسلة من المناورات الخبيرة، تسيره الوحوش التي عرفت المسار الصحيح من خلال مهارتها السحرية، شعرت تريس بغثيان في معدتها. كانت هذه حماية الجزيرة التي لم يعرفوا عنها. لم يخبرهم هوك بذلك، ربما بسوء نية. (في الحقيقة لقد نسي ببساطة، لكن هذا خارج عن الموضوع).

إذا وصلت كروز سونج وحاولت الإبحار إلى الجزيرة، فمن المؤكد أن بدنها كان سيتمزق إلى أشلاء ولماتت على الأمواج. كانت مهمتها هنا محكوم عليها بالفشل طوال الوقت.

في النهاية، أبحر قاربهم الصغير -الذي بدا كبقعة وحيدة من اللون تقشط الجزء العلوي من الفراغ- نحو الشاطئ. هناك كان بإمكان تريس تمييز فيلق ذهبي من الرجال الآليين الخارقين يقفون في صفوف حول برج الساحرة. وقفوا مدججين بالرماح والدروع، وكان بإمكان تريس تخيلهم تقريبًا كرجال يرتدون دروعًا وأقنعة حديدية، لولا وقفتهم الساكنة بشكل غير طبيعي.

بخلاف الأشجار المتناثرة ومئات الرجال الآليين الخارقين، كان البرج نفسه هو الخاصية المميزة الوحيدة للجزيرة. كان على عكس حجم الجزيرة أكبر بكثير مما توقعته تريس، كان مرتفعًا وعريضًا، وذا قمة بارزة، ونظرًا لاحتشام تريس الشديد، فلم تنبس بصوت لوصف ما يشبهه. أنا -بالطبع- لا أعرف ما الشعور بالحشمة؟ لذلك عندما ذكرت كيف يبدو، سألتني الساحرة إذا كنت أرغب في وجود رمز تناسلي كبير يقسم جبهتي.

كانت تريس تأمل في طريقة للهروب بمجرد رسو القارب، لكن المخلوق أبقاها ملفوفة بإحكام، ورفعها وحملها أمامه بينما كان هوك يقفز من القارب على الأرض الحجرية، ثم نظر نحو تريس، كانت المرة الأولى التي ينظر إليها مباشرة منذ أن صعدا إلى القارب الصغير.

حدقت في وجهه، لقد ذبل بشكل واضح، مثل كرمة بدون ماء كافٍ. بيد أنه اشرأبَّ فجأة كما لو عزم على فعل شيء ما. قال هوك: «نعم، نعم، هذا كل شيء، لا تفعل ما تطلبه على الإطلاق».

نظر إلى الوحش، ثم أسرع إلى الأمام قبل أن تتمكن تريس من توبيخه مرة أخرى. عبروا الأرض إلى البرج نفسه، وسمح لهم الرجال الآليون الخارقون بالمرور. بدت لتريس أن الأشياء كلها كانت في سبات، مجرد تماثيل.

سرعان ما جذب البرج انتباهها، لقد كان مشهدًا مذهلًا، تناثرت عليه فضية من كل جهة أكثر مما رأت من قبل في مكان واحد. كان هناك الكثير منها، في الواقع أنه سيدمر الأبواغ بمعدل لا يصدق، هي الحماية ضد إنبات العدو للأبواغ.

ثمة باب مشيد في جانب البرج، ويبدو أنه مصنوع من الفضة أيضًا، وقف هوك أمامه، وتحدث بصوت عالٍ: «كما أمرت، عدت إلى البرج مع أسير لتقديمه إلى الساحرة، أيها الباب السحري، افتح! آه، قيل لي..»

فتح الباب من تلقاء نفسه.

قال: «حسنًا، جيد»، ثم انطلق إلى الداخل، ثم نظر إلى نفسه، ثم أعاد النظر إلى تريس، غير متأكد عما سيحدث لاحقًا.

ترك وحش الظلمات -الذي بدا الآن وكأنه حريش كبير بمخالب بدلًا من أقدام- تريس تذهب ودفعها عبر الباب إلى داخل البرج. لا يمكنه أن يتبعها؛ بسبب الفضة. بدلًا من ذلك ألقى لها بشيء.. فناجينها. قدح البيوتر والآخر ذو رسمة الفراشة، لقد أحضرهما لأنه وجدهما في القارب ولم يعرف ما إذا كانا مهمين أم لا.

عندما انحنت تريس لالتقاطهم، انغلق الباب، حبسها في الداخل وتركها أمام خيار واحد فقط.

المضي قدمًا، ومواجهة مصيرها.



الساحرة



استغرقت تريس بعض الوقت لإعادة توجيه نفسها، وأخذت نفسًا عميقًا وفركت ذراعيها، محاولة تنظيف مكان لمسة مخلوق الظلمات الغريب. فكرت في الإمساك بهوك، لكنه سرعان ما اختفى وهو يتسلق مجموعة من الدرجات باستخدام حافة درجات الصعود بجانبها المنحدرة.

بقيت تريس ثابتة في الوقت الحالي، لقد دخلت ممرًّا مبطنًا بالمعدن بالكامل، مزينًا فقط بسجادة حمراء أسفل المنتصف مثل اللسان. كانت مطعمة بالرموز التي يمكن أن يتعرف عليها شخص كثير الارتحال على أنها أيونية، لكن تريس رأتها من الحروف الرونية المبهمة. لم يكن تفسيرها يتسم بكثرة من الشطط.

وبدلًا من أن تكون الجدران مبطنة بالصور أو المفروشات، كانت تحمل العديد من اللوحات التي ذكرتها بلوح فورت. حسنًا، قد يصف العديد من الرواة مثل هذا المدخل بكلمات مثل بارد وعقيم؛ هذا يرجع في الغالب إلى تداعي الذكريات، قد تذكرك الأضواء البيضاء النقية الهادئة في السقف المنتشرة من خلال مرشح بلاستيكي بمبنى مكتبي، في حين أن اللمسات النهائية المعدنية الخالية من المزخرفة قد تذكرك بغرفة عمليات المستشفى.

بالنسبة لتريس، لم تكن الغرفة باردة، لم تكن رزينة أو كئيبة أو صارمة، أو أي كلمات أخرى قد تصف سياسيًّا في محاكمته بعد هروبه من اعتداء الحشود الغاضبة.

همست: «إنه جميل، نظيف للغاية ومشرق للغاية، كما أتخيل الحياة في العالم الآخر».

تردد صدى كلماتها في الممر، أخيرًا أخذت نفسًا طويلًا، كانت هنا، لم تمت، ربما ... ربما تجد طريقة لإنقاذ تشارلي، رغم كل شيء، وبعد كل شيء، كان هذا المكان هو وجهتها طوال رحلتها.

لذلك استجمعت ما تبقى من تصميمها، وخطت للأمام وصعدت الدرجات، وجدت في الأعلى بابًا يُفتح من تلقاء نفسه وينزلق إلى الجانب؛ لأن الساحرة كان لديها تصورات خاصة جدًّا حول الشكل الداخلي لهذا النوع من السفن.

دلفت تريس إلى غرفة دائرية كبيرة ذات أبواب على الجانبين، كانت الغرفة نابضة بالحياة، ومزينة بأنواع الأشياء التي من شأنها أن تحدث فوضى إذا كان على الساحرة المغادرة على عجل. تناثر الأثاث ورفوف الكتب، كانت الأرضية لا تزال معدنية -مزينة بخريطة الكوكب- والأضواء لا تزال صناعية، لكنها جعلتها تبدو مريحة.

جلست المرأة نفسها على مكتبها بالقرب من أرفف الكتب، وهي تحمل قطة بيضاء ناعمة وتفعل شيئًا ما على جهاز الكمبيوتر المحمول. أو أعني «لوحة الرؤية السحرية» التي تسمح لها بمشاهدة الأحداث في الخارج، وكذلك لعب الورق السحري أحيانًا لتمضية الوقت.

توهج جلدها ووشى بفوران فضي. ربما كانت في الخمسينيات من عمرها، بالأحرى كان ذلك عمرها عندما توقفت عن التقدم في السن، وقد قطعت شوطًا طويلًا بعيدًا عن كونها العجوز الشمطاء التي كانت عليها من قبل.

كانت قصيرة، وممتلئة الجسم قليلًا، وتحب إبقاء شعرها في كعكة من أجل الراحة وتمقت المكياج. أعني سأفعل ذلك أيضًا، إذا توهجت حرفيًا. يميل نوعها إلى تفضيل الملابس واللهجات الأخرى التي لا تصرف الانتباه عن طبيعتها المضيئة.

على الرغم من أنها كانت بعيدة جدًا عن موطنها، فإنها كانت قوية للغاية. درات على كرسيها، ووضعت لوحتها الغامضة على الطاولة، ثم رفعت قطتها عن حجرها، فقفزت القطة على الأرض، ثم نظرت لهوك الذي انكمش على المنضدة، أشارت الساحرة، وانسلت القطة نحو الباب، وخرجت متجاوزة تريس.

كانت تريس توليها القليل من الاهتمام، حيث كانت مفتونة بألواح الرؤية المختلفة على المكتب، أظهر أحدهم منظر الرواق حيث دخلت تريس، أظهرت عدة لوحات أخرى على مكتبها لقطات للجزيرة، لكن أحدها صور سطح سفينة كروز سونج.

«آه!» قالت الساحرة وهي تقف. نظرت إلى هوك، الذي انحنى خجلًا أمام نظراتها. «إذن هذه هي، عرضك، يجب أن أقول، أنا لست منبهرة، تبدو هزيلة، وهذا الشعر! يا فتاة، أعلم أن كوكبك ليس مهمًا إلى حد كبير، لكن بالتأكيد شعبك قد اخترع فرشاة الشعر».

ابتلعت تريس ريقها، بدت لها المرأة بها مسحة مقدسة، وكان جلدها المتوهج يساعدك حقًّا في الحصول على انطباع أول جيد، لطالما حسدت هذا المظهر لقرون، وكنت أهدف إلى اعتياده.

في الواقع، هذا لب الموضوع كله، لكني أستبق نفسي.

نحت تريس رعبها جانبًا ورسمت خطتها المتداعية، جمعت شتات نفسها، وأمسكت بفناجينها لمنحها القوة، وتحدثت: «أيتها الساحرة! لقد أسرت شخصًا أحبه، جئت للمطالبة بعودته».

«مطالبة؟» هي سألت. «ما الذي يجعلك تعتقدين أنه يمكنك مطالبتي بأي شيء؟»

قالت تريس: «لأنني هزمتك».

«هزمتني؟» سألت المرأة وهي مستمتعة وتنظر إلى هوك.

قالت تريس: «لقد عبرت محيطك، واقتربت من جزيرتك، ومررت بجيشك الآلي، وتمكنت من الدخول إلى مخبرك، لقد تغلبت على الاختبارات الأربعة التي وضعتها أمامي، وتمكنت من المثول أمامك».

«ها!» قالت الساحرة. «اختباراتي الأربعة؟ يروق لي ذلك، لقد كنت تستمعين إلى هويد، قولي لي كيف حال أولام؟»

«ماذا...» نظرت تريس إلى هوك، الذي كان يفرك أقدامه. «هو ... بخير يا سيدتي، يبدو أنه سعيد على السفينة على الأقل».

قالت: «كل هذا الوقت، ولم يأت لرؤيتي قطّ، إنه حكيم على ما أظن، إنه يعلم أنني أحتفظ بوعاء من الحمض من أجله فقط. إنها إحدى الطرق الوحيدة للتأكد من ماهيتهم -كما تعلمين- الحمض أو نيران جيدة».

تجولت الساحرة في وسط الغرفة الدائرية، وهي تمشي عبر خريطة العالم المرسومة على الأرض. أطلق المرتحلون خارج الكواكب على المكان لومار، وهو ترجمة جيدة جدًّا للاسم الذي تستخدمه عدة لغات أصلية، لم ترَ تريس قطّ خريطة مفصّلة لها من قبل، ولكن كان هناك الكثير لتستوعبه؛ لذلك لم تكرس الكثير من تفكيرها في الأمر.

خطت الساحرة مباشرة إلى تريس، من الواضح أنها لا تخاف من الاشتباك الجسدي.

قالت تريس: «إذن، لقد هزمتك ...».

ابتسم ابتسامة عريضة. «هل كنت تعتقدين حقًّا أن هذا سينجح يا عزيزتي؟ تتظاهرين بأسرك عن قصد لتجاوز دفاعاتي؟»

ابتلعت تريس ريقها، ثم استحضرت خطتها الاحتياطية. «أنا ... أمم... أريد أن أقوم بالمقايضة معك، لدي مسدس ضوئي، إنه يطلق الرصاص الذي يؤدي إلى انفجارات الأبواغ».

«نعم، لقد رأيته» قالت الساحرة مشيرة إلى لوحات العرض الخاصة بها. وواحدة منها لا تزال تصور كروز سونج، كانت الصورة متذبذبة، تتحرك ... وكانت هناك بعض الأصابع على جانب الصورة ممسكة بها. . .

أدركت تريس أنه لوح فورت، كان المنظر من لوحه مواجهًا الخارج، وكانت الساحرة تستخدمه للتجسس علينا.

بالفعل، إذا كنت في كامل قواي العقلية، لأدركت منذ زمن طويل أن بروتوكولات الأمان معطلة ضمنيًّا؛ مما جعل اختراق الأشياء سهلًا للغاية، كانت الساحرة تراقبنا طوال هذا الوقت، باستثناء الفترة القصيرة التي انتقل فيها فورت بين لوحين، لقد توقفت عن إيلاء الكثير من الاهتمام لكروز سونج بمجرد مغادرة تريس.

تابعت تريس: «مسدسي، إنه من تصميمي، وليس له مثيل في أي مكان في باقي البحار، أريد أن أقايض التصميم معك في مقابل عودة تشارلي، الرجل الذي أحبه».

سألت الساحرة: «هل تعتقدين أنه مع كل التكنولوجيا المتقدمة المتاحة لدي سأكون مهتمة بمسدس أبواغ؟ نوع من الأسلحة التي يتم تصنيعها بالفعل في عدة بحار على هذا الكوكب بالذات، والذي ببساطة لم يجد طريقه إلى محيطك بعد؟»

كاد عزم تريس يتقوض بالفعل، الآن انهار كل شيء، نظرت إلى هوك الذي رفع -بشكل غريب- مخلبًا تجاهها بقبضة صغيرة مشجعة.

أدركت تريس أن شيئًا آخر كان يحدث هنا، شيء لم تستوعبه بعد. بدأت تفكر في الأحداث التي قادتها إلى هذه النقطة. كان هوك قادرًا على مطالبة وحش الظلمات بإحضارها إلى الجزيرة. بدت الساحرة مفتونة بها وطاقمها، كانوا يستحقون الملاحظة والمشاهدة، لماذا؟

فكرت تريس في هويد، يمكنه هزيمتها، كانت تراقبه.

إذن ما علاقة هوك بكل هذا؟ ولماذا كانت الساحرة تتحدث مع تريس بدلًا من حبسها بعيدًا؟

لم تكن تريس تعرف ما يمكن توقعه في مواجهة مع هذه المرأة، لكن محادثة متحضرة بالتأكيد لم تكن ضمن توقعاتها، لقد جعل ذلك تريس تشعر بريبة شديدة.

استدارت الساحرة وسارت نحو مكتبها. «حسنًا، يا صغيرتي، لست بحاجة إلى تقنيتك، لكني أجدك مثيرة للاهتمام. سيسلو، يرجى فتح جسر غرفة الحجز».

قال صوت أحادي النغمة: «تحت أمرك، كان الروح التي سكنت هذا المكان، كما ترى، تطيع إرادة صاحبها. نعم، مثل العقول الناطقة التي تسكن السفن التي رأيتها تهبط على كوكبك.

أحدث أحد الأبواب على جانب الغرفة صوتًا مسموعًا، ثم فتح، وخلفه وقف تشارلي.

بدت ملابسه أسوأ قليلًا، كان يرتدي بعض ملابسه الرسمية، التي رأته يرتديها أثناء ظهوره مع والده، لكنها كانت مجعدة وممزقة في أماكن قليلة. بخلاف ذلك، بدا كما تتذكره تمامًا، بشعر لا يمكن فرده وابتسامة عريضة.

قال مسرعًا إلى تريس: «كنت أعرف إنك ستأتي، كنت أعلم إنك ستفعلين! أوه، تريس، لقد أنقذتني!»

في هذه اللحظة، كانت مشاعر تريس بالغة التعقيد، مثل ذلك الحبل الذي أقسمت دائمًا أنك وضعته بعيدًا بدقة، ولكن عندما يخرج من التخزين يبدو وكأن شخصًا ما استخدمه لابتكار أنواع جديدة من العقد التي تحني الزمكان.

كان تشارلي، كانت رؤيته لا تصدق، جعلها ذلك سعيدة ومرتاحة، وأيضًا تشعر بالرغبة في الاحتفال، وتغمرها مشاعر عدة مثل الحماس والامتنان، نعم، كل ذلك، كل المشاعر التي تتوقعها كانت حاضرة ومبررة.

لكنها شعرت أيضًا بالحزن الذي لم تستطع تفسيره. (سنصل إلى ذلك) بالإضافة إلى الارتباك والشك، هل هذا كل شيء؟ هل كانت حقًا ستحصل على ما تريد؟

قالت الساحرة: «سأبادله بهذين الفنجانين».

«ماذا حقًا؟» سألت تريس.

قالت الساحرة: «حقًّا، اتركيهم ببساطة على الرف بجوار الباب».

«هل هو ... مستأنس بأي شكل من الأشكال؟» سألت تريس.

«أوه، هذا، يجب أن ألعب الدور، أليس كذلك؟ احم.

«تحت اللمبة الساطعة،

مع جرعة مانعة،

سأجعله يشعر بها،

فلتكسر هذه التعويذة».

كان هذا فعلًا بربريًّا، فعلت ذلك لتزعجني.

كان ذلك بالضبط نوع الكلمات الذي توقعت تريس سماعه، هراء غامض- روحاني بشكل مريح. وضع تشارلي يده على رأسه، ثم انحنى إلى أسفل وأعطاها قبلة قصيرة.

هذا جعل مشاعر تريس تتطور أسرع.

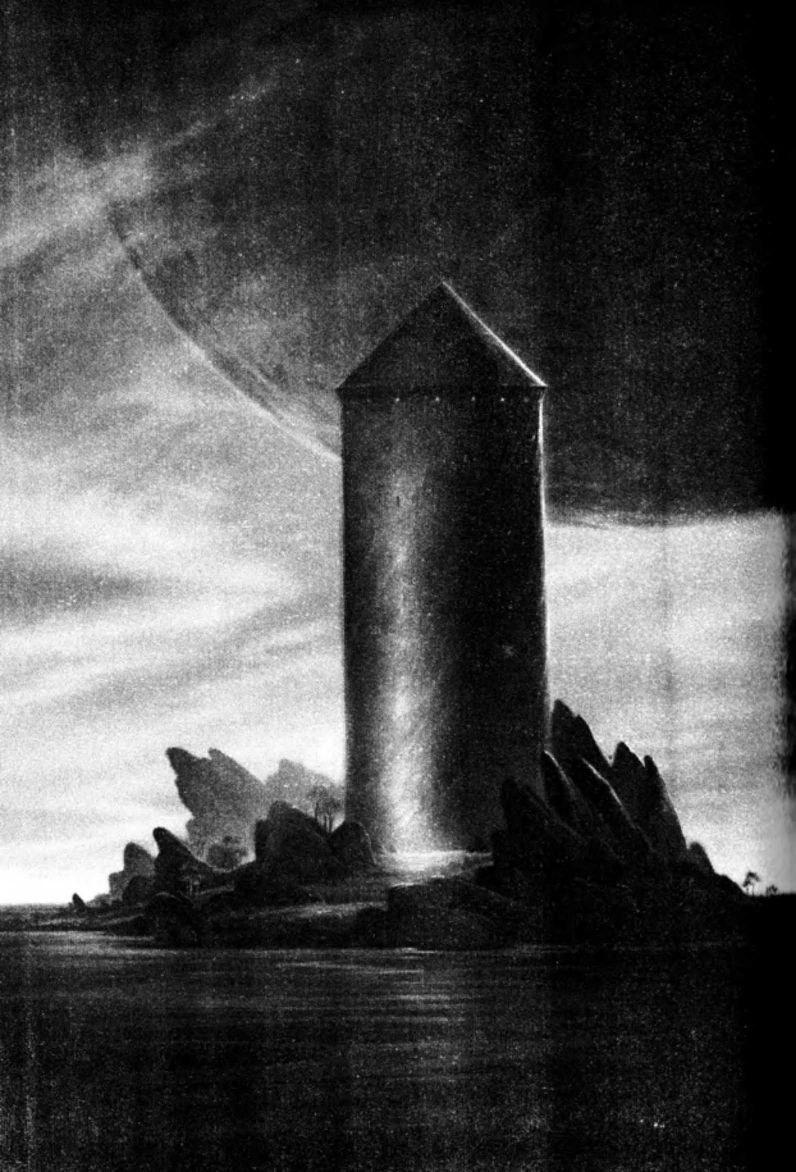
«انظر يا فأر؟» قالت الساحرة. «قلت لك، أليس كذلك؟»

أحنى هوك رأسه على المكتب.

تابعت الساحرة: «قلها، قلها، يا فأر».

«كنت على حق»، همس بصوت غير مسموع تقريبًا. انزلق بعيدًا عن المكتب، سقط على الأرض، ثم تلاشى.

سيطرت تريس على عواطفها، وصفعتها بعقلانية ووضعتها جانبًا بنظام، سيكون هناك وقت للتعامل معها في وقت لاحق، في الوقت الحالي اتخذت قرارًا.



آن وقت الرحيل، أمسكت بيد تشارلي، ووضعت الفنجانين على الرف بجوار الباب، ثم أسرعت للخروج على الدرج.

قطع تشارلي المسافة كلها بخطوة، بدأ في رواية قصة مملة إلى حد ما عن أيامه في الأسر والتي لن أكررها هنا درءًا للرتابة. لاسيما وأنه سرعان ما انتقل إلى التعليقات الأخرى. قال: «أوه، تريس، ألن يكون من اللطيف العودة إلى حياتنا الطبيعية مرة أخرى على الصخرة؟ ألن يكون من الرائع العودة إلى الفطائر وغسيل النوافذ والبستنة؟»

هنا -في أسفل الدرجات تمامًا، ومع سماع أسئلة تشارلي- هجم على تريس حزن قاتل بطريقة قذرة، كما يفعل الحزن عادة يهاجم الكلى أو القلب.

لا يبدو أن تشارلي قد تغير على الإطلاق، كان ذلك جيدًا، لقد كانت قلقة من أن أسره قد يترك ندوب على نفسيته، ولكنه كان مرحًا ومتحمسًا كالعادة، كان بإمكانه إعطاء دروس للكلاب عن كيفية التحمس بشكل صحيح، كان تشارلي بشحمه ولحمه، مثل أي وقت مضى.

بيد أن تريس لم تكن هي نفسها.

لقد تغيرت كثيرًا منذ ابتعادها عن الصخرة، اكتشفت أنها لا تهتم بالفطائر أو بغسل النوافذ أو حتى بالفناجين بالطريقة ذاتها. كانت تهتم بالأبواغ، وماذا يمكنها أن تفعل بها، تهتم بالإبحار وطاقم سفينتها.

كل هذا ... كل هذا يعني أنها لا تستطيع العودة إلى الشخص نفسه. هي -كما ترى- قد أصيبت بالندوب.

وتلك هي! المفارقة. إن الرحلة التي قامت بها للعثور على ما تريد قد حولتها إلى شخص لم يعد بإمكانه الاستمتاع بهذا النصر. نظرت في عيني تشارلي، وانفصلت عواطفها، وانحنت أمام شعورها بالحزن، وتوجته ملكًا.

في تلك اللحظة، نظرت في عيني تشارلي، فكرت في شخص آخر، شخص ما كان يجب أن تعتني به تريس نظريًا. وهذا شيء كثيرًا ما نخطئه في القصص. نتظاهر بأن الحب عقلاني، إذا كان بإمكاننا فقط رؤية قطع الأحجية والدوافع.

ابتسم تشارلي، لقد كانت ابتسامة مألوفة، تمامًا مثله.

لم تصدق الابتسامة، كانت تلك الابتسامة مبالغًا فيها جدًا؛ لأنها تعرف تشارلي جيدًا.

استدارت تريس، وركضت على الدرج، واقتحمت الغرفة الرئيسية، مما أذهل الساحرة التي كانت تجلس في مقعدها. صرخت تريس بصوت مشحون بالتحدي: «هذا ليس تشارلي».

ترددت الساحرة.

قالت تريس مشيرة إلى الساحرة وهي تخطو نحوها: «أنت تحبين أن تعذبي الناس، أنت تلعنينهم بأسوأ اللعنات التي يمكن أن تتخيليها، والمصممة خصوصًا لكل فرد وآلامه. أنت لم تحتفظي بتشارلي هنا».

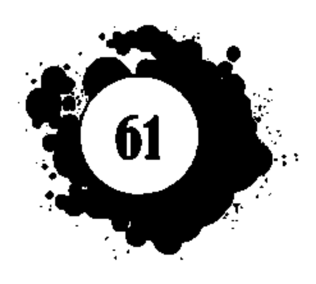
قالت الساحرة: «وماذا تعتقدين أنني فعلت به؟»

قالت تريس: «لقد حولته إلى فأر».

ها! أخيرًا.



الرجل



استمرت تريس في التقدم خطوة تلو الخطوة نحو الساحرة. «في كل مرة حاولت فيها إقناع هوك بالتحدث عن هذا المكان أو عنك يتلعثم، يبحث عن الكلمات؛ لأن تعويذة كانت تمنعه من التحدث عن أشياء من شأنها أن تجعلني أعرف أنه تشارلي وأنه يحمل لعنة».

قالت الساحرة: «إذا كان الأمر كذلك، فكيف أمكنه إخبارك عن الدفاعات هنا؟ أعلم أنه فعل، أنا أعرف أشياء كثيرة يا صغيرتي».

توقفت تريس واتسعت عيناها. «لأنه عندما قال لي... كان يحاول إجباري على الابتعاد...» ركزت على الساحرة. «لأن مجيئي إلى هنا هو السبيل لكسر اللعنة، أليس كذلك؟ بحق الأقمار! لقد لعنتيه، وأخبرته أن الطريقة الوحيدة لكسرها هو أن يأتي بي إلى هنا، إليك! لهذا السبب حاول كل شيء لإيقافي؛ لأنه... لأنه يحبني».

ساد السكون الغرفة باستثناء صوت واحد؛ الشهيق.

اقتربت تريس من المكتب ووجدت هوك الفأر خلفه. نظر إليها وعيناه حمراوان. وعلى عكس الشبيه الذي حصلت عليه، كان هوك في حالة من الفوضى، يرتجف ويبكي وهو يتلوى مكتومًا على نفسه.

ركعت تريس. «تشارلي ...»

همس: «أنا آسف، لم أكن أريدها أن تكون محقة، أخبرتني أنني سأحضرك إلى هنا حتى تتمكن من التلاعب بك، حاولت ألا أتبع نبوءتها، لكنني غبي يا تريس، غبي وعديم القيمة، أنت تستحقين أفضل بكثير، انظري إلى كل ما فعلته، ولم أتمكن حتى من القيام بشيء واحد للحفاظ على سلامتك...».

«أوه، تشارلي» همست وهي تحمل الفأر وتحتضنه. ارتجف وعيناه مغلقتان.

تدحرج المكتب إلى الجانب بإشارة مرتجلة من يد الساحرة. وقفت الآن في وسط الغرفة الساكن. سار تشارلي المزيف إلى المدخل، وتساقط من عليه النسيج الخفيف، كاشفًا عن مخلوق يشبه الإنسان فقط، كائن زاحف بعيون ذهبية وابتسامة مسننة.

أكاد أجزم أنها أرادت أن تغرس شخصًا ما على كروز سونج للتعامل معي بشكل دائم، أظن أنها بدأت تقلق بشأن رهاننا. وحقيقة أن شخصًا قريبًا جدًّا مني تمكن من الدخول إلى حصنها، حتى لو كان أسيرًا.

لم تظهر الساحرة أيًّا من هذه المشاعر، بدلًا من ذلك ألقت جانبًا تعبيرها الودود، قست عيناها كالحجارة، واحتدت شفتاها حتى بدتا كخط رفيع. لم يعجبها اكتشاف تريس للحيلة، كما أزعجها شيء آخر، شيء قد يكون واضحًا لك، إذا لم يكن كذلك فسيتم الكشف عنه في لحظة.

كانت تريس غافلة وهي تحتضن تشارلي الفأر. لقد حاول بالفعل إخبارها عدة مرات، عندما لم يستطع أن يقول إن اسمه تشارلي، حاول «اسم تشاك»، لكن اللعنة أجبرته على نطق «هوك».

همست تريس: «تشارلي، لقد أرسلت لي فناجين».

نظر إليها. «كان ذلك منذ زمن طويل يا تريس».

«أحببتهم، خاصة تلك التي بها فراشة على البحر، مثلنا يا تشارلي، التحليق فوق أماكن لم نفكر في الذهاب إليها. والمصنوع من البيوتر، مثلنا يا تشارلي، أقوى وأكثر وضوحًا مما يحق لنا أن نكون».

قال: «لكنها أمسكت بكلينا؛ بسببي أمسكت بكلينا، هي أخبرتني ... أن الطريقة الوحيدة لعتقي هي أن أحضر لها الشخص الذي أحببته، ثم أسلمها لها لتلعنه. قالت إنها ستجعلني أشاهد. بحق الأقمار، كان الأمر مؤلمًا، أشاهدك تبحرين عن قرب، كان يجب أن ألقي بنفسي في البحر، لما حينها علمتِ كيفية الدخول...».

تباطأ وهي ترفعه أمامها لتتلاقى نظراتهما، همست: «تشارلي، أريد هذا».

«أنا ...».

«هل تتذكر ما قلته لي؟ قبل أن نفترق؟»

همس: «دائمًا ... لك دائمًا ما تريدين يا تريس».

قالت: «أريد هذا، أن أكون معك».

نظر في عينيها فوجد فيهما قوة تكفي كليهما، ثم مال برأسه، حيث داهمتهما الفكرة نفسها في آن واحد.

قالت: «تشارلي، إذا كان السبيل لكسر لعنتك هي إحضار الشخص الذي تحبه إلى الساحرة، فلماذا ما زلت فأرًا؟ هل هذا بسبب ... هل هناك شخص آخر تحبه؟»

«لا!» قال. «أنه أنت، ولكن...».

قالت الساحرة من ورائهما: «هذا لأنني لم ألق بلعنتي عليك بعد، لا يمكن إنهاء عذابه إلا إذا أحضركِ إليّ لهذا الغرض المحدد».

نهضت تريس ممسكة بتشارلي في راحة يدها، ناظرة نحو الساحرة التي بدت وكأنها شخص آخر. الشكل نفسه، لكن روح مختلفة، بلا مرح، كانت وحشًا باردًا. يقول بعض العلماء إنه عندما تصبح خالدًا مثل الساحرة أو مثلي، يتم استبدال روحك بشيء جديد، مثل عملية التحجر.

في حالتها، كان لدى المرأة جليد نقي بدلًا من الروح، بقي باردًا ومجمدًا بالقرب من قلبها.

في مواجهة هذا كله، تحدث تشارلي الذي كان يتغير يومًا بعد يوم في هذه الرحلة. قال بهدوء: «أنت مخطئة، ما زلت فأرًا، وسأبقى كذلك؛ لأنه لكي يتم كسر لعنتي، يجب أن أحضرها إلى منزلك لمقايضتها من أجل حريتي. أدركت في الطريق أنني لم أفعل ذلك. أحضرتها يا ساحرة لكن ليس لمبادلتها، لا لتلعن، أحضرتها لتهزمك».

قالت الساحرة: «رائع، لم أمنحك ذكاء الفأر، لكن يبدو أنك اتخذته عن طيب خاطر، لا يمكن أن تهزمني...».

ظهر ضوء أحمر على مكتبها.



ظهرت عدة أضواء أخرى على الحائط، تلاها عدد أكبر، دارت الساحرة حول نفسها متفاجئة، وهي تأمر روح مبناها ليظهر لها ما تسبب في انطلاق إنذاراتها. ظهرت شاشة كبيرة في الهواء بجانب أحد الجدران، تصور سفينة تتحطم عبر أبواغ الظلمات الغاضبة.

كما قلت، لم تكن تولي اهتمامًا كافيًا، لو فعلت لرأت ذلك قادمًا؛

لأن كروز سونج قد وصلت.

الصياد



كيف؟

فلنقفز للوراء يومًا، إلى الطاقم الذي كان ينتظر عودة تريس سالمة، تمكن دوج الذي كان في الخدمة على قمة الصاري الرئيسي من رؤية تريس من خلال المنظار عند أخذها، هرع لشرح الأمر.

وضع هذا الطاقم في مأزق، ماذا يفعلون؟ لا يمكنهم الإبحار عبر بحر الظلمات، أليس كذلك؟ إن الوحوش نفسها التي استولت على تريس ستطالب بهم أيضًا. ربما كان عليهم أن يستديروا ويحاولوا الفرار عبر القرمزي إلى أبواغ أكثر أمانًا، كان هذا ما قالت تريس إنها تريده.

وبدلًا من ذلك، عقدوا اجتماعًا طارئًا، وعرض فورت حلًّا.

كانت فرصته للحصول على لقب أعظم صياد عرفه شعبه على الإطلاق، فرصة لاصطياد الوحوش المخلقة من أبواغ الظلمات، استمع الآخرون إلى خطته، ثم ذهبوا إلى الدوج ليقترحوها، صوّت الطاقم بالإجماع لصالحه، باستثناء لاغارت.

لذلك أبحروا في بحر الظلمات، بعد خمس عشرة دقيقة ظهرت وحوش الظلمات الأولى، زحف ثلاثة منهم صعودًا إلى سطح السفينة، محصنين تمامًا ضد الأسلحة العادية، باحثين عن أجساد دافئة ودماء للتغذي عليها، باحثين عن السوائل والماء، وعن الموت.

وبدلًا من ذلك، وجدوا رجلًا ضخمًا يقف في وسط السطح محاطًا ببراميل من الماء، وعلى كل منها برميل من الأبواغ معلق فوقها بحبل.

<مرحبًا> كتب إلى الوحوش الثلاثة، في حين تقوم آن بقراءة الكلمات بصوت عالٍ في حالة عدم تمكن المخلوقات من القراءة. <لدي صفقة جيدة لكم اليوم>.

انزلقت المخلوقات إلى الأمام وذهبت ناحيته، في المقابل تحرك فورت ليحرر أحد البراميل، محذرًا الدوج الذين تحركوا ليحذو حذوه: <سنقوم بإطعام كل هذه المياه لهذه الأبواغ الأخرى، دون ترك أي منها لكم، إلا إذا أخذتم حذركم>.

توقفت وحوش الظلمات، لم يكونوا بحاجة إلى الكلمات؛ حيث يمكنهم الشعور بما يقوله الشخص أو ما يعنيه. وصل جوهرهم إلى الناس، سعيًا وراء رابطة لوهل، وهكذا فإن ما قاله فورت مسجل على مستوى ما معهم.

تواصل بعضهم مع بعض عن طريق اهتزاز اللوامس، وفورت ... حسنًا، لقد فهم، ليس لأنه كان يعرف لغة إشارة أخرى، ولكن بسبب الرابطة نفسها، لقد أرادوا الماء، لكن كانت هناك مصادر للدم على متن السفينة، وهذا من شأنه أن يفي باحتياجاتهم كذلك.

قال وهو يشير إلى بقية أفراد الطاقم الذين تجمعوا بالبنادق في مؤخرة السفينة: <إذا لم تتوقفوا، فسوف يرمون أنفسهم في البحر ويطعمون الأبواغ في البحر، أبواغًا أخرى، ليس أنتم>.

استوعبت المخلوقات أخيرًا مغزى الكلام، لقد كانت معضلة، هناك الكثير من الماء، ولكن... إذا لم يكونوا حذرين... فسيذهب كله إلى أبواغ أخرى.

مرر فورت يده في أحد براميل الماء، ثم قام بالمزيد من الإشارات بالأخرى؛ علامات فهمتها المخلوقات بسبب الرابطة.

قال: <يمكنني أن أطعمكم كل هذا، كل هذا لثلاثتكم>.

<كيف؟> ردوا بالإشارة. <ما الذي يتطلبه الأمر لنكون قادرين على الأكل والشرب والنمو، ثم الشرب والشرب والشرب؟>

قال فورت: <احمونا أثناء إبحارنا في البحر هنا>.

كما قلت، هناك خلل في استخدام مخلوقات سحرية واعية بذاتها كحراس، كانت هذه العملية فعالة؛ مما سمح للساحرة بإرسالهم بأعداد كبيرة، على الرغم من أنها لم تستطع تخصيص الكثير من الاهتمام لهم.

لكن أثير الظلمات لا يشبع، وطبيعتها المتأصلة هي المقايضة. القيام بالمساومة البشرية مقابل الماء والشكل، جعلهم ذلك شديدي الحساسية أمام شخص يفهم آليات السحر، وكان لديه استعداد جيد للمقايضة.

ومن ثَمَّ باستخدام الإحداثيات الموجودة على الخريطة التي حصلت عليها تريس مني، وصلت كرو سونج إلى الجزيرة بعد نصف ساعة فقط من وصول تريس، على استعداد لإنقاذ قبطانهم.

وفر ذلك الإلهاء الذي احتاجت إليه تريس في الوقت الحالي؛ لأن الساحرة وهي تعيد توجيه هؤلاء الوافدين الجدد كانت بحاجة إلى إيقاظ دفاعاتها. تعالت صيحاتها وهي تعطي الأوامر متجاهلة تريس وتشارلي في الوقت الحالي.

قالت تريس: «لقد جاؤوا من أجلي، هؤلاء الحمقى الجميلون، كان يجب أن يظلوا بعيدين!»

«مثلما كان يجب أن تبقى بعيدًا؟» قال تشارلي. «بدلا من المجيء من أجلي؟»

نظرت إليه تريس جالسًا في راحة يدها، والدموع في عينيها، وبدأ الانهيار الجليدي في الاهتزاز، أدركت أنها كانت الحمقاء، ليس بسبب القدوم لإنقاذ تشارلي، ولكن لمحاولة منع الآخرين من اتباع قلوبهم بالطريقة نفسها.

همست: «علينا أن نفعل شيئًا، أريد أن أحذرهم من الصخور تحت الأبواغ، لابد أن هناك طريقة للتحدث معهم».

نظر كلاهما إلى مكتب الساحرة، بالتحديد إلى اللوحة السحرية التي عرضت الصورة من لوح مماثلة للوح فورت، ثم بينما كانت الساحرة تيقظ جيشيها، أمسكت تريس وتشارلي باللوح وحدقا فيه، في محاولة لمعرفة كيف يعمل.

قال تشارلي: «آه، يا لوح؟ هل يمكنك السماح لنا بالتحدث إلى الأشخاص الذين تعرضهم لنا؟»

«تم تفعيل خاصية الاتصال المرئي!» قال اللوح، وهو سعيد أن يكون في الخدمة.

قام فورت الذي كان يحمل اللوح من على كرسيه، لقد أمضى الليل كله يتجرع الماء ليطعمه للوحوش الثلاثة عبر الرابطة؛ لذلك كان متعبًا ويشعر بالغرابة بعض الشيء، حيث كان قادرًا على شرب عدة براميل لكنه لم يشعر بالشبع.

ومع ذلك، فقد جعله وصولهم في حالة تأهب، وأرسل وحوش الظلمات -الآن تحت سيطرته بالكامل عن طريق تقوية الرابطة- لتسبح بعيدًا لمحاربة الآخرين الذين حاولوا الصعود إلى السفينة. لقد فاز دائمًا بتلك المعارك، بالطبع، لديه الكثير من الماء لبناء أجزاء جديدة لهم من الأبواغ في حال أصيبوا.

بغض النظر، حظي بلحظة سلام، واستطاع أن يميل رأسه، عبس عندما رأى ظهر لوحه الذي اعتاد على عرض كلمات، أظهر الآن صورة تريس والفأر متجمعين بالقرب من الكاميرا من جانبها.

«فورت؟» سألت تريس. «هل يمكنك رؤيتنا؟»

ظهرت الكلمات عبر الشاشة، فحجبت المنظر قليلًا.

كتب: <أستطيع!> ظهرت الكلمات تحت كلماتهم، ولكن من الجانب الآخر. لوّح للآخرين، وفي لحظة انضمت إليه آن وسالاي، حتى أنا انضممت إليهم وقد ثار فضولي.

«كابتن؟» سألت سالاي. «كابتن! هل أنت بخير؟»

همست تريس: «نحن في البرج، كيف نجوتم من الأبواغ؟ لا، لا تهتموا بذلك الآن، اشرحوا لي لاحقًا، سالاي، عليكِ أن تنتبهي، البحر هنا مليء بالصخور تحت الأبواغ، إنها شديدة الغدر!»

قالت سالاي: «سأترقبهم، شكرًا لك».

قالت تريس: «ما كان يجب أن تأتوا إلى هنا، إذا حاولتم الإبحار عبر تلك الصخور فسوف تغرقون».

عبس ثلاثتهم، ثم سألت سالاي ببساطة: «هل تأمريننا بالعودة أدراجنا؟»

هل فعلت؟

هل تستطيع؟

هل تجرؤ؟

في تلك اللحظة، اتخذت القرار، تدحرج الحجر الذي حفز الانهيار الجليدي للتغيير بداخل تريس على التصدع.

«لا»، همست تريس. «أرجوكم ساعدوني».

ابتسم ثلاثتهم، خدشت رأسي؛ لأن شيئًا ما عن المكان الذي كانت تقف فيه تريس، المرئي خلفها، بدا مألوفًا بالنسبة لي.

قالت سالاي: «سنفعل ذلك، نحن قادمون».

«لا تؤذوا أنفسكم!» قالت تريس.

قالت آن: «كابتن، سننقذك؛ لأنك تستحقين ذلك، هل تتذكرين، لقد أخبرتني ذات مرة شيئًا جعلني أرى العالم بطريقة جديدة تمامًا».

«وما كان ذلك؟» سألت تريس.

«هيا، ضعي هذه النظارات».

<آن> كتب فورت، <كان ذلك سيئًا تقريبًا مثل إحدى نكات هويد>.

قالت آن وهي تضبط نظارتها: «إنها ليست مجرد مزحة، إنها حقيقة، أرى عالمًا جديدًا، عالمًا لم نعد ندين فيه الناس، عالمًا يعدنا بمستقبل».

قالت تريس: «أنت تعلمون أنني لست عين الملك، لا أستطيع أن أجعله يعفو عنا».

قالت آن وهي تنظر إلى الآخرين الذين أومأوا موافقة: «سنجد طريقة أخرى؛ لأنه بمجرد أن نذهب إلى الساحرة نفسها ونهرب ... حسنًا، أعتقد أنه بعد أن نفعل ذلك، سنكون قادرين على فعل أي شيء».

أومأ ثلاثتهم، وشعرت بشعور غامر مقابل ولائهم، ومن خلال استعدادها (أخيرًا) لقبول المساعدة. بواسطة ...

انتظر.

وسط سيل مشاعر تريس هذا، برز شيء ما. كنت مدفوعًا بمحاولة استخدام لساني للمس أنفي أثناء وقوفي هناك مع الثلاثة الآخرين.

قد تجد أفكارها مثيرة للفضول.

أما أنا فأجدها كالوحي.

قالت تريس: «هويد، لم يستطع هويد أن يشير إلى الطريق إلى الساحرة، كان علينا تخمين الموقع من خلال الإشارة إلى أماكن أخرى، يمكنه التحدث عن كل هؤلاء ...».

قال فورت: <وماذا؟>

قالت تريس: «وافترضت أن السبب هو أنه لا يستطع التحدث عن لعنته، لكن حل لعنة تشارلي تضمن عودته إليها، إذا لم يستطع هويد أن يوضح لنا الطريق إلى هنا، على الأقل ليس عن قصد، فربما يتضمن كسر لعنته مجيئه إلى هنا أيضًا».

نظرت إلى الأرض.

خريطة العالم.

يجب أن تحضريني إلى كوكبك يا تريس.

«نعم ... « همس تشارلي. «يمكن أن يتحدث هويد عن تعرضه للعنة، بمجرد أن تعرفي ما حدث له. كان يجب أن يكون قادرًا على ذكر الساحرة وجزيرتها بسهولة. لكن إذا لم يستطع؟ هذا يعني أن القيام بذلك من شأنه أن يساعد في كسر اللعنة. يجب أن يتضمن كسرها العودة إلى برج الساحرة. واجتياز اختباراتها ... تريس، هذا منطقي!»

نظرت إلى الآخرين مرة أخرى، وقد اتسعت عيناها. «أنتم بحاجة إلى إحضاره إلى هنا، في هذه الغرفة».

«خادم السفينة؟» سألت آن عابسة.

«كابتن؟» قالت سالاي. «هل أنت واثقة؟»

قالت تريس: «نعم، لو سمحتم، أحضروه لي، أعلم أنه صعب، لكن من فضلكم».

قالت سالاي: «حسنًا، إذا طلبت ذلك ...».

قالت تريس: «لا تفعليها لأنني طلبت ذلك، افعليها لأنك تثقين بي».

أومأ الآخرون برأسهم، لقد وثقوا بها، كان ذلك جيدًا؛ لأن الساحرة لاحظت ما تفعله تريس. بعيون متسعة من الغضب، أطلقت المرأة أمرًا؛ مما أدى إلى قطع اتصالهم. دفعت يديها في الهواء، وتركت أصابعها آثارًا من الضوء وهي تصنع الأحرف الرونية القوية. عند انتهائها، اندلع ضوء منها عبر الغرفة، وضرب تريس على الحائط وثبتها عليه.

سمع صوت قعقعة وتحطم عندما سقط فنجانان من على الرف. تحطم فنجان الفراشة، بينما ارتد الآخر ليكتسب انبعاجًا جديدًا.

عادت الساحرة لتعبئة جيوشها. استجمع تشارلي -الذي سقط عندما ارتطمت تريس بالحائط- نفسه واندفع نحوها، متسلقًا ملابسها، حاول قضم خطوط الضوء لتحريرها، انتهى به الحال بشكل سيئ كما قد تتخيل.

همست تريس: «تشارلي».

نظر إليها محبطًا لأن خطوط الضوء المتوهجة كانت قوية جدًّا. «أنا ... أنا آسف تريس، لا يمكنك الاعتماد عليّ، أنا عديمة الفائدة، أنا أفشل مرة أخرى، أنا ...».

قالت: «تشارلي، هناك شيء كنت أريد أن أخبرك به، أتمنى لو قلت ذلك سابقًا؛ لذلك سأقولها الآن، على الرغم من أنه ربما يكون وقتًا عصيبًا لذلك، أحبك».

قال: «أشعر بالشيء نفسه، أحبك أيضا».

«جيد، سيكون الأمر محرجًا للغاية إذا تبين عكس ذلك». جاهدت لتنظر إلى كرو سونج على الشاشة، وهي تبحر باتجاه الجزيرة. «من فضلك، يا تشارلي، أكره أن أثقل عليك، لكن إذا قاتلوا للمرور من الدفاعات، فلن يدخلوا البرج أبدًا لإنقاذنا».

باغته الإدراك. «أنا ... أستطيع أن أفتح لهم الباب يا (تريس) ، أستطيع فعل ذلك».

قالت: «إذا لم يسبب لك هذا الكثير من المتاعب».

نعم، لقد تغيرت، ولكن حتى الأحداث الكبيرة لا تغيرنا إلا قليلًا في كل مرة، وكانت لا تزال تريس.

نظر تشارلي نحو باب الغرفة المفتوح المؤدي إلى درجات السلم ومنه إلى الباب الخارجي؛ حيث كانت قطة الساحرة تجول.

قال: «قد يكون الأمر مخيفًا للغاية بالنسبة للفأر هوك، لكن أعتقد أنه ربما يكون البستاني تشارلي مصنوعًا من مادة أصلب». تمسح على خد تريس.
قال بلين: «شكرًا لك، للمجيء لي، أتمنى لو كان تمكنت من إخبارك في وقت سابق».

ثم قفز ليبدأ في مسعاه.

الملاح



لم تكن الساحرة غاضبة، ليس بعد.

ولا حتى خائفة، ليس بعد.

كانت منزعجة في الغالب، وبإجماع الكل قلقة قليلًا.

كانت تعتقد أنه تم التعامل معي، عندما بدأت تبحر في القرمزي، كانت تراقبني ليس لأنها كانت تخشى أن أصل إلى برجها بالفعل، ولكن لأنها استمتعت برؤيتي وأنا منزعج، اعتقدت أنه ربما سيتم إرسالي إلى قاع المحيط، واعتقدت أنه سيكون من الممتع مشاهدة ذلك.

الآن بطريقة ما كنت هنا، بالتأكيد لم أستطع تجاوز دفاعاتها، وليس على متن قارب عادي، ومع ذلك لم تكن تعتقد أنني سأبحر على القرمزي أو الظلمات. لقد افترضت الآن أنني كنت بطريقة ما، على الرغم من العراقيل الهائلة، وراء نجاة السفينة من تلك الأخطار، لم تدرك أن ميزتي الحقيقية لم تكن قطّ ذكائي غير المعتاد.

براندون ساندرسن

لقد كانت قدرتي على العثور على الأشخاص المناسبين والبقاء بالقرب منهم.

في ذلك الوقت، تشبثت على سطح كروز سونج- أعلى مؤخرة السفينة، بالقرب من موقع الدفة. كنت قد سرقت قبعة القرصان الصغيرة الخاصة بهوك، معتقدًا أنه لا يستحقها. وكان ذلك، على وجه التحديد، خطأ. هل يمكن أن تغضب حقًّا من قرصان لطعنك في الظهر؟

بدا الأمر أسوأ بكثير بالنسبة لي؛ لذا بالطبع ارتديتها وثبتها في مكانها، كنت أبتسم ابتسامة عريضة، عبثت الرياح بشعري ففتحت عينيّ بأقصى اتساع؛ لأنني اعتقدت أنها قد تجف بهذه الطريقة، وبعد ذلك يمكنني التوقف عن الطرف بها.

قامت سالاي بلف عجلة الدفة، صاحت معطية أوامر إلى الدوج، الذين عملوا بكل ما لديهم من مهارة على الأشرعة. كانت الساحرة واثقة جدًّا من دفاعاتها، ومتأكدة من أنه لا يمكن لأحد أن يبحر في الممر بين الصخور إلى جزيرتها.

لم تأخذ بعين الاعتبار امرأة مثل سالاي. تبحر وفي جيبها رسالة والدها الأخيرة، وهي مدركة أنها إذا ماتت على هذا البحر، فسيظل مسجونًا بسبب ديونه إلى الأبد. امرأة اكتشفت للتو هدفًا متجددًا في الحياة، امرأة راهنت على تريس وكسبت حياة الطاقم في المقابل.

امرأة لن تتراجع عندما كانت حياة أصدقائها على المحك، فتأمل عزيزي القارئ أن تقابل مثل هذه المرأة مرة واحدة على الأقل في حياتك، ثم أتمنى أن تبعد من طريقها بسرعة كافية.

تمسكت بالعجلة بينما كان الخشب يئن، وكانت إرادتها في مقابل إرادة الأبواغ حين قادت السفينة عبر الصخور، لم تطرف، لقد تأثرت بهذا الجزء.

«لماذا؟» قالت آن وهي تستند على الدرابزين وتتقدم نحوي. «هويد، لماذا لدى تريس هذه الفكرة الغريبة أنه يمكنك إنقاذها؟»

صحت بصوت عالٍ بسبب اندفاع الرياح والأبواغ، «ربما لأنني أدركت للتو أنني يجب أن أحترف الرسم! وسوف تخاف الساحرة من موهبتي!»

«أنت مستفز للغاية!» قالت آن.

أجبتها: «هراء! إن غرفتك يا آن تحتاج إلى شيء يضفي عليها الأناقة، أو إذا لم تتناسب رسومات الأشجار مع مساحتها، فربما يمكن تزيينها ببعض رسومات لكلاب ترتدي قبعات، أوه!» نظرت إليها بنظرات رديكالية بينما تطايرت دفقات من الأبواغ السوداء بجانبي في أثناء إبحار السفينة في منحنى شبه مستحيل. «أوه، لقد خطرت لي فكرة رائعة الآن، يمكنني رسم الصور على المخمل».

«لماذا بحق قمم الأقمار نفسها، ستقدم على شيء من هذا القبيل؟»

قلت: «لمنحهم ملمسًا خاصًا عند اللعق، أمر بديهي، حقًّا يجب أن تمعني التفكير في بعض الأشياء قبل طرح أسئلة غبية، يا آن».

وكان يجب على آن التحلي بالمزيد من الحكمة، ربما لم تطرح سؤالًا غبيًّا، لكن طرح السؤال على شخص غبي يكاد يكون بلا جدوى.

غرقت سالاي في أفكارها من شدة التركيز، ولم تسمع المحادثة. بالعودة إلى البرج، وقفت الساحرة لتراقب السفينة وهي تنزلق بين الصخور، وتقترب أكثر من أي وقت مضى. إن السفينة الشراعية قارب غريب للتحكم فيه، أنا متأكد من أن بعضكم يعرف ذلك بالفعل، غالبًا لا تقوم بالتوجيه بقدر ما

تركب الأمواج والرياح والتيارات. أنت بحاجة إلى السرعة للمناورة، لكن الحركة دائمًا هي عدوك وحليفك في آنٍ واحد، إذا حظيت بالقليل منها لا يمكنك إكمال دوراتك، أما لو نالك الكثير، فسينتهي بك الأمر باحتضان الصخور.

ومع ذلك، في ذلك اليوم، بدا أن السفينة لا تمتثل للموج ولا للرياح، ولا الأبواغ ولا المياه الضحلة، أطاعت السفينة سالاي، ولفترة قصيرة من الزمن بدا أننا لسنا على متن سفينة على الإطلاق. ركبنا قوة إرادتها الواضحة، وتفادينا الصخور بشعرة فارقة، وانحنينا إلى الجانبين، حتى إنني في بعض الأحيان اعتقدت أننا سننقلب بالتأكيد. كانت لديها غريزة لتحديد مكان تلك الصخور، بناءً على كيفية تأثر الأبواغ. وفعلت كل ذلك بعيون شاخصة للأمام مباشرة، واضعة هدفها نصبها.

لدهشة الساحرة، اخترقنا الصخور في الخليج الصغير بالجزيرة. هزت رأسها، وانتقلت من الانزعاج إلى القلق الحقيقي، خلفها صرخت لاسي -القطة- وانقضت، فتراجع تشارلي فزعًا إلى الغرفة، حاول النزول من على الدرج مرة أخرى، لكنها لاحقته ثانية.

أعطت الساحرة أمرًا آخر، وسار فريقها من الرجال الآليين الخارقين إلى الأمام، مستعدين للمعركة، هم بالتأكيد سيضعون حدًّا لهذه المهزلة، لقد كانوا دائمًا أكثر أشكال دفاعاتها أمانًا.

«فائدة المدفعية!» قالت سالاي على متن السفينة. «حلي السلاح!»

عنت بذلك آن، أسرعت إلى مقدمة السفينة إلى مدفعها، حانت فرصتها أخيرًا لتثبت نفسها، بطريقة أو بأخرى، كانت مشهدًا مبهرًا وهي ترتدي نظارة طبية.

كانت تتدرب في الأيام القليلة الماضية بما يكفي للقلق، لم تعد سيئة في التصويب بشكل خارق للطبيعة، لكن هذا لا يعني أنها أصبحت جيدة. لقد استبد بها حقًّا القلق بشأن ذلك؛ حيث بات الأمر متوقفًا عليها فجأة، على الرغم من سنوات الحلم بهذا اليوم.

سار الرجال الآليون الخارقون في صفوف على الشاطئ، منصاعين لأوامر الساحرة. كانوا بلون النحاس المصقول، وكل منهم بطول سبعة أقدام ويحمل رمحًا برأس لامع، كان مشهدًا مخيفًا. كانت تعليماتهم (التي نقلتها إليهم الساحرة بعناية عندما نفخت فيهم روح العوالم) معقدة ومتقنة ودقيقة.

لقد كانوا خدمًا أفضل بكثير من الكشافة المخلقة من جوهر الظلمات. أثناء مناوبتهم، كانوا يشكلون حاجزًا لمنع أي إنزال إلى الجزيرة. حتى من على سطح السفينة، كان بإمكان «آن» أن ترى لماذا لم تقدر قوات الملك عليهم مطلقًا. كانت طلقات البنادق ترتد عليهم، وقذائف المدفع ... حسنًا، قد يسقط أحدهم أرضًا مخلفًا انبعاجًا بسيطًا، لكنهم سرعان ما يرجعون مرة أخرى على أقدامهم.

بيد أن تصميمات تريس كانت ستنجح، ارتجفت يد آن على أي حال عندما وضعت عصا إطلاق النار في المدفع وأطلقت قذيفة، لم يهتز الرجال الآليون الخارقون، يرجع ذلك جزئيًّا إلى أن القذيفة انطلقت بزاوية بعيدة محطمة شجرة، وارتدت على طول الحجارة، ثم اختفت في قلب الأمواج على مسافة قريبة.

كانت آن تتعرق بغزارة من الإجهاد وتحمل قذيفة أخرى، لم تستدير وتنظر إلى الطاقم، كانت تعرف ما يفكرون فيه، لم يكن البصر فقط هو مشكلة آن، شيء آخر ألم بها.

وكانت على حق.

لكنه لم يكن حظًّا سيئًا، أو لعنة روحية، لقد كان شيئًا أكثر اعتدالًا، ولكنه فتاك بالقدر نفسه. لم تخطئ آن التصويب بسبب ضعف بصرها فقط، بل لافتقادها للقوة الدافعة.

هناك قوة معاكسة في الحياة للانهيار الجليدي الذي كان تشعر به تريس، هناك دائمًا مقاومة، كما تعلم. شد لكل جذب، يقول دائمًا خصم قديم لي أن في بعض الأحيان تتراكم اللحظات في حياتنا وتصبح قوة لا يمكن إيقافها تجبرنا على التغير، لكن في أوقات أخرى تستحيل جبلًا من المستحيل التغلب عليه.

يخطئ الجميع التصويب بين الحين والآخر، ولكن إذا أصبحت معروفًا باسم الشخص دائم الخطأ، إذا أصبح جزءًا من ذاتك، حسنًا، فجأة يصبح كل خطأ هو صخرة أخرى في ذلك الجبل، بينما يتم تجاهل كل ضربة. في النهاية تصبح آن: تهتز ذراعك، يتصبب العرق على وجهك، تكبلك مخالب عزيمة تحقق الذات غير مرئية ولكنها جد حقيقية. ثم تبدأ في التصويب خطأ ليس لأن هدفك سيئ، أو أن بصرك ضعيف، ولكن لأن ذراعك تهتز والعرق يتصبب على وجهك.

ولأن التصويب الخطأ هو ما تفعله.

خوفًا مما كانت تحبه من قبل، رفعت آن العصا إلى جانب المدفع، قاطعها صوت هادئ.

قال لاغارت واضعًا إحدى يديه على الحبل الأمامي للحفاظ على توازنه وهو يحدق في الشاطئ: «لا تطلقي نيرانك أيتها الزميلة الملاحة آن».

ترددت آن.

قال لاغارت بصوت هادئ وحازم: «ثلاث درجات إلى الخلف ودرجة واحدة للأعلى، أيتها الزميلة الملاحة آن».

ترددت للحظة، ثم بدأت بتدوير المدفع كما أشار. استمرت السفينة في الاهتزاز في الأمواج الضحلة للخليج، متحركة بمحاذاة الشاطئ.

قال لاغارت وهو يضع قضيب إطلاق النار في مكانه: «اثبت، اثبت، اضرب!»

أدى انفجار الأبواغ وقوته إلى انفجار قذيفة المدفع. كما تخيلت أصابت أحد الرجال الآليين الخارقين في صدره وأسقطته، لكنها لم تدمره، ومع ذلك فإن الكروم التي انفجرت جذبت كل الرجال الآليين الخارقين القريبين وأحاطت بهم.

كانوا بدورهم في حَيرة من أمرهم، على متن السفينة خطت آن خطوة واحدة نحو جبل أخطائها ووجدته أصغر قليلًا مما كانت تتخيله.

قال لاغارت: «إعادة التحميل، وإعادة الضبط».

«إعادة التحميل وإعادة الضبط، يا سيدي!» قالت آن، وهي تتحرك بكفاءة من شأنها أن تثير إعجاب أي ضابط بحري.

قال لاغارت: «درجتان».

«درجتان!» قالت. «وواحد إلى الميناء!»

قال لاغارت متفاجئًا: «نعم، وواحد إلى الميناء، الآن اثبت، اثبت».

«اضرب!» قالت آن في اللحظة نفسها التي قالها.

كانت هذه الضربة صحيحة أيضًا، حيث اصطدمت بمجموعة أخرى من الرجال الآليين الخارقين.

«إعادة التحميل، وإعادة الضبط، يا سيدي!» بكت آن قبل أن يتمكن من إعطائها الأمر. أحدثت الانفجار التالي في تتابع سريع، نظرت إليه وهي تتنفس بسرعة.

قال لاغارت مع إيماءة: «تصويب رائع، رائع للغاية، يا مساعدة ضابط المدفعية».

وبينما كانت تقف هناك على قمة جبلها، تساءلت آن عن سبب تضاؤله فجأة.

البطل ...



بالعودة إلى البرج، كانت تريس لا تزال أسيرة.

كان الأمر مهينًا، نعم، لكن بطريقة ما ... يثلج الصدر أيضًا؟ فقد كان هذا ما توقعت حدوثه.

منذ اللحظة التي انطلقت فيها من الصخرة، كانت تتوقع فشلًا ذريعًا، لكنها ذهبت في وجهتها ليس لأنها افترضت أنها ستنجح، ولكن لأنه كان يتحتم عليها القيام بشيء ما. وعلى الرغم من أن العديد من الأشياء قد حادت عن المسار الصحيح، فقد تمكنت في النهاية بطريقة ما من إعادتها للمسار الصحيح أيضًا.

لقد وجدت نجاحها المتكرر متسقًا بشكل غير مريح تقريبًا. بالطريقة نفسها التي إذا واصلت الحصول على رقمي ستة مكرر، تبدأ في القلق من وجود خطأ ما في النرد. إن الفشل هنا، والوقوع في الأسر، وفقد القدرة على الحركة والمساعدة...

حسنًا، لم تكن سعيدة بشأن ذلك، لكن جزءًا منها شعر بالارتياح. لقد حدث ذلك أخيرًا، كما ينبغي أن يكون، لم تكن عين ملك أو قرصانة، كانت تعمل في تنظيف النوافذ، لديها شعر يحتاج حقًا إلى تصفيفه في ذيل فرس؛ لأنها بالكاد تستطيع الرؤية من خلاله في الوقت الحالي. لسوء الحظ، كبلت روابط الساحرة يديها بأشرطة الضوء المتوهجة، وثبتتها على الحائط.

من خلال شعرها، كانت قادرة على مشاهدة سخط الساحرة حيث شلّت المدافع قواتها تمامًا، لم يكن من المفترض أن يحدث هذا. لقد صممت الرجال ليقاوموا نيران المدافع، لقد صممتهم بحيث لا يمكن إيقافهم. يمكن أن يسيروا مباشرة إلى المحيط، وكان لديهم خطافات تسمح لهم بالصعود على متن السفن، وغالبًا ما كانوا يرمون الرماح عليهم من الأسفل أولًا، ويثقبون الهياكل.

كانوا منيعين في الأساس من كل سلاح متاح لثقافة ما قبل الصناعة، كانوا مخيفين، ومدمرين، وفتاكين.

لكنهم لم يعرفوا ماذا يفعلون حيال الكروم.

حتى البناء شبه الواعي للذات مثل الجندي الذي تتدفق جزء من طاقة العوالم من خلاله يعتمد على ما لديه من تعليمات، إنهم أكثر تنوعًا بكثير من شيء يعمل من خلال برنامج كمبيوتر تقليدي، لكنهم أيضًا ليسوا على قيد الحياة كليًّا. وكان هؤلاء -في أثناء مواجهتهم للكروم التي كبلتهم- في حَيرة من أمرهم.

نصت تعليماتهم على عدم الخوف من الأسلحة التي يلوح بها المتطفلون؛ لذلك ظلوا يحاولون المضي قدمًا، استمرت قذائف المدفعية في الانفجار من حولهم؛ مما تسبب في نمو المزيد من الكروم. عندما تجمد الرجال الآليون

الخارقون، كان لديهم تعليمات لطلب الدعم. عادة كان هذا أمرًا معمولًا به في البرمجة.

لكن في هذه الحالة، أوقع الأمر المجموعة بأكملها في حالة من الفوضى، كانوا يتناوبون بين محاولة السير على متن السفينة ومحاولة تحرير بعضهم، وبين التجمد بينما كانوا يحاولون تقرير ما سيفعلونه عندما تعسر الأمران.

باختصار، نجحت قذائف المدفعية.

لقد نجحت، بحق الأقمار المباركة.

على الرغم من وضعها، لم تستطع تريس منع نفسها من الابتسام لأنها رأت تصاميمها تعيق مجموعة كاملة من الأعداء الذي يفترض ألا يمكن إيقافهم.

صعد تشارلي على ساقها، وتشبث بسروالها بينما كانت القطة تتجول في الأسفل، كان يلهث من الجهد. «أنا... أواجه مشكلة صغيرة مع الوحش».

«كل شيء على ما يرام، تشارلي» قالت تريس وما زالت تراقب نيران المدفعية.

قال: «مهلًا، لا تبكي، هناك قانون بحري ضد ذلك».

قالت: «آسفة»، عندها انفجرت قذيفة أخرى، وانفجرت الكروم مثل هجين غير مقدس من أخطبوط وحقيبة قصاصات العشب. «إنها فقط ... رائعة الجمال».

بعد ذلك بوقت قصير، ركض الطاقم على الشاطئ متجاوزًا القوات المعطلة، كان فورت يقود الهجمة، ويحملني على كتفه. سأتظاهر أن ذلك كان بطريقة كريمة لا تخدش الكبرياء.

لكن إذا لم يفتح تشارلي الباب، فسيحاصرون خارج البرج، وستنتهي القصة عند هذا الحد.

نظرت تريس إلى تشارلي. «أنا آسفة، إنها النهاية، وتم القبض علينا، يبدو الأمر كما توقعنا حدوثه، أليس كذلك؟»

أومأ برأسه قال: «لكن تريس، أتذكر جزءًا آخر من تلك المحادثة. شيء عن الدرع اللامع».

«لا أعتقد أنهم يصنعون دروعًا بأحجام الفئران، يا تشارلي».

رأى تشارلي شيئًا ما على الأرض، ضاقت عيناه، قال: «شتتي انتباهها»، ثم استند على كل ذرة شجاعة متبقية لديه والتي لم تكن كثيرة في الأساس، ولكن عندما تكون في مثل هذا الجسم الصغير، فإن الشجاعة (مثل الخمر) تذهب إلى أبعد مما تتوقع.

قفز تشارلي. طاردته القطة على الفور، وهجمت عليه وهو يندفع نحو شيء ملقى على الأرض بالقرب من الدرج.

قدح بيوتر كبير.

كانت الساحرة تحوّل انتباهها إلى دفاعات البرج، وكادت تكتشف ما كان يحدث لو لم تنفذ تريس ما طلبه تشارلي.

قالت: «أيتها الساحرة، هل سمعت هذه القصة عن العذراء الشهية التي تم أسرها؟»

«هل تفكرين في مصيرك؟» قالت الساحرة، وهي لا تضيع فرصة لإلحاق القليل من البؤس. «هل تفكرين في الشوط الطويل الذي قطعته حتى ينتهي بك الأمر فقط مقيدة بالأغلال؟»

قالت تريس: «نعم، والتفكير في أن ... حسنًا، الأمر ليس بهذا السوء في الواقع».

«ليس بهذا السوء!» قالت الساحرة، وهي تتقدم للأمام، متجاهلة صوت الخرخرة من الخلف، مثل شيء معدني ينزل على الدرجات. «عزيزتي، أنت عاجزة! أردت إنقاذ حبك، لكن لا يمكنك حتى إنقاذ نفسك! كنت تعتقدين أنك قرصانة عتيدة، ولكن ها أنت ذا، في نهاية مساعك، لقد انتهى بك الأمر مثل كل فتاة في أي قصة بحاجة إلى الإنقاذ».

جمد تلك اللحظة.

ثم تخيل ما يحدث: تشارلي الفأر وهو يدور في الهواء داخل قدح بيوتر، ويقفز على الدرج. تراقبه قطة مرتبكة من أعلى الدرج، حيث وجهت الضربة التي أرسلت القدح في مساره.

وصل فورت وآن وسالاي إلى البرج معًا ورفعوني فوق رؤوسهم،

بينما تريس مكبلة بقيود متوهجة ومثبتة على الحائط.

تملؤها الثقة.

قالت تريس: «لا تذكر هذه القصص دائمًا شيئًا ما، في الحقيقة أن شخصًا ما يحتاج إلى الخلاص ليست بمشكلة، فالجميع بحاجة إلى المساعدة، من الصعب أن تكون الشخص الذي يسبب المتاعب، ولكن المشكلة هي أن الجميع يسبب المتاعب، كيف نساعد أي شخص إذا لم يحتج أحد إلى المساعدة؟»

«وأنت؟» سألت الساحرة، وهي ترسم الأحرف الرونية في الهواء: «سيكون لديك لعنة مميزة، أؤكد لك، لقد قمت بحفظ هذه اللعنة لمناسبة خاصة، ستقضي العقود العديدة القادمة في بؤس يا صغيرتي».

في الأسفل، تردد صدى صوت صغير من الرواق: «أيها الباب السحري، افتح!»

قالت تريس: «الجزء الذي تتركه القصص، هو كل ما يأتي قبل الأحداث، كما ترى لقد اكتشفت أنه لا بأس في طلب المساعدة، طالما أنك عشت حياتك كشخص يستحق الإنقاذ».

ألقت الساحرة لعنتها، التي تتضمن انفجارًا من الضوء والطاقة يهدف إلى الإحاطة بتريس وتحويلها. بدلًا من ذلك، انفجرت الأحرف الرونية في وابل من الضوء ملأ الغرفة بالطاقة البيضاء التي طغت للحظات على كل إحساس ممكن.

عندما تلاشى، وقفت بين تريس والساحرة، وورائي الضباط الرئيسيون لكروز سونج وفأر صغير على كتفي، ضغطت يدي للأمام بعد أن صنعت درعًا ضوئيًا تتدفق فيه (طاقة العوالم) لحماية تريس، وهو الدرع الذي استغرقت صناعته سنين طويلة، والذي يمكنني رسم تصميمه الآن. قد تشعر بالملل من تقنياته الميكانيكية، ومع ذلك كانت النتائج مذهلة.

كنت أرتدي قميصًا بأزرار زهرية، وشورتًا قصيرًا للغاية، وصندلًا.

مع الجوارب.

قلت: «مرحبا يا رينا، أتمنى أن تمائلك سنواتك القليلة الماضية في الجمال تمامًا».

خفضت يديها وقد فغر فاها.

قلت مشيرًا إلى ملابسي: «نعم، أدرك فظاعة هذا الزي، أدرك أنه لا ينبغي لأحد أن يتحدث في السياسة على العشاء مع أصهاره. وأدرك أنك يا عزيزتي، دليل حي على أن شخصًا ما لا يحتاج للتمتع بنزر قليل من المرح ليكون مهرجًا أحمق».

نبض توهج عميق تحت بشرتي أخيرًا.

تبين أنه لدفع هذه القوى الخاصة للعمل، لا يمكنك ببساطة تزييف الرابط، كنت بحاجة إلى دعوة وإقرار من مجموعة مختارة للغاية. كانت فرصتي الوحيدة هي العثور على شخص ذكي بما يكفي ليكون عضوًا في تلك المجموعة، وغبيًّا بما يكفي لأتلاعب به، وساديًّا بما يكفي لتبادل العضوية للحصول على فرصة لرؤيتي ألعن.

تمتمت: «فلتذهب إلى الجحيم».

كشرت لعنتي واستعدت حواسي، كان بإمكانها رؤية ذلك بسهولة مثلي. لقد فزت.

قالت تريس: «عمل ممتاز، يا خادم السفينة»، وهي لا تزال مثبتة على الحائط. «سنضطر إلى ترقيتك بعد الآن».

«انتظر ... هل فزنا؟» سألت سالاي. «هويد، أنت ... أمم ... من أنت؟»

قلت لها: «مصطلح ساحر سيفي بالغرض، لقد فزت برهاننا».

قال تشارلي من على كتفه: «انتظر، أكان حقًّا رهانًا؟ هل تركتها تلعنك من أجل رهان بسيط؟»

قلت له: «من فضلك، هل كان أي شيء مما فعلناه للتو بسيطًا؟»

لوحت الساحرة بيدها، وأسقطت تريس من على الحائط، قالت: «اذهبوا قبل أن أغير رأيي».



ساعد فورت تريس للوقوف وهي تتعثر، وأومأت برأسها شاكرة، ثم التفت إلى الساحرة، قالت: «أولًا، أنهي لعنة تشارلي».

قالت الساحرة: «لا أستطيع، لا يمكنني كسر لعنة ما لم يتم استيفاء الشروط، هذا مستحيل».

نظرت إليّ تريس، كانت هناك طرق، ولكن ربما لم تكن الساحرة قادرة على الإتيان بها؛ لذلك أومأت برأسي، كان الأمر صحيحًا بما فيه الكفاية.

أخذت تريس نفسًا عميقًا، ثم نظرت إلى الوراء إلى الساحرة، وأصبح وجهها مثل الصلب، قالت تريس: «لن نغادر، أنت من ستغادرين».

«معذرة؟» قاطعتها الساحرة.

قالت تريس: «لقد لعنت الأشخاص الذين يريدون مجرد الحديث معك، لقد أخذت سجناء وسرقت التجار ودمرت الأساطيل، إنك آفة على هذا البحر، على هذا الكوكب». استجمعت نفسها جزئيًّا لتخويف جانبها الذي صدمته جرأتها. «أطالبك بمغادرة هذا العالم، اذهبي بعيدًا، ولا تعودي أبدًا».

قالت الساحرة: «أوه، من فضلك، من أنت لتطلبي مني؟»

ردًّا على ذلك، قام سالاي وفورت بسحب المسدسات وتصويبها نحوها، وتمكنت آن بطريقة ما من إخراج ثلاثة في وقت واحد. دمدم تشارلي، لم يكن الأمر مخيفًا للغاية، لكن شعر بالرضا للمشاركة.

لم تهتم تريس بحمل مسدس، وكزتني قائلة: «يا خادم السفينة، اصعقها أو افعل شيئًا من هذا القبيل».

«هل تعطيني أوامر؟» قلت بهدوء.

«أنت ضمن طاقمي، أليس كذلك؟» سألت. على الأقل كانت من حسن الخلق لتحمر خجلًا بعد تصريحها بذلك.

تنهدت، وكما أمرت، تقدمت ورفعت يدي. قابلت عيني الساحرة، وعرفت ما كانت تفكر فيه. كانت -مثل معظم أفرادها- جيدة جدًّا في شيء نسميه توقعات المخاطر/ المكافآت. لقد أتت إلى هذا الكوكب لأنه لا يوجد شيء هنا يمكن أن يهددها، ثم وجدت تنينًا يعيش هنا، ثم وصلت أنا.

ربما كانت قادرة على هزيمتي، لعني مرة أخرى، لكنها ربما لم تكن قادرة على ذلك، حتى لو كانت احتمالات خسارتها واحد لخمسة، فإنك لم تكن لتحيا طويلًا إذا اعتمد على احتمال واحد لموتك من كل خمسة. وقد عاشت ريينا زمنًا طويلًا جدًّا جدًّا.

بعد ذلك بوقت قصير، وقفنا جميعًا على سطح كروز سونج، ننظر إلى نقطة متلألئة من الضوء وهي تختفي في السماء. رحل البرج وأخذ معه الساحرة.

لدى هذا تأثير على الناس. ابقَ في الجوار لفترة طويلة، وستحسد حتمًا أولئك الذين لم يقابلوني من قبل.

وراءنا، بدأ الدوج في الصياح والتهليل. أخرج فورت مشروبًا رائعًا للاحتفال، كان يوفره لمناسبة مثل هذه. قررت آن إطلاق أسماء على المدافع، برغم اعتراضات لاغارت البائسة. وضعت سالاي يدها في جيبها على رسالة والدها، وتحملت كل هذا حتى حين. حتى إنها سمحت لنفسها بالاستمتاع بقليل من الاحتفال.

صعدت تريس نحوي وهي تحمل تشارلي الذي كان لا يزال فأرًا. «هل هناك... أي شيء يمكنك القيام به؟» سألت. «ألا توجد طريقة لكسر اللعنة؟» نظر كلاهما إليّ بأمل.

قلت: «لا أستطيع كسر اللعنة، ليس في مهارتي الحالية في فنون السحر، لا أحد يستطيع ذلك».

قال تشارلي: «أوه».

قلت، وأنا أتفقد الأحرف الرونية المحيطة به: «لكن ربما، يمكنني تغيير المعايير قليلًا...»





الخاتمة



بعد خمسة أشهر، وصلت سفينة إلى الصخرة التي لم تكن صخرة، اصطدمت تلك السفينة بالأرصفة في أثناء تباطئها؛ بسبب عدم خبرة قائدتها المتدربة الجديدة. بدا والد سالاي حزينًا، لكن سالاي ابتسمت فقط وأعطته بعض النصائح.

لم تكن السفينة هي كروز سونج. قرر الطاقم أن بداية جديدة ستساعدهم في حياتهم الجديدة، وإلى جانب ذلك، أرادت القبطان عددًا قليلًا من الكبائن الإضافية؛ لذلك بعد حصولهم على العفو، باعوا السفينة القديمة واشتروا سفينة جديدة باسم جديد تمامًا.

سرعان ما ظهرت القبطان على سطح توكابس [الفنجانين] مرتدية سترة قبطان طويلة وقبعة بريش. قامت بعمل بعض الإشارات اليدوية باتجاه الدفة؛ بعض من التي كان فورت يعلمها للطاقم. تبين أنه من المفيد لأسباب متعددة أن تكون قادرًا على التواصل عبر الألواح الموجودة على السفينة: يمكنك التحدث إلى البحارة على الأشرعة أو إعطاء توجيهات للدفة دون الحاجة إلى

الصراخ متجاوزًا أصوات الأبواغ أو الرياح. في هذه الحالة، هنأت قائد الدفة المتدرب على أول رسو له في الميناء، على الرغم من المطبات.

بعد ذلك، سارت تريس إلى مؤخرة السفينة وأخذت رشفة من فنجانها. كان فنجان الفراشة، الذي قامت بلصقه معًا مرة أخرى بعد تحطمه إلى أجزاء كثيرة. لم تكن القبطان تمانع الشطفات، فالفناجين ذات الشطفات أو الكسور أو حتى الشقوق لها قصص. لقد أحببت بشكل خاص تلك القصة التي أخبرها بها هذا الفنجان.

وصل مسؤول الميناء ومفتش الرصيف، وسرعان ما قدمت لهم سالاي الأمر الملكي المميز الذي يوضح بالتفصيل الطبيعة المهمة لهذه السفينة. أكسب إيقاف الساحرة بمفردهم تريس والطاقم أكثر من مجرد عفو. بالإضافة إلى ذلك، منحهم قدرة حصرية على التجارة عبر البحر القرمزي وبحر الظلمات، فاتحًا فرصًا جديدة في البحار البعيدة. سيصبح كل شخص على تلك السفينة، في غضون بضع سنوات ثريًا بشكل لا يصدق. (كنت أعرفهم عندما كانوا جميعًا مجرد دوج).

أصر الملك بالطبع على أنه ما حدث كان خطته منذ البداية، وأنه كان يؤمن بتشارلي وبعروسه المختارة منذ البداية. إذا كان هذا يبدو لك نفاقًا، حسنًا، فنحن نفضل تسميته بالسياسة.

بينما كان مسؤول الميناء والمفتش يعيدان قراءة الأمر، ظهر تشارلي أخيرًا على سطح السفينة.

كإنسان كامل مرة أخرى.

قالت اللعنة إنه بحاجة إلى إحضار أكثر شخص تحبه إلى منزل الساحرة لإنزال اللعنة عليه مقابل حريته، سمحت له تعديلاتي بدلًا من ذلك بإحضار أكثر شخص تحبه إلى منزلها، ليكون معنا مقابل حريته. قافية جيدة ومعقولة وغير مائلة.

تركت تريس مقصورتهما بناءً على طلبه حتى يتمكن من التحول على انفراد، الآن خرج ممسكًا بالقصيدة التي كتبها لها، وتعلو وجهه ابتسامة غبية.

لقد أحببت تلك الابتسامة.

كما كان الشيء الوحيد الذي يرتديه هو قبعة قرصان صغيرة. وبينما كان يصعد إلى جانبها، اتكأت وهمست: «حبيبي، الثياب، يرتدي البشر الثياب».

طاطأ رأسه قائلًا: «سيحتاج الأمر وقتًا للتعود على ذلك... معذرة».

نعم، لقد ظلا معًا، لقد تغير كلاهما أثناء رحلاتهما، ولكن بطريقة أكملا بعض على نحو ما. ظلت تريس قبطانًا وخبيرًا في الرفء، بينما تبين أن تشارلي كان خادمًا خاصًا بارعًا للغاية على متن السفينة وروائيًّا وموسيقيًّا، وهو رجل متمرس حقًّا.

مع بعض النصائح، لم يكن مملًّا بعد كل شيء. دعني أطلعك على سر أنك لست مملًّا كذلك، أي شخص يخبرك بخلاف ذلك يحاول التقليل من قيمتك، لا تثق بهم، إنهم يعرفون أنهم لا يستطيعون الحصول عليك بخلاف ذلك.

بدأ الطاقم في الخروج من السفينة متحمسًا لإجازة على الشاطئ، حتى لو كانت على الصخرة. لقد ظهروا جميعًا، باستثناء لاغارت الذي كان حاليًا في السجن لبدئه قتالًا في حانة في الميناء الأخير.

سيكون من دواعي سروري أن تعرف أن حتى لاغارت، بما أنني تابعت الطاقم على مر السنين، قد أظهر بعض النضوج، لقد بدا وكأنه بدلًا من اتباع تقاليد عائلته في كونه صحبة غاضبة من البؤس تدفعك لإنهاء حياتك، فهو على الطريق الصحيح للقيام ... حسنًا، بأي شيء آخر.

بينما كان تشارلي يرتدي ملابسه، قرأ على تريس قصيدته، بيت الشعر الذي كسر اللعنة.

لقد كُتب لها فقط، أنا آسف.

بمجرد أن نظرت تريس إلى اليابسة، لاحظت شيئًا مبهجًا، كان والداها يتعثران في اتجاه الأرصفة، وشقيقها الصغير في أعقابهم. أمضت والدة تريس معظم الليالي منذ أن غادرت تراقب البحر بحثًا عن أي إشارات، ولكن حتى مع الرسائل الأخيرة التي تمكنت تريس من إرسالها، لم تكن تعتقد تمامًا أن تريس ستعود، لم يفعل أي منهما، حتى رأوها واقفة هناك.

سارت تريس على الرصيف، ثم على الأرض الحجرية المألوفة؛ المالحة والسوداء. غريبًا، كيف بدا المكان غريبًا، كيف يمكن أن يبدو مكانًا مألوفًا وغريبًا في آن واحد؟ عندما وصلت عائلتها لاحتضانها، اكتشفت أن ذلك كان مألوفًا للغاية، وليس غريبًا في أقل تقدير.

لقد أحضروا أمتعتهم، وكانت مقصورتهم جاهزة، وجهتهم نحو السفينة، لكنها توقفت عندما وصل الدوق أخيرًا، محتقن الوجه، عابسًا. قررت تريس أن لديه تعبيرًا عابسًا واحدًا فقط؛ لأنه بينما كنت بحاجة إلى ابتسامة لكل مناسبة، فإن العبوس لا يحتاج إلى تنوع.

«ما هذا؟» قال، ويصفع الأمر الملكي بيده. «ماذا فعلت؟»

«لقد أنقذت ابنك، ابنك الحقيقي، ليس ذلك الشخص حاد الذقن محدود المفردات».

«قصدت ما فعلته بالجزيرة!» قال الدوق مشيرًا إلى كلام الملك. «يمكن لأي شخص المغادرة إذا أراد؟ سيتم إخلاء الجزيرة تمامًا من سكانها قريبًا».

قالت: «اقرأ الجزء التالي»، وأخذت رشفة من الشاي، ثم غادرت، ولم تنتظره.

كان عليه أن يقرأها عدة مرات ليستوعبها. أعلن الملك أن راتبًا سخيًّا سيتم دفعه لأي شخص يعيش ويعمل في الصخرة لمدة عشرين عامًا. إذا كنت محظوظًا جدًّا للحصول على وظيفة في ديجينز بوينت، فسوف تتقاعد مع سلة مدخرات كبيرة.

لكن احذر من أن الوظائف هناك يصعب الوصول إليها هذه الأيام. لا أحد يريد المغادرة، فإن الجعة رائعة، والشركة مقبولة، والأجر ... حسنًا، إنه يعوض الباقي.

عادت تريس إلى سطح سفينتها، والتقت بتشارلي المكسو حديثًا. هزت رأسها نحو والده على الرصيف. «هل تريد إلقاء التحية؟»

قال تشارلي: «لا، شكرًا، هل تركت له رسالة والدتي؟» (تجدر الإشارة إلى أن الدوقة قد رحلت عن الجزيرة -والأهم بعيدًا عن زوجها- قبل عدة أشهر. فقد تبين أن التخلي عن ابنك الوحيد لمصير محتوم ليس طريقًا إلى زواج صحي).

قالت تريس: «إنها مع باقي الخطابات، سيجدها، على افتراض أنه سيزعج نفسه بمواصلة القراءة. آه، انظر إنه عابس مرة أخرى».

قال تشارلي: «الحياة أسهل بالنسبة له بهذه الطريقة، عليه فقط أن يحافظ على تعبير واحد». لف ذراعيه حولها ووضع رأسه على كتفها. «سيكون من المزعج عدم امتلاك الفراء بعد الآن، لكن الامتيازات الأخرى ستفوق بالتأكيد تلك الخسارة».

قالت بدلال، وقد شبكا أيديهما: «أتساءل، إذا كان هناك قانون بحري يمنع قبطان من مواعدة خادم يخصها، ماذا سيقول الناس؟»

أجاب بهدوء: «سيقولون، يا له من رجل محظوظ للغاية».

لم يبقوا طويلًا، بقوا ما يكفي من الوقت لجمع بعض المؤن فقط وحتى تتمكن تريس من شكر مرة أخرى أولئك الذين ساعدوها على الهروب طوال تلك الأشهر.

ثم غادرت السفينة للإبحار في المحيط مع فتاة وفأر على متنها.

اتضح أن الفأر لم يكن في الواقع فأرًا، بأكثر من طريقة.

ربما تكون قد اكتشفت أن الفتاة لم تكن فتاة في الواقع، كانت امرأة مخضرمة بغض النظر عن عمرها.

ومع ذلك، كان المحيط الآن كما هو في مخيلتك، بافتراض أنك تخيلته أخضر زمرديًا، مكونًا من أبواغ، ويحمل احتمالات لا حصر لها.

النهاية

تذييل

أنا متأكد من أن حملة Kickstarter هذه ستصبح علامة فارقة في مسيرتي المهنية؛ لذلك من الغريب التفكير في مدى تواضع بداياتها.

وكالعادة، وُلد كتابي من مزيج فكرتين، تنبثق القصص من نقاط الاحتكاك بين الأفكار، مثل دفع الجبال للأعلى بفعل الحركة التكوينية، ربما تكون الفكرة الأولى واضحة: أردت عمل قصة كاملة برواية هويد.

في يوم من الأيام، سأكتب خلفية هويد الدرامية، وأردت أن أجرب الحديث بطلاقة وممارسة من وجهة نظره، لكن لا أعتقد أن صوت هويد، كما يظهر في هذه القصة، سيكون مناسبًا لرواية قصته الخاصة؛ لأن ذلك يتطلب أن يكون أكثر سذاجة وأقل غرابة. ومع ذلك أردت أن أبدأ بكتاب يبدو وكأنه سيرويه نسخة كاملة لشيء مثل: «وندرسيل»، أو «الكلب والتنين».

لقد علمت أن هذا الكتاب سيقع على حدود فضاء غريب الأطوار، لم أكن أريد قصة خرافية، لكنني أردت شيئًا مقاربًا. ومع ذلك لم أرغب أيضًا في أن تكون طفولية جدًّا، أردت شيئًا يستمتع به معجبيّ: قصة خرافية للكبار، إذا جاز التعبير. وهكذا، ذهبت إلى كتاب ويليام جولدمان الرائع الأميرة العروس، إنه أقرب شيء أعرفه للون الذي كنت أحاول تقديمه. (على الرغم من أن بشائر الخير للراحل السير تيري براتشيت ونيل جايمان هو مقارنة أخرى جيدة حقًّا لما أردت تحقيقه).

براندون ساندرسن

لقد عرضت فيلم الأميرة العروس على عائلتي في أثناء فترة الحظر في كوفيد - 19، لم أكن أعرف في ذلك الوقت أنني سأكتب هذا الكتاب في النهاية، لم أكن أفكر حتى في فعل ذلك، كانت الأفكار تقبع في مؤخرة رأسي، كما يحدث في كثير من الأحيان، وعادة ما تستغرق سنوات أو عقودًا حتى تنضج.

كان الفيلم رائعًا بالطبع، رغم أن شيئًا واحدًا كان يزعجني دائمًا، كانت الأميرة التي تم تسمية الكتاب والفيلم على اسمها... لا تستطيع فعل الكثير، لاحظت زوجتي إميلي الشيء نفسه، وذكرت بعد الفيلم شيئًا على غرار: «كيف كانت هذه القصة ستبدو لو ذهبت باتيركب للبحث عن ويستلي، بدلًا من التخلي عنه فورًا من أجل الموت؟»

وكانت هذه هي البذرة، الفكرة التي بدأت في النبوغ والنمو مثل الأثير الأخضر في عقلي.

وهنا لابد أن أتطرق لفكرة الأثير، لسنوات كنت أفكر في عالم يبحر فيه الناس في محيطات قوامها ليس الماء. (إن المحيطات غير السائلة هي شيء يستمر عقلي في الجنوح إليها). بدأت بتصور أشخاص ينزلقون على سطح البحر، تجرهم الطائرات الورقية، لم يكن ذلك مجديًا، لكن بعد ذلك تذكرت عملية التميع، حيث تصبح الرمال مثل السائل عندما يتم دفع الهواء من خلالها من الأسفل، وأرسلني هذا إلى محيطاتي.

لكن بالنسبة لعنصر يبنى عليه عالم مثل هذا، أردته أن يكون أكثر صلة من مجرد مبادلة مواد، إذا كانت هناك محيطات من الأبواغ، لكنها تتصرف تمامًا مثل الماء، فما الفائدة من ذلك؟ إنه مشهد مرئي رائع، وهذا قد يكفي في بعض الأحيان، لكنني أردت شيئًا يؤثر في مجرى القصة حقًا.

لذلك، عدت إلى فكرة كانت لدي قبل حوالي خمسة وعشرين عامًا، مجموعة من العناصر الأولية المعروفة باسم الأثير، لقد ألمحت إلى وجودها في كوزمير، كما ظهرت كإشارات ضمنية في روايات كوزمير الأخرى. شعرت أن هذا هو الوقت المناسب لتقديمها بإمكانياتها المتفجرة. سيكون هناك المزيد من الحديث عن الأبراج في المستقبل؛ لأن هذا ليس الكوكب الأساسي الذي نشأوا عليه.

أعطتني فكرة الأبواغ التي تتفاعل مع الماء بطرق خطيرة وتشكل هذه المحيطات البداية التي أحتاج إليها فقط، وهكذا كان لدي ثلاث قطع، نظام سحري يستحضر مشهدًا كاملًا. وصوت قصة برواية هويد، وحبكة درامية قوامها مهمة لإنقاذ شخص محبوب اختفى في البحر.

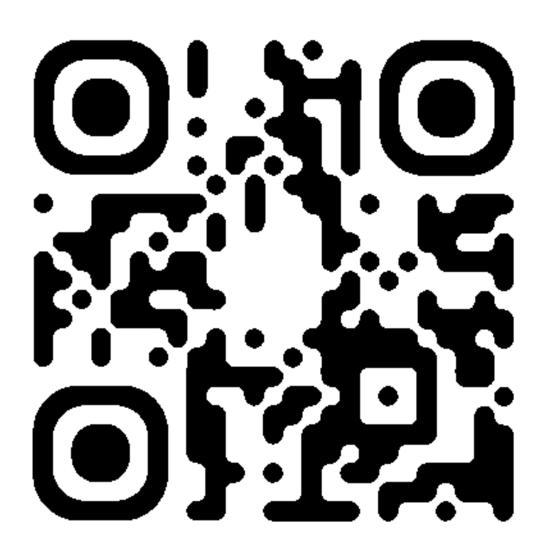
لكن ماذا عن الشخصية؟ حسنًا، في هذه الحالة فعلت ما أفعله كثيرًا؛ شرعت أكتب، وأستكشف من ستكون هذه الشابة؛ أحب اكتشاف الشخصيات وبناء قصة حول اختياراتهم.

ربما لم يكن عليّ أن أفعل ما فعلته، وهو البدء في كتابة هذا الكتاب في الخفاء. وعدم إخبار أي شخص، حتى حفظ الملفات في مكان مخفي على Clouds حيث يتعذر على فريقي رؤيتها. لكنني أردت شيئًا خاصًّا بي وبزوجتي فقط، شيئًا يمكنني مشاركته معها، بدون القلق بشأن المواعيد النهائية أو التوقعات. أردت فقط أن أكتب بدون قيود العمل أو توقعات المعجبين؛ لأرى إلى أين تأخذني القصة، وأبني شيئًا مثلما فعلت منذ فترة طويلة في الأيام التي سبقت كثيرًا من القيود المفروضة.

احتفظت بها بعيدًا عن الأعين لمدة عامين تقريبًا، ولم أشاركها إلا مع إميلي، لكني الآن أعطيها لك أيضًا، أتمنى أن تكون قد استمتعت بالرحلة، وأن تنضم إليّ في المشاريع الثلاثة القادمة، والتي يعدّ كل منها فريدًا بطريقته الخاصة.

براندون ساندرسون

امسح الكود .. انضم إلى مكتبة





براندون ساندرسن

رسوم: هوارد ليون

فتاة بحر الزمرد



في قلب المحيط، كانت هناك فتاة تعيش على صخرة، بيد أن ذلك المحيط لم يكن مثل المحيط الذي في مخيلتك، ولا تلك الصخرة مثل الصخرة التي في مخيلتك، لكن قد تكون تلك الفتاة مثل الفتاة التي في مخيلتك، هذا بافتراض أنك تخيلتها فتاة مراعية لمشاعر الآخرين ورقيقة الجانب ومولعة للغاية بجمع الفناجين.


9 789778 201567
KAYAN PUBLISHING